

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

حسن بن موسى الصفار

أحاديث

في الدين والثقافة والاجتماع

المجلد العاشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل: الآية ١٢٥]

الحمد لله ربّ العالمين اللهم صلّ على محمد
خاتم الأنبياء وتمام عدة المرسلين وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

تقديم

الشيخ حسن الصفار تطابق الشخص والنص



العلامة السيد هاني فحص^(١)

أنا على قناعة قد لا تكون موضوعية بأن ساحة الشيخ حسن الصفار البسيط أو المتبسط أو المتبسط جدًا ولغاية نبيلة هو رجل إشكالي جدًا.. وإشكاليته تشكل جاذبًا لأصدقائه نحو المزيد من الصداقة ولخصومه نحو الأقل من الخصومة.. ولكن ذاتيتي في هذه القناعة مبررة، يبررها وجداني الذي لا يخضع للقواعد الصارمة في النقد والتقييم، ولأن علاقة هذا

الوجدان، كأبي وجدان فردي لا ينمو في مقابل الجماعة، وإن تميز عنها أحيانًا لأسباب تتصل بالتكوين الفردي وخلق الله الذي يتشابه ولا يتماثل ليرتب على الفرق بين الأشباه، أحكامًا تجعل المساواة بينهم في الحقوق والواجبات، مشروطة بالعدل، حتى لا يتساوى المحسن مع المسيء، ولا تتساوى نسبة الإحسان بين محسن ومحسن فيؤثر ذلك سلبيًا على مقتضى العدل والخلق الذي يلزم العقلاء والأوفياء بالتشجيع على الإحسان والمكافأة

(١) السيد هاني مصطفى فحص، من علماء لبنان، عضو الهيئة الشرعية في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، درس على يد كبار العلماء في النجف الأشرف، له نشاط فكري وأدبي كبير، وحضور إعلامي بارز، مهتم بقضايا الحرية والوحدة والحوار والانفتاح، حيث أسس وشارك في عدد من المراكز والمؤتمرات المعنية بهذا الشأن. صدر له ثلاثة عشر كتابًا.

المعنوية على الزيادة فيه طمعًا في الاستزادة منه.

هذا على أن التصدي للرعاية الاجتماعية والمعرفية كمر إجباري للدين على أهله وطريق للمتدين إلى دينه إلى ما فيه (ذاك التصدي) من تحدي تحقيق وإثبات الفرادة، فيه أيضًا حافز وداع إلى ضرورة الاعتراف بالفضل لأهله.. كيف لا والذين يتصدون لهذا الأمر الجليل في بناء الأجيال وحراسة القيم وتنمية العلائق الاجتماعية وتوسيع المشتركات الإيمانية وتضييق المساحات الخلافية، هم رواد تاريخيون يحفرون فعلهم في صخر التاريخ، وإن كانت ضالة الإمكانيات المدنية والتقنية في الماضي، تؤجل موعد اكتشافها لدى الأجيال المعنية بسلوكهم وتراثهم الإعماري ليعودوا فيلقوا الإنصاف الذي يستحقونه وإن لم يقصدوه، في أواخر حياتهم أو بعد مماتهم الذي يتحول إلى حضور في الحاضر والمستقبل..

هذا النموذج الفاعل الشيخ حسن الصفار استطاع أن يستخدم وقته وجهده وصدقاته وعلاقاته بالورشة التي يشتغل فيها، في تحويل إسهاماته الجميلة إلى وثائق تسهم في إفشاء السلام بين المؤمنين، وتفتح القنوات بين الجزر المذهبية حتى تتكامل، ولا تكون أسيرة الحصار المعرفي الذي يمنع التبادل والتداول، ويقيم الاختلاف على فرضية الخلاف، ويجول التعدد إلى عائق ونقيصة، بينما هو في علم الله وكلامه علامة حيوية وكمال ومنشط للحوار، وزيادة المعرفة بالذات من خلال معرفة الآخر، مشروطًا في كل ذلك ليفعل أن تكون المحبة والميل إلى التفهم والتفاهم واللغة الواضحة والدالة وغير الملتوية وسيلة إلى الوصول وترسيخ الشراكة، وتعلو قيمة هذه الاعتبارات عندما يتوفر عليها رجل كالشيخ حسن الصفار مشغول بإلغاء المسافة بين ظاهره وباطنه، عنايته بتقريب المسافة بين أبناء جماعته وبين مختلف الجماعات في أمته أو وطنه.. عاملاً على التقريب بين المسلمين، إلى حيث يصبح في قناعة الجميع أو أهل الطليعة والريادة منهم أنه إذا كان التقريب هو شأن البعض فإن التقارب هو شأن الجميع، وهم الذين يؤسسونه

ويعمقونه من خلال الشراكة في الإيمان والحياة والأفكار والقيم والمصالح، ليأتي دور أهل العلم والمعرفة في إسناده بما يجعله خيارًا واعيًّا إذا ما أراد الجميع درء المفسد عن الجميع، وجلب المصالح للجميع بالجميع.

وليصبح دور الدولة الحاضنة الجامعة أن تحرس بالشرع والقانون والآداب والمؤسسات حركة التقارب بين مواطنيها المتعددي الانتماءات أو الحساسيات في فضاء واسع مشترك من الدين والثقافة والعيش المشترك، ما يحوّل الدولة من سلطة منفصلة إلى مؤسسة متعددة الوظائف، مشغولة بوظيفة أساس، هي تعزيز نصاب الوحدة بين مكونات اجتماعها بتنشيط الحوار فيما بينها، وتنشيط الحوار بينها، وبين الدولة، لتستقرّ الدولة بالإصلاح على حالها والمرجو منها في كونها تقوم مقام الضرورة من الاجتماع الذي إذا انفصلت عنه أو عن بعضه تحولت إلى مصدر إضرار به وإضرار بها، كضرورة لا يستغنى عنها إلا من يريد أن يضحى بدينه من أجل دينه، أو من يريد أن يحول دينه إلى جحيم، ومن دون أن يكون إهماله لإدارة الشأن العام في الدنيا أكثر من ذريعة يتوسلها المبطلون للتشكيك في جدوى الدين أو ضرورته، خاصة في الحالات التي تكون فيها الدولة الراعية مسكونة أو معنية بالدين كنظام قيم تقوم حراسته مقام المؤهل الأساسي أو الإضافي للدولة لأداء دورها والقبول به والإصرار عليه..

هذه الأفكار والمعاني مترادف في ذهني عندما أقرأ الشيخ حسن الصفار، معصودة بذاكرة شخصية تكونت له فيها صورة تشبه صورة النحلة التي من أجل العسل لها ولنا تتأبى أو تشيح النظر عن الورد العاقر الذي لا رحيق فيه، أو فيه رحيق مسموم، من دون أن تغريها الألوان الزاهية، أو يغريها قرب الوردة لأنها قريبة، وإن كانت قليلة الرحيق، أو أنها أفسدته بالعزلة عن الحقل الواسع، فتمكن فيه النقص بالتوحد في مقابل الغنى في الكمال بالوحدة.

وتذهب النحلة.. بعيدًا.. من القطيف والأحساء إلى الرياض وإلى الحرمين

الشريفين.. حاملة معه ما ادخرته من تجواله في الأفق العربي والإسلامي.. يذهب الشيخ حسن إلى اكتماله واكتمالنا بالآخر المختلف اختلافاً يؤول إلى ائتلاف إذا ما تبادلنا المعرفة بدل الجهل، وأسسنا عليها التعارف بدل التكارف..

ولا يقبل الشيخ حسن أن يتنصل من مكوناته الخاصة شرطاً لقبول الآخر له. ولا يشترط على الآخر أن يتنصل، لأن الوفاق لا يقوم على النفاق، بل يقوم على معرفة نتجها معاً بالخاص والعام، فنضبط الخاص بالعام ونثري العام بالخاص، كما يريدنا الله تعالى ورسوله والأئمة والصالحون من سلفنا، والآتون يعرف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان من أجيالنا المؤمنة الواعية.. وثبت قول علمائنا عن رؤية الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة، لأن أعمالاً وسيرة وكتباً وخطباً من هنا وهناك وهناك من حسن الصغار إلى كل أبطال الاعتدال في هذا الزمن الذي ينتشر فيه التطرف كالأوبئة المعدية.. لأن هذه الأعمال تولدت ونمت وشبت وبلغت رشدتها في رحم النص القرآني التوحيدي، الذي يرقى بالاختلاف إلى مستوى الدلالة على عظمة المدبر وحسن التدبير.. ثم يعود وببلاغة بالغة وحاسمة ليقرر أنه أي التعدد المحكوم بالوحدة تطبيقاً للتوحيد من أهم وأجمل مرادات الله في خلقه، ومشيبته التي لفرط وحدتها ونزاهتها وتنزهها حلت على التعدد لترقى به إلى مستوى المناخ الباعث على المزيد من التعبد بقبوله والتدرب والتفرغ لإدارته بالحسنى.. بالحوار، بالحب، بالرحمة، بالوحدة، بالمودة، باللقاء الدائم في المشترك حديقة الروح ومكانها الأمثل ومكانتها العليا.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩].

هذا ما أثاره في هذا الدأب المأنوس جدًّا في حياة الشيخ حسن الصفار حيث وجدت أمامي مجلدات من خطبه وندواته التي حولنا بعضها سابقاً إلى مادة تثقيف بأساليب الحوار، في لبنان وغيره.

وكتبت ما كتبه حتى الآن من دون رجوع لأن طول العشرة وخبرتي بالرجل تجعلني قادرًا على تلخيصه من دون ظلم ومن دون قراءة تفصيلية.. لأنني قرأته بعدما أغراني وأغريته بقراءتي، فتقارأنا واختلفنا واتفقنا، وما زلنا نختلف ثم نكتشف أن الخلاف هنا صحيح وجميل وغير مضر، وأنه هناك ليس صحيحًا ولا جميلًا ولا مفيدًا، وندرجع ونتفاهم، وهذه حاله مع جميع أصدقائه ورفاقه.. ما جعلهم أو جعلني لا أتوقع منه إلا خيرًا من دون أن أتبرع له بالعصمة. ولو كان قد توهم العصمة لما تحرك بهذه السرعة وبهذا الإصرار على الحركة، ولما اكتسب معرفة أو أكسب.

لقد قرأت ثلاثة من مقدمات مجموعات الشيخ حسن الصفار وهي كلها غنية وافية ووفية، إلا أن مقدمة رفيق العمر والخبير السيد محمد حسن الأمين أخذتني إلى ما كنت أعاينه على مدى ثلث قرن من هموم ومواهب في بناء العلاقات وتبادل الأفكار، ومن حكمة ودأب وصبر وشفافية لدى الشيخ حسن الصفار، الذي يجعلك تعرف بسهولة كيف تحبه وترافقه وتشاركه وتختلف معه.. وتعرف أيضًا أن من الصعب مفارقتة والتصحر الروحي أو الخلاف معه، لأن الاختلاف معه مولد معرفة، والخلاف بما يعني من قطيعة لا تصل إلى درجة القطيعة بين متباينين مصريين على التباين.. هذا الخلاف يسبب شيئًا من فقرك المعرفي والإنساني والوجداني والروحي، وهو الشيخ حسن لا يسمح لك أن تظن أنه لا يشعر بالفقر المعرفي عندما ينقطع عن المختلف ويؤثر الخلاف. أما الخصومة مع الشيخ حسن الصفار، وهو يستحيل عليه أن يعادي أو أن يدفع أحدًا إلى العداوة معه، الخصومة معه غير متاحة وغير منطقية.. وهو رجل غير (خصم) لا يجب ولا يتقن الخصومة، لا لأنه مزاجيًا غير خصامي، بل لأنه لا يجد في أي مورد من موارد الاختلاف ما يصلح أن يكون سببًا للخصومة (إلا أثناء النقاش العلمي الذي تصبح الخصومة حتى المتعمدة من أهم دينامياته).. وإذا ما حصل ما يعكر صفو هذه الملازمة للحوار مسببًا خصومة على أساس أنك على حق مطلق! وخصمك الصفار على

باطل مطلق! ثم يحدث أن تكتشف أنه لا يباريك في بطلان الباطل وحقيقة الحق، بشرط النسبية، وخصامه الظاهر يأتي من قلقه على المبطل الذي لا يريد له الإصرار على المعصية، وطالما أنه قادر على التواصل معه لوقايته فإنه يحمل الحق مسؤولية الباطل فيوكل إليه.. إلى الحق، إلى نفسه، أن ينتظر المصّر ولو طويلاً على باب المراجعة والمصالحة والمشاركة.

وإذا كان الخطأ مسبباً عن قصور لا تقصير ولا عمد أثر الشيخ أن يشارك خصمه الآتي من علمه ومشاعره ووجعه حتى ينتهي معه إلى حال. لقد شعرت بالغيرة بعد الغبطة، مما قرأته من مقدمة السيد الأمين، فقد اهتدى إلى مفاتيح الشخص والنص فوجد المفتاح واحداً، وهذا اكتشاف يسجل له، وقلت: استخدم هذا المفتاح لأكتب نابشاً أو مرتباً أثاثات هذا البيت الثقافي الثري. فوجدت السيد الأمين وقد فعلها قبلي ولم يترك لي أن أكتب حاشية على مقاله تطرزها من أذيالها بكلماتي، وتكون صالحة لتكون وشياً على عباءة الشيخ حسن، وزينة على مسوحة الدينية التي إذا ما حاكت ما فيها، أي انسجمت وتكامل شكلها مع محتواها أصبح الملبوس جزءاً من اللباس، ما عبّر عنه السيد الأمين في مقدمته للجزء الرابع من «أحاديث الشيخ حسن الصفار». وأنا أوقع عليه وأعتبره علامة اكتشافها السيد في الشيخ الذي لا بس بين الشخص والنص، حتى صار الشخص نصاً والنص شخصاً، تماماً كما تمتلئ بشعر شاعر ثم إذا ذهبت معه إلى وراء القصيدة وجدت قصيدة أخرى تعيدك إلى الأولى. ولا يهتدي إلى هذه الملابس التي هي من المواهب وإن احتاجت إلى وعي صاحبها وقصده، إلا الشخص الذي بلغ بشخصه مرتبة الفرادة، وبلغ بنصه آخر احتمال بالإبداع والتناسك، أعني السيد محمد حسن الأمين الذي أقرأ وجهي في وجهه ونصي في نصه، وأعني الشيخ حسن الصفار الذي تختلف مفردات جملته وتركيبها وحساسيتها الفنية، عن جملة السيد الأمين وحساسيته وعني، من دون تناقض، وأعني الشيخ حسن الصفار الذي تعود علاقتي به ومع رفاق دربه إلى ثلث قرن لم تتعطل فيها مراجعاتهم ونقدهم لتجربتهم إلى أن انتهت إلى أمثلة في تحقيق الاندماج، على صعوبته

بسبب التراكم الفصالي التاريخي، في أوطانهم وأقوامهم، من دون أن يبتزوا أحدًا، أو يكونوا موضع ابتزاز من أحد.

هذه العلاقة، به وبرعيه ورهطه، لم تتخللها إلا قطيعات قصيرة، سببها أي حريص جدًا على توتر لا أخفيه حتى يقع صادمًا على هدوء الشيخ حسن، فأقطع يومًا، يومين أو شهرين، لاكتشف أن فضائي يشكو من فراغ في حين يكون الشيخ قد اغتنم فرصة القطيعة لتنمية الشوق والمحبة التي تعود لتجمعنا على الطريق معًا، في سعينا إلى تعزيز الوحدة في المتعدد، وتوظيف التعدد في الوحدة، من أجل مزيد من الوحدة، من دون إلغاء من طرف للآخر لأنه أقوى، أو تبادل الإلغاء بين أطراف متفاوتة القوة أو متكافئة.. لأن حفظ ما في المجموع أو آحاد الأطراف من قوة لا تحمي ولا تنمو إلا بالجميع وإن اختلفوا..

هذا الشيخ النص أو النص الشخص في الشيخ حسن الصفار، له مثل فيه أيضًا هو ذلك السر العلني والعلن السري، ولي على ذلك شواهد كثيرة، أهمها أن اهتمامه بالتقريب من خلال الحوار الدائم لا يحمل أي شائبة، وهو من الجد فيه كما لو أنه مشروع عمره لدنياه وآخرته.. وأنا أحببته فيه وأحببته عليه لأنه مشروع عمري.. بل هو مشروع عمرنا جميعًا، إن أردنا لهذا العمر أن يكون عمارة وعامرًا بالفضيلة والسلامة والتوحيد الذي إن لم يهد إلى الوحدة تعرض للنقص أو الخلل.

في ختام كلامي عن هذا العمل الواسع بما تضمنه من دأب وتنظيم لافت، لهذا العالم الناحل، الذي تقرأه وتسمعه أكثر مما تراه، فتراه بأذنيك وتقرأه بأصغريك، أشكر الله، باسم أهل الاعتدال الصابرين على ثقة بالله والغد، على الخرق الذي حققه الشيخ حسن الصفار بسلاسة في جدار القطيعة، نحو أرض الحوار الخصبة، وأرض التقارب العطشى، وأشكر رفاق دربه الذين عرفتهم وأحببتهم في الله ولله، وأشكر من فتحوا أمامه عقولهم وقلوبهم من علماء بلده، وانتظروه وراء الجدار المفتعل، أو على الضفة الأخرى، من نهر نجد والحجاز والرياض وجدة والقطيف والإحساء، وصولًا إلى النبع

الأصفي في مكة، وإلى الرافد الأعلى في المدينة، وإلى أطراف الجزيرة من شرقها إلى غربها وشمالها إلى جنوبها، حيث يفيض النهر على الجوار ومختلف الأصقاع والأمصار، حاملاً الزلال والظمي الحلال من مملكة العرب ومثابة الإسلام والتوحيد الجامع، الذي يزداد جمعه جمعًا عندما نقرر أن نجتمع فيه وبه، ويقتى على سعته ولكن يضيق صدره بنا، عندما نكف عن الاجتماع في حضرته، أو نتواري في كهوفنا وأقبينا التي نسميها باسم مذاهبنا، وما هي إلا اختزالات ظالمة لتنوعنا وتنوعها العلمي المحض.

شكرًا للشيخ حسن الصفار وللذين حاوروه، وحاورهم على بساط أحمدي، في منتديات المملكة وخارجها، وفي الملتقيات الأهلية الرائدة، أو المؤتمرات الرسمية المرعية، وأختم باستعراض لبعض أدلتي من كلام شيخنا الصفار على صحة ما استنبطه من وجوب أو استحباب في الإصلاح والتنوير، وإيثار الوحدة على التجزئة، واحتياجات التوحيد والوحدة. إنها أدلة على اعتدال الشيخ حسن الصفار في كل شيء.

١. من الطبيعي أن تكون هناك إفرافات لا تجاه التشدد المذهبي، تتمثل في فتاوى التكفير.. والدعوة إلى الانفتاح والتقريب إنما جاءت لإنقاذ الأمة من هذا الواقع السيئ. ص ١٥٧.

٢. للالتفاف على مطلب الوحدة، يطرح بعض المتشددین شرطًا تعجيزيًا لتحقيق الوحدة وهو إلغاء الطرف الآخر. ص ١٥١.

٣. إن الإفراط في الوعظ الديني في جانب العذاب والموت هو أمر خاطئ، كما أن تجاهل ذلك أمر خاطئ. ص ١٩٣.

٤. ولا ينسى لبنان.. وإن كانت مقاربتة لأوضاعه أحيانًا مأخوذة بخطاب أكثر من خطاب آخر.. يقول بوجود «تيارين متنازعين.. وكل تيار يضم مختلف التوجهات من الشارع اللبناني.. والتياران يمثلان السلطة من جهة والمقاومة من جهة أخرى». ص ١٩٠.

أما الآن فإن ما يصفه باتجاه السلطة أصبح في ما يصفه باتجاه المقاومة، وفي رأينا أن للقسمة نصابًا آخر غير مناقض لهذا النصاب، ولكنه غير مطابق له تمامًا، وليس ساكنًا بل متحرك ومتغير ومركب وعلى أساس أن المقاومة لا تختزل بالسلاح والمسلح، وأن الشراكة فيها ليست حصرية بفئة دون أخرى، وإن كانت نسبة المشاركة متفاوتة حتى لا نظلم المقاومين المباشرين. إلى ذلك فهناك من يرى أنه لا بد من التفريق المنهجي المدقق بين المقاومة المسلحة وبين سلاحها في لحظة سياسية للحفاظ على كل المعاني والأدوار.

٥. هناك قسم من الناس يبقون منشغلين بالجدل والخلاف الديني بين أتباع الأديان والمذاهب، كل ينادي بأحقية دينه ومذهبه ومعتقدده، وهو جدال عقيم، يلهينا بأمور تفصيلية صغيرة عن القضايا والأمور الكبرى التي تجعل لنا دورًا في الحضارة الإنسانية المعاصرة. ص ٣٧٨.

٦. ولعله من حق سماحة الشيخ علي وحقي عليه أن أدعوه إلى التدقيق في بعض الأفكار التي سجلها عن توجهات الإمام موسى الصدر.

أ. قوله: «كان العمل على تأسيس مجلس يقود الطائفة ويجمع كل الكفاءات العلمية والسياسية ويكون المظلة التي تتحرك من خلالها الطائفة بحقوقها»، هذا صحيح بشرط إعادة وضعه في سياقه الوطني؛ لأن الصدر لم يرد أن يميز الطائفة لا في حراكها ولا في مطالبها، بل هو هدف إلى مزيد من دمج الشيعة في قومهم ووطنهم ودولته من خلال العدالة للجميع.

ب. قوله: «عندما قرأ الإمام الصدر الوضع في لبنان ووجده متجهًا لتكوين التكتلات العسكرية قرر أن ينشئ حركة أمل لتحمي هذا «الكيان الفتى»، وفي رأبي وفي المعلومات المعروفة أن الإمام الصدر لم يرد ولا مرة أن يتشابه مع الوضع العسكري الميليشياوي في لبنان. وإنما أسس حركة أمل كفرع من

فروع الحركة (الأم) وهي حركة المحرومين، أما حركة أمل فكان هدفها الجهاد لحماية الجنوب من العدوان الإسرائيلي ودعم الصادقين من المقاومين لتحرير فلسطين.. وقد دفع الإمام الصدر ثمن معاندته للحرب وصراع الميليشيات العسكرية الذي ترك أثرًا سلبيًا على المقاومة وعلى حركة المطالبة. كان الإمام الصدر من خلال حركة المحرومين يريد إنصاف الشيعة بتحقيق حضور لهم في بنية الدولة والسلطة تعادل أو تقل ولكن قليلًا عن حجمهم وحضورهم في عمران لبنان وازدهاره.. ولكن بشرط أن يكون المدخل سلميًا..

وبعد إخفاء الإمام الصدر غابت حركة المحرومين، وحضرت حركة أمل كفريق عسكري لبناني، وتحققت بعض مطالب الشيعة فعلاً في الدولة ولكن عن طريق العسكر، ما كان داعيًا إلى الرضا لولا أن المعايير المهنية والمسلكية لم تراعى تمامًا.

وختامًا سواء اتفقنا مع سماحة الشيخ الصديق، الجاد، والدؤوب والمخلص، أو اختلفنا معه في تحليل بعض الأحداث والوقائع، فإننا متفقون معه على منهجه التقريبي وحرصه على أن تكون الوحدة تجليًا لتوحيدنا.

ولعل من أهم ما يجعلنا نراهن على مسلكه التوحيدي والحواري والإصلاحي، موقعه المحترم في أوساط العلماء المسلمين في المملكة وخارجها، الذين يشبتون اعتدالهم بانفتاحهم على المعتدلين من أمثال سماحة الشيخ حسن الصفار.

السيد هاني فحص - لبنان

٢٠١١/٦/٣٠ م

كتاب كريم^(١)

بسمه تعالى



أخي المكرّم أبا الزكي الشيخ الحسن الصفار دام أخاً و فياً.
تحيّة من عند الله طيبة مباركة أحييك بكل مشاعر الاعتزاز،
وأبارك لكم بحلول الشهر الفضيل، وأشكركم على موسوعتكم
الثقافية الرائعة، وهديتكم القيمة التي تلقيتها من لدن الأخ العزيز
الحاج عبدالأمير الفيلي، وعند تصفحي لموادها وإعجابي لما ورد فيها انقدحت القرية
بهذه الأبيات المؤرخة:

سجّل خطابك و اكتب أيها القلم	وأصّح بصوتك وأخفق أيها العلم
سر في الطريق طموحاً للعلا أبدأ	والمنهل العذب بالروادٍ مزدحم
فيا حليف المعالي يا ابن بجدتها	يا راسخ العلم لا زلت بك القدم
أسست للجيل في الإصلاح مدرسة	من ذا سواك لهذا الجيل معتصم

(١) من سماحة العلامة الخطيب السيد داخل السيد حسن الخطيب، ولد عام ١٩٥٢م بمدينة الخضر بالعراق، تلقى تحصيله العلمي بالنجف الأشرف، من أبرز خطباء المنبر الحسيني، له عدة مؤلفات منها: من لا يحضره الخطيب (٤ مجلدات)، ومعجم الخطباء (١٠ مجلدات).

هذا كتابك بستان به عبقث
 يا ابن الرضي الذي بانث فصاحتة
 يا أيها الحسن الصفار يا ألقاً
 دُم للوفاء وللأخوان مفخرة
 شكرًا لموسوعة جاءت مطرزة
 هذي الأحاديث كنز في حضارتنا
 فألف شكر أضف والشعر أرخها:
 أقوالك الغر والآراء والحكم
 تُصاغ عقداً لك الأشعار والكلم
 تنجاب فيه وفي أفكاره الظلم
 سيان تفخر فيك العرب والعجم
 فيها الثقافة والإصلاح يرتسم
 وفي الحضارات ما تسمو به الأمم
 الاجتماع بها والدين والقيم

الكويت في العاشر من رمضان المبارك ١٤٣١ هـ

داخل السيد حسن الخطيب

أول الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

لا شك أن الانجازات السياسية التي تحققت بفعل ثورات الربيع العربي انجازات عظيمة مفصلية، يؤمل أن تكون تدشيناً وفتحة خير لعهد جديد، تحقق فيه شعوب المنطقة تطلعاتها في الحرية والعدالة والتنمية.

وما يجب أن نستوقفنا للتأمل، هو ما كشف عنه هذا الحراك الشعبي الواسع من تطور وتقدم في مستوى الوعي والتفكير عند جماهير الأمة. والذي شكل خلفية لسلوك جمعي حضاري فاجأ المراقبين والمتابعين على مستوى العالم.

فقد عاشت منطقتنا العربية زمناً من الصراعات الأيديولوجية العنيفة، وانقسم الناس فيها إلى معسكرات يواجه بعضهم بعضاً، وانشغلوا بالجدل والنقاش حول أحقية هذا الدين، وبطلان الدين الآخر، وصحة هذا المذهب، وانحراف المذهب الآخر، وصوابية هذه النظرية، وفساد النظرية الأخرى.

هذا الانشغال بالخلاف الأيديولوجي الفكري كان على حساب الاهتمام بالواقع السيئ الذي يعيشه ويعاني منه الجميع، على اختلاف انتماءاتهم الدينية والفكرية. فهم جميعاً يعانون من وطأة الاستبداد السياسي، وضغوط الحياة المعيشية الصعبة، وتعثر التنمية في أوطانهم، والتخلف العلمي والتكنولوجي، وهيمنة النفوذ الأجنبي. وبدل أن ينشغلوا بمواجهة هذه التحديات المصيرية، تعيش كل جهة تحدي الصراع

مع الجهة الأخرى، وتسعى لتسجيل الانتصار عليها، بخوض معارك الخلاف الفكري، والتعبئة الإعلامية، والتحريض المتبادل على الكراهية والبغضاء.

هدرت الطاقات في معارك الصراع، وتبعثرت الجهود، وامتلأت القلوب والنفوس بالضغائن والأحقاد، وانزلقت بعض الساحات إلى حالات من الاحتراب واستخدام العنف بين مكوناتها. وكان ذلك التشرذم من أهم أسباب تكريس واقع التخلف، وبقاء الاستبداد، واستشرء الفساد.

لقد بُحث أصوات المصلحين وهم يدعون الأمة للوحدة والتآلف، وتجاوز الخلافات والانقسامات، وكاد المصلحون أن يأسوا من استجابة جماهير الأمة لدعوتهم، وهي دعوة القرآن، ونداء العقل، وسر تقدم الشعوب. فجاءت ثورات الربيع العربي لتنعش الآمال، وتحيي النفوس، فهذه الجماهير العربية في أكثر من بلد، تتحرك لمقاومة الاستبداد، وتطالب بحقوقها المشروعة في الكرامة والحرية والعدالة، متجاوزة الصراعات الأيدلوجية، والخلافات الفكرية، والاتهامات السياسية المختلفة.

وفي هذا السياق قدم ميدان ساحة التحرير بمصر أروع أنموذج ومثال، حيث التحم المصريون، مسلمين ومسيحيين، إسلاميين وليبراليين، صوفية وأخوان مسلمين، قوميين واشتراكيين، ومن مختلف الشرائح والفئات، ليهتفوا بصوت واحد، وليؤكدوا على مطالب موحدة، ترتبط بمصالحهم المشتركة، وتستجيب لتطلعاتهم الوطنية، وتمس حياة كل مصري مهما كان دينه أو مذهبه أو انتهاؤه.

وقبل الثورة المصرية، كانت ثورة تونس، قد انتهجت هذا النهج الحضاري، والذي أصبح منهجاً لسائر ثورات الربيع العربي.

ولعل الظاهرة الأهم في هذه الثورات الشعبية الرائعة، هو التزام منهج السلم، ورفض الانزلاق إلى ممارسة العنف، رغم قمع الأنظمة الاستبدادية، واستعراضها لقوة بطشها، ومحاولاتها استفزاز الثائرين، بإطلاق النار نحوهم، أو دفع العصابات المرتبطة

بأجهزتها الأمنية لشن الهجمات عليهم، لكن الجماهير الثائرة أبدت انضباطاً عالياً، وأفشلت خطط السلطة لجرها إلى ساحة العنف والاحتراب، رغم سقوط أعداد كبيرة من الشهداء والجرحى في المظاهرات والاعتصامات السلمية.

إن هذا السلوك الثوري الحضاري، يكشف عن تحقق تغيير عميق في نفوس أبناء الأمة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١١].

إن الالتفاف حول مشروع وطني للإصلاح، تنخرط فيه كل أطراف المجتمع، بعيداً عن المشاريع الخاصة ذات اللون القومي أو المذهبي أو المناطقي، والتزام نهج السلم في الحراك الجماهيري، بعيداً عن ممارسات العنف والإرهاب، هو السبيل الصحيح لإنقاذ شعوب الأمة من واقع الاستبداد والتخلف، ولتحقيق التطلعات والحقوق المشروعة، بقيام سلطة تنبثق من إرادة الشعب، وبناء دولة ديمقراطية عصرية.

ويمكن القول بكل ثقة واعتزاز أن لجهود المصلحين التنويريين ودعاة الوحدة والتقارب، دوراً أساسياً في إنضاج وعي الأمة، والارتقاء بمستوى التفكير بين أبنائها، وفي إنتاج هذا السلوك والأداء الحضاري.

فقد بذل الاصطلاحيون قصارى جهدهم في استنهاض جماهير الأمة، ونشر الوعي في أوساط أبنائها، وفي بث ثقافة الوحدة والتسامح، والاهتمام بالمصالح العامة، وتجاوز الخلافات الجانبية، والتزام نهج السلم والاعتدال.

وقد عانى الخطاب الإصلاحية كثيراً من ضغوط توجهات التطرف والتشدد، التي كانت تريد دفع ساحة الأمة إلى المزيد من حالات الصراع الداخلي، والاستغراق في الخلافات المذهبية والفكرية، والتمادي في ممارسة العنف، الذي سلب مجتمعات الأمة أمنها واستقرارها، وشوّه سمعتها وسمعة دينها على مستوى العالم.

وجاءت ثورات الربيع العربي لتعلن انحياز جماهير الأمة لخيار الوحدة الوطنية،

ونهج السلم والاعتدال.

ويسعدني في أحواء هذه الانتصارات الرائعة، أن أقدم للقراء الكرام المجلد العاشر من موسوعة (أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع). حيث يحتوي هذا المجلد على معظم الخطب والكتابات والمقابلات الإعلامية التي جرت خلال العام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. وتعكس مجلدات هذه الموسوعة تجربتي الشخصية المتواضعة، في مجال نشر ثقافة الدعوة إلى الإصلاح والتغيير، وتعزيز الوحدة والتقارب بين أبناء الأمة، وتحقيق مفهوم المواطنة واحترام حقوق الإنسان.

وإذ أقدم هذه التجربة بين يدي القراء الكرام، وخاصة إخوتي الدعاة والمبلغين، من أجل المثاقفة وتدوير الأفكار، وتبادل التجارب، لأرجو منهم أن لا يبخلوا عليّ بنقدهم وملاحظاتهم، «فأحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»^(١) - كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام.

ويغمرنى شعور بالسعادة والرضا لتوفيق الله تعالى لي بمواصلة السير على هذا الطريق، رغم الأشواك الدامية، والعقبات الصعبة، والضغوط المختلفة، لكن التطلع لرضا الرب سبحانه، واستهداف مصلحة الدين والأمة، هو ما يهون كل معاناة وبلاء. اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه، وأهدنا لما اختلف فيه من

الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

٣٠ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ

٢ يونيو ٢٠١١م

(١) الكافي. ج ٢، ص ٦٣٩.

عاشوراء من أيام الله

خطبة الجمعة بتاريخ ٢ محرم ١٤٢٩ هـ

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٥].
تتحدث هذه الآية عن مصطلح (أيام الله)، ولربما لا يكون هذا المصطلح متداولًا بشكل واسع في الثقافة والخطاب الإسلامي المعاصر، ولذا سنحاول أن نغطي جانبًا من البحث حول الحديث عنه، لنركّزه تاليًا عن خصوص يوم عاشوراء، كيوم من أيام الله، لذا سيكون حديثنا في هذه الآية منطلقًا من المحورين التاليين:

المحور الأول: أهمية التذكير بأيام الله

لفهم المقصود بـ «أيام الله» الوارد في الآية الكريمة، لا بد من التمهيد لذلك ببحث لفظة «اليوم» علميًا وعرفيًا.

معنى اليوم

اليوم - علميًا: يعرف بأنه المدة الزمنية التي تستغرقها الأرض للدوران حول نفسها، والتي تمتد لأربع وعشرين ساعة.

بينما اليوم - عرفًا: ما يقابل الليل، حيث يبدأ اليوم من شروق الشمس وينتهي بغروبها. فيقال في كثير من أدبيات العرب: اليوم واللييلة، و«مسير يوم وليلة». وقد وردت بعض الأحاديث الشريفة تستعمل اليوم في هذا المعنى. وقد صنفت بعض كتب

الأدعية فيما يسمّى بـ «أدعية اليوم والليلة»، بينما الليل يقابله - علمياً - النهار، ومن الليل والنهار يتكون اليوم الواحد.

بداية اليوم

اختلفت الشعوب والمجتمعات في تحديد بداية اليوم:

- فالعرب - وبالتالي عند المسلمين - واليهود يَعدُّون بداية اليوم من غروب الشمس، فتكون بداية الليل هي البداية الفعلية لأي يوم، ليكون غروب شمس ذلك اليوم هو آخر أوقاته، والساعة ما قبل الغروب هي آخر ساعات ذلك اليوم.
- بينما ما عليه الرومان والأوروبيون الآن أن بداية اليوم تكون من منتصف الليل، أي انتهاء الساعة الثانية عشرة بالتوقيت الزوالي.

نسبة الأيام إلى الله تعالى

في الآية الكريمة توجيه إلهي للنبي موسى ﷺ أن يذكر قومه بـ «أيام الله»، فما المقصود بهذه الأيام؟

الأيام من ناحية زمنية كلها أيام الله، فهو سبحانه خالق الزمان والمكان، وخالق كل ما يحيط بنا في هذا الكون الفسيح.

ولكن نسبة أمرٍ ما إلى الله تعالى يدلّ على تشریفه وتعظيمه، وذلك كنسبة بعض الأمكنة لله، كالمسجد الذي يطلق عليه أنه بيت من «بيوت الله». وكذلك شهر رمضان الذي يطلق عليه أنه «شهر الله».

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ «أيام الله» الواردة في الآية الكريمة على ثلاثة أقوال:

١. فقال بعضهم إن «أيام الله» هي تلك الأزمنة والأيام التي انتصر الله تعالى فيها لأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، وذلك لما تحقق فيها من عزة لدين الله ونصر لأوليائه ولقيم الحق. وعلى هذا يكون معنى الآية: ذكرهم بأيام انتصارات الأنبياء

والمؤمنين على أولئك الطغاة المعاندين.

قال ابن عاشور: أيام الله أيام ظهور بطشه وغلبه من عصوا أمره، وتأييده المؤمنين على عدوهم، فإن ذلك كله مظهر من مظاهر عزة الله تعالى. وشاع إطلاق اسم اليوم مضافاً إلى اسم شخص أو قبيلة على يوم انتصر فيه مسمى المضاف إليه على عدوه، يقال: أيام تميم، أي أيام انتصارهم، فأيام الله أيام ظهور قدرته وإهلاكه الكافرين به، ونصره أوليائه والمطيعين له^(١).

٢. بينما يرى بعض المفسرين أن المقصود بـ «أيام الله» تلك الأيام التي حلت فيها نقمة الله وغضبه على الكافرين الظالمين الذين كانوا يصرون على معاندة ومناوأة أنبياء الله وعباده الصالحين، وذلك لما في هذه الأيام من ظهور لمقدرة الله وبطشه ونكاله بهؤلاء الظالمين المعتدين في الأرض.

٣. ورأى بعض المفسرين أن المعنى أشمل من هذين الموردين، فكل يوم حصل فيه حدث مصيري في تاريخ البشرية أو تاريخ مجتمع من المجتمعات، فإن ذلك اليوم يُعدُّ من أيام الله، لما في هذه المناسبات والأيام من عبرٍ ودروس ومواعظ يتعلم منها الإنسان، وتتعض منها الشعوب والمجتمعات، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «أيام الله نعماءه وبلاؤه»^(٢).

وعلى هذا الرأي يكون معنى الآية الكريمة أن الله تعالى يوجه نبيه موسى ﷺ ويأمره بأن يذكر قومه بهذه الأحداث والمواقف التي حصلت فيها تطورات مهمة وتحولات مصيرية في تاريخهم، كانتصارهم على الطاغية فرعون حينما أهلكه الله تعالى مع جنوده. وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا

(١) محمد الطاهر ابن عاشور. التحرير والتنوير. ج ١٢، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ)، ص ٢٢٣.

(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم، باب فضائل الخضر ﷺ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م، (الرياض: دار المغني)، ص ١٢٩٤ حديث ٢٣٨٠، وبحار الأنوار. ج ٦٧، ص ٢٠، حديث ١٧.

فيذكرنا بأيام الله»^(١).

وهذا يدلّ دلالة واضحة على أن هذا التعليم الربّاني ممتدّ مع بقية النبوات، ليكون سمة بارزة في حياة المجتمعات المتديّنة، يتذكّر أفرادها ومجموعاتها تلك الأيام التي يجد فيها الإنسان ما يتعظ به ويفيده في حياته العملية.

قال الفخر الرازي: إنه يعبر بالأيام عن الوقائع العظيمة التي وقعت فيها، يقال: فلان عالم بأيام العرب. ويريد وقائعها^(٢).

قال سيد قطب: وكل الأيام أيام الله، ولكن المقصود هنا أن يذكرهم بالأيام التي يبدو فيها للبشر أو لجماعة منهم أمر بارز أو خارق بالنعمة أو بالنقمة^(٣).

وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

أيام الله هي جميع الأيام العظيمة في تاريخ الإنسانية، فكل يوم سطعت فيه الأوامر الإلهية وجعلت بقية الأمور تابعة لها، هي من أيام الله، وكل يوم يفتح فيه فصل جديد من حياة الناس فيه درس للعبر، أو ظهور نبي فيه، أو سقوط جبار وفرعون أو كل طاغ، ومحوه من الوجود، وكل يوم يعمل فيه بالحق والعدالة وتنهى حالة الظلم والجور هو من أيام الله^(٤).

إقامة الذكرى عرف اجتماعي

وقد أصبح متداولاً ومعروفاً اليوم في المجتمعات البشرية أنها تهتمّ بأيام ذات أحداث مصيرية وتاريخية مهمّة.

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، ج١٢، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٤٢٠، حديث ٣٥٤٦٩.

(٢) فخر الدين الرازي. التفسير الكبير، ج١٩، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٨٤.

(٣) سيد قطب. في ظلال القرآن، ج٤، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٨هـ، (بيروت: دار الشروق)، ص٢٠٨٨.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٧، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة البعثة)، ص٤٠٢.

فأغلب الدول تحتفي بيوم استقلالها وتحرّرها من نير الاحتلال الأجنبي، وأصبح هذا الأمر تقليدًا دوليًا، لا تكاد ترى دولة في العالم لا تحتفل بيوم استقلالها، وتجعله يومًا وطنيًا ويومَ عطلة. كما أن لكل دولة أو أمة من الأمم أيامًا تحتفي بها رسميًا وشعبيًا. فالفرنسيون - مثلاً - يحتفلون بيوم سقوط الباستيل، ذلك السجن الذي كان رمزًا للظلم والطغيان.

وقد تعارفت بعض المجتمعات البشرية على تخصيص بعض الأيام لتكريس وتأکید بعض القيم والاهتمامات الجيدة، وذلك مثل يوم «عيد الأم». الذي هو عرف وتقليد قديم عند المجتمعات الأوروبية من القرن السابع عشر الميلادي، كيوم يتذكّر فيه الناس فضل الأم وتضحياتها ويجددون عهد التقدير والاحترام للأم، لما تتحمّله من عناء وبها تفيضه على الأبناء من محبة وعطف في الحمل والرضاع والتربية.

أهمية التذكير بأيام الله

وللتذكير بالأيام المفصلية في حياة كل أمة أهمية عظيمة تنطبع على واقع الأمة ومستقبلها، وذلك:

١. من أجل أن ترتبط المجتمعات البشرية بتاريخها، وتستفيد من التجارب والدروس والعبر التي حصلت في تلك الوقائع والأحداث السابقة، وإلاّ لو لم يكن هذا التركيز لكانت معرفة تلك الوقائع خاصّة بأولئك المعنيين بأمور التاريخ والأبحاث التاريخية فقط. لذلك فإن إعلانها والتذكير بها وطرحها بشكّل عام يلفت أنظار الجميع، وبالتالي يستفيد الجميع من عبرها وتجاربها، كما أن ذلك يساعد على حفظ الهوية الثقافية والوطنية لكل مجتمع.

٢. ومن ناحية ثانية تكون إقامة ذكرى هذه الأحداث تخليدًا لمن قام بتحقيقها، فالبطولات التي تأسست عليها حضارات الأمم والشعوب يقف وراءها أبطال، تكون هذه الاحتفالات تخليدًا لذكراهم، وتلمّسًا لمواقع البطولة والتميّز لدى

هؤلاء الأفراد أو هذه المجموعات.

برامج التذكير بأيام الله بين المنع والقبول

في الآية القرآنية الكريمة يأمر الله تعالى نبيه موسى ﷺ بتذكير قومه بأيام الله، فالقرآن هنا لم يضع كيفية معينة بها يتحقق هذا التذكير، ولكن ما عليه كثير من الأمم والشعوب أن يتم ذلك عادةً من خلال الاحتفال الشعبي وما يصاحب ذلك من إدخال لبعض التقاليد والأعراف في إحياء هذه المناسبات التي - غالباً - ما تقام سنوياً.

والاحتفاء بالمناسبات الدينية أو الاجتماعية بهذه الطريقة قد تحفظت عليها بعض المدارس الإسلامية، وهي المدرسة السلفية، فهم يرون أن الاحتفال بشكل منتظم ومبرمج بأي مناسبة - تاريخية أو اجتماعية أو دينية - غير مشروع وبدعة في الدين.

ولذلك كان هناك ممانعة في الاحتفال باليوم الوطني في المملكة داخل البلاد ضمن مظاهر رسمية، فقد كان ذلك ممكناً في سفارات المملكة في الخارج، ولكن لم يكن ممكناً في داخل البلاد بسبب التحفظ الديني الذي كان يديه علماء هذه المدرسة.

فحينما أصبح هناك ضرورة أن يعيش الناس في هذا البلد الانتماء إلى وطنهم، وأن يشعروا بقيمة هذا الكيان وحبّه، وأن تكون هناك هوية مشتركة يجتمع فيها المواطنون ويلتقون فيها عاطفياً ما عادت تظهر تلك المعارضة التي كانت في الماضي، ويبدو أن الظروف السياسية والمستجدات في المملكة قد قلّصت من هذه التحفظات، أو دفعت الدولة لتجاوزها فتقرر أن يكون اليوم الوطني عطلة رسمية، وأن تقام مختلف البرامج للاحتفاء به.

وهذا الرأي (التحفظ في إقامة الاحتفالات الدينية أو التاريخية) يبقى رأي مدرسة معينة، والغالبية الساحقة من المسلمين وفقهائهم لا يرون هذا الرأي، ونجد ذلك واضحاً في إقامة ذكرى المولد النبوي الشريف الذي تحتفل به معظم البلاد الإسلامية، وتعدّه عطلة رسمية، ومناسبة مهمة، يجددون فيه الولاء لرسول الله ﷺ، ويتحدثون عن سيرته

وتاريخه، ويجددون العهد بتعاليمه.

بقي أن نشير إلى أن المخالفين لإقامة هذه المناسبات، ربما استشهدوا بحصول بعض الممارسات الخاطئة في برامج هذه المناسبات كمبرر للمنع والتحریم، وهو استدلال غير علمي ولا موضوعي، لأن كثيراً من البرامج الدينية والاجتماعية قد تتسلل إليها بعض الممارسات الخاطئة، فهل نحرّم تلك البرامج ونمنعها منعاً مطلقاً أم نعارض الأخطاء بحدودها، فلو استخدمت الصلاة لخداع الناس - والخداع محرم - فهل تحرم الصلاة؟، نعم، العمل يجب أن يكون بعيداً عن المحرمات، و(الاستدلال على الجواز أو المنع بالأموال الجانبية خروج عن الاستدلال الفقهي، فإن الحكم بالجواز والمنع ذاتاً يتوقف على كون الشيء بما هو هو جائزاً أو ممنوعاً، وأما الاستدلال على أحدهما بالأموال الطارئة فليس استدلالاً صحيحاً)^(١).

ولو دارت المسألة في إقامة الاحتفالات والمناسبات الدينية في إطار اختلاف الرأي لا مانع من ذلك، فلكل طرف رأيه واجتهاده وقناعته، ولا يصحّ أن تتحوّل هذه المسألة إلى صراع وصدام.

المحور الثاني: عاشوراء نموذجاً

في تاريخنا الإسلامي وقائع لها أهمية، ومنعطفاتٌ تشكّل لحظات مصيرية في تاريخ الأمة، وتؤثّر على وجدانها وثقافتها، وعلى واقعها الاجتماعي والسياسي. هذه الأحداث يمكن أن تكون مصداقاً لعنوان «أيام الله» الوارد في القرآن الكريم. ويمكننا - بكل ثقة - أن نعدّ «يوم عاشوراء» مصداقاً بارزاً من بين تلك الأحداث، وذلك لما تحفل به هذه الحادثة من دروس وعبر وقيم للأمة وجاهيرها الواسعة.

(١) جعفر السبحاني، البدعة مفهومها، حدها وآثارها، ١٤١٦هـ، (قم: مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ص ١٣٨).

«عاشوراء» مصطلح إسلامي

يشير بعض علماء اللغة إلى أن مصطلح «عاشوراء» مصطلح إسلامي لم يكن في الجاهلية. هذا ما أكده ابن دريد في الجمهرة: عاشوراء يوم سمّي في الإسلام ولم يعرف في الجاهلية^(١).

ويُقصد به اليوم العاشر من المحرم، ولا يطلق على أي يوم عاشر من أي شهر غير المحرم.

وهناك من يرى أنه - كمصطلح - كان متداولاً قبل الإسلام، ويروون في ذلك بعض الروايات في صحيح البخاري ومسلم، فقد جاء فيهما - واللفظ للبخاري - عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: قَدِمَ النبي ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال: «أنا أحق بموسى منكم». فصامه وأمر بصيامه^(٢). وفي مسلم: «نحن أحق بموسى منكم» فأمر بصيامه^(٣).

وجاء عن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء، فلما فُرِضَ رمضان، كان من شاء صام، ومن شاء أفطر»^(٤).

كان ذلك قبل فرض صيام شهر رمضان، فلما فُرِضَ صيام شهر رمضان أصبح صوم يوم عاشوراء ليس مفروضاً على المسلمين، وإنما عدوه مستحباً.

ولكن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتحفظ على هذه الأحاديث من ناحية السند، وتناقش أيضاً في المضمون، وقد قام الشيخ نجم الدين الطبسي بإحصائها ومناقشة متنها وسندها

(١) الجمهرة في لغة العرب. باب (ع ش ر).

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، ج ١، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ٤٩٢، حديث ٢٠٠٤.

(٣) صحيح مسلم. باب (صوم يوم عاشوراء)، ص ٥٧١، حديث ١١٣٠.

(٤) المصدر السابق، حديث ٢٠٠١.

في كتابه (صوم عاشوراء)^(١)، وتذهب هذه المدرسة إلى أن هذا المصطلح يظل مصطلحاً إسلامياً تعارف المسلمون عليه بسبب الواقعة التي حصلت فيه باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) في ذلك اليوم.

التعظيم على واقعة «عاشوراء»

حينما نقرأ التاريخ نجد أن بني أمية كانوا يريدون التعظيم على هذه الحادثة، لينسى الناس ما حصل لأهل البيت (عليهم السلام) في كربلاء، ومن أجل ذلك كانوا يعلنون ذلك اليوم عيداً ويوم فرح وسرور، وهذا ما نجد الإشارة إليه في إحدى فقرات الزيارة الواردة عن الإمام الباقر (عليه السلام)، حيث يقول فيها: «... أَللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ وَأَبْنُ آكَلَةِ الْأَكْبَادِ»^(٢).

وورد في كتب التاريخ - كما ينقل أبو الريحان البيروني في الآثار الباقية، «فأما بنو أمية، فقد لبسوا فيه ما تجدد، وتزيّنوا، واكتحلوا، وعيدوا، وأقاموا الولائم والضيافات، وأطعموا الحلوات والطيبات، وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم»^(٣).

وروا في ذلك أحاديث وروايات موضوعة ومجعولة، كما يشير ابن تيمية، فيقول: «.. وإظهار الفرحة والسرور يوم عاشوراء، وتوسيع النفقات فيه، هو من البدع المحدثّة، المقابلة للرافضة»، وأضاف ابن تيمية: «.. وقد وُضِعَتْ في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل ما يصنع فيه، من الاغتسال والاكْتِحَالِ إلخ...»، وقال: «.. وأحدث فيه بعض الناس أشياء، مستندة إلى أحاديث موضوعة لا أصل لها، مثل: فضل الاغتسال فيه، أو

(١) نجم الدين الطبرسي. صوم عاشوراء، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، (بيروت: دار الولاة)، .

(٢) مفاتيح الجنان، ص ٥٥٥.

(٣) جعفر مرتضى العاملي. المواسم والمراسم، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، (طهران: معاونية العلاقات العامة في منظمة الإعلام الإسلامي)، ص ٨٤.

التكحل، أو المصافحة»^(١).

ومن أمثلة هذه الروايات الموضوعة ما رواه عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ [سورة طه، الآية: ٥٩] قوله: «وكان يوم الزينة يوم عاشوراء»^(٢).

ولعل التفسير بيوم عاشوراء من البدع الأموية وإعلامهم المضلل للتغطية على الجريمة الكبرى التي صدرت منهم في كربلاء بحق سيد شباب أهل الجنة وأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولأجل التصغير من حجمها والتقليل من شأنها.

وهذا ما أثبتته العيني في كتابه عمدة القاري، حيث يقول: ما ورد في صلاة ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء وفي فضل الكحل يوم عاشوراء لا يصح ومن ذلك من اكتحل بالأثمد وهو حديث موضوع وضعه قتلة الحسين^(٣).

ولكننا نجد في قبال هذه الأحاديث الموضوعة أحاديث صحيحة في مصادر المسلمين باختلاف مذاهبهم تبين اهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله وإعلانه صلى الله عليه وآله لحزنه وألمه لما يحدث من بعده لسبطه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وهذا مروى في المصادر الصحيحة المعتمدة عند أهل السنة وبأسناد صحيحة عندهم.

من ذلك ما يذكره الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين عن أم الفضل بنت الحارث - وهي لبابة زوج العباس بن عبد المطلب أول امرأة أسلمت في مكة بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها - تقول إنها دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: «يا رسول الله، إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة»، قال: «ما هو؟»، قالت: «إنه شديد»، قال: «ما هو؟»، قالت: «رأيت كأن قطعة من جسدك قُطعت ووضعت في حجري»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم. ص ٣٠٠.

(٢) إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. تفسير ابن كثير، ج ٣، طبعة ١٤٠٠هـ، (حلب: مكتبة التراث الإسلامي)، ص ١٥٦.

(٣) صوم عاشوراء بين السنة النبوية والبدعة الأموية. ص ١٢٣.

خيرًا، تلد فاطمة - إن شاء الله - غلامًا فيكون في حرك» فولدت فاطمةُ الحسينَ فكان في حجري، كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يومًا إلى رسول الله ﷺ فوضعت في حجره، ثم حانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع، قالت: فقلت: «يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، ما لك؟» قال: «أتاني جبرئيل - عليه الصلاة والسلام - فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: «هذا؟» فقال: «نعم»، وأتاني بتربة من تربته حمراء».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه^(١).

وأورد المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الحديث السابق في سلسلة أحاديثه الصحيحة تحت رقم ٨٢١ وعلق عليه بقوله: «له شواهد عديدة تشهد لصحته، منها: ما عند أحمد بن حنبل (٢٩٤/٦) حدثنا وكيع قال: حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة، أن النبي ﷺ قال لإحدهما: «لقد دخل عليّ البيت مَلَكٌ لم يدخل عليّ قبلها، فقال لي: «إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها»، قال: فأخرج تربة حمراء». قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، وقال الهيثمي (١٨٧/٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»^(٢).

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث رقم ٦٤٨، بسنده عن عبد الله بن نجى، عن أبيه، أنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله، بشط الفرات، قلت: «وماذا؟»، قال ﷺ: «دخلت على النبي ﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت: «يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟»، قال: «بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات»، قال: فقال: «هل لك إلى أن أشمك من تربته؟» قال:

(١) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١٩٤.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، الطبعة الرابعة ٥٠٤١هـ، (بيروت: المكتب الإسلامي)، ص ٤٨٥.

قلت: «نعم». فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا»^(١). في هذه الأحاديث وأمثالها ما يدلُّ على أن رسول الله ﷺ كان يهتمَّ بيوم عاشوراء كواقعة، وهذا أمر كان بيناً واضحاً لدى أمهات المؤمنين ولدى أصحابه وأهل بيته. وفي هذا يقول ابن عباس: «ما كنا نشكُّ وأهل البيت متوافرون أن الحسين يقتل بالطف»^(٢). كل هذا يدلُّ على أهمية الواقعة التي كان رسول الله ﷺ يذكرُّ بها أصحابه وأهل بيته قبل وقوعها بنصف قرن من الزمان.

بل هذا واضح من سيرة أهل البيت ﷺ حيث اتخذوا هذا اليوم يوم حزن وبكاء، روي عن عبد الله بن سنان قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ يوم عاشوراء، [فألقيته كاسف اللون ظاهر الحزن]، ودموعه تنحدر عن عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: ممَّ بكاءوك؟ فقال: . أو في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين ﷺ أصيب في مثل هذا اليوم^(٣)؟

ماذا تمثل عاشوراء في ضمير المسلمين؟

عاشوراء كواقعة من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية تمثل لنا أمرين مهمين، هما:

■ عظمة الموقف المبدئي الذي وقفه سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه ﷺ، إذ كانوا قلة قليلة، ولكنهم ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والثبات، والالتزام بالقيم، والدفاع عن المبادئ، والاعتراض على الظلم والفساد والانحراف. ونحن حينما نتذكر عاشوراء إنما نتذكر هذه المواقف العظيمة السامية الرائعة.

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، الطبعة الأولى ٩١٤١هـ، (بيروت: عالم الكتب)، ص ٢٦٤.

(٢) المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ١٩٧، حديث ٤٨٢٦.

(٣) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج ١٠، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص ٤٥٩ حديث ١٣٨٤٤.

■ بشاعة الظلم الذي وقع على أهل البيت ﷺ وانتهاك حرمة الله في ذلك اليوم.

فالإمام الحسين ﷺ لم يكن رجلاً عادياً، وإنما له شخصيته ومكانته وموقعيته التي لا يجهلها أحد من المسلمين. كما أنه لم يمضِ وقت طويل على وفاة رسول الله ﷺ، الذي كان المسلمون يسمعون منه ويرون مواقفه التي يعبر فيها ﷺ عن حبه للحسين وانشداه له. لقد قال رسول الله ﷺ على مرأى من الصحابة ومسمع منهم: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا»^(١)، وفي صحيح البخاري في باب مناقب المهاجرين وفضلهم عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا»^(٢). وفي موضع آخر سمعوا قوله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»^(٣).

وروى عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر وهو حامل حسن أو حسين فتقدم النبي ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهري صلاته سجدة أطالها قال إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد فرجعت في سجودي فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهري الصلاة سجدة أطالها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى»^(٤).

وغيرها من الأحاديث التي كان يتذكرها المسلمون ويروونها لبعضهم ويتناقلونها فيما بينهم.

(١) كنز العمال. ج ١٢، ص ١١٣، حديث ٣٤٢٥١.

(٢) صحيح البخاري. باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ج ٤، ص ٢١٧.

(٣) المستدرک علی الصحیحین. ج ٣، ص ١٨٢، حديث ٤٧٧٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل. ج ٨، ص ٩٢٨، حديث ٢٨١٩٩.

لذلك لا يمكن عدّ ما حصل يوم العاشر من المحرّم من انتهاك للحرمات حدثاً عادياً، بل يجب التأمل فيه جيداً، والوقوف عند محطّات هذه الحادثة للاستفادة من أحداثها والدروس العظيمة التي تجلّت فيها.
والحمد لله ربّ العالمين.

كيف نحیی عاشوراء؟

خطبة الجمعة بتاريخ ٩ محرم ١٤٢٩هـ

أخرج الترمذي وأحمد بن حنبل وابن أبي شيبة والحاكم في المستدرک والبخاري في الأدب المفرد عن يعلى بن مرة قال: «قال رسول الله ﷺ: حسين منِّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً»^(١).

هذا الحديث وأمثاله أحاديث كثيرة تناقلها الصحابة وأمهات المؤمنين عن رسول الله ﷺ في حق ولده الحسين، وتوضح بعض الأحاديث كيف أن رسول الله ﷺ كان يحدث الأمة عن مقتل حبيبه الحسين، وهو يبكي والدموع تسيل من عينيه، مما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يريد اهتمام الأمة بهذه الحادثة، لذلك نحن نحتمي بذكرى عاشوراء التي مزقت قلب رسول الله ﷺ قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن.

الحسين يسيطر على القلوب

الإمام الحسين ﷺ سيطر وهيمن على القلوب، حتّى إنه ليتمكن القول إنه ليست هناك شخصية تجيش لها المشاعر والعواطف كشخصية أبي عبد الله الحسين ﷺ، وهذا أمر طبيعي، لأسباب كثيرة، منها:

أولاً: ما سمعه الأصحاب من جدّه رسول الله ﷺ وهو يتحدث عنه، ويشيد بفضله، ويكفي أنه ﷺ يقول في حقّه: «حسين منِّي وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً».

(١) سنن الترمذي. ج ٥، ص ٣٢٣.

إذ يُعَدُّه جزءاً منه، ويعُدُّ محبته علامةً وشرطاً لمحبهته، وكذلك يطلب من الله أن يجب من يحب الحسين، ولذلك نجد في موارد كثيرة يُظهر فيها الصحابة المحبة والتقدير للحسين. من ذلك ما جاء عن ابن كثير^(١) أن الحسين عليه السلام كانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونها مما يزدحمون عليها للسلام عليهما.

وكان الحسنان يذهبان إلى الحج مشياً، فكل من يمرّ من المسلمين ويرى الحسين ماشيين ينزل ويمشي لمشي الحسين، حتى شق المشي على كثير من الحجاج فتحذثوا مع أحد أعلام الصحابة، وطلبوا منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكب عن الطريق، فعرض عليها ذلك، فقالا: «لا نركب ولكن نتنكب عن الطريق»، وسلكا طريقاً آخر^(٢).

وتقول كتب السير كما ورد في الإصابة^(٣) عن الإمام الحسين عليه السلام أنه دخل مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير يقول: «أتيت عمر وهو يخطب على المنبر، فصعدت إليه، فقلت: «انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك». فقال عمر: «لم يكن لأبي منبر»، وأخذني فأجلسني معه أقلب حصي بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: «مَنْ عَلَّمَكَ؟» قلت: «والله ما عَلَّمَنِي أَحَدٌ».

وفي الإصابة أيضاً أن عمر قال للإمام الحسين: «إنما أنبت ما ترى في رؤوسنا الله، ثم أنتم»^(٤).

وينقل عن عبد الله بن عباس الصحابي الجليل عليه السلام أنه كان إذا خرج الحسن والحسين عليهما السلام هياً لهما الراحلة، وساعدهما في الركوب وأعانها على لباسهما. فقيل له في ذلك: «أنت أكبر منهما، تمسك لهما، وتسوي عليهما»، فزجر السائل قائلاً: «يا لكع، أو تدري مَنْ هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أو ليس مما أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما الركاب وأسوي

(١) البداية والنهاية. ج ٨، ص ٣٩.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ١، ص ١٠٦.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٦٩.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر. ج ٢، ص ٣٠٠.

عليها الثياب»^(١).

وهذا أبو هريرة يحتفي بالإمام الحسين، كما جاء عن أبي المهزم، قال: «كنا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجيء بجنازة رجل، فجعله بينه وبين المرأة فصلى عليها، فلما أقبلنا أعياء الحسين فقعده في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: «يا أبا هريرة، وأنت تفعل هذا؟ قال أبو هريرة: «دعني فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم»^(٢).

وفي حادثة ثالثة تروينا لنا المصادر التاريخية، عن رجاء بن ربيعة قال: «كنت في مسجد رسول الله ﷺ إذ مر الحسين بن علي فسلم فرد عليه القوم السلام، وسكت عبد الله بن عمرو، ثم رفع ابن عمرو صوته بعدما سكت القوم، فقال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، ثم أقبل على القوم فقال: «ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟» قالوا: «بلى»، قال: «هو هذا الماشي» - وأشار إلى الحسين -^(٣).

هذه الحفاوة من الأصحاب ومن المسلمين بالإمام الحسين ﷺ إنما كانت من الأحاديث التي سمعوها من جدّه رسول الله ﷺ في حقّ الحسينين، وفي حقّ الحسين خاصة. ثانياً: شخصية الإمام الحسين في فضله وعلمه وعبادته وأخلاقه، هذه الشخصية التي أسرت النفوس والقلوب.

لقد سجل التاريخ كلمات المدح والثناء على شخصية الإمام ﷺ من قبل كثير من الصحابة والتابعين عبر العصور.

ثالثاً: شهادته ﷺ في حادثة كربلاء بما تضمنته من بسالة وشجاعة وبما اكتنفته من مأساة مفعجة. وفي ذلك يقول سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن في تفسير سورة

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ ج ١، ص ١٠٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي. ج ٥، ص ١٠٢.

(٣) أسد الغابة. ج ٣، ص ٢٣٥.

غافر: «والحسين - رضوان الله عليه - وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، المفجعة من جانب، أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصرًا. فما من شهيد في الأرض تهتز له الجوانح بالحب والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه، يستوي في هذا المتشيعون وغير المتشيعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين»^(١).

كربلاء حدث إنساني عظيم

قضية كربلاء ليست قضية بسيطة أو عادية، ففي التاريخ الإسلامي والإنساني كثير من الأحداث، لكنه يمكن القول - بضرر قاطع - إنه ليست هناك حادثة وقضية توازي حادثة كربلاء، فليس هناك حادثة مستقبلية تحدث عنها رسول الله ﷺ بالاهتمام الذي تحدثت به عن واقعة كربلاء، فهناك روايات كثيرة تنقلها أمهات المؤمنين كأم سلمة وعائشة، وكذلك يرويها جمع من الصحابة كأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك وأمثالهم، كلهم ينقلون أنهم رأوا رسول الله ﷺ، فيسألونه: «ما الذي يبكيك يا رسول الله؟» فيجيبهم ﷺ: «لقد دخل عليّ البيت مَلَكٌ لم يدخل عليّ قبلها»^(٢) - وفي بعض الروايات أتاني جبريل^(٣)، وفي بعضها هبط عليّ ملك المطر^(٤) - فقال لي: إن ابنك هذا - حسين - مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء»، وفي بعض الروايات أن الرسول ﷺ أراهم هذه التربة^(٥)، وهذه

(١) في ظلال القرآن. ج ٥، ص ٣٠٨٦، تفسير سورة غافر آية ٥١.

(٢) مسند الإمام أحمد. ج ٦، ص ٢٩٤.

(٣) المستدرک علی الصحیحین. ج ٣، ص ١٧٧.

(٤) مسند الإمام أحمد. ج ٦، ص ٢٩٤.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي. ج ٩، ص ١٨٧.

الروايات موجودة في كتب الفريقين الشيعة والسنة.

وتروي بعض المصادر الحديثية عن أم سلمة أنها احتفظت بتلك التربة التي قال لها رسول الله ﷺ عنها: «إذا رأيت هذه التربة وقد فاضت دمًا عبيطًا فاعلمي أن حسينًا قد قتل»، وأنها كانت ظهر اليوم العاشر من المحرم نائمة فانتبهت من النوم فرعة مرعوبة، فسئلت: «ما أربعك يا أم المؤمنين؟» قالت: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفًا»^(١)، فبادرت أم سلمة إلى تلك القارورة التي تحتفظ فيها بتربة كربلاء فرأتها وقد فاضت دمًا عبيطًا.

وعن عبد الله بن عباس أنه كان نائمًا ظهر اليوم العاشر من المحرم، فانتبه وهو فزع، فسئل عن ذلك، فقال: «رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟» قال: «هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم»^(٢).

هذه الأحاديث والروايات تدلُّ دلالة واضحة على أن حادثة كربلاء ليست حادثة عادية، كما أن أي إنسان - مهما كان رأيه ودينه - إذا تأمل أحداثها لا يملك إلا أن يتفاعل مع هذه الحادثة المأساوية المفجعة.

لأن حادثة كربلاء تتضمن البطولة والصمود، فتلك الفئة المحدودة قاومت وسجّلت في التاريخ أروع صفحات الصمود والتضحية، ومن جانب آخر كانت فيها مأساة عظيمة مؤلمة، ولم تحلَّ هذه المأساة بشخص عادي، بل هو ابن رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنة، فقد جاء في الحديث: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة»^(٣)، ولم يقتصر الأمر

(١) سنن الترمذي. ج ٥، ص ٣٢٣.

(٢) مسند الإمام أحمد. ج ١، ص ٢٨٣.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة. ج ٢، ص ٤٣٨، حديث ٧٦٩.

عليه وإنما تعدّاه إلى أطفاله ونسائه وعائلته، وتناولت أيدي الإجرام إلى جسمه الشريف بعد مقتله.

لقد سحقوا جثته ﷺ بحوافر الخيول، وسلبوا كل ما على جسده، فنهبوا قميصه وسراويله وقلنسوته ونهبوا حتىّ عمامته، لدرجة أن بجدلاً الكلبى جاء لبيحث عمّا يسلبه فلم يجد سوى خاتمٍ في خنصر يده ﷺ، فعالج حتىّ ينتزعه فوجد الدماء وقد بنت على الخاتم، فخشي أن يقضي وقتاً في إخراجِه، فأخذ خنجراً وقطع خنصر الإمام^(١)؟! إن أمراً بهذه الوحشية والإجرام لم يسبق أن حدث في التاريخ الإنساني لشخص بمكانة الإمام الحسين ﷺ.

إن استشهاد ﷺ بهذه الطريقة المأساوية والمؤثرة من الأسباب التي خلّدت ذكره ومعها هذه الحادثة.

مدرستان في التعامل مع عاشوراء

لا أحد من المسلمين يجهل قدر الحسين، أو لا يحزنه قتل الحسين، أو يرضى عمّا حصل للحسين ﷺ، فهذا أمر نقطع به، ولكن درجة الاهتمام تتفاوت، وهذا التفاوت في التعامل مع هذه الحادثة ولّد وجود مدرستين:

المدرسة الأولى

تقوم على أساس التغاضي عن هذه الحادثة، فنجدها عند البحث التاريخي تدين قتل الحسين، وتبدي التأسف لمقتله، ولا تقبل بذلك، ولكن أتباع هذه المدرسة يرون أنه لا داعي للوقوف عند هذه الحادثة طويلاً، وفي بعض الأحيان يحاولون تعويم المسؤول عنها، فيبرئون يزيد بن معاوية من تحمّل المسؤولية، كقول ابن تيمية: «يزيد لم يأمر بقتل

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار، ج ٤٥، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي) ص ٥٧.

الحسين باتفاق أهل النقل»^(١)، أو يشيعون أنه ما كان يريد أن يقتل الحسين عليه السلام، وأنه تصرف فردي من ابن زياد^(٢)، والبعض من أتباع هذه المدرسة يرى ساحة عبيد الله بن زياد، ويلقي باللائمة على عمر بن سعد، وأخيرًا نجد من يرى عمر بن سعد، كالعجلي في معرفة الرجال^(٣)، حيث يقول: «كان أمير الجيش ولم يباشر قتله»، أو يتهم أهل الكوفة وأهل العراق، الذين هم من الشيعة، فيروجون بأن الشيعة سيكون على الحسين تكفيرًا عن ذنبهم بقتله وخذلانه، وهذا كله تعويم للمسؤولية وكأن القاتل مجهول، بينما القضية واضحة في جميع المصادر التاريخية.

وهذه المدرسة يمكن عدّها امتدادًا لما كانت تشيعه السلطات الأموية وبعد ذلك العبّاسية.

حيث كانت هذه السلطات تريد التغطية على هذه الجريمة النكراء والتعتيم عليها، لأنه ليس في مصلحة الأمويين إثارة حادثة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإشهارها، بل إن التاريخ ينقل كيف كان الأمويون يحاولون تحويل يوم عاشوراء إلى يوم عيد وفرح، وخاصّة في زمن عبد الملك بن مروان^(٤)، حيث ظهرت هذه الحالة بشكل واضح.

ونجد في الزيارة الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام ما يشير إلى هذا المعنى، يقول عليه السلام: «اللهم إن هذا يوم تبرّكت به بنو أمية وابن آكلة الأكباد»^(٥).

ويقول الشيخ القرضاوي: «رأينا أكثر بلاد المسلمين يحتفلون بيوم عاشوراء يذبحون الذبائح ويعتبرونه عيدًا أو موسمًا يوسعون فيه على الأهل والعيال اعتمادًا على حديث ضعيف، بل موضوع في رأي ابن تيمية وغيره، وهو الحديث المشهور على الألسنة: «من

(١) منهاج السنة. ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام، ص ٥٨.

(٣) ج ٢، ص ١٦٦، رقم ١٣٤٣.

(٤) الشيخ عباس القمي، الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٥) بحار الأنوار. ج ٩٨، ص ٢٩٥.

أوسع على عياله وأهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته». قال المنذري: «رواه البيهقي وغيره من طرق عن جماعة من الصحابة»، وقال البيهقي: «هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة فهي إذا ضم بعضها إلى بعض أخذت قوة».

وقال القرضاوي: «وفي هذا القول نظر، وقد جزم ابن الجوزي وابن تيمية في منهاج السنة وغيرهما أن الحديث موضوع. وحاول الطبراني وغيره الدفاع عنه وإثبات حسنه لغيره! وكثير من المتأخرين يعزُّ عليهم أن يحكموا بالوضع على حديث، والذي يترجح لي أن الحديث مما وضعه بعض الجهال من أهل السنة في الرد على مبالغات الشيعة في جعل يوم عاشوراء يوم حزن وحداد فجعله هؤلاء يوم اكتحال و اغتسال وتوسعة على العيال»^(١).

هذه الحالة الاحتفالية بيوم عاشوراء كعيد انتهت ولكن آثارها بقيت، هناك بعض المسلمين في بلدان مختلفة لديهم عادات يوم عاشوراء، واهتمامات معينة، فيولون في هذا اليوم ويصنعون بعض الحلويات الخاصة به ولا يعلمون الخلفية التاريخية لذلك، إنها رواسب الثقافة الأموية، ومن آثار النهج السلطوي الذي كان يريد التعظيم على قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ونجد هذا حتى في المجتمعات الإسلامية التي تكنّ المحبة والمودة للإمام الحسين وتظهر الحب له، كالمجتمع المصري الذي يظهر الكثير من مظاهر الحب لأبي عبد الله الحسين، كما يظهر ذلك في صعيد مصر والقاهرة حيث يقيمون الاحتفالات الكبيرة والواسعة يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، ولكن هذا الشعب لا يهتم كثيراً بإقامة ذكرى استشهاده، وهذا كله من تأثير تلك الثقافة التي كانت تريد التعظيم على قضية كربلاء.

المدرسة الثانية

في مقابل هذه المدرسة هناك مدرسة أخرى تعطي هذه الحادثة حقها من الاهتمام،

(١) يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص ٧٩.

وتصرّ على إحيائها، والاهتمام والاحتفاء بها، وترفض هذه المدرسة أن يكون هناك تناسٍ لقضية الإمام الحسين، وهذه هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فأئمة أهل البيت عليهم السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بدءاً من الإمام زين العابدين علي بن الحسين كانوا يحرصون ويؤكدون على إحياء هذه المناسبة وهذه الذكرى. فعن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «ثم ليندب الحسين ويبيكه - إلى أن يقول - وليعز بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين»^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه جعل الله يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنة عينه»^(٢).

كذلك ورد الحث من أئمة أهل البيت عليهم السلام على إقامة العزاء لهذه المصيبة العظيمة، ومن ذلك ما جاء في استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام يوم عاشوراء واتخاذ يوم مصيبة.

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه»، ويقول: «هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام».

وهذا ما تشهده المجتمعات الموالية لأهل البيت عليهم السلام، حيث يهتمون بهذه الذكرى ويعظمونها، وذلك التزاماً منهم بتوجيهات أهل البيت عليهم السلام، فبالنسبة لنا هذه سنة حسنة وليست بدعة، لأننا نعدّها تجسيداً لعناوين إسلامية، وتجسيداً للعنوان الإسلامي ليس بدعة، فنحن نعد ذلك تجسيداً لأمر الله تعالى في تعظيم الشعائر، يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، كما أننا نجد ذلك تجسيداً للتذكير بأيام الله، يقول سبحانه: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، ونجده مصداقاً من مصاديق إظهار المودة لقربى

(١) وسائل الشيعة. ج ١٤، ص ٥٠٩، حديث ١٩٧٠٩.

(٢) بحار الأنوار. ج ٩٥، ص ٣٤٤.

رسول الله ﷺ، يقول تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، وهذه جميعها عناوين إسلامية، وتطبيق القاعدة على المصاديق الخارجية ليس بدعة. كما أننا نعد كلام أئمة أهل البيت ﷺ شرعاً متبعاً، لأنهم ينقلون عن جدّهم رسول الله ﷺ، كما قال الإمام الصادق ﷺ: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ﷺ»^(١).

وإذا كان هناك من له رأي آخر فهو حرّ في رأيه، ومن المفترض أن يظل هذا في حدود اختلاف الرأي، ولا يصح أن يصادر طرف رأي وحرية الطرف الآخر، فنحن بحاجة إلى الاعتراف بحرّية الرأي الآخر، وقبول نتائج الاجتهاد ما دام باب الاجتهاد مفتوحاً، و«للمجتهد - إن أصاب - أجران، وإن أخطأ أجر»، فهذا اجتهاد وكل يعمل باجتهاده، ولا داعي للإنكار عند اختلاف الاجتهاد.

أجواء الفتنة الطائفية

وهنا لا بدّ أن نقف عند موضوع إحياء هذه الذكرى، وعند الأجواء التي تريد بعض الأطراف أن تملأها بالشحن الطائفي، والتعبئة المذهبية، وخاصة في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الأمة.

لقد كان التفاؤل يعمر قلوبنا وقلوب كل الواعين والمخلصين، بأن الأمة قد قطعت شوطاً جيّداً على طريق الوحدة، وأنها تجاوزت العصبية والخلافات المذهبية، والتعبئة.. والتعبئة المضادة، هذا التفاؤل والأمل أثارت مبادرات كثيرة في الداخل والخارج، من خلال ما عُقد من مؤتمرات للتقارب بين المذاهب الإسلامية في مختلف بلدان المسلمين، وما أقيم من مؤسسات، وما وضع من كتب وأبحاث، وطرح من محاضرات بهذا الخصوص. وفي المملكة العربية السعودية كانت مبادرة طيبة باتجاه الحوار الوطني، ثمّ كانت قمة

(١) الكافي، ج١، باب التقليد، حديث ١٤، ص ٥٣.

مكة الاستثنائية التي صدر عنها (بلاغ مكة المكرمة)^(١) حيث شاركت فيها كل الدول الإسلامية، وتم الإعداد الجيد لها بحضور أكثر من مئة عالم ومفكر من بلدان المسلمين، فقدّموا توصيات إلى القادة، وتم إقرار هذه التوصيات، وكانت تنص على الاعتراف بالمذاهب الإسلامية، وعلى ضرورة أن يتفاعل المسلمون وأن يتعاونوا فيما بينهم، وعلى رفض التكفير، ووقف المهاترات بين الأطراف، وعلى الدعوة إلى الوحدة والتقارب. هذا كله أشاع الأمل والتفاؤل في النفوس، ولكننا مع الأسف نلاحظ أن المسيرة تمر هذه الأيام بشيء من الانتكاسة، حيث بدأت أصوات متطرّفة متشنّجة تملأ الأجواء، وتعكّر صفو الودّ بين المسلمين، وكأننا نعود للمربّع الأول.

قد لا نحتاج إلى مزيد من التأمّل، فالقضية واضحة، حيث حدث كل هذا بعد أن اهتزّ كيان إسرائيل على يد المقاومة اللبنانية، ونحن نرى تداعيات هذا الاهتزاز ونلاحظها كل يوم داخل إسرائيل، اهتزازات سياسية واجتماعية، ونموذجها الأبرز تقرير لجنة فينوغراد، التي شكلت من لجان الكنيست الإسرائيلي لبحث أسباب الفشل في حرب تموز على لبنان.

وقد أصبحت الدولة العبرية بفعل هذه الاهتزازات ومشروعها الصهيوني في خطر. وقد هال الشياطين وأعداء الأمة المستكبرين هذا الأمر، فأصبحوا يخططون ويعملون من أجل إعادة الأمة إلى حالة الفتنة الداخلية، وتأجيج الصراع والفتن، وكأن مشكلتنا ليست إسرائيل، ولا الهيمنة الأمريكية، ولا الإساءات التي تحصل اتجاه نبينا محمد ﷺ، بل أصبحت المشكلة خطر السنة على الشيعة، وخطر الشيعة على السنة.

بطبيعة الحال لا يمكننا أن نحمل الأعداء كل المسؤولية، فأرضيتنا كانت مهياة ومستعدّة لمثل هذه الأمور، فمّا يؤسف له أن مجتمعاتنا العربية هي من بين أكثر المجتمعات التي تعيش حال التمزّق في العالم، فمعظم المجتمعات في العالم وصلت إلى حلّ لخلافاتها،

(١) انعقد المؤتمر في ٥-٦/١١/١٤٢٦هـ الموافق ٧-٨/١٢/٢٠٠٥م.

فاتفتت على دستور وقانون يرجع إليه، وإلى تداول سلمي للسلطة، وعلى أنظمة عادلة تدير شؤونهم وأمورهم، لكن مجتمعاتنا العربية لا تزال تعيش هذه الحالات المؤلمة من التمزق والتشتت.

بدأً بالعراق التي تعيش أوضاعاً مؤلمة، وأود أن أؤكد في مسألة الموضوع العراقي إلى أن ما يحصل هناك لا يمت بصلته إلى الحالة المذهبية والصراع المذهبي، فلا يوجد طرف في العراق يقاتل من أجل عقيدته، وإنما كل طرف يقاتل من أجل وجوده كجماعة وطائفة، لننال هذه الطائفة حقوقها السياسية في المناصب والمواقع، فهو صراع سياسي على الأدوار والحصص والمواقع، كما أننا لا نسمع أن في العراق اختلافاً على هذه الفكرة أو على هذه العقيدة أو هذا الرأي، وإنما الصراع يتركز على المواقع السياسية، وهذه مشكلة تعيشها مجتمعاتنا العربية في كل مكان، وإنما يستعمل المذهب والطائفة في العراق كعنوان فقط.

ومما يدل على ذلك أن بلداناً عربية لا يوجد فيها تنوع مذهبي ومع ذلك نجد فيها حروباً وصراعات لا تنتهي، ومن أبرز هذه المناطق: منطقة دار فور في السودان. فدارفور كانت سلطنة مستقلة عند قيام الحرب العالمية الأولى، ولكنها وقفت مع الدولة العثمانية، فانتقم منها البريطانيون فيما بعد وأضافوها إلى السودان، وأهملوا تنميتها.

مساحتها: ٥٠٠ ألف كلم ٢، وسكانها يزيدون على ستة (٦) ملايين نسمة. هذه المقاطعة السودانية تعيش حرباً أهلية منذ خمس سنوات، وتحاول الأمم المتحدة أن تتدخل وكذلك قوات الاتحاد الإفريقي، والإحصائيات تذكر أن ضحايا هذه الحرب بلغ أكثر من ٢٠٠ ألف قتيل، وأكثر من مليوني مشرد. والملايين الأربعة الباقية يعيشون على الإغاثة الدولية كلياً أو جزئياً.

كما تشير التقارير إلى أن قرى بكاملها قد أحرقت بسبب الأوضاع المتأزمة، بالإضافة إلى انتشار حالات الجريمة والاعتصاب والخطف.

إن أهل دار فور جميعهم ينتمون إلى قبائل عربية، بعضها ترجع في جذورها إلى أصول عربية وأخرى إلى أصول إفريقية، وكلهم مسلمون ينتمون إلى المذهب المالكي، أي إنهم من أهل السنة والجماعة، ومع ذلك نرى رحي هذه الحرب التي لم تتوقف منذ أكثر من خمس سنوات.

المشكلة هي في عدم القدرة على التوافق داخل المتجمّعات العربية، حيث يحكمها خلل في العلاقات بين الأطراف.

وهذا أمر نجده كذلك في الصومال، فهذه الدولة تعدُّ من الدول القلائل المتجانسة سكانيًا، فكل دول العالم فيها تنوع عرقي وقومي، وخمسة بالمئة منها فقط متجانسة، والصومال تعدُّ إحدى هذه الدول القليلة المتجانسة، لأن الشعب الصومالي ينتمي إلى عرق واحد، وقومية واحدة، ودين واحد، ومذهب واحد، فالصوماليون كلهم عرب مسلمون من أتباع المذهب الشافعي.

ولكن الشعب الصومالي له الآن أكثر من ٣٠ سنة يعيش حالة التمزق والحروب الداخلية التي أسقطت الدولة، ولم تقم لها قائمة منذ سنة ١٩٩١ م، وهذا يجري في بلد لا يعيش تنوعًا مذهبيًا ولا عرقيًا.

وفي أفغانستان لم يكن الصراع فيها بين سنة وشيعة، فبعد انتهاء الاحتلال الروسي حكم المجاهدون، وهم في الأساس من أهل السنة والجماعة، ثم قامت عليهم حركة طالبان - وهم من أهل السنة والجماعة، وحكمت أفغانستان، وبعد ذلك تحالفت أحزاب المجاهدين: حلف الشمال مع الأمريكيين والقوى الغربية وأسقطوا حركة طالبان، والآن تقوم طالبان من جديد تتحرك وتفجر مراكز ومناطق لأهل السنة والجماعة، ففي أفغانستان الصراع ليس دائرًا بين السنة والشيعة.

وما نراه اليوم في فلسطين، وهو أمر تتمزق له قلوبنا، فهذا الشعب الفلسطيني المظلوم الذي تُحتل أراضيه، تدور عليها صراعات بين فصائله المختلفة، من خطف وقتل

واستعمال للسلاح وأجواء متشنّجة، وهي صراعات ليست بين السنة والشيعة. هذا كله يعني أن الصراعات الموجودة في مجتمعاتنا العربية لها جذور غير مسألة التنوع المذهبي، فنحن كأفراد وفئات في هذه المجتمعات نعيش خللاً في العلاقات، وهناك افتقاد للنظام العادل الذي يتمتع الجميع فيه بحقوق مواطنة متساوية.

ماذا نستفيد من عاشوراء؟

نحن نعدُّ إقامة ذكرى عاشوراء ليس مجرد إثارة للعواطف والمشاعر، أو اجترار للكآبة والحزن، وإنما نحيي هذه الذكرى لنستلهم منها القيم، ولذلك أؤكد على ثلاثة دروس يمكن استفادتها من عاشوراء وإقامة ذكرى استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، هي كالتالي:

الدرس الأول: الالتزام بالدين

فالإمام الحسين وأصحابه إنما جاهدوا من أجل بقاء الدين وقيم الإسلام، وليس من أجل أطماع وأغراض دنيوية، يقول الإمام الحسين (عليه السلام) في سبب خروجه وحركته: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١). وفي يوم عاشوراء يقول البطل الهاشمي العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام):

والله إن قطعتمو يميني إني أحامي أبداً عن ديني^(٢)

ولذلك علينا أن نخرج من أجواء عاشوراء بهذه الروحانية، وبعزم وتصميم على الالتزام بتعاليم الدين، والاجتناب عن المعاصي، والتوبة إلى الله تعالى والمواظبة على أداء الصلوات وجميع الواجبات الأخرى.

(١) بحار الأنوار. ج ٤٤، ص ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٥، ص ٤٠.

الدرس الثاني: تحمّل المسؤولية الاجتماعية

كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يبقى في داره، وفي مسجد جدّه عليه السلام - كما أشار عليه كثيرون، وكما فعل آخرون -، لكنه أبى إلا أن يتحمّل مسؤوليته الشرعية والاجتماعية، يقول عليه السلام: «وأنا أحق من غيري»^(١).

وهنا يجب أن نأخذ الدروس في أن نتحمّل المسؤولية تجاه وطننا ومجتمعنا، فكل واحد منّا مطالب بدور، وهذا أمر يمارسه الأفراد في جميع دول العالم تجاه مجتمعاتهم، فينخرطون في المؤسسات التطوعية لتقديم الخدمات للمستفيدين من هذه المؤسسات. وفي هذا المجال قرأت تقريراً عن الأعمال التطوعية في الولايات المتحدة الأمريكية، يشير إلى أن خمسين بالمئة من الراشدين الأمريكيين يشاركون في الأعمال التطوعية، وفي فرنسا يشارك ثلث الشعب الفرنسي في الجمعيات التطوعية، ولكن مجتمعاتنا لا يزال الاهتمام بالعمل التطوعي فيها محدوداً.

إن الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية والأندية الرياضية واللجان الخدمية المختلفة تشكو من نقص في الكوادر والدعم، وهذه المؤسسات تقدم خدماتها للجميع، وهي بحاجة ماسة للدعم والتنمية والتطوير في مختلف المجالات.

وما دمنّا في أيام عاشوراء لا بدّ أن نشير إلى أهمية التفاعل مع مشروع التبرّع بالدم، فهذه حالة إنسانية وفيها الأجر والثواب، وبخاصّة حينما ينوي الإنسان أن يهدي ثواب التبرّع بالدم إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

الدرس الثالث: مراعاة حقوق الناس

في ليلة العاشر من المحرم أمر الإمام الحسين عليه السلام منادياً ينادي بين أصحابه: «لا يقتل معنا رجل وعليه دين، فقام إليه رجل من أصحابه فقال له: «إن عليّ ديناً وقد ضمته زوجتي»، فقال عليه السلام: «وما ضمان امرأة؟»، بمعنى أنه ليست لها إمكانات مادية عادة.

(١) تاريخ الطبري. ج ٤، ص ٣٠٤.

وروي عن موسى بن عمير عن أبيه قال: أمرني الحسين بن علي عليه السلام قال: «نادِ أن لا يقتل معي رجل عليه دين، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من مات وعليه دين أخذ من حسناته يوم القيامة»^(١).

لقد أراد الإمام عليه السلام أن يكون المستشهد بين يديه متحرِّجاً في دينه، خالي الذمة من حقوق الناس وأموالهم، ولا يريد أن يكون سبباً في ضياع أي حق من حقوق الآخرين. إن الإمام الحسين يقدم أداء الدين على شرف الجهاد والنصرة له عليه السلام، مع حاجته إلى النصرة، وهذا غاية سمو الأخلاق والنبيل، وأنموذج مثالي من الدروس الأخلاقية العظيمة لكل الأجيال في كل زمان، ويجب أن نأخذ من ذلك درساً، وبخاصة مع ما نراه من تساهل عند كثيرين في أداء حقوق الناس، فنرى البعض لا يؤدّي الدين الذي عليه، ويسوّف في هذا الأمر، ونرى بعض أصحاب المؤسسات لا يعطون عمالهم أجورهم، وبخاصة الأجانب منهم، وهذا لا يجوز شرعاً، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه»^(٢).

إننا يجب أن نكون حسّاسين تجاه حقوق الناس، فإنه لا يفيد الإنسان أعمال العبادة والخير إذا كان في ذمته شيء من حقوق الناس. وفي يوم القيامة أول ما يحاسب عنه الإنسان حقوق الناس قبل الصلاة والصوم والحج، ولذلك علينا أن نكون مهتمّين ومراعين لهذه الحقوق.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أبناء الحسين وعلى أصحاب الحسين.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٣، ص ١٧١.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١٤، ص ٢٩، حديث ١٦٠١٧.

تقويم الذات في مواجهة الانتكاسات

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٩ هـ

أكّد سماحة الشيخ حسن الصّفّار على منهج تقويم الذات في مواجهة الانتكاسات، الذي يتمثّل في مراجعة الذات والبحث عن مواطن الخلل التي أدّت إلى الانتكاسة. مبيّناً أن هذا المنهج منهجٌ قرآني يعتمد على الإسلام في تربية الإنسان. مضيفاً أن المجتمعات المتقدمة تعتمد هذا المنهج في مختلف شؤونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بعكس المجتمعات المتخلفة التي تعتمد منهج إلقاء اللائمة على الآخرين دون تحمّل أدنى قدر من المسؤولية.

وفي سياق آخر أشار إلى قاعدة فطرية يؤكدّها القرآن الكريم متمثلةً في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، مؤكداً أن تطبيق هذه القاعدة من شأنه أن يُنمّي حالة الإحسان في المجتمع، أما إذا ساد المجتمع التنكّر للمعروف فإن ذلك يُثبّط الناس ويشل عزمهم عن الإقدام في التعاطي مع الآخرين بالإحسان.

الخطبة الأولى

في بداية خطبة الجمعة ٢٣ محرم الحرام ١٤٢٩هـ (١ فبراير ٢٠٠٨م) أشار الشيخ الصّفّار إلى قاعدة فطرية يؤكدّها القرآن الكريم، وهي أن الإنسان في أعماق فطرته يشعر بالامتنان والود لمن يُسدي إليه معروفاً وإحساناً، مهما كانت درجة هذا المعروف والإحسان. وفي المقابل يتوقّع الإنسان من الآخرين الشكر والتقدير عندما يُسدي لهم

معروفاً أو إحساناً، وإذا لم يكن ذلك، فإنه يمتعض وينزعج. والقرآن الكريم يؤكد هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾. وأكد الشيخ الصفار أن تطبيق هذه القاعدة من شأنه أن يُنمّي حالة الإحسان في المجتمع، ويدفع الجميع إلى هذا الطريق الإيجابي، أما إذا ساد المجتمع التنكّر للمعروف فإن ذلك يُثبّط الناس ويشل عزيمتهم عن الإقدام في التعاطي مع الآخرين بالإحسان. وأشار سماحته إلى قول الإمام الصادق عليه السلام حول الآية الكريمة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، إذ يقول: «جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر، من صنّع إليه معروف، فعليه أن يكافئ به، وليس المكافأة أن تصنع كما صنع حتى تُرِي. فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء»^(١).

وفي رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين «زين العابدين عليه السلام» نجدّه يُعيّن فصلاً خاصاً بعنوان: حق ذي المعروف، يقول: «وأما حق ذي المعروف عليك، فأنت تشكره وتذكر معروفه، وتنشر له المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانية. ثم إن أمكن مكافأته يوماً كافأته». وأضاف: إن من لا يواجه المعروف بالمعروف فإن ذلك يدل على انحرافٍ في نفسه، وهذا ما يؤكده ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «جبلت النفس الخبيثة على أن لا تخرج من الدنيا حتى تُسيء إلى من أحسن إليها»^(٢).

وأشار إلى أن كتاب وسائل الشيعة، وهو موسوعة حديثة، يتضمن فصلاً كاملاً بعنوان: وجوب تعظيم فاعل المعروف.

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام يقول: «أجيزوا لأهل المعروف عثراتهم، واغفروها

(١) بحار الأنوار. ج ٨، ص ١٠٥.

(٢) حسن السيد علي القبانجي. شرح رسالة الحقوق، ج ٢، الطبعة الثالثة ١٤١١ هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٦٤.

لهم، فإن كَفَّ الله عليهم هكذا، وأوماً بيده كأنه يظل بها شيئاً»^(١).
وعنه عليه السلام أنه قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف»، قيل: وما قاطعوا سبيل
المعروف؟ قال: «الرجل يُصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك
إلى غيره»^(٢). ويُصدّق ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «أسرع الذنوب عقوبة كفران
النعمة»^(٣).

ويُضيف الشيخ الصفّار: إلا أن المطلوب مع أصحاب المعروف ألا ينتظروا من الناس
شكراً، يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يزهّدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكره عليه
من لا يستمتع بشيء منه»^(٤).

وأشار إلى أن السيرة النبوية العطرة زاخرة بمواقف الإحسان وشكر المعروف من
قبل رسول الله مستشهداً بنماذج تاريخية يتضح فيها أن رسول الله كان يُقدّم شكره ليس
فقط لمن أسدى إليه معروفاً بل حتى لمن تربطه بهم صلة، فكان يحترم ويواصل صديقات
وجيران السيد خديجة إقراراً منه بفضلها، وتقديراً منه لمواقفها الجليلة. كما أكرم شيماء
بنت مرضعته حليلة السعدية وأطلقها من الأسر وجميع قومها إكراماً لها.

وأكد الشيخ الصفّار أن مستوى التقدير ينبغي أن يتناسب ومستوى الإحسان،
مستفهماً: وهل هناك من إحسانٍ يفوق درجة إحسان الوالدين؟ فكيف يُمكن للإنسان
أن يُقدّم شكره لهما؟ مضيفاً: ينبغي للمرء أن يبذل قصارى جهده في هذا الجانب، فذاك
رجل كان يطوف حول الكعبة، ويحمل على ظهره والدته، فلما رأى رسول الله بادر
بالقول: هل أديت حقها؟ فقال: «لا، ولا بزفرة واحدة»^(٥) - يعني زفرات الولادة -.

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٠٤.

(٢) المصدر نفسه. ص ٣١٠.

(٣) المصدر نفسه. ص ٣١٢.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٠٨.

(٥) في ظلال القرآن. ج ٤، ص ٢٢٢٢.

واستنكر سباحته المعاملة السيئة التي يواجه بها الأولاد آباءهم وأمهاتهم، مؤكداً أن ذلك من أجل مظاهر كفران النعمة.

وأوضح أن الأمر ينطبق على الواقع الأسري، وبالتحديد بين الزوج وزوجته، فينبغي لكل منهما أن يحفظ للآخر معروفه، حتى وإن حصل بينهما اختلاف في وجهات النظر.

وأكد في ختام خطبته أن من يجحد معروف الآخرين، عليه أن يتأكد أنه سيواجه من يجحد له معروفه، ويصادق على ذلك الحديث الشريف: «بروا آباءكم، ببركم أبناؤكم»^(١).

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية على أنه أمام الإنسان في مواجهة الانتكاسات والمشاكل منهجان:

المنهج الأول: البحث عن جهة خارجية لتحميلها المسؤولية.

المنهج الثاني: مراجعة الذات والبحث عن مواطن الخلل التي أدت إلى الانتكاسة.

مبيناً أن غالبية الناس يسلكون المنهج الأول في مختلف شؤون حياتهم، أما الواعون على مستوى الأفراد والمجتمعات فإنهم يتعاملون وفق المنهج الثاني، مؤكداً أن القرآن الكريم يُربي الإنسان المسلم على هذا المنهج. فعندما انهزم المسلمون في معركة أحد، نزل قوله تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفيها أمرٌ صريح بأن يعود المسلمون إلى ذواتهم فيكتشفون مواطن الخلل عندهم.

وأشار إلى الأسباب التي تدعم هذا المنهج:

أولاً: أغلب مشاكل الإنسان تأتي من ثغراته، وحتى لو وقع على الإنسان اعتداء

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٤، ص ٢٢.

خارجي، فإن أسلوب تعاطيه مع هذا الاعتداء له أثرٌ في درجة تفاقم المشكلة أو محاصرتها.

ثانيًا: مراجعة الإنسان لنفسه يمنحه فرصة تطويرها، وسد ثغراتها، أما الوقوف عند إدانة الجهات الخارجية فإن ذلك لا يُعالج المشكلة من جميع جوانبها.

ثالثًا: نفس الإنسان بيده، فيستطيع أن يُعالج نقاط ضعفه، ويجعل هناك حدًا للخلل. أما الآخرون فلا سيطرة له عليهم.

وأكد الشيخ الصقّار أن المجتمعات المتقدمة تتخذ هذا المنهج في مواجهة النكسات، مشيرًا إلى أن المثل الأبرز في الآونة الأخيرة هو إسرائيل وأسلوب تعاطيها مع الهزيمة النكراء التي تكبدها أثناء حربها على لبنان، حيث إنها اتخذت إزاء ذلك أسلوبًا حضاريًا بتعيين لجنة متخصصة تحت إشراف جهة قضائية، مهمة هذه اللجنة الكشف عن مواطن الخلل والجهات المسؤولة عنه، وفي يوم الأربعاء ٣٠ يناير ٢٠٠٨م، أصدرت هذه اللجنة (تقرير فينوغراد) وفيه اعتراف صريح بالإخفاق، وتحديد الجهات المسؤولة وحجم المسؤولية التي تتحملها كل جهة.

وتساءل سباحته: كيف تمكّنت هذه الدويلة المصطنعة من تعزيز قوّتها في المنطقة؟ مؤكّدًا في إجابته على عدة نقاط محورية في صنع القوة لدى هذه الدويلة وغيرها من الدول المتقدمة:

أولًا: حاكمية القانون.

ثانيًا: وجود مرجعية عليا ترعى الاختلاف.

ثالثًا: الاعتراف بالخلل ونقاط الضعف.

وأشار إلى أن العالم العربي في معظمه يفتقر، لهذه المقوّمات، بل إن واقع العالم العربي أسوأ من كونه لا يمتلك دعائم القوة، إذ إنه في بعض جوانب الخلل تجده يُكابِر على الهزيمة ليتظاهر بالنصر بينما هو يعيش في داخله عمق الانتكاسة والخسران.

وأكد الشيخ الصفار في ختام خطبته على ضرورة الرجوع إلى الذات لاكتشاف أخطائها وتقويمها، فذلك أدعى من أن يقف الإنسان بين يدي الله تعالى وهو مكبّل بالخسارة، والقرآن الكريم يصف هذا المشهد الرهيب في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

كيف تتطور العلاقات الاجتماعية؟

خطبة الجمعة بتاريخ ١ صفر ١٤٢٩ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار لبلورة ثقافة جديدة تُطوّر نمط العلاقات الاجتماعية السائدة، مؤكّداً على ضرورة أن يواكبها تشريع قوانين تحمّد هذه الثقافة لكي تأخذ دورها الطبيعي في المجتمع.

مشيراً إلى أهمية وجود نماذج في المجتمع تتبنى هذه الثقافة وتحمل على عاتقها الممارسة العملية لها لكي تأخذ صداها في المجتمع.

وفي سياق آخر دعا سماحته إلى ضرورة المحافظة على المرافق العامة في البلاد وإبدائها بالصورة الحسنة الجميلة، معرباً عن استيائه لبعض الممارسات السلبية التي يقوم بها بعض الناشئة في هذه المرافق، محمّلاً الجميع مسؤولية ذلك، إلا أنه وجّه خطابه بشكلٍ مباشر للعائلة مؤكّداً على ضرورة أن تقوم العائلة بدورها الأساس في هذا الجانب من التوجيه والتربية والإرشاد.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة غرّة صفر ١٤٢٩ هـ (٨ فبراير ٢٠٠٨ م) إلى أن العلاقات السائدة في أي مجتمع، سواءً بين أفراد العائلة، أو بين الناس والسلطة، أو بين شرائح المجتمع المختلفة، تنبع من إحدى حالتين:
الأولى: وجود موازين قوى تفرض نمطاً معيناً من العلاقة، بحيث يفرض الطرف القوي هيمنته على الضعيف، ويصبح الضعيف خاضعاً للقوي.

الثانية: وجود ثقافة سائدة في المجتمع، تتحول إلى سلوكٍ وأعرافٍ تحكم واقع المجتمع.

وأضاف: إن أنماط العلاقات في المجتمعات قابلة للتطور والتغيير، ونحن نشهد في التاريخ البشري الماضي والمعاصر أن بعض المجتمعات كانت تعيش نمطاً من العلاقة فيما بينها، إلا أنها تغيرت، سواءً كان هذا التغيير إلى الأفضل أو إلى الأسوأ.

وتساءل: كيف يتغير نمط العلاقات في المجتمعات؟ وفي إجابته أكد أن ذلك يتحقق بنفس الطريق الذي نشأت منه العلاقة، فإما أن تتغير موازين القوى فتخلق نمطاً جديداً للعلاقة، أو تتغير الثقافة السائدة للمجتمع فينشأ نمط جديد وفقاً للثقافة الجديدة.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن نمط العلاقات في الجاهلية كانت مبنية على أسس غير صحيحة، حيث القبلية، والهيمنة الذكورية، وإلغاء عقول الناس لكي تتلخص في عقل شيخ القبيلة، وغيرها من الأنماط الخاطئة. وعندما جاء الإسلام بشر بثقافة جديدة، وخلق قوة جديدة، ومن خلال ذلك تغيرت أنماط العلاقات وشهدت تحولاً كبيراً على مختلف المستويات والصُّعد.

وقد أرسى رسول الله ﷺ دعائم هذه الثقافة من أول يومٍ للدعوة الإسلامية، وبعد فتح مكة جهر رسول الله ﷺ بهذه الثقافة التي كانت تُخالف السائد والمألوف، فقال في خطبة له: «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية، والتفاخر بآبائها وعشائرها. أيها الناس إنكم من آدم وآدم من طين، ألا وإن خياركم عند الله وأكرمكم أتقاكم وأطوعكم له»^(١).

وأكد الشيخ الصفار أن رسول الله ﷺ لم يكتف بتبيين معالم هذه الثقافة الجديدة فقط، وإنما مارسها عملياً ليخلق بذلك نموذجاً يُحتذى به، ومن نماذج ممارساته:

■ أمره لبلال بأن يؤذن فوق الكعبة المشرفة، بينما هذا الأمر يغيظ أهل مكة

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٤٦.

ولا يستسيغونه.

■ تقريبه سلمان الفارسي، بعد أن تفاخر مجموعة من الصحابة بأنسابهم، فبادر رسول الله ﷺ وقال: «سلمان منا أهل البيت».

■ أمره بتنفيذ جيش أسامة، وبمشاركة شيوخ الصحابة، وفي الرواية أن رسول الله ﷺ قال: «نُفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة»، رغم أن أسامة صغير السنّ ويقود جيشًا فيه كبار الصحابة، فذلك يُمثل تحوّلًا كبيرًا أوجده رسول الله ﷺ ومارسه عمليًا.

وأضاف: إن بعض المجتمعات البشرية المعاصرة شهدت أيضًا تحوّلًا كبيرًا في نمط العلاقات السائدة فيها، فأمريكا، مثلًا، كانت قبل نصف قرن من الزمان تعاني من عنصرية مقيتة بين البيض والزنوج، إلا أنها تجاوزت هذه الحالة بوجود ثقافة جديدة وبتشريع قوانين تُعزز هذه الثقافة، ذلك لأن الثقافة بدون قوانين وتشريعات لا يمكن أن تؤدي مفعولها، وكذلك القوانين والتشريعات بدون الثقافة المساندة فإنها لن تستطيع أن تفرض سيطرتها.

وأكد الشيخ الصفار على أن المجتمعات العربية والإسلامية تسودها أنماط علاقة بحاجة إلى تغيير وتطوير، إلا أن عجلة التطوير تسير ببطء شديد، مشيرًا إلى بعض نماذج هذه الأنماط، حيث يُمارس الرجل هيمنته على المرأة، ويُلغي الحاكم في كثير من البلدان إرادة الشعب، وهناك تمييز تعيشه الأطراف المختلفة فيما بينها عرقيًا وطائفيًا وقبليًا.

وتساءل: متى تتجاوز الأمة هذه الحالة، وكيف لها أن تُحقق ذلك؟ مؤكدًا في إجابته على أن ذلك لا يتحقق بالشعارات فقط، إنما هناك حاجة ماسة لعدة أمور:

أولًا: ضخ ثقافة جديدة يقتنع الناس من خلالها بأن الكفاءة والجدارة هي المقياس، وليس أمرًا آخر.

ثانيًا: تشريع قوانين جديدة مقننة تُرسخ نمط صحيحًا للعلاقات العادلة.

ثالثاً: وجود نماذج تتبنى هذه الثقافة الجديدة، وتُمارس أنماط علاقة جديدة لتعكس واقعاً جديداً في المجتمع.

واختتم الشيخ الصفار خطبته بالتأكيد على أن الإسلام أرسى دعائم ثقافة التغيير بأن جعل قيمة الإنسان بملكاته النفسية المتمثلة في التقوى، وبكفاءته، والمجتمع السليم هو الذي تكون أنماط العلاقة فيه ضمن هذا المنهج.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في الخطبة الثانية إلى أن الإنسان يأتي للعالم طفلاً صغيراً لا يعرف شيئاً عن قيمته ولا عن قيمة الأشياء من حوله ولا يعرف كيف يتعامل معها. وبعد أن يكبر يبقى عاجزاً عن معرفة كل ما يدور حوله، إلا من خلال أسرته والبيئة التي يعيش فيها.

وعندما يصبح الإنسان شاباً فإنه يكون في أمس الحاجة للتعليم حتى يكون إنساناً مسؤولاً، والقرآن الكريم يُقدّم نموذجاً في إطار التربية السليمة، من خلال مواعظ لقمان الحكيم لابنه، يقول تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، هذه الموعظة التي تُلفت نظر الابن إلى أن الله تعالى سيحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، حتى وإن كانت بمقدار مثقال حبة من خردل، والخردل: نبات به حبات سوداء متناهية في الصغر، ويُضرب بها المثل للتعبير عن صغر الشيء.

وأكد الشيخ الصفار على أهمية دور العائلة في تفهيم الأبناء وتعريفهم بمسؤوليتهم في التعامل مع الأشياء من حولهم، مضيفاً: إننا نعيش في عصر الانفتاح حيث القنوات الفضائية، والإنترنت، والتي تحمل مختلف أنماط السلوك مما يجعل المسؤولية أكبر على العائلة في ترشيد أبنائها إلى التعامل السليم مع كل شيء يُحيط بهم.

وركّز حديثه على نقطة مهمة، وهي التعامل مع المرافق والمصالح العامة، من الشوارع والحدائق وأنوار الإضاءة وغيرها. مؤكداً أن هذه المرافق تخدم الناس جميعاً ومن الضروري أن ينعكس جانب الاهتمام بها، وعلى العائلة الدور الأساس في غرس أساليب التعامل الإيجابية مع هذه المرافق.

وأشار إلى وجود بعض الممارسات السلبية التي بدأت تنتشر في وسط المجتمع من عدم الاهتمام بهذه المرافق، ومؤخراً تعرضت (٩) حدائق في محافظة القطيف كما في مناطق أخرى للعبث وإتلاف محتوياتها.

وأوضح الشيخ الصفار أن بعض الممارسات التي يقوم بها الآباء أو الأمهات تغرس هذه الحالة عند الأبناء، حيث يهتم البعض من الناس بمنزلهم فقط، أما إذا كانوا في إحدى المرافق العامة فيعتبرون ذلك خارج مسؤولياتهم، فيلقون القمامة في أي مكان دون أن يكون في حسابهم أن هذه الممارسات تغرس نوعاً معيناً من التربية الخاطئة لدى الأبناء. وفي مقارنة سريعة بين واقع المرافق العامة في المجتمعات العربية والمجتمعات الغربية يقول الشيخ الصفار: إننا نتعجب من الواقع الذي يعيشه الناس في تلك المجتمعات حيث الاهتمام الكبير بالمرافق العامة، بينما في مجتمعاتنا العربية لا يُعيرون لهذا الجانب الاهتمام المطلوب.

ورداً على من يُبرر الممارسات السلبية بعدم وجود وظائف لدى الشباب، يقول الشيخ الصفار: هذه مبررات غير مقبولة، فالمرافق العامة تُمثل ثروة المجتمع، ومصالحته، وتعكس سمعته بين المجتمعات، وكل فردٍ في المجتمع معنيٌ بهذا الجانب. فليس هناك معنى للعبث بالمرافق العامة نتيجة عدم الحصول على وظيفة، فذلك مثله كمثل الذي يبدد أمواله وثروته لأنه لم يحصل على وظيفة، وهذا ليس مقبولاً عقلاً ولا منطقاً.

وأكد الشيخ الصفار في ختام الخطبة على ضرورة أن تتحمل العائلة دورها في تربية الأبناء وتشجيعهم على الممارسات الإيجابية، وبث ثقافة واعية تخدم هذا الجانب، كما أنه

ينبغي إظهار الاستياء لأي حالة عبث تحصل في المرافق العامة.
مضيفاً: إن ديننا الحنيف يأمرنا بأن نكون نظيفين أنيقين في كل أمورنا، (والله جميلٌ
يُحِبُّ الجمال).

والحمد لله رب العالمين.

منهجية المطالبة بالحقوق

خطبة الجمعة بتاريخ ٨ صفر ١٤٢٩ هـ

ناقش سماحة الشيخ حسن الصفار منهجية ذوي الحقوق في المطالبة بحقوقهم مستلهمًا الدروس من سيرة الإمام الحسن الزكي عليه السلام، خلال الفترة التي قضاها بعد المصالحة مع معاوية وأتباعه الذين انتهجوا نهج المطالبة بحقوقهم وحقوق الناس. مؤكدًا على ضرورة أن يجهر أصحاب الحق بحقوقهم تجاه أي جهة كانت.

وفي سياق آخر تحدث عن المعاناة التي تحمّلها الإمام الحسن عليه السلام بعد عقده للصالح مع معاوية، الذي كان خيارًا فرض نفسه على الإمام لمصلحة الأمة والرسالة. مشيرًا إلى بعض المواقف المؤلمة التي صدرت من خلع أتباع الإمام عليه السلام. مؤكدًا أن على القادة والمصلحين أن يتخذوا من سيرة الإمام الحسن عليه السلام منهجًا في اتخاذ القرارات المصيرية. دون الخضوع لعواطف الجمهور.

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٨ صفر ١٤٢٩هـ (١٥ فبراير ٢٠٠٨م) إلى أن الإمام الحسن الزكي عليه السلام هو أول كوكب أضياء بيت النبوة والإمامة، فهو أول السبطين، لذا فإنه حظي باهتمام كبير من رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان يغمره بالحب والعطف والحنان، وشاركه بعد ذلك أخوه الإمام الحسين عليه السلام في هذه المحبة والعناية من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وأضاف: إن الإمام الحسن عليه السلام عاش حياة الجهاد من أجل الرسالة وقيمها، فعاش

همومها في عهد جده رسول الله ﷺ، وعاش معاناة الدفاع عنها مع أبيه أمير المؤمنين ﷺ وأمه فاطمة الزهراء ﷺ، وبعد استشهاد أبيه سنة (٤٠) للهجرة، بايعه المسلمون بالخلافة، في ظل ظروف قاسية اضطر على إثرها إلى مصالحة معاوية بن أبي سفيان. وأشار الشيخ الصفار إلى أن الجبهة التي يقودها الإمام الحسن ﷺ كانت مهزوزة مضطربة جرّاء الحروب التي حصلت خلال الأربع سنوات في عهد الإمام علي ﷺ وهي: الجمل، صفين، والنهروان. إضافةً إلى أن معاوية قد ركّز نفوذه في الشام مستخدمًا مختلف الوسائل من الترهيب والترغيب والتضليل.

خيار الحرب أو الصلح

وأضاف: الإمام الحسن ﷺ في ظل هذه الظروف لم يكن أمامه إلا أحد خيارين: الأول: الحرب، وهذا الخيار يعني أن تُجثت الصفوة من أهل البيت ﷺ وأتباعهم المخلصين، فموازين المعركة غير متكافئة. والإمام الحسن ﷺ لا يهاب القتل، فهو من أهل بيت حملوا شعار: (القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة)، إلا أن الدخول في المعركة مع معاوية ضمن هذه المعادلة الصعبة يُعتبر مجازفة، فيما أن تنتهي الحرب بمقتل الإمام وأهل بيته وأصحابه وبذلك تكون الساحة مفتوحة لمعاوية يفعل فيها ما يشاء. أو تنتهي بأسر الإمام فيتفضّل عندها معاوية بإطلاقه بعد أن كان معاوية طليقًا لرسول الله ﷺ عند فتح مكة. هو وأبوه وبقية أسرته، لذا فإن خيار الحرب كان مرفوضًا بالنسبة للإمام الحسن ﷺ.

وتعليقًا على هذا الجانب أكد الشيخ الصفار أن أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ استلهموا هذا الدرس من أئمتهم فأصبحت الشهادة تُمثّل لهم انتصارًا، وكلما حاول الأعداء أن يُزعزعوا قوتهم عبر سقوط الشهداء، لم ينجحوا أبدًا، بل تراهم يُفاجئون بعزيمة لا تهزّها العواصف، وإصرارٍ على الجهاد، إثباتًا منهم أن كل قطرة من دماء الشهداء تُمثّل وقودًا

يزيد من الفاعلية والنشاط والإصرار على تحقيق الانتصار.

الثاني: المصالحة، وعبرها يُعطي الإمام الحسن عليه السلام للأمة فرصة التعرف إلى معاوية وطريقته في الحكم، إضافةً لحفاظه على الصفوة المتبقية من المخلصين معه، والتوجه لتربية الكوادر الرسالية تعويضًا لما فقد منهم جرّاء الحروب الماضية. وهذا الخيار هو الذي سلكه الإمام الحسن عليه السلام.

المعاناة الداخلية للإمام الحسن

وأضاف الشيخ الصفار: إن الإمام الحسن عليه السلام تحمّل نتيجة هذا القرار عناءً كبيرًا، إذ إن القتل بالنسبة للإمام عليه السلام أهون من مواجهة هذه المعاناة التي استمرت معه إلى (١٠) سنوات، وأصعب ما في الأمر أن يُعاتب الإمام عليه السلام على توجهه هذا من قبل أتباعه وخلّص شيعته.

وأشار الشيخ الصفار إلى نماذج من تلك المعاناة، ومنها:

- «دخل المسيّب بن نجبة على الإمام الحسن عليه السلام قائلاً: ما ينقضي تعجبي منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً. فقال له الإمام: ما ترى؟ قال: أرى أن ترجع إلى ما كنت عليه، فقد كان نقض ما بينك وبينه. فأجابه الإمام: يا مسيّب، إني لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أصبر عند الحرب مني، ولكنني أردت صلاحكم وكفّ بعضكم عن بعض»^(١).
- «ودخل عليه حُجر بن عدي وقال: أما والله لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم، فإننا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا. فأخذ بيده واختلى به في زاوية من زوايا البيت وقال عليه السلام: يا حجر قد سمعت كلامك، وليس كل إنسان يُحب ما تُحب، ولا رأيه كرايك، وإني لم أفعل

إلا إبقاءً عليكم، والله تعالى كل يوم هو في شأن^(١).
وعلق الشيخ الصفار بقوله: هكذا ينبغي أن يكون القائد المصلح بأن يتخذ قراراته بناءً على ما يرى فيه مصلحة الأمة، وليس لإرضاء هذا الطرف أو ذاك، ولا من أجل كسب عدد أكبر من الجمهور.

مضيفاً: إن حياة الإمام الحسن عليه السلام تمثل درساً لجميع القادة والمصلحين، عاشها رغم المعاناة والآلام حتى مضى شهيداً، إثر سمّ دسّته له زوجته جعدة بنت الأشعث في مؤامرة دبرها معاوية بن أبي سفيان، فسلام الله عليك يا أبا محمد يوم وُلدت ويوم استشهدت ويوم تُبعث حياً.

الخطبة الثانية

بدأ الشيخ الصفار الخطبة الثانية بذكر رواية في صحيح البخاري: أن رجلاً كان له دين على رسول الله صلى الله عليه وآله فأتاه يتقاضاه، وأغلظ في مطالبته وحديثه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فهمّ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليردعوه عن سوء أذبه، فقال صلى الله عليه وآله: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً»^(٢).

وأكد أن هذه الكلمة ينبغي أن تكون منهجاً لأصحاب الحق بأن يجهروا بحقهم، ويصروا على مطالبتهم بحقوقهم، من أي جهة كانت، سواءً من أفراد عاديين، أو من قبل جهات مسؤولة.

مضيفاً: إن السلطة الواعية تُدرك أن فسخ المجال لأصحاب الحقوق للمطالبة بحقوقهم وفق قوانين وأنظمة عادلة، هو أقرب للحق، وإبعاداً عن الاحتقانات والمشاكل.

وأشار إلى أن الاعتداءات على حقوق الناس قد لا يكون بقرار رسمي من السلطة،

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن، ج ٢، الطبعة الثالثة، (قم: دار الكتب العلمية)، ص ٢٧٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٧، حديث ٢٤٠١.

إلا أن بعض الجهات تستغل نفوذها وموقعيتها للاعتداء على الحقوق. لذا فإنه في صالح السلطة إتاحة المجال لأصحاب الحقوق بالجهر بمطالبتهم تحقيقاً للعدل.

مؤسسات للدفاع عن الحقوق

مضيفاً: والآن في مختلف دول العالم هناك مؤسسات يلجأ إليها الناس للمطالبة بحقوقهم، وبلادنا بدأت تشهد إنشاء مثل هذه المؤسسات كديوان المظالم، وهو مؤسسة عريقة، وهيئة حقوق الإنسان، التي أنشئت حديثاً، والمطلوب هو التفاعل مع هذه المؤسسات. ذلك لأن التواصل والمطالبة بالتطوير سببان أساسيان لأن تأخذ هذه المؤسسات مكانتها وتُعطي دورها المطلوب، وهذا ما يحصل في الدول المتقدمة أيضاً، فليس بمجرد أن تُنشأ منظمة أو هيئة تُحقق نجاحاً فورياً. إضافة إلى فرص اللقاءات المباشرة مع المسؤولين، وطرح القضايا في وسائل الإعلام حسب هامش الحرية المتاح. وأرجع الشيخ الصفار ميول الناس إلى السكوت عن المطالبة بحقوقهم، وإصرارهم عليها، لعدة أسباب:

أولاً: التشكيك في جدوى المطالبة.

ثانياً: التهيّب.

ثالثاً: الجهل بطرق التحرك والمطالبة.

مؤكدًا على ضرورة التواصي بين أفراد المجتمع، وأن تُبلور ثقافة المطالبة بالحقوق في المجتمع بحيث يعي كل فرد حقوقه، كيف يحصل عليها إذا ما تعرّض لاعتداء.

واستلهم من حياة الإمام الحسن عليه السلام دروساً في المطالبة بالحقوق، مؤكداً أن الإمام الحسن عليه السلام لم يجلس في البيت بعد مصالحة معاوية وإنما كان يُبادر عليه السلام للمطالبة بحقوق الناس، فقد سافر إلى الشام مرتين وحضر مجلس معاوية، وكذلك أصحابه قاموا بدور فاعل على هذا الصعيد. رغم أنهم يعرفون معاوية وتوجهاته، إلا أن ذلك لم يكن مانعاً

لهم للمطالبة بحقوقهم وحقوق الناس.

وذكر الشيخ الصفار موقفاً من المواقف الجريئة، بطل هذا الموقف هي (سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية)، شاعرة من شواعر العرب وذات فصاحة وبيان، وهي من شيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جاهدت بلسانها وقالت كلمة الحق أمام سلطان زمانها.

فقد استأذنت على معاوية فأذن لها، فلما دخلت عليه قال: هيه يا بنت الأسك ألسنت القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا بن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قُدماً بأبيض صارم وسنان

قالت: إي والله ما مثلي من رغب عن الحق، أو اعتذر بالكذب.

قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: حب علي عليه السلام وإتباع الحق.

قال: فوالله لا أرى عليك من أثر علي شيئاً.

قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين، دع عنك إعادة ما مضى، وتذكاري ما قد نسي.

قال: هيهات، ما مثل مقام أخيك يُنسى، وما لقيت من أحدٍ ما لقيت من قومك وأخيك.

قالت: صدق قولك، لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان، كان والله كقول

الخنساء:

وإن صخرًا لتأتُم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار

قال: صدقت، لقد كان كذلك.

فقلت: مات الرأس وبتر الذنب، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه.

قال: قد فعلت، فما حاجتك؟

قالت: إنك أصبحت للناس سيّدًا ولأمرهم متقلدًا، واللّه سائلك من أمرنا وما افترض عليك من حقنا، ولا تزال تقدم علينا من ينوء بعزك وييسط بسطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسية، ويسلبنا الجليلة. هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي، ولو لا الطاعة لكان فينا عز ومنعة، فإما عزلته عنا فشكرناك، وإما لا فعرفناك.

قال معاوية: أتهديني بقومك، لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس، فأردك إليه

لينفذ حكمه فيك.

فأطرقت تبكي، ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسمٍ تضمّنه قبرٌ فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنًا فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال لها معاوية: ومن ذاك؟

قالت: علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟

قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت عليًا عليه السلام لأشكو إليه ما صنع بنا، فوجدته قائمًا يُصلي، فلما نظر إليّ انفتل من صلاته، ثم قال لي برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته الخبر، فبكى ثم قال: اللّهم أنت الشاهد عليّ وعليهم إني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿﴾، إذا قرأت كتابي فاحتفظ بها في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. فأخذته منه، واللّه ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام فقرأته.

فقال لها معاوية: لقد لمّظكم ابن أبي طالب على السلطان فبطيئاً ما تُفطمون، ثم قال: اكتبوا لها برد كالحا والعدل عليها.

قالت: أليّ خاصة، أم لقومي عامة؟

قال: وما أنت وقومك؟

قالت: هي واللّه إذا الفحشاء واللّؤم، إن لم يكن عدلاً شاملاً، وإلا فأنا كسائر

قومي.

قال: اكتبوا لها ولقومها^(١).

دروس في المطالبة بالحقوق

إن هذا القصة توحى لنا بعدد من الدروس والعبر، منها:

أولاً: إن المطالبة بالحقوق مسؤولية كل فرد له حق مصادر، رجلاً كان أو امرأة، فسودة بنت عمارة لم تقعد بها أنوثتها عن التصدي للدفاع عن حقوقها وحقوق قومها.

ثانياً: المطالبة بالحقوق لا تتأثر بالموقف الفكري أو العاطفي من السلطة، فهي وفدت على أمير المؤمنين علي عليه السلام تشكو إليه جور عامله، كما وفدت على معاوية لنفس الغرض مع أنها توالي علياً وتناوى معاوية.

ثالثاً: لأسلوب العرض والتخاطب مع المسؤول دور في استجابته، فسودة التي كانت تحرّض على قتال معاوية في صفين، تخاطبه بأمير المؤمنين وأنه أصبح في الناس سيدياً ولأمورهم متقلداً.

(١) أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور. بلاغات النساء، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، (بيروت: دار الأضواء)، ص ٤٢.

كما تستوعب وتمتص غضبه وتعنيفه بأسلوبها العاطفي المؤثر.
وأكد الشيخ الصفار في ختام خطبته أن منهجية المطالبة بالحق ينبغي أن تُستلهم
من مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فسيرتهم تزخر بالأساليب الحكيمة والمواقف
البطولية.

والحمد لله رب العالمين.

ضعف الأمة يغري بالإساءة لرسول الله ﷺ

خطبة الجمعة بتاريخ ١٥ صفر ١٤٢٩ هـ

وجّه سماحة الشيخ حسن الصفّار عتاباً للمسلمين لتقاعسهم عن الدفاع عن رسول الله ﷺ مؤكداً أنهم يتحملون مسؤولية كبيرة تجاه الإساءة المتعمّدة من قبل (١٧) صحيفة دنماركية عبر إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لشخصية الرسول الأعظم ﷺ. مضيفاً: إن هذه الإساءة تكشف عن مهانة الأمة على المستويين الدولي والعالمي، والحل لا يكمن برفع الشعارات والمظاهرات وإنما بتعديل الواقع الدولي لهذه الأمة. وأعرب عن وجوب الاعتذار لرسول الله ﷺ على هذا التقصير.

وفي سياق آخر تحدث الشيخ الصفّار في خطابٍ وعظي عن خسارة الإنسان نفسه مؤكداً أنها تحمل أحد معنيين: خسارة الإنسان لصفته الإنسانية، وخسارة الإنسان لسعادته في الآخرة، مؤكداً أنه ينبغي لكل واحد أن يفكر بعمق في مستقبله الأخرى، كما يفكر في وضعه الدنيوي.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفّار في بداية خطبة الجمعة ١٥ صفر ١٤٢٩هـ (٢٢ فبراير ٢٠٠٨م) أن تاريخ البشرية على مر العصور لم يشهد صفحةً أبيض ولا أنصع من سيرة رسول الله ﷺ، ولم يكن على مر التاريخ قائد أوسع قلباً وأعظم حلماً وأشمل رحمةً من رسول الله ﷺ، فقد كان قلبه يفيض رحمةً وحباً وشفقةً وعطفاً على الناس جميعاً، وليس فقط على

أتباعه من المؤمنين، وكما قال: «إنما أنا رحمة مهداة».

مضيفاً: وتعاليم شريعته تؤكد هذه الحقيقة أيضاً، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

واقطف الشيخ الصفار من سيرة الرسول الأعظم بعض المشاهد التي تبرز تلك الملكة العظيمة من الرحمة والعطف التي كان رسول الله يتحلى بها.

■ أرسل ذات يوم وصيفة له في حاجة فأبطأت، فقال: لو لا القصاص لأوجعتك بهذا السواك.

■ في معركة حنين مرّ رسول الله بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس مجتمعون عليها، فقال: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد. فقال: لبعض من معه أدرك خالدًا فقل له: إن رسول الله ينهك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيماً (الأجير أو العبد المستعان به).

■ ولما مرّ بلال في خيبر بنساءٍ من اليهود على القتلى فبكين، فقال لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال، حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما.

■ كان يُخفف صلاته لسماعه بكاء طفل جاءت به أمه للصلاة.

■ ومرة استوقفت رسول الله ﷺ امرأة في عقلها شيء، فقالت: إن لي إليك حاجة. فقال: اجلسي يا أم فلان، فجلست، فجلس النبي إليها حتى فرغت.

■ ورأى رسول الله ﷺ ناقةً معقولة وعليها جهازها، فقال: أين صاحبها؟ لا مروءة له، فليستعد غداً للخصومة.

■ ورأى فرخ طائر في يد رجل وأمه تحوم حوله وترفرف، فغضب ﷺ، وقال: اردد إليها ولدها.

وأضاف: هكذا كان رسول الله ﷺ قلباً ينبض بالرحمة ليس على البشر فحسب، بل

على جميع المخلوقات.

واستنكر الشيخ الصفار الإساءة التي اقترفتها (١٧) صحيفة دناهاركية من خلال إعادة نشرها لصور مسيئة لشخصية الرسول الأعظم ﷺ، مؤكداً أنها إساءة مقصودة ومتعمدة، بل ومتكررة وتأتي في سياق الحملة الإعلامية الغربية الموجة ضد الإسلام والمسلمين.

وحول هذه القضية المتجددة وجه الشيخ الصفار عتابه للمسلمين مؤكداً أنهم يتحملون مسؤولية كبيرة تجاه هذه الإساءة، فالواقع المتخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية في مختلف جوانب حياتها حضارياً واقتصادياً وسياسياً، وما تُعانيه الأمة من نزاعات داخلية وإرهاب، وما تحتضنه من ثقافة الاستبداد واحتقار للمرأة، كل هذه الجوانب جعلت واقع الأمة الإسلامية في الحضيض، فكان من السهل إيقاع مثل هذه الإساءة وغيرها بقائد هذه الأمة الرسول الأعظم.

مضيفاً أن محاولات التجميل الخارجية لواقع الأمة لن تُعطي أثرها طالما كان الواقع الحقيقي مشوهاً.

ومن ناحية أخرى، أكد الشيخ الصفار أن هذه الإساءة تكشف عن مهانة الأمة على المستويين الدولي والعالمي، فمع ضخامة المساحة السكانية للأمة حيث يُقدّر المسلمون بالمليار والربع مليار مسلم، ومع الثروات الهائلة التي تمتلكها الأمة إلا أنها لا تستطيع تحريك ساكنٍ تجاه إساءةٍ موجهة لرمزها الأعلى وهو رسول الله ﷺ، بيد أن اليهود تجدهم تثور ثائرتهم تجاه أي موقف ينتقص من قضية المحرقة (الهولوكوست). حيث تجرّم دول العالم ما تعتبره معاداة للسامية.

وأشار أن الحل لا يكمن في رفع الشعارات والمظاهرات، وإنما يكمن في تعديل الواقع الدولي لهذه الأمة، بحيث تستطيع أن تكون لها ثقلاً سياسياً محترماً. معرباً عن استيائه الشديد لواقع الأمة؛ لأنها لا تسعى بهذا الاتجاه، وكل الجهود المبذولة في هذا الأمر محدودة جداً، بيد أن الأمر يحتاج إلى تحرك سياسي وإعلامي ودبلوماسي عالمي حتى

تستعيد الأمة قيمتها العالمية التي تُصادر يوماً بعد آخر.

ووجه الشيخ الصفّار عتابه للأمة على تقصيرها في نشر صورة رسول الله وتبيين مكانته للعالم، مؤكداً أنه ليس هناك من عذر للأمة على هذا التقصير. مشيراً أن كل مشهد من مشاهد سيرته يُمكن أن يتحوّل إلى فيلم أو مسرحية أو رواية مؤثرة، إلا أن ذلك يحتاج من المسلمين جميعاً التحرك. مشيداً بالجهود المبذولة على هذا الصعيد، ومؤكدًا على ضرورة تلاحم جهود أكبر للدفاع عن شخصية رسول الله ﷺ.

مشيراً في نهاية الخطبة أن الاهتمام بشخصية رسول الله وتبيين عظيمته للعالم ليس من أجله إنما من أجل الأمة والإنسانية، فالأمة بهذا النهج تقوى مكانتها العالمية، ويُحسب لها ألف حساب.

وأعرب عن وجوب الاعتذار لرسول الله على هذا التقصير، مضيفاً: إننا لا نستحق شخصيته، ذلك لأننا لم نحافظ على هذه الشخصية ناصعة البياض، بل سمحنا لمن سوّلت لهم أنفسهم تقديم مثل هذه الإساءة لشخصه العظيم.

الخطبة الثانية

وفي الخطبة الثانية تحدث الشيخ الصفّار حديثاً وعظيماً حدّر فيه من الوقوع في الخسارة الكبرى يوم القيامة، مقدّمًا تعريفاً للخسارة من الناحية الاقتصادية على أنها: أن يفقد الإنسان رأس ماله أو جزءاً منه. مضيفاً إن هذه الخسارة تُحدث في نفس الإنسان ألماً شديداً تتفاوت درجاته بحسب درجات الاطمئنان النفسي للإنسان. وهذه الخسارة وإن كانت باهظة الثمن إلا أن تعويضها ممكناً.

ويُتابع: وقد يفقد الإنسان من أحبته أشخاصاً، فيتألم لفراقهم، ومع ذلك فإنه قد يُسلي نفسه بمن بقي منهم.

ويؤكد على نتيجة مهمة وهي أن الخسارة الفعلية هي خسارة الإنسان نفسه، مستحضراً

مجموعة من الآيات التي تتحدث عن هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

وفي إجابته عن تساؤل يطرحه في هذا السياق: ماذا تعني خسارة النفس؟ يقول الشيخ الصفار: هناك معنيان:

الأول: خسارة الذات الإنسانية، فالإنسان عندما يعيش حياته كالبهائم، فإن حياته لا قيمة لها، ذلك لأن قيمة الإنسان بما هو إنسان يتمتع بعقله وعواطفه وفطرته. وفقده لهذه الحالة الإنسان يخسر نفسه. يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

ومن نماذج هذه الحالة أن يلهث الإنسان وراء أهوائه وشهواته، فيصبح عبداً لهواه، ويعيش المجتمع في بعض حالاته بعض هذه المظاهر ومنها ظاهرة الإدمان على المخدرات، التي أصبح لها رواج مخيف في المجتمع، مما يستدعي دق ناقوس الخطر، تحسباً لهذه الحالة المخيفة، التي بالفعل تُعد خسراً هؤلاء المدمنين لأنفسهم.

الثاني: خسارة السعادة الأخروية، فالإنسان في هذه الحياة موجودٌ لفترة محدودة وسيرحل، كما رحل آخرون، وأمامه حياة خالدة دائمة في الآخرة، فكيف هو الاستعداد لتلك الحياة، أم أنه سيكون من الخاسرين لها، كما يبين الله تعالى في الكثير من آياته الحكيمة. يقول تعالى: ﴿لَا جَزْمَ لَنَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الغنى والفقير بعد العرض على الله سبحانه وتعالى»، «لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار».

مؤكدًا أنه ينبغي لكل واحد أن يفكر بعمق في مستقبله الأخرى، فكما أنه يهتم في هذه الحياة بالسكن والمأكل وبقية متع الحياة، عليه أن يهتم بذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والحمد لله رب العالمين.

مظاهر الولاء وجوهر قضية أهل البيت عليهم السلام

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٢ صفر ١٤٢٩ هـ

أكّد سماحة الشيخ حسن الصفار على ضرورة التركيز على جوهر قضية أهل البيت (عليهم السلام) الذي يتمثل في الاقتداء بسيرتهم ومنهجهم، وإيصال فكرهم للعالم. مضيئاً: مع الأهمية البالغة للشعائر الحسينية التي تجتذب القلوب، إلا أنه ينبغي عدم الاستغراق فيها على حساب جوهر القضية. وأشار إلى عمق المأساة التي تعرضت إليها السيدة زينب في مسيرة السبي، ومع ذلك كله تسامت على الجراح وقامت بدورها الريادي في إيصال رسالة الإمام الحسين للأمة، مخاطبةً يزيد بكل جرأة: «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحيناً».

وفي سياقٍ آخر: لفت الانتباه إلى قضية مهمة وهي أن البعض يستخدم أحكام الشرع للتوصل إلى أغراضٍ غير مشروعة، فيكون الامتثال الشكلي للتمويه والتظاهر ستاراً لنقض الشرع ومخالفته. مؤكداً أن ذلك من مصاديق الاستهزاء بآيات الله تعالى.

الخطبة الأولى

لفت سماحة الشيخ في بداية خطبة الجمعة ٢٢ صفر ١٤٢٩هـ (٢٩ فبراير ٢٠٠٨م) الانتباه إلى قضية مهمة، وهي أن البعض يستخدم أحكام الشرع للتوصل إلى أغراضٍ غير مشروعة، فيكون الامتثال الشكلي للتمويه والتظاهر ستاراً لنقض الشرع ومخالفته.

مبيناً أن الشارع المقدّس إنما جعل الأحكام الشرعية قوانين وتنظيماً تنبثق من قيمٍ عاليةٍ ساميةٍ، وهذه الأحكام جاءت لخدمة تلك القيم وتأكيداً في حياة الإنسان، وذلك من أجل تحقيق مصالح الناس وسيادة العدل بينهم. مضيئاً: وأي حكمٍ شرعي يصطدم مع قيمةٍ ساميةٍ عليا، أو مصلحةٍ أساسيةٍ للإنسان، فإن الشارع المقدّس يُبيح للإنسان تجاوز ذلك الحكم الشرعي ضمن ضوابط وشروط، فالصوم مثلاً لو أضرّ بصحة الإنسان جاز له الإفطار على أن يقضي صيام ما فاته. ولو استلزم تحصيل الماء للوضوء أو الغسل الواجب إيقاع المهانة للإنسان، لم يلزمه ذلك، وإنما حكمه التيمم بدل الوضوء أو الغسل. كل ذلك من أجل الحفاظ على القيم الإسلامية العليا، وعلى المصالح الأساسية للإنسان.

وركّز حديثه على الجانب الأسري، حيث يُمارس رب الأسرة حقوقه الشرعية بطريقةٍ خاطئة، يُوقع من خلالها الأضرار بأفراد أسرته، وقد يُمارس البعض تلك التصرفات تعمداً. مؤكداً أن هؤلاء، وإن تظاهروا بالالتزام الديني، إلا أنهم في حقيقة الأمر يُمارسون اعتداءً على الدين، واستهزاءً بتعاليم السماء، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾.

وأشار إلى سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، أنها نزلت في رجلٍ من الأنصار يُدعى ثابت بن يسار، طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين راجعها، ثم طلقها، ففعل ذلك ثلاث مرات حتى مضت تسعة أشهر مضارة لها، فأنزل الله الآية. وأورد قول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية: «الرجل يُطلق حتى إذا كادت أن يحلّ أجلها راجعها، ثم طلقها، يفعل ذلك ثلاث مرات، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك». وعنه أنه قال عليه السلام: «لا ينبغي للرجل أن يُطلق امرأته ثم يُراجعها وليس له فيها حاجة ثم يُطلقها، فهذا الضرر الذي نهى الله تعالى عنه، إلا أن يُطلق ويُراجع وهو ينوي الإمساك».

وتطرق في حديثه إلى نماذج عدة تُمارس في الأجواء العائلية، كأن يقوم الأب بعضل ابنته البكر تشبهاً بحقه الشرعي، إذ يرى أغلب الفقهاء المعاصرين إذن الولي في الزواج بالنسبة بالبنت البكر، وإن كان الفقهاء أكثر المتقدمين وبعض من المتأخرين لا يرى ذلك بالنسبة للبكر الرشيد، إلا أن السائد بين أكثر الفقهاء المعاصرين إذن الولي. مؤكداً أن هذا التصرف وإن كان في ظاهره ممارسة لحق شرعي إلا أنه بعنوان آخر يدخل في حكم التحريم، ويستلزم لذلك تدخل الحاكم الشرعي، ليقوم بتزويج البنت رغماً عن أبيها إذا كان الزوج كفواً لها وثبت عضل أبيها لها.

ومن الممارسات التي ذكرها الشيخ الصفار مسألة تأديب الأبناء، إذ يعتقد البعض أن من حقه ممارسة أي تصرف مع أبنائه بحجة تربيتهم، وإن أوقع ذلك بهم ضرراً، إلا أن الإسلام وضع لذلك قوانين وأحكاماً، فلا يجوز للأب أن يوقع الضرر بأبنائه بحجة تأديبهم، وإذا قام بضررهم إلى حدٍّ إحداث ضررٍ بالولد ولو بسيطاً كاحمرار الجسم أو اسوداده أو اخضراره، فقد لزم الأب أن يدفع الدية.

وأشار الشيخ الصفار إلى سوء التعامل الذي تُواجهه بعض الزوجات من قبل أزواجهن بحجة الحق الشرعي، كأن يستخدم الزوج حقه في الإذن لزوجته بالخروج من أجل حبسها في البيت ومصادرة نشاطها الاجتماعي وعلاقاتها العائلية، وهذا مصداق واضح من مصاديق الاستهزاء بآيات الله تعالى.

وأكد الشيخ الصفار أن هذه التعاليم الإسلامية جاءت لتحفظ للإنسان مكانته وقيمه التي أرادها الله تعالى له، وللتكريم الذي كرمه الله إياه بصريح الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على ضرورة أن يُراقب الإنسان نفسه وأن يعرف أن الله تعالى مطلعٌ على النيّات، يقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾.

الخطبة الثانية

أشار ساحة الشيخ إلى المأساة الكبيرة التي واجهتها عقيلة بني هاشم سيدتنا زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) في مسيرة السبي التي رافقتها فيها مجموعة من نساء أهل بيتها مع عددٍ من الأطفال، ومعهم سيد الساجدين عليّ مريض.

مضيفاً: هذه المرأة الخفرة المخدّرة والعزيزة على قلب أبيها وجميع أفراد أسرتها، بعد ذلك العز تقف هذا الموقف مسيبةً أمام يزيد بن معاوية.

وتابع يقول: إن أعظم ما يؤلم قلب العقيلة زينب (عليها السلام) هو مواجهتها لشماتة الأعداء، وأي شماتةٍ أكبر من إبداء الفرح والسرور وإعلان العيد بدخولهم الشام، وأكبر من ذلك إحضار يزيد لرأس الإمام الحسين (عليه السلام) أمامها ليقوم بضرب الرأس الشريف بخيزران، وكان يزيد يُريد بذلك إذلال العقيلة زينب وإضعاف معونياتها، إلا أنه فوجئ بصمودها وقوة بأسها فهي تنطق عن لسان أبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتعلم السيدة زينب (عليها السلام) أنها أمام موقفٍ تاريخي ولقطةٍ ستُسجّلها الأجيال على مرّ الزمان، لذلك وقفت ذلك الموقف البطولي الذي تجاوزت فيه مشاعرها وعواطفها من أجل أن توصل رسالة الحسين للأمة، فخاطبت يزيد بكل جرأة وبسالة، وهي تقول: «ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، لكن العيون العبرى». وإذا كنت بما صنعت تريد أن تحو رسالة السماء، وتُمتّيت ذكر أهل البيت فإنك لن تصل لمرادك أبداً، «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تحو ذكرنا، ولا تُمتّيت وحيناً».

وأكد الشيخ الصفّار أن السيدة زينب (عليها السلام) كانت تنظر ببصيرتها، وتستشرف المستقبل الذي نراه اليوم من تعاضمٍ لذكر أهل البيت وتهافت القلوب والمشاعر لإحياء شعائرهم وتعظيمها، وفي المقابل فإن بني أمية وزمرتهم ذهبوا أدراج الرياح ولم يعد لهم ذكرٌ. وأضاف: إن شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) اليوم تُقام على مرأى ومسمع من العالم كلّه، ووكالات الأنباء والفضائيات تنقل هذه الشعائر لحظة إقامتها، وهذا نصرٌ كبيرٌ لثورة

الإمام الحسين عليه السلام.

وأكد الشيخ الصفار أن هذه الشعائر ينبغي أن يصل الاهتمام بها إلى جوهر قضية أهل البيت عليهم السلام التي من أجلها ثار سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام. وأشار إلى بعدين أساسيين:

البعد الأول: التمثل بسيرة أهل البيت والافتداء بهم

موجهًا رسالته للعالم الشيعي كله بأنه ينبغي أن تكون سيرة أهل البيت ومنهجهم الحياتي حاضرًا في قلوب وسلوك أتباعهم، بأن تكون أخلاقهم وسلوكياتهم نابعة من هذه المدرسة العظيمة، وأن يخلقوا من مجتمعاتهم نماذج رائدة على مختلف المستويات: العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. عندها سيزداد العالم إعجابًا بهذه المدرسة، وسيقبل عليها أكثر.

مؤكدًا أن تعاليم أهل البيت تؤكد ذلك: فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم»^(١).

وأضاف: إن أهل البيت لا يُرضيهم فقط ممارسة هذه الشعائر إن لم يكن الواقع الحياتي لشيعتهم منسجمًا مع تعاليم وسيرة أهل البيت.

البعد الثاني: إيصال فكر أهل البيت للعالم

وأكد الشيخ الصفار أن على الواعين من أتباع أهل البيت أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه إيصال فكر أهل البيت للعالم، إذ لا يصح الاستغراق في ممارسة هذه الشعائر والاكتفاء بها، دون أن يكون هناك توجه عملي لتعريف العالم بأهل البيت، فوراء هذه الشعائر فكرٌ عظيم ينبغي أن يتحمل الجميع مسؤولية إيصاله للعالم.

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «رحم الله من أحيا أمرنا»، وحين سئل: وكيف يُحيى أمركم؟ قال عليه السلام: «يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٨.

كلامنا لاتبعونا»^(١).

واختتم الشيخ الصَّفَّار الخطبة بالتأكيد على أهمية الشعائر الحسينية، وأنها تستقطب القلوب، وتنجذب لها النفوس، مؤكداً على ضرورة أن يكون إلى جانبها اقتداءً بسيرة أهل البيت عليهم السلام، وتحمل مسؤولية نقل فكرهم وعلومهم للعالم أجمع.
والحمد لله رب العالمين.

الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٩ صفر ١٤٢٩ هـ

استحضر سماحة الشيخ حسن الصفار الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ التي كان يتعامل بها مع المخالفين معه فضلاً عن المقرّبين. مؤكداً على ضرورة أن تتمثل هذه الأخلاق في حياة المصلحين، ومستنكراً حالة القطيعة والخصومة بين المؤمنين لمجرد الاختلاف في الرأي في حين أنه لا يوجد أحد يقطع بصواب رأيه، ولافتاً الانتباه إلى أن رسول الله مع يقينه بأحقية دعوته إلا أنه يُسجّل من الأخلاق أعظمها في التعامل مع المخالفين وفي مختلف الميادين الحياتية.

وفي سياق آخر أكد الشيخ الصفار على ضرورة إحاطة البنت بأكبر قدر ممكن من العاطفة والحنان نظراً لما تمتلكه من رقة المشاعر، ولما ينتظرها من دور عظيم في هذا الجانب، مؤكداً أن ذلك أدعى لتحسينها وتعميق حالة الوعي عندها وتقوية إرادتها أمام مغريات الحياة. ومستحضراً التعامل الأبوي والعاطفي العظيم الذي كان يُبدله رسول الله ﷺ ابنته الزهراء ؑ، إضافةً للاحترام والتقدير، وإشراكها معه في دعوته ورسالته.

الخطبة الأولى

تحدث سماحة الشيخ في بداية خطبة الجمعة ٢٩ صفر ١٤٢٩هـ (٧ مارس ٢٠٠٨م) عن تفسير الآيات الكريمة من سورة القلم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ*

بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾، مبيناً أن الآيات تبدأ بالقسم بثلاثة أمور:

الأول: ﴿ن﴾، ويعني القسم بالحروف التي تتكون منها الكلمات والتي يعبر بها الإنسان عن أفكاره ومشاعره. وقد بدأت كثيرٌ من السور القرآنية بالحروف لتؤكد هذا المعنى أيضاً. وهناك تفاسير أخرى لهذه الحروف المقطعة.

الثاني: ﴿وَالْقَلَمِ﴾، وهو الأداة التي يُسجّل بها الإنسان علومه ومعارفه لينقلها للأجيال والمجتمعات.

الثالث: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، وهي الكتابة التي تحكي تاريخ الإنسان وتطور معارفه. وأكد الشيخ الصفار أن هذه الأقسام إنما جاءت لتوجّه نظر الإنسان إلى أهمية هذه الأمور، فهي إضافةً لكونها تدل على عظمة الخالق سبحانه، تمثل الطريق الذي من خلاله يتقدم الإنسان ليحقق أهداف وجوده في الحياة.

ويُضيف: ثم تذكر الآيات جانباً من معاناة رسول الله ﷺ من قبل كفّار قريش، حيث اتهموه بأقصى تهمة يُمكن أن يُتهم بها أي مصلح أو صاحب رسالة، تلك التهمة التي من خلالها أنكروا وجود العقل عنده، وبالتالي لا يكون هناك مجال لسماع قوله أو لاحترامه، وجاءت هذه الآيات لتنفي هذه التهمة عنه: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وتكرر ذلك في القرآن الكريم في آيات عديدة، مما يعني أن المشركين أشاعوا هذه التهمة في الأوساط حتى يُعيقوا دعوة الرسول ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

وأشار إلى أن الرسول ﷺ واجه هذه التهمة، رغم قسوتها، بكل صمود وتفانٍ ليوجّه درساً للمصلحين عبر التاريخ بأن لا يستكينوا أما التهم التي توجّه ضدّهم، لأن الذين يعمدون لذلك إنما يُريدون زعزعة ثقة الناس بالمصلحين من جهة، وزلزلة نفس

المصلحين من جهة أخرى.

مضيفاً: وهذه التهم لا تصدر إلا من أناسٍ متقاعسين لا يهتمهم وضع مجتمعهم ودينهم ولا مذهبهم. مؤكداً على المصلحين أن يثبتوا في طريقهم وأن يعلموا أن الله تعالى معهم ومؤيدهم بنصره.

وتختم الآيات بالتأكيد على أن ذكر رسول الله وعطاء الله تعالى لرسوله باقٍ ما بقي الدهر، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي غير مقطوع. والمراهنة على وعي الناس عبر التاريخ ليروا بأعينهم لمن يكون النصر، ومن هو الذي ستتحقق فيه التهمة بالجنون: ﴿فَسْتَبْصِرْ وَيَبْصُرُونَ * بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾.

وركّز حديثه على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ مبيّناً أن الخلق تعني السمات التي يمتاز بها الإنسان بشكلٍ دائم، وهي من الخلقة، أي الحالة الطبيعية للإنسان. وتابع حديثه بالقول: إن رسول الله كان في قمة الأخلاق والنبيل في تعامله مع الناس، ليس على مستوى القرييين منه من أهله وأصحابه فقط، بل حتى مع المخالفين له. مستعرضاً جانباً من أخلاقه في بعض المواقف، ومنها:

■ كان لا يرد أحداً يسأله شيئاً عنده، فقد جاءه مرةً رجل يسأله، فلم يحضره شيء، فقال: يكون إن شاء الله. فقال: يا رسول الله أعطني قميصك، فأعطاه قميصه.

■ قال جابر وابن مسعود: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: ما عندنا اليوم شيء. قال: فتقول لك اكسني قميصك. فخلع قميصه فدفعه إليه، وجلس في البيت وتأخر عن الصلاة^(١).

■ دخل عيينة بن حصن (زعيم إحدى القبائل) على النبي وعنده عائشة، فدخل بغير إذن، فقال له النبي ﷺ: فأين الاستئذان؟ قال: ما استأذنت على رجل من

(١) الواحدي النيسابوري. نزول الآيات، ١٣٨٨ هـ، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاؤه)، ص ١٩٤.

حضر منذ أدركت! ثم قال: من هذه الحميراء إلى جانبك؟ فقال: هذه عائشة أم المؤمنين. قال عيينة: أفلا أنزل لك عن أحسن البنات وتنزل عنها؟ قال ﷺ: إن الله قد حرّم ذلك عليّ. فلما خرج قالت له عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا أحمق مطاع وإنه على ما ترين سيد قومه^(١).

■ جارٌ يهودي للنبي ﷺ مرض، فعاده رسول الله بنفسه.
 ■ بعث يوماً إلى يهودي في قرض سأله، ففعل، ثم جاء اليهودي إليه فقال: جاءتك حاجتك؟ قال: نعم. قال اليهودي: فابعث فيما أردت ولا تمتنع من شيء تريده. فقال: أدام الله جمالك. فعاش اليهودي ثمانين سنة، ما رؤي في رأسه شعرة بيضاء.

■ جماعة من اليهود عندهم حفلة عرس جاؤوه يدعون ابنته الزهراء ﷺ: لنا حق الجوار فنسألك أن تبعث فاطمة ابنتك إلى دارنا حتى يزدان عرسنا بها. فوافق وذهبت إليهم.

مختتمًا الخطبة بالدعوة إلى التأسّي بأخلاق رسول الله ﷺ وأن نُطبّقها عملياً في حياتنا اليومية، خصوصاً عندما نختلف مع الآخر، فليس هناك من يقطع بصواب رأيه، فبأي حقّ يسمح لنفسه أن يسقط حقوق الآخرين ويخصمهم، لمجرد اختلافهم معه في الرأي أو المعتقد، فهذا رسول الله ﷺ القاطع برأيه وهو الحق من عند الله تعالى، ومع ذلك نراه في قمة الأخلاق مع المخالفين له. فما أحوجنا في هذا الزمن للرجوع إلى أخلاق الرسول الأعظم لنطهر بها نفوسنا ونزكي بها أعمالنا.

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن رسول الله ﷺ عاش في مجتمع صحراوي لم

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٣٩.

يكن يمتلك من التحضر إلا بعض الخصال البسيطة كالكرم وحسن الضيافة، وأما مجمل الحالة فكانت جاهلية. وقد صرف رسول الله ﷺ جهداً كبيراً في غرس الأخلاق الحميدة في ذلك المجتمع الجاهلي، فقد كانت مجاميع من الأصحاب ينقصهم حسن الأدب في التعامل حتى مع رسول الله ﷺ، والله تعالى في أكثر من آية يبين هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وأشار إلى تفسير هذه الآية، وأن المفسرين قالوا بأن ﴿دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾ تعني أحد معنيين:

الأول: دعوة الرسول لأحدٍ لأمر ما، فقد كان بعض الأصحاب يعتبر ذلك كأى شخص يدعوه.

الثاني: مناداة رسول الله ﷺ، فقد كان البعض يُنادي رسول الله باسمه المجرد يا محمد، وهذا خلاف الأدب معه .

وفي الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن سيدة النساء فاطمة (عليها السلام) أنها قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾، هبت رسول الله أن أقول له: يا أبة. فكنيت أقول: يا رسول الله. فأعرض عني مرة، واثنتين، أو ثلاثاً. ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت مني وأنا منك، إنها نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش. قولي يا أبة فإنها أحيا للقلب وأرضى للرب. وسلط الشيخ الصفار الضوء على محورٍ أسريٍّ مهم يتمثل في علاقة الأب بالبنات من أولاده، حيث إن لهنَّ خصوصية في التربية، نظراً لأنهنَّ يمتلكن رقّةً في المشاعر لكون البنت زوجةً وأماً ومربيةً في المستقبل، وهذه الأدوار تستلزم هذا الجانب العاطفي. ودور الأب يتأكد في إشباع هذا الجانب عند البنت حتى تكون البنت محصنةً أمام المغريات الخارجية.

مشيراً أن الروايات تؤكد على جانب الاهتمام بالبنات بشكل ملحوظ، ففي الحديث: «خير أولادكم البنات»^(١)، كما أن الروايات تؤكد أنه إذا اشترى أحد لأولاده هدايا فليبدأ بالبنات. وفي الحديث: «رفقاً بالقوارير»، كل ذلك تأكيد على أهمية الاهتمام بالبنات من جهة، والتوجيه للجانب العاطفي الحساس عندهن من جهةٍ أخرى.

وحول علاقة الرسول الكريم ﷺ بابنته السيدة الزهراء أبدى إعجاباً كبيراً من ذلك التعامل الأبوي العظيم الذي أولاه رسول الله لابنته الزهراء حيث أغدق عليها العطف والحنان، وأولاه الاحترام والتقدير، وأشركها معه في أمور الدعوة والرسالة. وفي الرواية عن عائشة أنها قالت: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رَحَّبَ بها وقَبَّلَ يدها، وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحَّبت به وقَبَّلت يده. وعن ابن عمر قال: إن النبي قَبَّلَ رأس فاطمة وقال: «فداك أبوك، كما كنت فكوني». وروى القندوزي عن عائشة قالت: كان النبي إذا قدم من سفر قبل نحر فاطمة، وقال: «منها أشم رائحة الجنة»^(٢).

ويُضيف: بالعلاقة الحميمة تكون البنت أكثر حصانةً ووعياً، وتكون إرادتها أكبر أمام مغريات هذا العصر، فلا تنجرف وراء تيارات الانحراف، أما إذا فقدت البنت هذه الحالة من العطف والحنان، فإنه من السهل جداً أن تُخدع بأسهل أساليب الإغراء التي يُمارسها بعض المنحرفين في هذا الزمن.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن فراق الرسول كان بمثابة الصدمة الكبيرة للسيدة الزهراء فكان ذلك الخطب جلياً عليها، فقد خاطبته قبيل وفاته: «نفسى لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوفاء يا أبتاه، ألا تُكلمني كلمة فإني أنظر إليك وأراك

(١) مستدرک الوسائل. ج ١٥، ص ١١٦.

(٢) سليمان البلخي القندوزي. ينابيع المودة، ج ١، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ١٧١.

مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً». وبعد رحيله نادت: «يا أبتاه من ربّه ما أدناه، وا أبتاه جنة الفردوس مأواه، وا أبتاه إلى جبرائيل نعاها، وا أبتاه أجاب ربّاً دعاها». وما رؤيت ضاحكة بعده حتى لحقت به. السلام عليك يا رسول الله وعلى بضعتك الزهراء وآلك الطاهرين ورحمة الله وبركاته. والحمد لله رب العالمين.

بين قمة المؤتمر الإسلامي وقمة الاتحاد الأوروبي

خطبة الجمعة بتاريخ ٦ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

قارن سماحة الشيخ الصّفّار بين قمة المؤتمّر الإسلامي وقمة الاتحاد الأوروبي في مدى تمثيل كلا القمّتين للإرادة الشعبية العامة، وفي المستوى المؤسّساتي الذي تعيشه الدول المشاركة في القمّتين، وأيضاً الخطط وبرامج التنمية والتطوير التي تطرحها القمّتان، إضافةً إلى إرادة التعاون بين المشاركين في كلا القمّتين، منتهياً به الموضوع إلى الفرق الشاسع بين ما يعيشه العالم الإسلامي من وضعٍ مهترٍ وبين الوضع المتقدم الذي تعيشه تلك الدول. وأشار في حديثه إلى أن قيام منظمة المؤتمّر الإسلامي عام ١٩٦٩م انما جاء ردّاً على العدوان الإسرائيلي على المسجد الأقصى، لكن قضية فلسطين لم تحظ بالاهتمام الجاد، ولم ينته العدوان على المسجد الأقصى.

وفي سياقٍ آخر تحدث عن أسبوع المرور الخليجي ٢٤ مؤكداً أهمية الاهتمام بهذه المناسبة على المستوى الاجتماعي العام وليس على المستوى الرسمي فقط، ومركّزاً على ضرورة نشر الوعي بقوانين المرور حتى نقي المجتمع أخطاء الحوادث المتكررة.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصّفّار في بداية خطبة الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٢٩هـ (١٤ مارس ٢٠٠٨م) إلى أن القرآن الكريم حينما يتحدث عن أوضاع الأمم السابقة إنما من أجل أخذ الدروس والعبر خصوصاً وأن الأمة الإسلامية كانت في مرحلة النشوء والتكوين فهي

بحاجة ماسة لتعرف تلك التجارب والاستفادة منها.

وبين أن القرآن الكريم ركّز على تاريخ الأقسام التي أظهرت العداوة للأمة الإسلامية حتى تتعرف الأمة مكنونات هذا العدو وتستطيع مواجهته، وكان من أبرز تلك الأقسام اليهود، ولذا تكرر ذكر صفاتهم وأوضاعهم في القرآن الكريم. وأضاف: وباعتبار أن تاريخ اليهود فيه الكثير من الدروس والعبر التي ينبغي الاستفادة منها كان ذلك عاملاً مهماً في تكرار الحديث عن اليهود في القرآن الكريم.

وأكد الشيخ الصفار أن أوضاع الأمم ليست ثابتة، وإنما قد تعيش بعض الأمم وضعاً معيناً في فترة زمنية ثم يتغير ذلك الوضع، سواءً من كونه سيئاً إلى حسن، أو العكس. وأشار إلى قوله تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ مبيناً أن هذه الآية تتحدث عن صفتين رئيسيتين كان المجتمع اليهودي يُعاني منهما، وهما:

■ الصراعات الداخلية العنيفة.

■ عدم التوافق في المقاصد والتوجهات والنيّات.

مؤكدًا أن هاتين الصفتين خطيرتان جدًّا، وهما مرتبطتان ببعضهما، إضافةً إلى أنهما من أعظم ما يُمزق وحدة الأمة، لذا كان من الضروري على الأمة أن تتجنب الوقوع في هذا الفخ الخطير.

وقارن الشيخ الصفار بين الوضع الراهن للأمة الإسلامية وبين اليهود مؤكداً أنهم تجاوزوا حالة الصراعات الداخلية وعدم التوافق فيما بينهم، ولكن المسلمين بعد أن كانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، أصبحت هاتان الصفتان متمركزتين في الوضع الإسلامي بشكل ملحوظ.

وأضاف: لقد استطاع اليهود أن يجعلوا لهم قيمة عليا على مستوى العالم، بحيث أصبح الدم اليهودي غالي الثمن، بل لا يستطيع أحد أن يُشكك، فضلاً عن أن يطعن،

في المحرقة اليهودية (الهولوكوست). بينما تجد أن نبي الإسلام محمد يتعرض بين حين وآخر لرسومات ساخرة، وتؤلف كتب تسخر من القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الأعظم، كما تُنتج أفلام للحط من قدر المسلمين، وليس هناك من يعترض أو يعلن موقفاً شجاعاً تجاه ذلك، ولو قام البعض بمواقف فهل يُحسب لهم حساب.

وأكد أن الآية الكريمة: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، توضح السبب الحقيقي وراء ذلك.

وانتقد الشيخ الصفار الموقف الإسلامي والعربي العام تجاه المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين، مؤكداً أن هذه المقاومة هي التي ستعيد للأمة مجدها، ولا يمكن أن يكون هناك سلام عادل بين اليهود والمسلمين طالما أن المسلمين يعيشون حالة الضعف، مبيناً أن القوة التي تحتاجها الأمة لا تتمثل في قوة السلاح وحسب، بل تتعداه إلى قوة الاقتصاد والعلم والتنمية.

وأشار إلى أن المسلمين من أجل أن يواجهوا هذا العدوان الصهيوني قاموا بإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٦٩م، ومن ذلك الحين لم يتغير وضع المسلمين بل ازداد سوءاً، وأعظم من ذلك هناك الكثير من الدول العربية والإسلامية ترى بأن لا مجال إلا الاعتراف بإسرائيل وضمن شروط إسرائيل نفسها.

وأضاف: في الوقت الذي ستعقد فيه قمة المؤتمر الإسلامي تنعقد أيضاً قمة للاتحاد الأوروبي، وشتان بين القمتين، مسلطاً الضوء على بعض الفروقات الجوهرية بين القمتين:

أولاً: مدى تمثيل الإرادة الشعبية، ففي القمة الأوروبية كل زعيم يمثل إرادة شعبه، بينما الأمة الإسلامية لا تعيش هذه الحالة المتقدمة في نظام الحكم في الكثير من بلدانها. ثانياً: المستوى المؤسسي، فالمجتمع الأوروبي تحكمه مؤسسات، بينما العالم الإسلامي في غالبه تحكمه القرارات الفردية أو الحزبية.

ثالثاً: خطط التنمية والتطوير، ففي القمة الأوروبية تناقش خطط للتنمية والتطوير، إذ من المقرر مناقشة: مشروع لمعالجة تلوث البحر المتوسط، وتحسين وصول مياه الشرب، وخطط لاستخدام الطاقة الشمسية، وإنشاء طرق بحرية سريعة. أما القمة الإسلامية فكيف لها أن تُناقش مثل هذه المشاريع وهي تقبع تحت وطأة الصراعات الداخلية والخارجية، إذ إن الكثير من الدول الإسلامية المشاركة تعيش وضعًا مأساويًا، العراق والصومال وأفغانستان والسودان ولبنان، وغيرها.

رابعًا: إرادة التعاون، إذ إن القمة الأوروبية تنعقد من أجل بلورة التعاون فيما بينهم، بينما نجد ان إرادة التعاون في العالم الإسلامي تعاني من هزال وضعف شديد... وعلّق الشيخ الصفّار على هذه النقطة بأن الزعماء العرب والإسلاميين لا يُلامون كثيرًا على هذه الحالة، إذ إنها أقرب إلى أن تكون حالة عامة في المجتمعات الإسلامية، ففي مجتمعاتنا الصغيرة وبين فئات المجتمع المحدودة قلّ أن تجد هناك تعاونًا مشتركًا يخدم المصالح العليا، فبين العلماء ليس هناك تعاون، وبين الوجهاء كذلك، وأيضًا بين رجال الأعمال، وكذلك بين الناشطين في المجال الثقافي والديني، فعندما نجد هذه الحالة متكررة بين الزعماء إنما هي تكشف عن واقع عام يعيشه المسلمون فيما بينهم. واختتم حديثه بالتأكيد على أن تجاوز هذه الحالة يكمن في تغيير العقلية والنفسية التي يعيش بها إنسان المجتمع الإسلامي.

الخطبة الثانية

بمناسبة أسبوع المرور الخليجي ٢٤ تحدث الشيخ الصفّار عن أهمية هذه المناسبات وضرورة توسيع دائرة الاهتمام بها من الإطار الرسمي إلى الإطار الشعبي والاجتماعي العام، حتى يشعر كل واحد بأنه معني بالأمر. مؤكدًا أن مسؤولية هذا الأمر تتحملها الجهات الرسمية بالدرجة الأولى، والناس أنفسهم يتحملون جانبًا من المسؤولية أيضًا،

فكما يهتم المجتمع بالمناسبات الدينية ويُقدّسها ينبغي كذلك الاهتمام بهذه المناسبات وإشاعة ثقافة عامة في المجتمع لتأكيد أهمية هذا الأمر.

وأضاف: إن الشارع المقدّس يأمرنا بالمحافظة على أنفسنا والتزام قوانين المرور من أبرز مصاديق ذلك، إذ إن أغلب الحوادث المرورية سببها الأخطاء التي تُرتكب أثناء قيادة السيارة. والقرآن الكريم ينهانا عن أن نُؤذي أنفسنا أو نُؤذي الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

ومن ناحية عقلية فإن علينا أن نكون واعين بمصالحنا، فليس من الضروري أن يكون هناك قانون فرض عقوبة حتى يلتزم الإنسان بما فيه مصلحة له، فقطع إشارات المرور، وعدم ربط حزام الأمان، واستخدام الجوال أثناء القيادة، كلها تُسبب ضرراً كبيراً للإنسان والتزامها من مصلحة الإنسان نفسه، فلماذا يكون هناك تهاونٌ في تطبيق هذه القوانين.

وأشار الشيخ الصفار في حديثه عن أسبوع المرور الخليجي ٢٤ إلى الإحصائيات الرسمية حول الحوادث المرورية ففي العام المنصرم ١٤٢٨ هـ حصل في المنطقة الشرقية وحدها (٦٢) ألف حادث مروري، راح ضحيتها (٩٠٠) شخص، إضافةً إلى آلاف الإصابات والإعاقات.

وفي محافظة القطيف وحدها: (١٣٢٥٨) حادثاً، راح ضحيتها (٧٢) شخصاً توفوا.

ومن داخل مدينة القطيف نفسها توفي بسبب الحوادث: (٣٣) شخصاً.

وتُشير الإحصائيات إلى أن الفئة العمرية في أغلب المتوفين تتراوح بين ١٨ - ٢٩ سنة. أي إن الضحية الكبرى من فئة الشباب، وفي ذلك خسارة كبيرة للمجتمع، مما يستدعي أن ندق ناقوس الخطر، وأن يتوجه الجميع لهذا الجانب المهم.

وأكد في ختام الخطبة على أن الوعي بقوانين المرور هو الحصانة الأساس لتجاوز هذه

الحوادث، إضافةً إلى الوعي العام الذي يجعل الإنسان يتجه إلى ما يخدم مصالحه وأهدافه ومصالح مجتمعه بشكل عام.
والحمد لله رب العالمين.

ترشيد استهلاك الماء

خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن موسى الصفار لترشيد استهلاك الماء، فهو نعمة الله تعالى على الإنسان، وحسن استخدامه من أجل صور شكر هذه النعمة. مؤكداً على ضرورة أن يكون يوم الماء العالمي مناسبة لنشر الوعي بهذا الجانب المهم في المحيط الأسري والاجتماعي. مشيراً إلى طبيعة الاستخدام العام عند الأفراد، وأن الإنسان الخليجي هو الأعلى استهلاكاً للماء على مستوى العالم. ودعا للاستهداء بسيرة الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرين حيث يؤكدون على أهمية التعامل الإيجابي مع الماء.

وفي سياقٍ آخر حذّر من الوقوع في مصائد الشيطان والانحراف حيث الصراع الشديد الذي يعيشه الإنسان بين العقل وأهوائه، مؤكداً على ضرورة أن يتحصّن الشباب والفتيات بالوعي وأن يعيشوا الحذر واليقظة، وأن يكونوا أقوياء أمام إغراءات الشيطان وتزيينات الأهواء والشهوات.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ- ٢١ مارس ٢٠٠٨م، إلى أهمية الماء وأنه النعمة التي بها يعيش الإنسان وتستمر بوجوده حياته، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾، وكذلك حياة جميع الموجودات قائمة على أساس وجود الماء. مبيناً نسب الماء في بعض الموجودات الحية، ففي الإنسان مثلاً، ثلثا

جسمه يتكون من الماء، وثلاثة أرباع الدجاجة ماء، وأربعة أخماس الأناناس ماء. وأضاف: إن استخدامات الماء لا تقتصر على الشرب فقط، وإنما تتعداه إلى ما هو أوسع من ذلك بكثير، فالماء يُستخدم في جميع مجالات الحياة الزراعية والصناعية. منتهياً بالحديث في ذلك للتأكيد على أن الماء نعمة كبيرة، وقد يغفل الإنسان عن ذلك، لذلك جاءت آيات القرآن الكريم لتُذكر الإنسان بهذه النعمة، فيشكر الله تعالى عليها، ويتأمل في أفضل طرق استخدامها.

وتطرق الشيخ الصَّفَّار بمناسبة يوم الماء العالمي الذي يُصادف يوم السبت ١٤ ربيع الأول (٢٢ مارس) إلى موضوع في غاية الأهمية خصوصاً في وقتنا الحاضر، وهو: ترشيد استهلاك الماء، حيث يتعامل الناس مع الماء بطريقة غير إيجابية وفيها جانب من الإسراف كبير، وهذا ما نهى الشارع المقدّس عنه. ويعتبر البعض أن الماء متوفّر ورخيص الثمن، فلا يُعير لطرق استخدامه للماء أهمية كبرى. بيد أن الأوضاع الحالية في العالم قد تغيّرت، مع أن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ماء، إلا أن الجزء الصالح للاستخدام منها فقط ٣٪. وتعاني كثير من الدول صعوبة في إنتاج الماء الصالح للاستخدام إذ إنه يُكلّف مبالغ ضخمة جدّاً، خصوصاً المناطق الصحراوية في العالم.

مشيراً إلى الكلفة الاقتصادية العالمية للموارد المائية:

- كلفة المتر المكعّب من المياه الجوفية غير المعالجة: ريلان.
- كلفة المتر المكعّب من المياه الجوفية المعالجة: ٥ ريلات.
- كلفة المتر المكعّب من مياه البحر المحلاة بالتبخّر: ١٥ - ٢٥ ريالاً.
- كلفة المتر المكعّب من مياه البحر المحلاة بالتناضح العكسي: ٦ - ٨ ريلات.
- نقل المتر المكعّب إلى مسافات طويلة: ١٥ - ٢٥ ريالاً.

وأضاف: نحن في منطقة صحراوية شديدة الجفاف والحرارة، وبالتالي فإن توفير المياه الصالحة للاستخدام فيها صعوبة بالغة، وتنتج السعودية (٦٠٠) مليون جالون من المياه

المحلاة، عبر ٢٥ محطة لتحلية المياه، منها ٢١ محطة على البحر الأحمر و٤ محطات على الخليج العربي.

وأشار إلى طبيعة الاستخدام العام للماء عند الأفراد، وتقول الدراسات: كل فرد يستهلك يومياً (٢٦٠) لترًا من الماء، وفي أثناء السباحة فقط يستهلك بين (١١٥) إلى (١٥٠) لترًا. وفي كل مرة يُسحب فيها (السيفون) في دورة المياه يتم استهلاك (١١) لترًا من الماء. وفي كل دقيقة يقف الإنسان تحت دش الماء يستخدم (١٩) لترًا من الماء. والاستخدام الواحد لغسالة الملابس يستهلك (١١٥) لترًا من الماء.

وحذّر الشيخ الصقّار من خطورة جفاف المياه، مشيرًا إلى أن عيون الآبار القديمة التي كانت الناس تستفيد منها قد غار ماؤها، ولذلك يحذر الله تعالى عباده من أن يفتقدوا نعمة الماء ولا أحد غير الله تعالى قادر على إمدادهم بها، يقول تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾.

موجّها خطابه للمصلّين بضرورة الاهتمام بترشيد استهلاك الماء، فذلك يعكس صورة إنسان هذا المجتمع الذي ينتمي إلى أعظم دين وهو الإسلام، معربًا عن أسفه لما هو عليه الواقع اليوم، حيث تؤكد الدراسات على أن الإنسان الخليجي هو الأعلى استهلاكًا للماء على مستوى العالم، وبالتأكيد في هذا الاستخدام جانب من الإسراف وعدم الترشيح كبير جدًّا، وهذا خلاف التعاليم الدينية السمحاء التي جاء بها القرآن الكريم ودعا إليها رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين. يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، ومّرّ رسول الله على سعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهرٍ جارٍ^(١). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء»^(٢). وفي السيرة كان رسول الله ﷺ

(١) مسند أحمد بن حنبل. ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ٣٠٣.

يتوضأ بمد، ويغتسل بصاع، والصاع يعني أكثر بقليل من قنينة ماء بسعة لتر ونصف، والمد هو ربع هذه القنينة.

مختتمًا الحديث بالتأكيد على ضرورة ترشيد استهلاك الماء، وتجنب مظاهره المتعددة، وداعياً إلى بث جانب الوعي في الأسرة في هذا الموضوع، وليكن اليوم العالمي للماء مناسبة للتذكير بأهمية هذا الجانب، وأن يكون للمسلمين السبق في الاهتمام بالماء لما يدعو إليه دينهم وتؤكد عليه سنة نبيهم وسيرة أهل بيته الطاهرين.

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية على أهمية العقل وأن الله تعالى قد وهب الإنسان عقلاً ليسترشده في دروب الحياة، وفي المقابل ابتلاه بالغرائز والشهوات التي تضغط على الإنسان وتدفع به إلى الانحرافات التي تُرديه وتضره. ولهذا المعادلة التي يعيشها الإنسان دور كبير في تحديد أهلية الإنسان لدخول الجنة بعد أن تتلقاه رحمة الله تعالى أو لا.

وأضاف إن المحرك الأساس لهذه الإغراءات هو الشيطان الرجيم، والشهوات هي أدواته، ومن يعيش الغفلة يستجيب لدعوات الشيطان، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وشدد على ضرورة التزام الوعي والتحلي بالعقلانية في مواجهة الصراع القائم بين العقل والشهوات والأهواء، معرباً عن قلقه الشديد للوضع الراهن الذي تعيشه مجاميع من شباب المجتمع، حيث بدأ المجتمع يدخل في نفق جديد من الإجرام والانحراف متمثلاً في استغلال سطحية البعض من خلال مكالمات هاتفية مقلّدين فيها أصواتاً نسائية من أجل الإيقاع بهم للسرقة، وفي بعض الحالات تصل إلى القتل، مشيراً إلى حادثة وقعت

في المنطقة خلال الأسبوع المنصرم، حيث استدرج عدد من الشباب شخصًا بتقليد أحدهم صوت امرأة تدعوه لعلاقة عاطفية، فلما وقع في قبضتهم سرقوا ما عنده، وعندما قاومهم خنقوه، وهذا يكشف عن واقع خطير يمر به المجتمع. فمن جهة حالة الإجرام، ومن جهة أخرى السطحية التي يعيشها الشباب والاندفاع الشديد نحو مسببات الشهوة.

وأضاف: إن الله تعالى في القرآن الكريم يُذَكِّرنا بقصة أبينا آدم وأمنا حواء حيث كان سبب إخراجهما من الجنة استجابتهما للشيطان الرجيم، يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وأكد في ختام الخطبة على ضرورة أن يتحصن الشباب والفتيات بالوعي وأن يعيشوا الحذر واليقظة، وأن يكونوا أقوياء أمام إغراءات الشيطان وتزيينات الأهواء والشهوات.

والحمد لله رب العالمين.

معالم الرسالة وواقع الأمة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

قارن سماحة الشيخ حسن الصفار بين معالم الرسالة المحمّدية في سالف عهدها عندما كانت بقيادة رسول الله ﷺ وبقيادة نهجه المبارك، وبين واقع الأمة في هذا اليوم، مسلّطاً الضوء على ثلاثة من أبرز معالم الرسالة، وهي: الإعلاء من شأن الإنسان واحترام قيمته وحقوقه، إثارة العقل ومحورية العلم في حياة الإنسان، وصنع المجتمع الحضاري والأمة الرائدة. بينما الأمة اليوم تعيش أقسى الانتهاكات لحقوق الإنسان، وقد انشغلت الأمة عن العلم والمعرفة بجداولٍ نظرية وبصراعاتٍ تاريخيةٍ أكل عليها الدهر وشرب، أما عن المجتمع الحضاري فقد أوضحت الأحداث التي واكبت انعقاد القمة العربية مدى هشاشة الوضع العربي على مستوى العالم، مشيراً إلى ثلاثة مظاهر أفرزها الواقع العربي، وهي: الفشل أمام التحدي الأكبر وهو العدوان الإسرائيلي، الفشل في تحدي التنمية والبناء، وأخيراً الفشل في التعاون المشترك.

الخطبة الأولى

سلّط الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٩هـ (٢٨ مارس ٢٠٠٨م) الضوء على بدء نشوء الأمة الإسلامية التي تكوّنت على يدي رسول الله ﷺ، وانطلقت دعوتها ورسالتها من بعثته، حيث تعيش الأمة الفرحة والسرور بذكرى ميلاد منقذ البشرية الرسول الأعظم . مشيراً إلى المكانة الكبيرة لهذه الأمة حيث وصفها القرآن

الكريم بأنها خير أمة، يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، مبيِّناً أن لفظه ﴿كُنْتُمْ﴾ لا تعني الوجود في الماضي المنقطعة فيما بعد، وإنما تعني أساس الوجود، بغض النظر عن الاستمرار أو الانقطاع، والله تعالى يستخدم ذلك في القرآن الكريم، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. وتابع متأملاً في قوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قائلاً: هذه الأمة لم تُخرج ذاتها بذاتها، وإنما صاغ الله تعالى روح هذه الأمة ورسالة هذه الأمة. وأضاف: هذه الأمة لم تُخرج لذاتها فقط وإنما للناس، فليس مطلوباً منها أن تُصلح وضعها فقط، وإنما مطلوب منها أن تُصلح أوضاع البشرية جمعاء.

وأشار إلى الصفات التي تؤكد الآيات الكريمة والتي بها تحقق كون الأمة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يقول تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، مؤكداً أن مسؤولية الأمة الأمر بالمعروف بمعناه الشامل الواسع الذي يشمل كل ما يأمر به الشرع والعقل، وأيضاً مواجهة المنكر ليس على مستوى واقع الأمة فقط وإنما على مستوى البشرية جمعاء.

وأكد أن الأمة في سالف عهدها عندما كانت بقيادة رسول الله وبقيادة نهجه المبارك تحققت فيها هذه الصفات، فكانت خير أمةٍ أُخرجت للناس، وأشار إلى ثلاثة معالم وملامح للأمة هي الأبرز في ظل الرسالة:

أولاً: الإعلاء من شأن الإنسان واحترام قيمته وحقوقه. بعد أن كان الإنسان قبل الإسلام منتهك الحقوق، فكانت هناك سلطة تستعبده، وكانت هناك طبقة تُهين مختلف شرائحه، وكان هناك تنازع وتصارع على المصالح المادية تسفك فيه الدماء، وتنتهك فيه الحرمات والأعراض. وجاء الإسلام وأعلى من قيمة الإنسان، وتحدث عن الإنسان باعتباره أفضل مخلوق في هذا الكون، وباعتباره خليفةً لله في الأرض، وأن الكرامة منحة له من قبل الله تعالى.

ثانيًا: إثارة العقل ومحورية العلم في حياة الإنسان، بعد أن كانت البشرية تعيش الخرافات والجهل والأساطير والأوهام، فجاءت رسالة الإسلام لتلفت الإنسان إلى عقله، يقول رسول الله: «العقل أصل ديني»^(١)، وقال الإمام علي في حديثه عن بعثة الأنبياء: «وليثيروا للناس دلائل العقول»^(٢). فانطلق الإنسان بوعيه وعقله لتسخير ثروات الكون، ولاكتشاف أسرارها.

وأكد أن المنصفين في الحضارة الغربية اليوم يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية في إنجازات هذه الحضارة التي يشهدها العالم الآن.

ثالثًا: صنع المجتمع الحضاري والأمة الرائدة، من تلك القبائل المتفككة والمتناثرة والمتنازعة صنع الإسلام منها مجتمعًا رياديًا.

وعلق الشيخ الصفّار على واقع الأمة الإسلامية اليوم، مستفهمًا: هل أن هذه المعالم بارزة ومتجسدة في واقع الأمة؟ معربًا في إجابته عن أسفه الشديد، حيث إن الأمم الأخرى قد نافست الأمة في تلك المعالم وسبقتها، في حين أن الأمة بقيت بعيدًا عن هذا الركب، مشيرًا إلى أن التقارير العالمية حول حقوق الإنسان تؤكد أن الكثير من بلاد المسلمين تعيش أفظع الانتهاكات في حقوق الإنسان. وفي مجال استخدام العقل ومحورية العلم فإن المجتمعات الأخرى قد انطلقت في آفاق العلم والمعرفة وبقيت هذه الأمة - مع الأسف الشديد - منشغلة عن العلم والمعرفة بجداولٍ نظرية وبصراعاتٍ تاريخية أكل عليها الدهر وشرب. مؤكدًا أن السبب لا يعود لنقص في وجود الكفاءات والقدرات والثروات، بل لأن الأجواء العامة التي تعيشها الأمة ليست أجواءً مشجعة على المعرفة، ولا دافعة للعلم.

مشيرًا إلى دراسة نُشرت من قبل جامعة الدول العربية تتحدث عن هجرة العقول

(١) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ١٧٣.

(٢) نهج البلاغة. خطبة رقم ١، ص ٢٣ «صفة خلق آدم».

والأدمغة العربية، وتندق ناقوس الخطر بأن نسبة هجرة العقول في العالم العربي قد تضاعفت في هذه السنوات الأخيرة، وتقول الدراسة إن (٧٠) ألف متخرج من الجامعات العربية يُهاجرون سنوياً من بلدانهم، مما يُكلّف الدول العربية بليون ونصف البليون دولار، و (٥٠٪) من الأطباء في العالم العربي يُهاجرون إلى أمريكا وكندا وأوروبا، و (٢٣٪) من المهندسين، و (١٥٪) من العلماء من مجموعة الكفاءات العربية يُهاجرون سنوياً. وكذلك فإن (٥٤٪) من الطلاب الذين يذهبون للدراسة في البلاد الأجنبية لا يعودون إلى بلادهم، لأنهم يجدون المكان المناسب للاستقرار وللتفاعل والعطاء، وبغض النظر عن أنه ملوم أو غير ذلك.

وتشير الدراسة أن (٣٤٪) من الأطباء العاملين في بريطانيا من العرب، وتُضيف الدراسة أن نسبة العقول العربية التي تأتي لتعمل في دول مجلس التعاون الخليجي تقلّصت من (٧٢٪) من الكفاءات يستقطبها الخليج سنة ١٩٧٥م، إلى ما بين (٢٥٪) إلى (٢٩٪) سنة ٢٠٠٢م^(١).

وتساءل: كيف يمكن للأمة أن تستعيد مجدها ومكانتها وهي تعيش هذا الواقع؟ مؤكداً أن أسلوب إلقاء اللائمة على الآخرين غير مجدٍ بل ينبغي أن يتحمل كل مسؤوليته تجاه واقع أمته، فكما يقول الحديث: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته»^(٢)، وكلٌّ حسب موقعيته ومكانته.

وأكد أن حقوق الإنسان لا تُنتهك من قبل الحكومات والسلطات فحسب، وإنما قد يُمارس الأب ذلك مع أسرته، أو المدير مع موظّفيه، أو بين الناس بعضهم بعضاً. وفي المجال العلمي والمعرفي يأتي دور فاعلية الأفراد كأساس للانطلاق في الجانب العلمي. واختتم الخطبة بالتأكيد على ضرورة التأمل في نشأة هذه الأمة، ليقرر كل واحدٍ

(١) جريدة الحياة. ٢٤ مارس ٢٠٠٨م.

(٢) صحيح البخاري. ج، ١، ص ٢١٥.

الالتزام بتلك المعالم والملامح التي صنعت من الأمة ﴿حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ليقوم الجميع بالتبشير بهذا الوعي وبهذه الثقافة.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في خطبته الثانية إلى أن أيام المولد النبوي الشريف في هذا العام تُصادف انعقاد القمة العربية، التي تنعقد في دمشق، مؤكداً أن الأحداث التي واكبت انعقاد هذه القمة يُظهر مدى هشاشة الوضع العربي، فقد عكست حالة الوهن والضعف والتمزق التي تحتاج هذه الأمة العربية.

مشيراً إلى أن هذه الأمة كانت تعيش تمزقاً قبل الإسلام، فتوحدت تلك القبائل المتنازعة بالإسلام، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾، مؤكداً أن الأمة لم تُحافظ على روح الأخوة الإسلامية، ولم تُحافظ على النهج الذي يضمن ألفتها وانسجامها وتضامن أبنائها، بسبب تعاقب المستبدن السياسيين في تاريخ هذه الأمة، وما أنتجته عهود الاستبداد من ثقافات تجزئية تُحرّض المسلمين على بعضهم بعضاً، وتجعل النفوس تُعاني من الأحقاد وسوء الظن تجاه بعضهم بعضاً، إلى أن وصلت الأمور إلى الواقع المعيش. مضيئاً: والأعداء يشمتون بنا، وحقّ لهم أن يشمتوا بنا.

ووضع يده على الجرح الأكبر في تاريخ الأمة المعاصر المتمثل في الوجود الإسرائيلي الغاصب، موجهاً النظر إلى الفارق الكبير بين ما يعيشه هذا الكيان من الدلال والموقعية العالمية رغم ضآلة عددهم مقارنة بالعدد السكاني العربي، ولكنهم أثبتوا وجودهم على مستوى العالم، فبعد أن كانوا منبوذين في العالم، إلا أنهم وحدوا صفوفهم وأجمعوا أمرهم، حتى أصبحت الدول الكبرى في العالم وحكامها يتوددون لقادة إسرائيل، ويتملقون لهم.

مضيفاً إن الحاكم الأمريكي لكي يضمن مرشحين أكثر فعليه أن يأخذ البركة من إسرائيل، وأن يُظهر تأييده ودعمه غير المحدود لإسرائيل. وتابع: حتى الدول التي كانت بينها وبين إسرائيل عداوات سابقة كألمانيا، نجد اليوم الوضع تغير، بحيث إن مستشارة ألمانيا حينما ذهبت لإسرائيل قدّمت الاعتذار الشديد للشعب اليهودي على ما يُعرف (بالهولوكوست)، وقالت: إنها تشعر بفخر شديد لأن الكنيسة الإسرائيلية سمح لها أن تلقي كلمتها بالألمانية أمامه.

وأضاف الشيخ الصفار: وأعظم من ذلك، فإن العالم كلّ يغض الطرف عن جرائم إسرائيل، وعن مجازرها، وعن الفتاوى العنصرية الوحشية التي تصدر من الزعامات الدينية في إسرائيل، ومنها الفتوى التي صدرت من كبار الحاخامات الإسرائيليين والتي تُطالب بتطبيق الحكم الذي ورد في توراتهم في التعامل مع العمالة (قوم عملاق) أن تُطبّق في حقّ الفلسطينيين، وتنص هذه الفتوى على: أن من يُحدّث نفسه بكراهية إسرائيل فإنه يضح ذبحهم وقتلهم، وذبح أطفالهم ونسائهم وعجائزهم وسحق بهائمهم. ورغم ذلك لا أحد يستنكر عليهم ذلك في العالم.

وبلغة استنكارية يقول الشيخ الصفار: وفي المقابل هذا الهوان الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية، حيث يُساء إلى نبي الأمة محمد وتبارى عشرات الصحف في أوروبا على نشر هذه الإساءات، ويُذبح أبناء الإسلام في كلّ مكان، وليس من مدين أو متعاطف، مؤكداً أن السبب يرتبط بالواقع الذي تعيشه الأمة.

وعقّب على ذلك، بقوله: إن القمة العربية مظهر ومرآة لما تعيشه الأمة، وأشار إلى ثلاثة أمور واضحة:

أولاً: الفشل أمام التحدي الأكبر وهو العدوان الإسرائيلي. فليس هناك تبني لخيار المقاومة والمواجهة، وليس هناك قدرة على تفعيل مبادرة السلام العربية. مستنكراً حالة إساءة الظن بين العرب والمسلمين تجاه بعضهم، مؤكداً على حرية تعدد الاتجاهات، مع

ضرورة استفادة كل اتجاه من الآخر. فلا يصح تخوين واتهام من يتبنى سلاح المقاومة بل يجب أن ندعمه للحفاظ على شرف الأمة ومكانتها، وفي المقابل فليتحرك السياسي في الاتجاه الذي يرتئيه، ولتكن المقاومة ورقة من الأوراق التي يستفيد منها في تعزيز موقفه في طلب السلام.

ثانياً: الفشل في تحدي التنمية والبناء، فهذه الدول مع ما عندها من إمكانات وثروات إلا أنها لم تستطع أن تُثبت جدارتها على هذا الصعيد، في حين أن دولاً تمتلك إمكانات أقل من دول العالم العربي والإسلامي إلا أنها نمت اقتصادها، وطوّرت أوضاعها، فلماذا العرب فاشلون في تحدي التنمية والبناء.

ثالثاً: الفشل في التعاون المشترك، في حين أننا نجد الأوروبيين على ما بينهم من اختلافات، وما خلفهم من تاريخ صراع دموي قد تعاونوا واتحدوا فيما بينهم. واختتم الشيخ الصفار خطبته بالتأكيد على ضرورة التأمل والتفكير، وأن يبدأ كل واحدٍ من نفسه، لا أن يُحمّل الآخرين والجهات العليا المسؤولية فقط، عسى الله إن عدنا إلى نهجه وهديه أن يرحمنا وأن يُغيّر سوء حالنا.

والحمد لله رب العالمين.

الخطاب الديني والتحديات الداخلية

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ

كان التحديّ الأكبر أمام الخطاب الإسلامي في حقبة ماضية هو مواجهة التيارات المناوئة للإسلام.

ففي بدايات القرن التاسع الميلادي أدرك دعاة الإسلام خطر حملات التبشير التنصيري التي واكبت الاحتلال الأوربي للبلاد الإسلامية، وكان إلى جانبها نشاط استشراقي مكثف يهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم، وسيرة النبي ﷺ، والمفاهيم والتشريعات الإسلامية، طفحت به كتب كثير من المستشرقين ودراساتهم.

فانبرى المخلصون الواعون من علماء الأمة بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم لردّ هذه الهجمات العاتية، وبذلوا قصارى جهدهم للوقوف أمام تلك الموجات العارمة، رغم محدودية إمكاناتهم قياساً بقدرات الغزاة الذين يستندون إلى ميزانيات ضخمة، وهيمنة عسكرية سياسية، ومراكز أبحاث وتخطيط.

وفي العقود الأولى من القرن العشرين للميلاد، كانت هناك معركة أخرى تنتظر دعاة الإسلام، هي أشد شراسة من حملات التنصير وشبهات الاستشراق، وهي مواجهة المدّ الشيوعي والتيارات العلمانية المناوئة للدين. ذلك أن معظم التيارات العلمانية التي ظهرت في البلاد الإسلامية، أخذت منحى المحاربة والمناوأة للدين، بخلاف معظم

تيارات العلمانية في الغرب التي التزمت الحياد تجاه الدين. فقد استثمرت هذه التيارات المناوئة أرضية السخط والرفض للواقع السيئ المتخلف لدى جماهير الأمة، وتبنت شعارات الثورة والنهوض، داعية إلى التنكر للدين والتخلص منه، لأنه يتحمل مسؤولية تخلف الأمة وانحطاطها. وتمكنت هذه التيارات من استقطاب شرائح من أبناء الأمة، ووصلت إلى مواقع السلطة والحكم في عدد من البلدان العربية والإسلامية، عبر الانقلابات العسكرية، والتنظيمات الحزبية.

فكانت المعركة عنيفة قاسية في بعدها الفكري والسياسي، حيث عانى دعاة الإسلام من قمع الأنظمة التي انبثقت من هذه التيارات المناوئة.

وما كاد ينتهي القرن العشرون حتى انحسر مد تلك التيارات، وظهرت طلائع الصحوة الإسلامية، وارتفعت رايات الإسلام في كل مكان، إذ استعادت جماهير الأمة ثقتها بدينها، بعد أن وجدت تلك التيارات ﴿كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٩]، وهكذا بدأ عصر الإسلام من جديد.

ومع أن هناك تحديات خارجية لا تزال قائمة أمام الخطاب الإسلامي، وفي طليعتها الحرب الإعلامية الثقافية الطاحنة على الإسلام، بوصفه دين إرهاب وعنف، التي تجاوزت كل أعراف وتقاليد العلاقات بين الأديان والحضارات والأمم، كما تمثل ذلك في الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد ﷺ، التي نشرتها صحيفة دنهاركية ثم أعادت نشرها هذا العام عدد من الصحف في الدول الأوروبية، في تحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين، وإساءة صارخة لدينهم وهويتهم.

لكن مثل هذه التحديات الخارجية ليست على درجة كبيرة من الخطورة تستلزم وضعها على رأس التحديات وأولويات المهام أمام الخطاب الإسلامي.

إنني أعتقد أن الخطاب الإسلامي يواجه الآن تحديات داخلية هي الأهم والأخطر

على مستقبل الإسلام والأمة. فلا بد من الاستجابة لها والارتقاء إلى مستوى مواجهتها. ولعل من أبرز وجوه هذه التحديات ما يلي:

أولاً: إنتاج ثقافة التنمية والبناء

فقد برع الخطاب الإسلامي في تعبئة جماهير الأمة ضد الأعداء، وضد واقع الفساد والانحراف، وتلك مهمة هدم وتقويض.

ولكن ما هو البديل الذي يجب أن تتجه الأمة لبنائه على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبناء المعرفة وتنمية الأخلاق؟ وكيف يقود الإسلام معركة التنمية والبناء؟

هذا ما يحتاج إلى إجابة معمقة تتضمن برامج عمل، وآليات تنفيذ، وثقافة حركة وإدارة.

ثانياً: العلاقة الإيجابية مع الآخر

المصالح في عالم اليوم متشابكة، والصراع والنزاع ليس هدفاً ولا إستراتيجية دائمة، وإنما هو ضرورة بمقدار مواجهة العدوان. كما أن الإسلام رسالة خير ورحمة للبشرية جمعاء.

من هذا المنطلق لا بد من إنتاج خطاب يساعد على الانفتاح والحوار مع الآخر، ولا بد من نشر ثقافة دافعة لصنع العلاقات الإيجابية مع الغير، ولتجاوز آثار مراحل الصراع والنزاع.

صحيح أن هناك اعتداءات لا تزال قائمة ضد الإسلام والأمة، لكن المطلوب حصر المواجهة والصراع مع الجهات المباشرة للعدوان دون استعداد للعالم كله، وتعميم الصراع على مستوى الأديان والحضارات.

والأشد إلحاحاً حاجة الأمة إلى ثقافة العلاقة الإيجابية مع الآخر الداخلي، حيث لا تزال نعيش آثار الصراعات القديمة التي حصلت بين الأسلاف في القرون الأولى لتاريخ

الأمة، والتي تتفجر اليوم على شكل فتن ونزاعات طائفية. كما لا يزال التنوع القومي والقبلي عائقًا أمام الوحدة الوطنية، والاستقرار السياسي، في عدد من البلدان العربية والإسلامية.

ثالثًا: ترشيد التوجهات والممارسات الدينية

فالإقبال على الدين، وارتفاع المعنويات في أوساط المتدينين، قد يدفع باتجاه الغلو والمبالغة في التوجهات والممارسات الدينية، خاصة وأن في تراث الأمة بمختلف مذاهبها ما يغذي مثل هذه الاتجاهات.

كما أن بعض القوى الدينية التقليدية التي لا تمتلك مشاريع للتنمية والنهوض، قد تسعى لدغدغة مشاعر العامة، وعواطفهم الدينية، لتعزيز نفوذها ومواقعها، في مقابل صعود قوى الإصلاح والتطوير.

وليس مستبعدًا أن تدخل على الخط بعض الجهات الخارجية، أو بعض القوى المصلحية في الداخل لتشجيع اتجاهات المبالغة والغلو في الأوساط الدينية.

إن خطر توجهات الغلو كبير على مستقبل الإسلام والأمة، ولذلك حذر الله تعالى الأمم السابقة من الغلو في الدين، يقول تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١].

وتتمثل أهم مظاهر خطر الغلو في النقاط التالية:

أ. تحريف المفاهيم، وإفراغ الأحكام الشرعية من مضامينها، والابتعاد عن مقاصد الدين وأهدافه، وإشغال الأمة بحالة طقوسية فارغة، تستنزف الجهود، وتصنع حالة من الإشباع الكاذب، والشعور الزائف بأداء الواجب نحو الدين.

ب. الاستغراق في الجوانب الغيبية على حساب العقل ومراعاة السنن الإلهية للطبيعة والحياة، مما عزز حالة التواكل والكسل، وعدم البحث الموضوعي والمعالجة الواقعية لمشكلات الحياة، وفتح المجال أمام أسواق الشعوذة والدجل، التي

تدّعي القدرة على تقديم مختلف العلاجات للأمراض الجسمية، والمشكلات النفسية، والقضايا الاجتماعية.

ج. تشجيع التطرف والتشدد تجاه الآخر الخارجي والداخلي، انطلاقاً من تفاصيل الخلافات العقدية والتاريخية، وإغفال مساحات الالتقاء والاشتراك، لقد أصبح عندنا خطباء متمرسون في إذكاء الخلافات الطائفية، ومحترفون لإثارة الكراهية والبغضاء بين أبناء الأمة، وقد منحتهم القنوات الفضائية أفضل الفرص لرفع أصواتهم وبث سمومهم في مختلف الأرجاء.

د. ممارسة الإرهاب الفكري تجاه أي رأي مخالف واتهامه بالمروق والابتداع، مما يوقف حركة الاجتهاد، ومسيرة التطوير والتجديد.

إن هذه التحديات الداخلية توجب على العلماء والدعاة المدركين لها أن يوجهوا خطابهم واهتمامهم نحو مواجهتها، وتبصير جماهير الأمة بما يخدم مصلحتها، ويصون رسالتها الإسلامية العظيمة عن عبث الغالين والمتزمتين.

ولا شك أنها مهمة شاقة تكتنفها صعوبات بالغة، لأن دعاة التشدد والغلو يستثيرون عواطف ومشاعر العامة الدينية، ويستندون إلى آراء وتبريرات لها جذورها في التراث المذهبي لمختلف الطوائف والمذاهب، ويظهرون أنفسهم حماة للعقيدة وحراساً لشعائرها، ولا يتورعون عن التشكيك في دين من يختلف معهم ولو في أدنى التفاصيل.

الدعوة على بصيرة

لقد تحدث النبي ﷺ بأمر الله تعالى له، عن أهم سمة لمنهجه في الدعوة إلى الله، وهي امتلاك البصيرة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

والبصيرة من البصر والإبصار، فكما يحتاج الإنسان إلى حاسة البصر ليرى الأشياء المادية في هذه الحياة، وليمكن من السير في طرقها متلافياً الضياع والوقوع في الحفر

والمزلق، كذلك يحتاج إلى المعرفة والوعي لتقويم الآراء والأفكار، والتمييز بين مسالك الخير ومهاوي الشر والفساد. وتلك هي البصيرة.

وكون الداعي على بصيرة في دعوته يعني أمرين:

الأول: اطمئنانه للفكرة ووضوحها عنده، حيث لا يصلح للداعي أن يطرح فكرة لم يجتهد في بحثها، ولم يتأكد من صحتها، ولا ينبغي له أن يجترّ في خطابه طرحة ما هو سائد ومتناقل دون تحقيق وتمحيص.

ومن المؤسف جداً أن تجد بعض العلماء والدعاة ينقلون للناس روايات تاريخية، وآراء عقدية، ومسائل ذات تأثير في أذهان الناس وسلوكهم، قبل أن يكلفوا أنفسهم عناء التأكد من صحة تلك النقولات، اتكالا على ما سمعوه من خطباء آخرين، أو أخذاً من مصادر غير معتمدة، أو استجابة لرغبة المستمعين.

إن وسائل البحث وأدوات المعرفة أصبحت متوفرة ومبذولة، فلا عذر للمقصرين والمتقاعسين.

الأخر: معرفة الواقع الخارجي الذي تلامسه الفكرة المطروحة، فليست كل فكرة صحيحة صالحة للعرض في كل زمان ومكان، ولعل المقصود بالحكمة في الدعوة في نص الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥] هو اختيار القول المناسب للموقع المناسب.

من هنا يحتاج الدعاة في كل مجتمع إلى تقويم ظروف مجتمعهم، ودراسة أوضاع البيئة التي يتحركون فيها، لينطلق خطابهم الديني من خطة مدروسة، وليركزوا على الأولويات.

وقد تحدث العلامة الشيخ عبدالله العلمي الغزيّ الدمشقيّ أستاذ دروس التفسير في الجامع الأموي بدمشق (المتوفي سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م) حول هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨] في كتابه القيم (مؤتمر تفسير

سورة يوسف) فقال تحت عنوان (أكثر دعاة أهل اليوم هم على غير بصيرة):
«النبى عليه الصلاة والسلام، كان يدعو إلى الله على بصيرة، وهكذا خلفاؤه وعلماء
السلف والأئمة المجتهدون وسائر العلماء الصالحين، ولكن من المؤسف، أن أكثر دعاة
أهل اليوم، هم على غير بصيرة، لأنهم مزجوا الدخائل بعقائد الدين، وأدخلوا البدع
والأخلاق الرديئة في العوائد الإسلامية، وعلموا الجهال تعاليم خادعة، لبست الغي
بالرشاد، كما علموهم التأويلات الباطلة، التي شبهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر
«توحيداً»، وإنكار الأسباب «إيماناً» وترك الأعمال المفيدة «توكلاً» ومعرفة الحقائق
«كفراً وإلحاداً» وإيذاء المخالف في المذهب «دينياً» والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات
«صلاًحاً». واختبال العقل وسفاهة الرأي «ولاية وعرفاناً» والذلة والمهانة «تواضعاً»
والخنوع وقبول الضيم «رضى وتسليماً» والتقليد الأعمى لكل متقدم «علمياً وإيقاناً»^(١).
هذا ما كتبه الشيخ الجليل قبل ثمانية عقود من الزمن عن دعاة عصره، فهل دعاة
اليوم أفضل حالاً من أولئك؟ هذا ما نأمله ونرجوه.
نسأل الله تعالى أن يوفق دعاة الإسلام لتحمل مسؤولياتهم الكبيرة في هذه المرحلة
الخطيرة، وأن يكمل جهودهم بالنجاح لتجاوز هذه التحديات القائمة.
والحمد لله رب العالمين.

(١) عبدالله العلمي الغزي. مؤتمر تفسير سورة يوسف ﷺ، ج ٢، الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م،
دمشق: مطابع دار الفكر، ص ١٤٢٩.

دعاة التقريب وإشكالات المتحفظين

خطبة الجمعة بتاريخ ٥ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

في عصور التخلف التي عاشتها الأمة، اختفت عناوين كثيرة، لمبادئ وتشريعات إسلامية أساسية. تحت ضغط واقع التخلف المناقض لتلك المبادئ والتشريعات. وحين أفاقَت الأمة على واقعها الفاسد، وتحركت تطلعات التغيير والإصلاح في نفوس أبنائها، وانفتحت الأمة من جديد على مفاهيم دينها، في ظل الصحوة الإسلامية الواسعة، عادت لساحة الأمة تلك العناوين الغائبة والمغيّبة، كعنوان حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والديمقراطية، والتعددية، والحرية، والشفافية، وسيادة القانون... وهي عناوين إسلامية أصيلة قد أُغفلت، وأصبح البعض ينظر إليها بريية، وكأنها أفكار دخيلة، ومفاهيم مستوردة ..

ومن تلك العناوين الغائبة المغيّبة، عنوان الوحدة والتقارب، والانفتاح بين طوائف الأمة، ومدارسهم المذهبية والفكرية.

إن أي مسلم لديه شيء من المعرفة بمبادئ الإسلام، لا يستطيع إنكار مبدأ الدعوة إلى وحدة الأمة، فهو مبدأ أساس، نصّت عليه آيات محكمة من كتاب الله، وأحاديث صحيحة من سنة رسول الله ﷺ، كما يؤيده العقل والوجدان، وتؤكد عليه تجارب الأمم القوية الناجحة.

فقضية وحدة الأمة، ليست من القضايا النظرية التي تقبل الأخذ والردّ، وتحتاج

إلى البرهنة والاستدلال، بل هي من ضروريات الدين المسلّم بها عند فقهاء المسلمين. لكن عصور الاستبداد والتخلف، التي عاشت الأمة في ظلها انقسامًا مذهبيًا حادًا، على الصعيد الثقافي والنفسي والاجتماعي، صيّرت الفرقة والقطيعة واقعًا مقبولًا، وكأنه الحال الطبيعي الذي يجب أن يستمر في حياة الأمة.

بينما أصبحت عناوين الوحدة والتقارب والانفتاح، وكأنها شعارات وهمية برّاقة، ينخدع بها الحالمون، وضعاف العقيدة في مذهبهم، واللاهثون خلف المصالح السياسية. إن دعاة الوحدة والانفتاح والتقارب بين أتباع المذاهب، تلاحقهم علامات الاستفهام، وتثار أمام حركتهم الإشكالات، وكأنهم يدعون إلى منكر، أو يرفعون شعارات تشكل خطرًا على مصلحة المذهب وصدق الاعتقاد.

وتبنى هذا الموقف المناوئ لدعوة الوحدة والتقارب أوساط دينية من السنة والشيعة، تُظهر الحماس لحماية المذهب وحراسة العقيدة.

وبدل أن يتجه السؤال نحو العلماء المتقاعسين عن وظيفتهم الشرعية في الدعوة إلى الوحدة، والسعي إلى التقارب. وبدل أن يُدان ويحاكم المحرضون على الفرقة والنزاع باسم الدين والمذهب. أصبح الدعاة إلى الوحدة والتقارب في موقع السؤال والالتهام!! ويبدو أن هذه الأوساط المذهبية المتحفظة على دعوات الوحدة والتقارب، تريد بإثارة الشكوك والالتهامات تجاه دعاة الوحدة، التبرير لتقاعسها، وتخليها عن مبدأ هو من أهم مبادئ الإسلام، أو أن لها مصالح في هذا الواقع الفاسد، أو أنها لا تجيد غير لغة التعبئة الطائفية، وإثارة العواطف، ودغدغة المشاعر المذهبية.

إنهم يثيرون بعض الإشكالات والشبهات تجاه الوحدة والتقارب، لمنع جماهير الأمة من التفاعل معها، ولتشويه صورة دعاة التغيير والإصلاح.

إن الأمة اليوم على مفترق طرق، فيما يرتبط بعلاقات طوائفها المذهبية، وخاصة بعد الأحداث المرعبة في العراق، فإما الاستمرار في خط المفاصلة والتخندق المذهبي، وإما

تدشين عصر جديد من الانفتاح والتقارب.

ولأن الرهان على وعي أبناء الأمة، فلا بد من تسليط الأضواء على ما يثار حول الموضوع، من تساؤلات وإشكالات، ليكون جمهور الأمة على بينة من أمره، وليكون اختيار المسار عن بصيرة ووعي.

إلغاء الآخر شرط الوحدة

للالتهاف على مطلب الوحدة، يطرح بعض المتشددین شرطاً تعجيزياً لتحقيق الوحدة، وهو إلغاء الطرف الآخر. حيث يقول بعض علماء السنة: إن الوحدة لا تتحقق إلا إذا اجتمع المسلمون على مذهب أهل السنة والجماعة. ويقابلهم علماء من الشيعة يقولون: إن الوحدة لا تتحقق إلا إذا اجتمع المسلمون على إمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام.

ومؤدى كل من الطرفين إلغاء الآخر، بأن يصبح الجميع سنة، وينتهي وجود مذهب الشيعة، ضمن الطرح الأول، أو يصبح الجميع شيعة، وينتهي وجود مذهب السنة حسب الطرح الثاني.

إنه شرط تعجيزي، إذ كيف يمكن إلغاء أي من الطرفين؟ هل بالإبادة الجماعية؟ أم بإجبارهم على اعتناق المذهب الآخر؟ أم بالسعي لإقناعهم بالتنازل عن مذهبهم؟ وماذا إذا لم يقتنعوا أو لم يقتنع بعضهم؟

إن كلاً من الطرفين يعتقد أن مذهبه هو الحق، وأن الآخر مخالف للحق، كما أن التوجهات الدينية لا يحكمها الجانب العقلي والمنطقي وحده، بل للعواطف والمصالح والتكيف الاجتماعي تأثير لا ينكر، قد يتجاوز بعض الأشخاص والمجاميع، لكن من الصعوبة بمكان أن يتجاوزه الجمهور كله في الأديان والمذاهب، وهذا ما يفسر بعداً من أبعاد بقاء الأديان والمذاهب، وتوارث الأجيال لها.

لقد كان رسول الله ﷺ يمثل بدعوته الحق اليقين، ويمتلك قوة الحججة والبرهان، لكن ذلك لم يحسم الموقف مع أتباع الديانات الأخرى، كاليهود والنصارى الذين عاصروهم، حيث استجاب عدد منهم للإسلام، بينما تمسك الباقون بدينهم. وهنا نجد أن رسول الله ﷺ وضع صيغة للتعامل مع هذا الأمر الواقع، بما يخدم الاستقرار في مركز الدعوة الإسلامية، ضمن ما يعرف بصحيفة المدينة، التي أقرت ميثاق وحدة وطنية بين أتباع الديانات المختلفة، في ظل القيادة النبوية.

القلق من التنازلات

يثير المتحفظون على دعوة الوحدة والتقريب في الوسط الديني، مشاعر القلق من تقديم تنازلات للطرف الآخر، على حساب العقيدة والمذهب. وقد طرح العلماء الوجوديون من الطرفين، منذ بداية مسيرة التقريب في هذا العصر، أن غرض دعوة الوحدة والتقريب، هو تحقيق التعايش السلمي بين أبناء الأمة، وتوفير أجواء الاحترام المتبادل، والسعي للتعاون في خدمة المصالح المشتركة. وأن الوحدة والتقريب لا تعني تحوّل أتباع مذهب إلى مذهب آخر، ولا تلفيق مذهب ثالث بين المذاهب، ولا طلب التنازل من أحد عن معتقداته وآرائه التي يدين الله بها. فأمر العقيدة والدين لا تقبل المساومة، وهي شأن قلبي يستعصي على الإخضاع، كما يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] فهذا النفي في الآية الكريمة للإكراه في الدين، إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين، أنتج حكمًا دينيًا ينفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكمًا إنشائيًا تشريعيًا، كان نهيًا عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرهاً، وهو نهي ممتك على حقيقة تكوينية، على حدّ تعبير السيد الطباطبائي في الميزان.

هناك شيء واحد لا بد من التنازل عنه، وهو الإساءة والعدوان، من أي طرف تجاه

الأخر، فليس مقبولاً صدور فتاوى التكفير، ولا خطاب التحريض على الكراهية، ولا الإساءة للمقدسات والرموز.

والمشكلة أن بعض المتشددين من علماء السنة، يرى إصدار فتاوى التكفير وإثارة الكراهية ضد الشيعة تكليفاً شرعياً. كما أن بعض المتشددين من الشيعة، يرى إظهار الإساءة بالسب واللعن لرموز يقدها ويحترمها أهل السنة تكليفاً شرعياً. ولا شك أن التقارب بل التعايش في ظل هذه الآراء المتشددة غير ممكن، وأن هذه الآراء توجه الأمة إلى خيار الصراع والاحتراب الطائفي، وتنتج الخصومة والفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

فهل يدرك هؤلاء وخامة هذه النتيجة؟ وهل يتحملون مسؤوليتها أمام الله؟ وعلى الناس أن يسألوا أنفسهم في كل بلد تتنوع فيه المذاهب هل يقبلون ذلك؟ وإذا كان التنازل غير مطلوب ولا وارد في المعتقدات، فإنه قد يكون مطلوباً ووارداً في بعض المظاهر والممارسات، إذا اقتضته المصلحة العامة للأمة، أو المصلحة الخاصة بالطائفة، أو المصلحة الأخص على المستوى الفردي.

لم يتنازل رسول الله ﷺ في كتابة وثيقة صلح الحديبية عن (بسم الله الرحمن الرحيم) وعن ذكر صفته (رسول الله)؟

قال الواقدي أمر النبي ﷺ علياً يكتب، فقال رسول الله ﷺ: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو ممثل قريش: لا أعرف الرحمن، اكتب كما كنا نكتب: باسمك اللهم. فضاق المسلمون من ذلك، وقالوا: لا نكتب إلا الرحمن. قال سهيل: إذًا لا أفاضيه على شيء. فقال ﷺ: اكتب باسمك اللهم! هذا ما اصطاح عليه رسول الله. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، وأتبعتك، أفرغب عن اسم أبيك محمد بن عبد الله؟

فضج المسلمون منها ضجة أشد من الأولى حتى ارتفعت الأصوات، وقام رجال

من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: لا نكتب إلا محمد رسول الله. فقال ﷺ: أنا محمد بن عبد الله فاكتب!.

وفي الإرشاد للشيخ المفيد أن علياً بعد أن كتب: هذا ما صالح عليه رسول الله ﷺ واعترض سهيل بن عمرو وقال له النبي ﷺ: امحها يا علي. فقال علي: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق لمحوها. فقال ﷺ: فضع يدي عليها، فمحي رسول الله ﷺ بيده كلمة: رسول الله نزلوا عند رغبة سهيل مفاوض قريش^(١).

كما أن أمير المؤمنين علياً تنازل عن المطالبة بحقه في الخلافة، وانضوى تحت حكم الخلفاء، حفاظاً على مصلحة الإسلام ووحدة الأمة، كما قال ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، التَّيْمَسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ»^(٢). وتنازل الإمام الحسن ﷺ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان حقناً للدماء، ورعاية للمصلحة العامة.

وفي المدرسة الشيعية تؤكد تعليقات أهل البيت ﷺ لشيعتهم، على تقديم التنازلات في الممارسات العبادية والخارجية لإخوانهم أهل السنة، اتقاء للسوء والأذى، أو صيانة لأجواء التعايش والمحبة، حيث يأمر أئمة أهل البيت ﷺ شيعتهم أن لا يمارسوا شيئاً من أمور مذهبهم يسبب لهم الضرر والخرج، لو عاشوا في محيط متشدد، أو يسبب نفور الآخرين منهم، ويؤدي إلى عزلتهم ونبذهم، ولذلك قسم الفقهاء الشيعة التقية إلى قسمين: التقية الاضطرارية، والتقية المداراتية. وبعبارة أخرى: التقية خوفاً من الآخر، والتقية تحبباً إلى الآخر، كما عنوانها المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

يقول: «إن غاية التقية لا تنحصر في حفظ الأنفس ودفع الخطر عنها، أو عن ما يتعلق بها من الأعراض والأموال، بل قد يكون ذلك لحفظ وحدة المسلمين، وجلب المحبة،

(١) جعفر السبحاني. سيرة المرسلين ج ٢، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، (بيروت: دار البيان العربي)، ص ٣٣٧.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٧٣.

ودفع الضغائن فيما ليس هناك دواع مهمة إلى إظهار العقيدة والدفاع عنها»^(١).
تؤكد مرة أخرى: إن الوحدة والتقارب والانفتاح لا يعني التنازل عن شيء من
المعتقدات، كما أن الظروف المعيشة في أغلب البلدان الإسلامية تتسع للممارسات المذهبية
الخاصة باتباع كل مذهب من المذاهب، لأن عالم اليوم لا يقبل تقييد الحريات الدينية.
ويجب على دعاة الوحدة والتقارب - قبل غيرهم -، معارضة أي قيود على الشعائر
والممارسات الدينية، لاتباع أي مذهب من السنة أو الشيعة. لكن الأمر الذي لا يمكن
قبوله شرعاً ولا عقلاً هو الإساءة من أي طرف للآخر، وإذا كان أحد يرى أن تكليفه
الشرعي هو إبداء الإساءة للآخر، فإننا نخالفه الرأي في ذلك، ونطلب منه إن عجزنا عن
إقناعه بخطأ رأيه، أن يتنازل عن العمل بذلك الرأي رعاية للمصلحة العامة، وحماية
للوحدة، ودرءاً للمفسدة والفتنة.

ومن أولويات الفقه ومنطق العقل تقديم الأهم على المهم عند التزاحم.

المصالح السياسية

حينما لا يجد المتحفظون إشكالاً منطقياً يثيرونه في وجه دعاة الوحدة والتقريب،
فإنهم يلجأون إلى التشكيك في الغايات واتهام النيات، والقول بأن دعاة الوحدة يسعون
لتحقيق مصالح سياسية، وأنهم يعملون ضمن برامج سياسية؟
والغريب أن هؤلاء المتحفظين وهم غالباً ما يتظاهرون بالقداسة والورع، والتزام
الاحتياط، كيف يسمح لهم ورعهم بالحكم على النيات والمقاصد التي لا يعلمها إلا الله
تعالى؟ وكيف لا يحتاطون في التعرض لحرمان الآخرين؟

ثم إن دعاة الوحدة والتقريب فيهم مراجع فقهاء، وعلماء فضلاء، انطلقوا في دعوتهم
من باعث ديني شرعي، ومن إخلاص واهتمام بمصلحة الإسلام والأمة. وفي طليعتهم

(١) ناصر مكارم الشيرازي. القواعد الفقهية، ج ١، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، (قم المقدسة: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)، ص ٤١٠.

من المعاصرين مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده، وشيخ الجامع الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ سليم البشري، والشيخ أحمد حسن الباقوري، والشيخ محمد الغزالي، ومفتي سوريا الشيخ أحمد كفتارو، والمرجع الأعلى السيد حسين البروجدي، والإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ محمد تقمي القمي، والإمام الخميني وأمثالهم من الفقهاء والعلماء....

وإذا كان المقصود بالمصالح السياسية التي يستهدفها دعاة الوحدة، هو حفظ الأمن والاستقرار والنظام في الوطن، وحماية وحدة الأمة، ورصّ صفوفها لمواجهة العدوان الأجنبي، فهي مصالح مشروعة، بل فرائض واجبة، على المتحفظين أن يعيدوا النظر في مواقفهم تجاهها، وأن يتقوا الله في مصالح الدين والأمة، حتى لا تكون ضحية تشددهم وتطرفهم المذهبي.

أما إذا كان المقصود اتهام دعاة الوحدة والتقريب بأن لهم مصالح شخصية مادية، كالمناصب والمواقع والزعامة والظهور، فإن واقع الساحة يثبت أن دعاة الوحدة يدفعون ثمنًا باهظًا من سمعتهم ومكانتهم، لأن إظهار الولاء والتشدد المذهبي هو السلعة الرائجة على المستوى الشعبي، وهو لغة اللعبة السياسية في المنطقة حاليًا.

فمن يريد الكسب والمصلحة الذاتية عليه أن يدغدغ مشاعر الجمهور المذهبي، وأن يرفع لواء الدفاع عن الطائفة، وحراسة المذهب، وذلك هو نهج المتحفظين، فهم الأولى بهذا الاتهام، لو كنا نقبل أسلوبهم في اتهام النيات.

إن دعاة الوحدة والتقريب يسرون عكس تيار العواطف والمشاعر، ويواجهون اللعبة السياسية القذرة التي تريد تفتيت الأمة، وتمزيق وحدة أوطانها.

فهل يدرك المتحفظون والمتشددون مذهبياً: أنهم يخدمون المصالح السياسية المعادية للإسلام والأمة؟

من المؤسف أن أكثر هؤلاء يخدم مصالح الأعداء في الخارج والداخل دون وعي وقصد.

إفرازات التشدد المذهبي

من الطبيعي أن تكون هناك إفرازات لاتجاهات التشدد المذهبي، تتمثل في فتاوى التكفير، وخطابات التحريض على الكراهية، وتبادل الاتهامات، وحالات العدا، والانتهاك للحقوق المادية والمعنوية، كسياسات التمييز الطائفي، وحوادث العنف والعدوان.

إن هذه الإفرازات منتج طبيعي لاتجاهات التشدد المذهبي، ولواقع التباعد والتنافر بين المتمين للمذاهب المختلفة.

والدعوة إلى الانفتاح والتقريب والوحدة إنما جاءت لإنقاذ الأمة من هذا الواقع السيئ، ولإصلاح خلل العلاقة بين أتباع المذاهب، بما يضع حدًا لتلك الإفرازات البغيضة.

إن صدور إساءات ضد هذا المذهب، أو تلك الطائفة، يجب أن يشكل مبررًا ودافعًا للاهتمام بدعوة التقريب والوحدة، وللتدليل على ضرورتها، وإلحاح الحاجة إليها، لأنها تقدم المعالجة الجذرية، وتبشر بعهد جديد من الأخوة والتفاهم والتعاون.

لكن المتحفظين يوظفون حصول هذه الإساءات لتعزيز الشكوك في مصداقية الدعوة إلى الانفتاح والتقريب، فكلما وقع حدث طائفي، أو حصلت إساءة مذهبية، استغلها المتشددون لتعزيز مواقعهم، وتبرير مواقفهم المتطرفة، ورفع المتحفظون عقيرتهم تجاه دعاة الوحدة والتقريب، ليضعوهم في موقع المساءلة والمحاکمة، كيف تدعون إلى الوحدة مع هذا الطرف وقد فعل كذا؟ وكيف تريدون التقارب مع تلك الجهة وقد قال أحدهم كذا؟

وهذه مغالطة فاضحة، وتضليل لوعي الناس، فاتجاهات التشدد، والمتحفظون على دعوة الوحدة والتقريب، هم الذين يتحملون مسؤولية استمرار التشنج الطائفي، والخلافات المذهبية. إنهم ينتجون هذه الإفرازات، ويوفرون الأجواء المساعدة على

نموها، ثم يوظفونها لإغراق المجتمع في المزيد من التعصب والتشدد، ونهايته المتوقعة هو الاحتراب والفتنة، التي تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض، وتمزق الأوطان.

إن دعاة الوحدة والتقريب هم آخر من يحاسب على حصول هذه الإساءات الطائفية، لأنهم يرفضونها، ويدعون إلى السير في طريق الخلاص والسلامة منها.

إن هناك إساءات متبادلة من الطرفين، قد تتفاوت في حجمها من مكان لآخر، لكن كل طرف يغض الطرف عن الإساءات التي تحصل من جماعته تجاه الآخر. كما أنه من الخطأ الكبير تعميم المسؤولية، فلا يصح أن نحمل كل السنة مسؤولية ما يقوله ويمارسه المتطرفون منهم، كما لا يصح أن نحمل كل الشيعة مسؤولية ما يقوله ويمارسه المتطرفون منهم.

إن هدف المتطرفين في الجانبين إذكاء الصراع، وإشعال الفتنة، وعلى الواعين أن لا يقعوا في الفخ، وأن لا يتركوا الساحة للمتشددين والجاهلين.

ولا نجاة للأمة من هذا النفق المظلم، إلا بالسير في طريق الانفتاح والتقريب، لتجتمع الأمة على أصول دينها، ولتتحد في خدمة مصالحها المشتركة، مع الاعتراف بالتعددية المذهبية، والاحترام المتبادل بين الطوائف، وإقرار حقوق المواطنة والإخوة الإسلامية، وذلك هو جوهر دعوة التقريب والوحدة.

المؤسسة الدينية وسلوكيات المنتمين إليها

خطبة الجمعة بتاريخ ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن موسى الصقّار حاجة المؤسسة الدينية لنظام يحكم سلوكيات المتتمين إليها، مشيراً إلى أن احتمالية صدور الخطأ من طلبة العلوم الدينية أمرٌ وارد، فهم بشر لا يخرجون عن طبيعتهم البشرية، وكونهم من الفئة الدينية لا يعني عصمتهم. وأكد أن المجتمع يتحمل مسؤولية النصيحة والنقد البناء، فالثقة والاحترام لهذه الفئة أمرٌ مطلوب، إلا أنه لا يصح أن تصل لمستوى القداسة والثقة العمياء. ودعا إلى أهمية وجود مؤتمر سنوي أو اجتماع دوري يجمع طلبة العلوم الدينية بالمراجع والعلماء الكبار، لتعهدهم بالتوجيه التربوي والأخلاقي، فالدور المطلوب منهم يستلزم شخصية تمتلك الوعي والإرادة القوية تجاه المغريات والأهواء الشخصية. مؤكداً أن كل طالب علم إنما هو جندي للدفاع عن القيم والأخلاق والمبادئ، والاعتصام من الوقوع في الانحراف إنما يتحقق بالخشية من الله تعالى وتقواه.

وفي إطار آخر، وجّه الشيخ الصقّار جموع المصلّين بخطابٍ وعظي إلى التفكّر في نعم الله تعالى، فهو المنعم والمتفضل علينا بفضله وعطائه، وهو أحق بأن تتجه القلوب لمحبهته. مؤكداً أن حب الله تعالى إنما يتحقق بطاعته والتزام نهجه، وإلا فإن طريق الانحراف يُوجب الشقاء وغضب الله تعالى.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ (١٨ أبريل ٢٠٠٨م) إلى أن أي مجتمع من المجتمعات المتدينة والمجتمعات التي لها قانون اجتماعي، لا بد من وجود فئتين، إحداهما تتخصص لرعاية الشؤون القانونية ويفترض فيها أن تكون أكثر التزامًا بالقوانين، وأما الفئة الثانية فهي التي تعني بالشؤون الدينية وتُبشّر بالقيم والمبادئ السامية، ويُطلق عليهم في المجتمعات الإسلامية (علماء الدين)، وفي المجتمعات المسيحية يُطلق عليهم (رهبان)؛ ذلك لأنهم امتهنوا الرهبة والزهد في الدنيا بعيدًا عن كل ملذاتها، وأما في المجتمعات اليهودية كان يطلق عليهم (أخبار).

وأضاف: يفترض في الفئة الدينية أن تكون أكثر التزامًا بالدين، يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ مشيرًا إلى قول الإمام الصادق في تفسير هذه الآية، إذ يقول: «يعني بالعلماء من صدق قوله فعله، ومن لم يصدق قوله فعله فليس بعالم»، مبيّنًا أن هؤلاء بشر، ولم يخرجوا عن طبيعتهم البشرية المعرضة للاستجابة لدعوى الهوى والشهوات والغرائز، إلا من عصمهم الله تعالى، فالعلوم الدينية تُعطي الاستعداد للالتزام بالدين، إلا أن ذلك ليس حتميًا، ولذا نجد بكل وضوح وجود بعض الانحرافات في بعض عناصر هذه الفئة في مختلف الديانات، وقد حدّث القرآن الكريم عن ذلك بكل جلاء، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، مشيرًا إلى أن بعض عناصر الفئة الدينية من مختلف الديانات يستغلون الثقة التي أولاها الناس إياهم بحكم مكانتهم الدينية، فيسيئون استخدام هذه الثقة لتحقيق بعض مصالحهم الشخصية التي تُنافي التعاليم الدينية.

وحول زيارة البابا (رأس الكنيسة الكاثوليكية) للولايات المتحدة الأمريكية التي يؤمن بها هناك حوالي (٧٠) مليون إنسان، أشار ساحتته إلى المظاهرات التي خرجت ضد القساوسة اعتراضًا على المساوىء الأخلاقية التي صدرت من بعضهم، إذ تورط ما يقرب

من (٥٠٠٠) قسيس في اعتداءات جنسية على حوالي (١٢) ألف طفل ومراهق، وكلفت الكنيسة (٢ بليون) دولار للتعويضات ومواجهة القضايا المرفوعة ضد الكنيسة. وأضاف: وقد تشكلت عدة منظمات لمواجهة انحرافات الكنيسة، ومن أبرزها: (شبكة الناجين من انتهاكات الكنيسة). مشيرًا أن هذه الانحرافات ليست ببعيدة حيث إن القساوسة بشر، وهم بحكم ديانتهم يُحكم عليهم بالرهينة وعدم ممارسة الجنس المشروع (الزواج)، وبطبيعتهم البشرية فإن هذه الغريزة من شأنها أن تدفع باتجاه مثل هذه الممارسات، وفي المقابل فإن العوائل الأمريكية التي تُريد أن تُربي أبنائها على الدين تبتعث بأبنائها للكنيسة ثقةً منها بالقسيسين، فاجتماع الثقة من جهة، وثورة الغريزة من جهة دفع باتجاه هذه الممارسات الخاطئة والمنحرفة.

وتعليقًا على ذلك يقول الشيخ الصفار: في كثيرٍ من الأحيان يستقبل أتباع كل دين أو مذهب الممارسات الخاطئة لدى بعض العناصر الدينية في الديانات والمذاهب الأخرى بشماتة مبرئين ساحتهم الدينية، في حين أن القرآن الكريم يهدف من خلال طرح مثل هذا الأمر لأبعد من ذلك، فمن جهة فيها بيان لسبب ابتعاد أتباع الديانات الأخرى عن الإسلام، حيث إن الأخبار والرهبان يُمثلون ثقلاً كبيراً في ذلك، ومن جهةٍ ثانية فيها دعوة صريحة للمسلمين من عدم تسلل مثل هذه الانحرافات للواقع الإسلامي.

وأكد الشيخ الصفار أن الواقع يحكي ذلك، فهناك بعض الممارسات غير السليمة تصدر من بعض المحسوبين على الفئة الدينية، من مختلف الديانات والمذاهب، وقد تصل بعض تلك الممارسات للرأي العام، فقد تداولت الأخبار في المملكة أن أربعة من كتاب العدل في جدة ضُبطوا لتلاعبهم في إصدار صكوك لأراضي، ووُجد في حساب أحدهم (٢٥٠) مليون ريال فقط.

وفي إيران ضُبط قائد شرطة طهران المسؤول عن مكافحة الرذيلة متلبسًا مع ست فتيات عاريات خلال مداهمة بيت سري للدعارة.

وأكد الشيخ الصفار أن الدين الإسلامي دين واقعي وليس مثاليًا، مشيرًا إلى أن التعاطي مع هذا الأمر الخطير والحساس يندرج في عدة أمور:

أولاً: الأصل في التعاطي مع الفئة الدينية ومع أي إنسان لا بد أن يكون مبنياً على الثقة وحسن الظن فالشك غير صحيح، حتى يتبين العكس، وحصول الخطأ من جهة لا يعني تعميم ذلك على الجميع، وهذا الدرس نأخذه من القرآن الكريم، فحين الحديث عن الفئة الدينية من الرهبان والأخبار فإن الله تعالى لا يُعمم الانحراف على الجميع، رغم سلوكهم غير طريق الحق وهو الإسلام، يقول تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ثانياً: المنتمين للفئة الدينية بشر، ودراستهم للعلوم الدينية لا تعني عصمتهم، ولذا ينبغي معاهدتهم بالتربية الأخلاقية، وتأكيد هذا البعد في شخصيتهم.

وهنا أشار الشيخ الصفار إلى كتاب (الجهاد الأكبر: جهاد النفس) للإمام الخميني وهو عبارة عن مجموعة من المحاضرات الأخلاقية التي كان يُلقِيها على طلبة العلوم الدينية، وتطرق إلى الدرس الأخلاقي الذي كان يُواظب عليه أسبوعياً الإمام الشيرازي الراحل متعهداً بذلك طلبة العلوم الدينية، وموجهاً إياهم أخلاقياً وروحياً. وأيضاً المرجع السيد السبزواري حيث كان يُضمّن درسه الفقهي الوعظ والإرشاد لطلبة العلوم الدينية ممن يحضرون درسه. هذه نماذج وهناك مراجع وعلماء يعتمدون نفس المنهج.

وأكد على أن المؤسسة الدينية تفتقر إلى وجود نظام يتعهد طلبة العلوم الدينية بالجانب الأخلاقي والتربوي، داعياً إلى ضرورة وجود مؤتمر سنوي أو اجتماع دوري يلتقي به المراجع أو العلماء الكبار بطلبة العلوم الدينية لتوجيههم أخلاقياً وتربوياً وتعزيز هذا الجانب في نفوسهم، فهم بشر ويحتاجون إلى هذا التوجيه بشكل مستمر. فالمسؤولية التي على عاتقهم تحتاج إلى ذلك.

ثالثاً: على الناس أن يفتحوا أعينهم، فالثقة مطلوبة، إلا أنها ينبغي أن لا تصل إلى

مستوى التقديس، والتقويم الموضوعي ضروري جداً، فقد يتسلل إلى الفئة الدينية من لا يكون صالحاً، أو قد ينحرف من ينتمي للفئة الدينية بعد أن كان صالحاً، والله تعالى يضرب في القرآن مثلاً صريحاً، يقول تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

رابعاً: ينبغي فتح مجال النقد البناء، إذ المجتمع أمام محذورين: فمن جهة الحفاظ على سمعة الفئة الدينية غاية مهمة، وفي ذات الوقت التستر على الأخطاء التي تصدر من بعض المنتميين لهذه الفئة أمرٌ خاطئ، لذا فإن التوازن بين الأمرين ضروري، ويتحقق ذلك بفتح باب النقد البناء، فليس هناك أحدٌ فوق النقد إلا المعصوم، ومع ذلك فإن سيرة رسول الله والأئمة حافلة بالأحداث التي تُبرز إتاحة المعصوم الفرصة للناس للنقد، ويتعامل معها برحابة صدر، ويُوضّح ما لبس على الناس من الأمر.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن كل طالب علم إنما هو جندي للدفاع عن القيم والأخلاق والمبادئ، وحاجة المجتمع لهذه الفئة مقرونة بالوعي والنصيحة لهذه الفئة، مؤكداً أن الإنسان في أي موقع كان عليه أن يعرف أنه معرض للخطأ، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾، والاعتصام إنما يتحقق بخشية الله تعالى والتقوى.

الخطبة الثانية

تحدث الشيخ الصفار بخطاب وعظي عن أهمية تعميق حب الله تعالى في القلوب، وأنه تعالى المستحق الأول للحب، ولا أحد سواه.

مشيراً أن هناك حالة في نفس الإنسان وقلبه يُطلق عليها الحب، فقد يُحب الإنسان شخصاً ما، فينجذب إليه، ويميل إليه بكل مشاعره وعواطفه.

فقد يُحب الأب أولاده، كذلك الأم، وقد يُحب الزوج زوجته، وكذلك الزوجة.

وهناك عالم اسمه العشق والهيام، وفيه من القصص الإنسانية الكثير، فقد يضحى الإنسان بكل شيء من أجل الحب والعشق. وقد يكون ذلك الحب في إطار مشروع، وقد يكون على العكس من ذلك.

وأشار أن الحب قد يكون لأمر آخر، فقد يُحب الإنسان بعض الأشياء، فيغرق في حب بعض الأشياء، بل قد يُدمن عليها، كأن يقع الإنسان في فخ المخدرات، والعياذ بالله. فيتصور مخطئاً أن لا حياة بدونها.

وتابع الشيخ الصفار حديثه بتوجيه جموع المصلين إلى التفكر في نعم الله تعالى، فهو المنعم والمتفضل علينا بفضلِه وعطائه، وهو أحق بأن تتجه القلوب لمحبهته.

وأكد أن الإنسان إنما يتجه بقلبه لجهة ما، إنما بسبب بعض صفات الجمال والكمال، أو لقيام تلك الجهة بتقديم الإحسان، فحينها ينجذب القلب تلقائياً، فقد جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها، في حين أن الله تعالى قد أسبغ على الإنسان نعمه ظاهرةً وباطنة، فهو الذي أوجده من العدم، ورعاه في حياته، وأغدق عليه من فيض إحسانه وكريم آلائه، وبعد ذلك فإن ليس للإنسان بعد مmatesه واستغناء الجميع عنه سوى الله تعالى، فمن هو الأحق إذن بأن يملك قلب الإنسان سوى الله تعالى.

وأضاف: لقد وفق الله تعالى ذوي القلوب الصافية والنقية إلى إدراك عظمتهم فشغلوا قلوبهم بحب الله تعالى، مؤكداً على دور الأدعية الشريفة المروية عن أهل بيت الرحمة عليهم السلام فهي تفيض بالحب لله تعالى، فقد روي عن رسول الله هذا الدعاء: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يُحبك، والعمل الذي يُبَلِّغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»، وفي دعاء كميل يقول الإمام علي عليه السلام: «إلهي وربّي وسيدي ومولاي لأي الأمور إليك أشكو، ولما منها أضح وأبكي، لأليم العذاب وشدته، أم لطلو البلاء ومدته، فلئن سيرتني للعقوبات مع أعدائك وجمعت بيني وبين أهل بلائك، وفرقت بيني وبين أحبائك وأوليائك، فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي صبرت على عذابك فكيف

أصبر على فراقك، وهبني صبرت على حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك، أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوكم».

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أهمية سلوك طريق الطاعة ونهج الاستقامة، فهو السبيل إلى حب الله تعالى، وإلا فإن طريق المعصية والانحراف مما يُوجب غضب الله تعالى وسخطه.

والحمد لله رب العالمين.

التواصل الاجتماعي

خطبة الجمعة بتاريخ ١٩ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

هناك صلة وثيقة بين مستوى ارتباط الإنسان بمحيطه الاجتماعي، وبين استقامة السلوك ودرجة الفاعلية والإنتاج.

فكلما كانت علاقة الإنسان بمجتمعه وثيقة دافئة، كان أقرب إلى الاستقامة والصلاح في سلوكه وسيرته، وأكثر اندفاعاً للفاعلية والإنتاج.

بينما يساعد الفتور والبرود في العلاقات الاجتماعية على ظهور ونمو السلوكيات المنحرفة الخاطئة.

وقد تحدث بعض المفكرين والباحثين الغربيين عن تأثير ضعف العلاقة في مجتمعاتهم بين الفرد ومحيطه الاجتماعي، في بروز الظواهر السلبية والإجرامية. كمرض الاكتئاب، والشعور بالإحباط، وشدة القلق، وسائر الأمراض النفسية، وكذلك ظاهرة الانتحار التي يتسع مداها في المجتمعات الغربية المعاصرة. مع كل ما يتوفر للإنسان هناك من وسائل الراحة والرفاه المادي.

إن بلدًا مثل سويسرا التي تحظى بمركز متقدم في الاقتصاد والتقنية ومستوى المعيشة والتعليم، هي من بين أكثر الدول التي تنتشر فيها حالات الانتحار لا سيما بين الشباب. وطبقًا لبيانات المكتب الفيدرالي السويسري للإحصاء يقدم نحو ١٣٠٠ شخص سنويًا على الانتحار، ٩٠٠ منهم رجال، والبقية نساء، أي بمعدل ٤ حالات في اليوم، وهو معدل يثير القلق في بلد ينعم بالرفاه والاستقرار السياسي، ويصل عدد سكانه إلى

نحو ٧,٥ مليون نسمة.

وقد وضع عالم الاجتماع الفرنسي (اميل دوركايم ١٨٥٨-١٩١٧م) تفسيرين لمشكلة الانتحار يؤولان إلى الجذر ذاته، وهو تأثير المحيط الاجتماعي.

يتحدث التفسير الأول منهما عن علاقة وثيقة بين الانتحار وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي، وذلك عندما تفقد المجتمعات المعايير والقيم التي تدعو إلى الترابط والتماسك، فكلما ضعفت تلك القيم ازداد الشعور بالانفراد والعزلة وحب الذات، فترتفع احتمالات إقدام الفرد على الانتحار عند تعرضه لأي أزمة، إذ يعتقد الفرد في هذه الحالة أنه صاحب القرار.

أما التفسير الثاني فيربط بين الانتحار والمتغيرات السريعة التي تمر بها المجتمعات، وعدم قدرة الشخص على التكيف معها، مثل الفشل في العثور على عمل، أو عدم تحقيق الأحلام والأمنيات المتعلقة بمستقبل أفضل.

وقد درس (دوركايم) آلاف حالات الانتحار ليثبت مصداقية نظريته التي شرحها في كتابه (الانتحار).

ويؤكد باحثون غربيون على عدم قدرة المجتمعات الأوروبية على إيجاد روابط بين الناس تتماشى مع سرعة التحولات التي تمر بها، ليس من الناحية الاقتصادية فحسب، بل أيضاً على صعيد العلاقات الأسرية والشخصية، فيحدث نوع من الانفصال بين الشخص والمجتمع، ولا يعود يجد رابطاً بينه وبين الآخرين، ثم يشعر وكأنه غريب ومعزول^(١).

إن مجتمعاتنا الإسلامية التي كانت تتمتع بدرجة عالية من الاستقرار والتماسك الاجتماعي، وكانت تحتضن أبناءها بدفء واهتمام، أصبحت هي الأخرى مهددة بفقد هذه الميزة العظيمة، بسبب التحولات الاقتصادية والثقافية التي لم يواكبها تأهيل قيمي، وتطوير في أساليب وبرامج الترابط الأسري والاجتماعي.

(١) تامر أبو العينين. الوحدة تقتل السويسريين، جريدة الحياة ٢١ أبريل ٢٠٠٨ م.

وبدأنا نعاني مما تعاني منه المجتمعات الغربية من تفكك أسري، وأمراض نفسية، وحالات إجرام، وحوادث انتحار.

إن ما يجري الآن في مجتمعاتنا يجب أن يثير القلق البالغ في نفوسنا على مستقبل المجتمع، وخاصة أجياله الشابة الصاعدة، وأن يدفعنا للتفكير والعمل لمواجهة هذا المشكل الاجتماعي الخطير.

وذلك بدراسة وبحث واقع الترابط الاجتماعي، ووضع البرامج والمعالجات لتطويره ورفع مستواه بما يتناسب مع قيم ديننا الحنيف، والأوضاع الاقتصادية والثقافية المستجدة.

مستوى العلاقات الاجتماعية

طبيعة حياة الإنسان البشرية تفرض عليه التواصل مع المجتمع الذي يعيش فيه. أولاً: لأن الإنسان يأنس بأبناء جنسه، ولا يستطيع أن يعيش من دونهم، أو بعيداً عنهم. وقد ذكر بعض اللغويين: أن كلمة إنسان مشتقة من الأونس، على اعتبار أن الإنسان يأنس بمثله. ولو أنك وفّرت لإنسان كل ما يحتاجه في حياته المادية، وعزلته عن الناس، فإن ذلك بالتأكيد لن يريحه، ولهذا فإن السجن الانفرادي هو من أقسى أنواع العقوبات. فالإنسان بطبيعته يميل إلى أبناء جنسه ويأنس بهم، لديه دافع طبيعي فطري للتواصل مع الناس.

ثانياً: حاجات الإنسان الحياتية تفرض عليه أن يتواصل مع الآخرين، فهو لا يستطيع أن يوفّر كل حاجاته بنفسه، فقد يمرض فيحتاج إلى الطبيب، وهو بحاجة إلى العامل في البناء وغيره، وهو يشتري من السوق، ويبيع إنتاجه، وقد يعمل لدى أحد، أو يعمل لديه أحد، وبالتالي فإن طبيعة الحياة تجعل المصالح مشتركة، والحاجات متداخلة بين الناس، وهذا يفرض على الإنسان حالة التواصل مع محيطه الاجتماعي.

لكن هذا التواصل يبقى في مستواه الأدنى، وفي حالته البسيطة الساذجة. إذ إن المجتمع يحتاج إلى نوع من التواصل بشكلٍ أرقى، وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر. وقد كنا نعيش توأصلاً مكثفًا في مجتمعنا، حينما كانت الحياة على بساطتها، وكان الناس يعيشون في مناطق جغرافية محدودة، وضمن اهتمامات بسيطة، لكننا الآن، ومع التطور الذي حصل على واقع حياتنا، لم نعد نعيش درجة التواصل الاجتماعي السابقة. ولعلّ من أبرز الأسباب:

١. انتشار الناس جغرافيًا، فما عاد الإنسان مقيمًا في نفس الحي الذي نشأ فيه.
٢. انشغالات الناس واهتماماتهم تشعبت في هذا العصر، بعكس ما كانت عليه حياتهم في الماضي، إذ إنهم كانوا بمجرد أن يجلّ الظلام تنتهي جميع أعمالهم ويصبح الوقت متاحًا للتواصل، وحتى في النهار فإن دائرة الاهتمامات عندهم كانت محدودة. أما في زمننا المعاصر فقد انشغل الإنسان باهتمامات مختلفة، معرفية وعملية، ما قلل من حصة العلاقات الاجتماعية.
٣. انخفاض الروح الاجتماعية عند أكثر الناس لصالح الاهتمام الفردي، حيث أصبح كل واحدٍ مشغولاً بنفسه، وفي بعض الأحيان حتى عن عائلته وأسرته. هذه الاهتمامات بعضها صحيح وبعضها غير صحيح، لكنها أصبحت على حساب التوجه الاجتماعي، وإن كنا لا زلنا نحفظ بدرجة من التواصل، هو في الغالب تواصل مناسباتي شكلي، كمناسبة الزواج ومناسبة العزاء. وما نحتاج إليه هو التفكير في التواصل ذي المضمون.

مضامين التواصل الاجتماعي

وأشير هنا إلى أبرز مضامين التواصل الاجتماعي المطلوب:

أولاً: التقارب النفسي الروحي

الحياة بطبيعتها فيها ضغوط ومشاكل، خصوصاً في هذا العصر، فيحتاج الإنسان

إلى من يتضامن معه نفسياً، وإلى من يقترب منه روحياً، ليخفف عنه الآلام، ويرفع من معنوياته. ويحتاج الإنسان إلى من يستشيرَه ليستفيد من رأيه. وتُشير النصوص إلى هذا المضمون، وتُعبّر عنه بإدخال السرور إلى قلب الأخ المؤمن، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لقي أخاه بما يسره سرّه الله يوم القيامة»^(١)، وعنه ﷺ: «من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم أو أن تفرج عنه غمّاً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه من جوع»^(٢)، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «من سّر مسلماً سرّه الله يوم القيامة»^(٣)، وعنه ﷺ قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله ﷺ»^(٤).

ثانياً: التعاون في تيسير شؤون الحياة

كل مجتمع يواجه مشاكل، ولكل قوم في منطقتهم احتياجات، ولا يستطيع الإنسان بمفرده أن يحلّها ويعالجها، إنما يحتاج أن يتعاون مع الآخرين. وكمثال تقريبي: تربية الأبناء في العصر الحاضر عملية شاقّة، إذا أراد الأب أو الأم وحدهما القيام بهذا الدور، ولكن عندما تكون هناك برامج ولجان تخلق الأجواء الصالحة، وتسعى من أجل بناء الجيل الجديد بناءً سليماً، فهذا يقدم أكبر عون للأسرة على تربية أبنائها. ويؤكد القرآن الكريم على هذا المضمون في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢].

ثالثاً: خدمة الأهداف المشتركة

للمجتمع تطلعات وأهداف مشتركة، دينية أو سياسية أو اجتماعية. هذه الأهداف المشتركة تحتاج إلى تعاون وتواصل يساعد على تحقيقها. والإمام علي عليه السلام يُوصي بهذا المضمون في آخر وصية له، فيقول عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَادُلِ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرِ

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٥٦.

(٢) كنز العمال. ج ٦، حديث ١٦٤١٤، ص ٤٣٢.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٢، ص ٤١٥.

(٤) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٤٩.

والتَّقَاطُعُ»^(١)، والتبادل هنا بمعنى البذل والعطاء.

التأكيد الديني على التواصل

التواصل بين الناس محور أساس في التعاليم والتوجيهات الإسلامية، حيث يذم الإسلام الرهينة والعزلة، ويدعو إلى أن يتعرف الناس إلى بعضهم بعضًا، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣]، ويجعل خدمة الناس ونفعهم من أفضل وسائل التقرب إلى الله تعالى، كما ورد عنه ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»^(٢).

وإذا كان التواصل الاجتماعي محبوبًا عند الله تعالى ومطلوبًا في كل وقت وآن، فإن هناك ما يدل على خصوصية ليوم الجمعة في هذا المجال، فهو يوم يفرغ فيه الإنسان لما انشغل عنه أيام الأسبوع.

إن ساعات يوم الجمعة غالية ثمينة، وحينما يأتي التوجيه الديني بصرف بعضها في التواصل الاجتماعي، فهذا دليل على أهمية هذا الجانب، وأنه يستحق أن تصرف فيه أعلى الأوقات.

وحسب تأكيدات النصوص الدينية فإن أبواب قبول الأعمال عند الله مشرعة يوم الجمعة أكثر من أي يوم آخر، وثواب الأعمال فيه مضاعف، لذلك فإن أجر التواصل الاجتماعي فيه عظيم كبير.

والحمد لله رب العالمين.

(١) نهج البلاغة. الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ، (دمشق: تحقيق مؤسسة نهج البلاغة)، ص ٣٦١.

(٢) كنز العمال. ج ١٥، حديث ٤٣٠٦٤، ص ٧٧٧.

الجمعة برنامج اجتماعي

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

إن أهم برنامج اجتماعي ليوم الجمعة هو حضور صلاة الجمعة، فهي عبادة اجتماعية بامتياز، حيث يجتمع فيها أهل كل منطقة في مكان واحد، يؤدون صلاتهم خلف إمام واحد، ويصغون إلى خطبتين تتناول شؤونهم العامة، وتوجههم لأهدافهم السامية المشتركة، وتذكرهم بالقيم الدينية التي يؤمنون بها.

فيلتقون مع بعضهم في أجواء طيبة مباركة، يسودها النظام وحسن الأدب. ويمكننا أن نفهم من استحباب السبق إلى المسجد، والمباركة إليه يوم الجمعة، الحرص على تواجد الناس مع بعضهم لوقت أطول، إضافة إلى فرصة التعبد في المسجد.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة، يكتبون الأول فالأول»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «يدخل المؤمنون إلى الجنة على قدر سبقهم إلى الجمعة»^(٢). وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «وأنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة»^(٣).

(١) صحيح مسلم. «باب فضل التهجير يوم الجمعة»، حديث ٢٤-٨٥٠، ص ٤٢٦ / وأيضاً في مستدرک الوسائل. حديث ٦٣٦٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. حديث ٩٨٦٨.

(٣) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٤٨.

وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه فاغتم، وجعل يعاتب نفسه ويقول لها أراك رابع أربعة، وما رابع أربعة بسعيد^(١).

كما تؤكد النصوص الدينية على سيادة أجواء الاحترام في اجتماع صلاة الجمعة، حيث يجب أن يصغي الجميع للخطبة، ولو أخطأ أحد فتكلم أثناء الخطبة، فلا يصح أن يطلب أحد منه الإنصات، بل يلفت نظره بإشارة مؤدبة، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة: أنصت، والإمام يخطب فقد لغوت»^(٢)، وقال أهل العلم: إن تكلم غيره فلا ينكر عليه إلا بالإشارة.

كما يكره للإنسان حين يأتي للصلاة وقد بدأ الإمام خطبته أن يتخطى رقاب الناس، روى معاذ بن أنس الجهني عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم»^(٣).

وروى عبدالله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ورجل حضرها - الجمعة - بإنصات وسكوت، ولم يتخط رقبة مسلم، ولم يؤذ أحداً، فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحُسْنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»^(٤).

وقد تحدثت النصوص عن بعض تفاصيل مراعاة المشاعر وحفظ الاحترام بين المجتمعين لأداء صلاة الجمعة، مثل كراهة أن يفرق الإنسان بين اثنين فيجلس بينهما، أو يأخذ مكان أحد آخر، جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه/ الجمعة وغيرها»^(٥).

(١) جامع أحاديث الشيعة. حديث ٩٨٧٢.

(٢) صحيح البخاري. حديث ٩٣٤.

(٣) سنن الترمذي. حديث ٥١٣.

(٤) سنن أبي داؤود. حديث ١١١٣.

(٥) صحيح البخاري. حديث ٩١١.

تواصل المحبوسين اجتماعياً

تشير بعض النصوص الدينية إلى أن السجناء ينبغي أن تتاح لهم فرصة التواصل مع الناس يوم الجمعة ويوم العيد، بأن تخرجهم السلطة وقت الصلاة مع مرافقين ليحضروا اجتماع الناس للصلاة، ثم يعادون إلى سجنهم.

ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إن على الإمام أن يخرج المحبسين في الدين يوم الجمعة إلى الجمعة، ويوم العيد إلى العيد، ويرسل معهم، فإذا قضاوا الصلاة والعيد ردهم إلى السجن»^(١).

وفي رواية أخرى عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عليه السلام: «أن علياً كان يخرج أهل السجن من حبس في دين، أو تهمة، إلى الجمعة، فيشهدونها ويضمنهم الأولياء حتى يردونهم»^(٢). أي بكفالة أوليائهم.

وفي نص آخر عنه عليه السلام: «أن علياً عليه السلام كان يخرج الفساق إلى الجمعة»^(٣).

وقال العلامة الحلي: «لأنهم - أي المحبوسون - مكلفون بهذه الصلاة فلا يجوز للحاكم حبسهم عنها، ويبعثهم مع رقيب يحفظهم إلى أن يؤدوا الفرض الذي عليهم»^(٤).

وعلق الشيخ حسين علي المنتظري على هذه الروايات بقوله:

«والظاهر أنه لا خصوصية للدين والتهمة، بل الظاهر عموم الحكم لكل مسجون مسلم. نعم، ربما يظهر من هاتين الروايتين أن الحبس في تلك الأعصار لم يكن غالباً إلا في الديون والتهمة، ولم يكن الأمر مثل ما في أعصارنا بحيث يحكم بالحبس لكل كبيرة وصغيرة، بل لكل أمر تافه موهوم أيضاً، بل لم يعهد في عصر أمير المؤمنين عليه السلام وما

(١) وسائل الشيعة. حديث ٩٥٢٣.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ٤، حديث ٦٣٥٣، ص ٢٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ٦، حديث ٩٩٦٩، ص ٤٣٧.

(٤) نجم الدين الطبرسي. موارد السجن في النصوص والفتاوى، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، ص ٤٩٥.

قبله وجود السجون السياسية الرائجة في عصرنا، حيث أن الناس كانوا أحراراً في عرض آرائهم السياسية ما لم يترتب عليها البغي والطغيان والقتل والإغارة»^(١). ويرى بعض الفقهاء أن صلاة الجمعة تسقط عن المحبوسين لأنهم من ذوي الأعدار، فلا يجب على الحاكم إخراجهم لها، لكنه مع توفر الضمانات بإعادتهم أمر راجح لما فيه من الآثار الايجابية على السجناء نفسياً ودينياً.

الترفيه عن الأهل

علاقة الإنسان مع عائلته يجب أن تكون لها الأولوية في قائمة اهتماماته الاجتماعية، ولا يصح أبداً أن يتساهل الإنسان في الاهتمام بعائلته على أساس ضمانه لارتباطهم به على كل حال، لأن عليه أن يجعل ذلك الارتباط مدعوماً بالحيوية العاطفية والقرب النفسي، وليس بالحاجة فقط. ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الخُلُقِ بِكَ»^(٢).

ويوم الجمعة ينبغي أن يكون فرصة لضخ زخم جديد من الارتياح في الوسط العائلي، وأن يضيف نكهة جديدة من السرور، عبر أي وسيلة للترفيه العائلي. وهذا ما نفهمه من الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أطرفوا أهاليكم كل يوم جمعة بشيء من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا بالجمعة»^(٣). فإن الفقرة الأخيرة من الحديث «حتى يفرحوا بالجمعة» تبين المقصد والمناط، وهو ترفيه العائلة وتفریحهم يوم الجمعة، أما الوسائل فقد تكون بتنويع الطعام، وقد تكون بوسائل أخرى.

(١) الشيخ حسين علي المنتظري. دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، (بيروت:الدار الإسلامية)، ص ٤٧٣.

(٢) نهج البلاغة. كتاب رقم ٣١، «من وصية له عليه السلام للحسن بن علي».

(٣) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٨٩.

إعانة الفقراء

لا يخلو مجتمع من حالات الفقر والحاجة، لكن مساحتها تختلف من مجتمع لآخر، ومن وقت لآخر، والواعون من أبناء المجتمع يدركون خطورة وجود تلك الحالات، وما تمثله من ثغرات في جدار أمن المجتمع واستقراره، لذلك يشعرون بالمسؤولية تجاهها، ويسعون لمعالجتها معالجة جذرية بالحد من منابع الفقر، وتوفير الفرص لوصول كل مواطن إلى مستوى تلبية احتياجات حياته عبر التعليم والعمل وأنظمة الضمان الاجتماعي، ثم تفقد موارد العوز والحاجة، بمد يد العون والعطاء لها تحت عنوان (الصدقة) التي اشتقها الشارع الحنيف من مادة الصدق، يقول القليوبي: سميت - الصدقة - بذلك لإشعارها بصدق نية باذنها^(١).

ويوم الجمعة المبارك الذي يزداد فيه إقبال العبد على ربه، واتصاله بمجتمعه، ينبغي أن يتحقق فيه أكبر قدر من الاهتمام بالفقراء والمساكين، لتعم بركة هذا اليوم عليهم، وليشعروا بتعاطف المجتمع معهم، وأنهم جزء غير مهمل من مجتمعهم. لذلك وردت النصوص الدينية التي تشجع على بذل الصدقة يوم الجمعة، وتنقل حرص أئمة الهدى على تفقد أحوال الفقراء خاصة في هذا اليوم المبارك. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الليلة الغراء ليلة الجمعة، واليوم الأزهر يوم الجمعة، فيها لله طلقاء وعتقاء وهو يوم العيد لأمتي، أكثروا الصدقة فيها»^(٢). وعن الثمالي قال: صليت مع علي بن الحسين عليهما السلام الفجر بالمدينة في يوم جمعة، فلما فرغ من صلاته وتسيحه، نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمى سكينه، فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإن اليوم يوم الجمعة^(٣).

(١) الموسوعة الفقهية. ج ٢٦، ص ٣٢٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة. ج ٧، حديث ١٠٢٧٢، ص ٣٨.

(٣) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٢٦.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الأعمال تضاعف يوم الجمعة فأكثرها فيه من الصلاة والصدقة»^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: كان أبي اقل أهل بيته مآلاً، وأعظمهم مؤونة، قال: وكان يتصدق كل يوم جمعة بدينار. وكان يقول: الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام^(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: الصدقة ليلة الجمعة ويومها بألف^(٣).
وعن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله - الصادق - عليه السلام، في الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا؟ قال عليه السلام: يستحب أن يكون ذلك يوم الجمعة، فإن العمل يوم الجمعة يضاعف^(٤).

وينبغي الاستفادة من حضور الناس لصلاة الجمعة وتذكيرهم بالمبادرة إلى العطاء والصدقة، ليكون كل اجتماع لصلاة الجمعة رافداً من روافد الخير والاهتمام بحاجات الضعفاء والفقراء.

إن برنامج صدقة الجمعة يمكن أن يكون جزءاً من مراسيم هذا الاجتماع الديني الاجتماعي، تحت إشراف المؤسسات والجهات الخيرية المعتمدة.

زيارة القبور

لا تنحصر برامج التواصل الاجتماعي يوم الجمعة فيما بين الأحياء، بل ورد في بعض النصوص استحباب زيارة قبور الأموات في يوم الجمعة، وذلك من أجل أن يتذكر الإنسان مصيره النهائي، ويأخذ مستقبله الأخروي بعين الاعتبار، إضافة إلى ما فيه من

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ٧، ص ٣٢، حديث ١٠٢٤٦.

(٢) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٢٧.

(٣) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٢٩.

(٤) وسائل الشيعة. حديث ٩٦٣١.

التواصل مع السابقين من أبناء المجتمع، حتى لا ينسى الإنسان أسلافه من الأرحام والأقرباء والأصدقاء والزملاء، فيدعو لهم بالرحمة والمغفرة والرضوان.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من زار قبر والديه أو أحدهما في كل يوم جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها»^(١).

وجاء عن عبد الله بن سليمان، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: سألته عن زيارة القبور؟ قال عليه السلام: «إذا كان يوم الجمعة فزرهم»^(٢).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا لعشرة من إخوانه الموتى ليلة الجمعة أوجب الله له الجنة»^(٣).

والحمد لله رب العالمين.

(١) كنز العمال. ج ١٦، حديث ٤٥٥٤٣، ص ٤٧٩.

(٢) وسائل الشيعة. حديث ٩٧٣٢.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ٨، ص ٤٨، حديث ١٠٣٠٤.

خطورة التصعيد في الساحة اللبنانية

خطبة الجمعة بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ

حدّر سماحة الشيخ حسن الصفار من تصاعد وتيرة الخلاف في الساحة اللبنانية، مؤكداً أن المستفيد الأكبر من ذلك هي إسرائيل وأمريكا، وطالب الدول العربية بموقف حيادي لتطويق حالة النزاع، مشدداً على خطورة الانحياز لطرفٍ دون آخر.

وفي الوقت الذي أشاد فيه بإنجازات المقاومة الإسلامية في لبنان وموقفها الشجاع في مواجهة إسرائيل، أكد على ضرورة أن يكون الإعلام العربي والإسلامي مستوعباً لطبيعة الاختلاف في وجهات النظر، فمن حق كل واحد أن يتعاطف مع الجهة التي يُريد شريطة أن يكون التعاطف إيجابياً بعيداً عن حالة التمذهب، والتحريض، والتعبئة المضادة. وأكد أن الإصلاح هو المطلب الحقيقي، وهو الذي يخدم الساحة اللبنانية والمنطقة بكاملها.

وفي سياق آخر، تحدث الشيخ الصفار على أهمية التوازن في شخصية الإنسان، فكما أن الحياة بها أجواء السرور والفرح، فهي لا تخلو من لحظات الحزن والألم، وركز حديثه عن الموت باعتباره حقيقة لا مفرّ منها، داعياً إلى اكتساب المعرفة حول هذه الحقيقة من مصادرها لكي يُوجد الإنسان في نفسه حالة التوازن، فيعيش حياةً مستقرة.

الخطبة الأولى

أكد الشيخ الصفار في خطبته الأولى للجمعة ٤ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ (٩ مايو ٢٠٠٨م) أن حدوث حالات الاختلاف في المجتمعات البشرية أمرٌ طبيعي، مشيراً أن

ذلك نتاج الاختلاف في الرأي أو التضارب في المصالح، مقارنةً بين المجتمعات الراقية والمتقدمة وبين المجتمعات المتخلفة من حيث أسلوب التعامل مع الخلافات إذا وقعت، وذلك من خلال أمرين:

الأول: الوقاية والتقليل من الصراعات، حيث تسود المجتمعات المتقدمة قوانين وأنظمة وضوابط تحدّد حدود الاختلافات، وعند حدوثها هناك دستور متفق عليه، وهناك مؤسسات يُرجع إليها حال الخلاف، مما يجعل تصاعد وتيرة الخلاف نادر جداً، فلا تكاد تجد في تلك المجتمعات أن الخلاف فيما بينهم وصل إلى مستوى الاقتتال والحروب الداخلية، رغم أنهم يعيشون الاختلاف فيما بينهم والتضارب في المصالح على أعلى المستويات. أما المجتمعات المتخلفة فهناك فرقٌ كبير بينها وبين تلك الدول، فهي لا تزال تعيش في ظلام اللانظام، وهذا مما يُسبب في تزايد وتيرة الخلاف في معظم الدول التي تُصنّف في هذا الاتجاه، ومع الأسف فإن الدول العربية والإسلامية هي ضمن هذا الصنف من المجتمعات.

الثاني: المبادرة لحل المشاكل والخلافات، بوجود جهات تهتم بتطويق حالات الخلاف وجعلها في الحدود المعقولة، بينما في المجتمعات المتخلفة فإنها تحتضن جهات تسعى لتوسيع دائرة الخلاف والنزاع، من خلال الانحياز لطرف دون آخر ضمن دائرة الخلاف والنزاع.

وحول الأوضاع الأخيرة في لبنان أشار الشيخ الصفار إلى وجود تيارين متنازعين سياسياً داخل الوسط اللبناني، وكل تيار يضم مختلف التوجهات من الشارع اللبناني، والتياران يُمثلان: السلطة من جهة والمقاومة من جهةٍ أخرى، والحلفاء المؤيدين لهذا الاتجاه أو ذاك.

وأكد على ضرورة ضبط هذا النزاع ضمن الحدود السياسية، مبدياً قلقه من الأحداث الأخيرة واصفاً إياها بالمرعبة، وأنها إن لم تُطوّق ستشعل المنطقة بأكملها، وأن المستفيد

الأكبر من ذلك هي إسرائيل وحليفاتها الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية. مشيراً إلى أن إسرائيل في الوقت الذي تحتفل فيه بمرور ستين عاماً على احتلالها لأراضي ومقدسات المسلمين، تعيش الفرحة فرحتين بالوضع الذي تجره إليها الأحداث الأخيرة في لبنان، ذلك لأن إسرائيل منذ قيامها لم تشعر بالخطر الحقيقي على وجودها إلا عندما واجهت المقاومة الإسلامية في لبنان، فدخلت المقاومة في صراعٍ داخلي يُحقق للإسرائيليين أطماعهم وأهدافهم.

ومن جانب آخر فإن الأمريكيين يُريدون الهيمنة على المنطقة كلها وليس هناك حكومة أو دولة تعتبرها أمريكا حليفاً لها من هذه المنطقة، فهم وإن أخضعوا بعض الحكومات لهيمنتهم ولتنفيذ مطامعهم، إلا أنهم في الوقت ذاته يُريدون السيطرة حتى على هذه الدول المساندة لهم، واشتعال نار الحرب في لبنان يُعتبر مكسباً كبيراً لهم، والتاريخ الماضي يكشف هذه الحقيقة.

ودعا الشيخ الصّفّار إلى ضرورة أخذ العبرة من التجارب الماضية فالحرب العرقية الإيرانية، وحرب الخليج الثانية، وأحداث العراق، وما يجري الآن في لبنان، كلها مؤشرات لهدف واحد تسعى من أجله الولايات المتحدة الأمريكية وهو إخضاع المنطقة بأكملها لهيمنتهم وعنجهيتهم.

ودعا للبنانيين بأن يُفرّج الله محتهم وأن يتجاوزوا هذه الأحداث، لتعود الأمور في إطارها السياسي، ذلك لأن الانزلاق في وحل الحرب الداخلية يُمثل خسارة كبرى للبنانيين وللمنطقة كلها.

وأكد أن الدول العربية يجب أن تتحمل مسؤوليتها في تطوير المشكلة، محذراً من خطر الانحياز لطرف دون آخر، واصفاً ذلك كمن يصب الزيت على نار الفتنة، مضيفاً إن الانحياز ليس في مصلحة أحد، ولن تستفيد منه أي جهة سوى إسرائيل وأمريكا، مشدداً على ضرورة اتخاذ موقف الحياد من أجل استئصال الخلاف وعودته إلى

وضعه الطبيعي.

وأكد الشيخ الصفار على موضوع في غاية الأهمية، ووصفه بالخطير، وهو ضرورة عدم نقل تداعيات الخلاف والنزاع إلى المناطق الأخرى، مشيراً إلى أن بلادنا تتأثر سريعاً بالأحداث الإقليمية إلا أن ذلك ليس في مصلحة الوطن، وفي الوقت ذاته دعا إلى ضرورة توسيع أفق الإعلام ليستوعب مختلف التوجهات والآراء، فوجود صراع بين جهتين من شأنه أن يخلق تعاطفاً من قبل المؤيدين لهذا الطرف أو ذاك، وهذا حق مشروع للجميع، وليس باستطاعة أحد أن يفرض سيطرته ورأيه على الآخرين. وفي الوقت ذاته دعا إلى ضرورة أن تتعد الآراء المتعاطفة عن التحريض والتعبئة المضادة، مشدداً على ضرورة عدم مذهب الصراع، فتلك هي أمنية العدو، وقد اتضح هذا الأمر بجلاء في أحداث العراق الأخيرة، حيث كانت أمريكا تدّعي وتُصر أن الخلاف في العراق طائفي، إلا أنه تبين مع الوقت بطلان هذه الحجة وأن الصراع القائم سياسي، ولا أصل للمذهب فيه، وإنما هي كانت بتحريض أمريكي.

واليوم تُمارس نفس اللعبة في الساحة اللبنانية، والمطلوب الوعي بمخططات العدو، وعدم إتاحة الفرصة لهدم البناء الوطني لأي بلد عربي أو إسلامي.

وأكد الشيخ الصفار على ضرورة إتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي الحر والمعتدل، مع تكافؤ الفرص، فالساحة في البلاد العربية تضم مختلف التوجهات، ولا يصح أبداً تجاهل أي توجه على حساب التوجهات الأخرى.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن الدور الحقيقي المطلوب يكمن في الإصلاح، والإصلاح العادل، فأيات القرآن الكريم تدعو لذلك بصريح النص القرآني: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٩].

الخطبة الثانية

تحدث الشيخ الصفار على أهمية التوازن في شخصية الإنسان، فكما أن الحياة بها أجواء السرور والفرح، فهي لا تخلو من لحظات الحزن والألم، ورغم أن الإنسان لا يعجبه الحديث عن الخوف والأخطار، ويرغب أن تكون حياته حافلة بالأجواء السعيدة، إلا أن ذلك ليس سليماً، وبعيداً عن التوازن الذي ينبغي أن يبحث عنه الإنسان.

فالإسلام أتاح للإنسان فرصة الاستمتاع بخيرات الدنيا، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، بل إن هذه الخيرات والنعم التي أودعها الله تعالى في الكون مسخرة للإنسان، يقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾. إلا أننا نلاحظ أن هناك آيات في القرآن الكريم تلفت نظر الإنسان إلى حقائق أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار، وهي تلك الحقائق التي تؤكد على أن الإنسان يسير إلى عالم آخر، وهذا العالم إما أن يكون نعيماً أبدياً أو عذاباً دائماً، أو مزيجاً بين العذاب والنعيم. وأن بداية هذا العالم تمر بمرحلة خطيرة جداً، وهي الموت.

وأشار الشيخ الصفار إلى وجود بعض الاتجاهات التي تُخالف مسألة الوعظ الديني، مستنكرين الحديث عن الموت والنار والعذاب، وأن هذا الحديث يبعث الخوف في النفوس ويُرهب الناس. وحول هذا الأمر أكد الشيخ الصفار على أن الإفراط في الوعظ الديني في جانب العذاب والموت هو أمرٌ خاطئ، كما أن تجاهل ذلك أيضاً أمرٌ خاطئ، إذ كيف يُمكن تجاهل حقيقة واقعة لا محالة، بل لا يُمكن لأحد الفرار منها.

وهنا أكد الشيخ الصفار على ضرورة التوازن في طرح المواضيع المختلفة، فكما أن الناس تحتاج إلى زرع الأمل في النفوس، فإنها تحتاج أيضاً إلى التحذير من مخاطر المرحلة القادمة، ليعيش الإنسان حالة التوازن.

وركّز الشيخ الصفار الحديث عن الموت، فهو المحطة الفاصلة بين عالم الدنيا وعالم

الأخرة، وهو حقيقة لا يُمكن إنكارها، أو تجاهلها، وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وروايات أهل البيت مستفيضة بالحديث عن هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

وأكد على ضرورة التفكير في هذه الحقيقة، بل وإعداد العدة لتلك اللحظات الصعبة من حياة الإنسان، فالإنسان الذي يمر بمرحلة الموت يشعر بما يدور حوله، ويكون في كامل وعيه، رغم أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ويراها الآخرون عاجزاً حتى عن الكلام. وأشار إلى أن النافذة الوحيدة التي يُمكن من خلالها تعرف هذه الحقيقة، والعالم الذي يأتي بعدها، هي القرآن الكريم، وأقوال الرسول وأهل البيت (عليهم السلام)، فقد ذكر فيها تفصيل لتلك اللحظات، والأحداث التي تأتي بعدها، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: «فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم، وسمعتهم وأطعتم، ولكن محجوبٌ عنكم ما قد عاينوا، وقريبٌ ما يطرح الحجاب».

وأشار إلى أن الأطياف قد تكون في بعض معانيها نذيراً وتنبهياً للإنسان، رغم أنها ليست حجة. وقد روي أحدهم بعد وفاته فسئل: كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كالعصفور الحيّ، حين يُقلَى على المقلَى، لا يموت فيستريح، ولا ينجو فيطير.

وأكد في ختام خطبته أن الإنسان حينما يذكر الموت إنما من أجل أن يخلق التوازن في شخصيته، فيعرف كما أن في الحياة مُتَعٍ ولذات، فإنها لا تخلو من الصعاب، والمصائب، وأن بعض تلك الصعاب حتمي الوقوع، كالموت الذي هو أشدها.

فلا بد من الاستعداد لتلك اللحظة الحتمية ولما بعدها بالعمل الصالح.

والحمد لله رب العالمين.

ذكرى النكبة وأمل الانتصار

خطبة الجمعة بتاريخ ١١ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار الحكومات العربية بدعم المقاومة والصمود الفلسطيني، وأن تكون القضية الفلسطينية محور علاقاتها مع بقية دول العالم، مؤكداً أن ذلك سيغير من معادلة الصراع العربي الإسرائيلي، مشيراً إلى أن الهدف الأول من قيام دويلة إسرائيل في قلب العالم العربي هو تمزيق صفوف الأمة، وساعدهم على ذلك الأرضية الخصبة التي تتمتع بها هذه الأمة من قابليتها للاستجابة السريعة لمؤامرات النزاع والفرقة.

وأكد أنه ليس مطلوباً من الحكومات قتال إسرائيل، وإنما أن يتركوا هذه المقاومة تؤدي دورها البطولي في مواجهة الكيان الغاصب، وأن لا يُعرقلوا مسيرتها، إذ يكفي التآمر العالمي ضدها، كما أن على الحكومات عدم الاستجابة لمطالب القوى المستكبرة التي تُريد أن تصنع منهم قوة ضاغطة ضد المقاومة.

وفي سياق آخر أعرب الشيخ الصفار عن تعاطف مع المنكوبين في الصين وميانمار جراء الزلزال الأخير، وأكد أن هذه الكوارث طبيعية، وليس كما يذهب إليه البعض من أنها عقاب من الله تعالى. مبيّناً أن هذه الكوارث الطبيعية تمثل شيئاً بسيطاً من صور الأهوال العظيمة في يوم القيامة، حيث لا نجاة من تلك الأهوال إلا باتباع الطريق القويم

والنهج الإيماني الصحيح، الذي من خلاله فقط يكون الإنسان في أمانٍ من كل تلك الأهوال العظيمة في يوم القيامة.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية الخطبة الأولى للجمعة ١١ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ (١٦ مايو ٢٠٠٨ م) إلى أن أقبح شيء يُمكن للإنسان أن يُمارسه في الحياة هو اعتداؤه على حقوق الآخرين، وقد حذّر الشارع المقدّس والعقل معاً من هذه الممارسة القذرة، وهي تنتج عن خلل في داخل نفس الإنسان وانحراف في سلوكه. مضيفاً: إن النصوص الدينية تتحدث عن تبعات الظلم في الآخرة، حيث يتنقم الله من الظالمين، فلا يجوز عبداً على الصراط بمظلمةٍ أبداً. وفي الوقت الذي يعفو الله تعالى ويصفح عن الذنوب والمعاصي المتعلقة بحقوقه تعالى، إلا أنه لا يتجاوز عن ظلامات الآخرين، حتى يأخذ الحق لهم أو يصفحوا بأنفسهم، وفي الحديث عن رسول الله أنه قال: بين الجنة والعبد سبع عقاب، أهونها الموت. قال أنس: فما أصعبها يا رسول الله؟ قال: الوقوف بين يدي الله عز وجل إذا تعلّق المظلومون بالظالمين^(١).

وتحدث عن بعض صور الظلم التي منها: أن يقع الظلم على فئة من الناس، لأنهم من عرق أو دين أو مذهب معين، مؤكداً أن هذا الظلم من أكبر أنواع الظلم. ومن صور الظلم التي ذكرها الشيخ الصفار وقوع الظلم على شعب بأكمله من قبل قوى استكبارية تسعى للهيمنة على الشعوب، مبيّناً أن هذا الظلم لا يُعادله ظلمٌ في الحياة، وهو أخطر أنواع الظلم على الإطلاق.

وأكد الشيخ الصفار أن الله تعالى يقتص من الظالمين إن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، وهناك الحساب شديد، إلا أن النصوص الدينية والأحداث التاريخية تؤكد أن القصص

(١) كنز العمال. ج ٣، ص ٥٠٤.

من الظالمين لا يقتصر على يوم القيامة فحسب، بل إن ذلك قد يتحقق في الدنيا وبأشكال متعددة، حتى وإن لم يتعرفها المظلومون، فالله تعالى لا يُضيع حق عباده، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾، ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «ظلامة المظلومين يُمهلهما الله ولا يُمهلهما»^(١).

وقال الشيخ الصفار: عندما تعي الشعوب ظلامتها، وتلتفت لمصادر القوة لديها، فإنها وإن رضخت للظلم في وقت ما، فإنها ستنتفض على واقع الظلم، وستهب للانتصار لنفسها.

معرجًا بالحديث عن الأحداث التي يعيشها الشعب الفلسطيني، حيث المفارقة الكبيرة بينه وبين الكيان الغاصب، حيث يحتفي الإسرائيليون بمرور ستين عامًا على إقامة دويلتهم المصطنعة، بينما يعيش الفلسطينيون ذكرى النكبة. مسلطًا الضوء على هذه الذكرى المؤلمة التي عصفت بالشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ م، بعد أن كانت نسبة اليهود في فلسطين لا تتجاوز ٦٪ قبل ذلك العام، أصبحت مع إعلان هذه الدويلة الغاصبة ٣١٪. مضيئًا: إن اليهود الذين كانوا مشردين ومنبوذين من قبل شعوب العالم وخصوصًا أوروبا، نتيجة تصرفاتهم السيئة، يأتون إلى أراضي المسلمين ويحتلونها ويغتصبونها، وفوق ذلك كله يحظون بالدعم والتأييد العالمي من كبريات الدول وعلى رأسهم أمريكا وأوروبا. ففي عام ١٩١٧ تعهدت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، مما دعاهم لتيسير الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفي عام ١٩٤٧ صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإنشاء دولتين عربية ويهودية. فقد أعلنوا دويلتهم عام ١٩٤٨ م، وقاموا في تلك السنة بأفطع جرائم التاريخ حتى أطلق على تلك السنة (سنة النكبة) إذ طُرد من الفلسطينيين (٧٠٠) ألف، ودُمّرت (٥٣١) قرية ومدينة فلسطينية، وأسفرت تلك السنة عن (٣٠) مذبحه موثقة حصلت للفلسطينيين على يد

(١) مستدرک سفینه البحار. ص ٣٢.

اليهود الغاصبين. إضافةً لذلك فإن الإسرائيليين صادرو أكثر من (١٧) مليون دونم من الفلسطينيين، و٩٣٪ من أراضيهم تعود للفلسطينيين.

وأكد الشيخ الصفار أن قيام دويلة إسرائيل في قلب العالم العربي هدفه تمزيق العالم العربي والإسلامي، فكل الأحداث المؤلمة التي حصلت في العالم العربي منذ قيام إسرائيل كان لليهود يدٌ فيها، إضافةً للأرضية الخصبة التي تتمتع بها المنطقة العربية من حيث قابليتها للاستجابة السريعة لمؤامرات النزاع والتفرقة.

وأضاف: إن إسرائيل وحلفاءها من الدول الغربية لا تُريد لهذه المنطقة الاستقرار، بل تريد أن تبقى مشتعلة فيما بينها حتى يطيب للإسرائيليين بناء دويلتهم، لذا فهم يُروّجون الآن لفكرة الخطر الإيراني الأكبر على المنطقة، وتوجيه الصراع بذلك التوجه الخطير، ليصفوا الجو للكيان الصهيوني ليعيث في بلاد المسلمين فسادًا.

وأكد الشيخ الصفار أن الوعد الإلهي بالانتصار للمظلومين قد اقترب، وبدأ العد التنازلي للطغيان الصهيوني، فقد أدرك الشعب الفلسطيني ظلامته، وأصبح يمتلك وعياً كبيراً بأن حقه لا يمكن أن يُعطاه إلا من خلال المقاومة، فبات خيار المقاومة بالنسبة للفلسطينيين خياراً حاسماً، ولا يمكن التنازل عنه.

وطالب قادة الدول العربية والإسلامية بدعم المقاومة، مؤكداً أنه ليس مطلوباً من قادة هذه الدول قتال إسرائيل، فقد يئست الشعوب من ذلك، إلا أن عليهم أن يتركوا هذه المقاومة تؤدي دورها البطولي في مواجهة الكيان الغاصب، وألا يُعرقلوا مسيرتها، إذ يكفي التآمر العالمي ضدها، كما أن على هؤلاء القادة عدم الاستجابة لمطالب القوى المستكبرة التي تُريد أن تصنع منهم قوة ضاغطة ضد المقاومة.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالإشارة إلى أن الإسرائيليين نجحوا في فرض قضيتهم على مستوى العالم، وأصبحت محور علاقتهم مع الدول بحيث إن أمن إسرائيل وقيام دويلتهم هو في مقدمة كل العلاقات الدولية التي تُقيمها إسرائيل. مضيفاً: إن العرب لو

وحدوا رأيهم حول القضية الفلسطينية لكان الوضع الفلسطيني اليوم أفضل مما هو عليه، إنه ليس مطلوباً من حكومات الدول العربية أكثر من الدعم الحقيقي للمقاومة وإعطائها الفرصة من أجل أن تنتزع حقوقها وأن تُصحح المسار، ولو بأضعف الإيوان المتمثل في عدم عرقلة مسيرة المقاومة.

الخطبة الثانية

أوضح الشيخ الصفار في خطبته الثانية أن الكوارث الطبيعية التي تحصل بين يوم وآخر في مختلف العالم وآخرها ما حصل في الصين وميانمار ينبغي أن يُلفت نظر الإنسان لصورة بسيطة مما سيحصل في يوم القيامة.

وأشار إلى أن الزلازل وهي هزّات أرضية تُصيب قشرة الأرض، ويقول العلماء في كل يوم يحصل ما يقرب من (٢٥٠) زلزال معظمها يُصيب قاع البحار، والقليل منها يُصيب اليابسة، ويذهب ضحية هذه الزلازل سنوياً (١٤) ألف إنسان، والزلازل لا تستمر لأكثر من ثوانٍ معدودة، إلا أن هذه الثواني تفرز طاقة تدميرية بحجم (٢٠٠) مليون طن من المتفجرات، وأكثر من (١٠) آلاف مرة من طاقة أول قنبلة نووية استخدمها الإنسان. وأكد أن الإنسان لا يملك خياراً أمام حدوث هذه الكوارث الطبيعية، فغاية ما يستطيع القيام به هو معرفة المناطق التي تكثر فيها الزلازل، وكيف ينبغي أن تكون فيها نمط الحياة؟ وعلى أحسن الفروض يستطيع الإنسان تحديد موعد تقريبي لحدوث الزلازل.

وأضاف: بعض الكوارث الطبيعية ناتجة عن أوضاع بيئية يكون سببها الإنسان، وليس بالضرورة أن تكون عقاباً من الله تعالى كما يذهب إليه البعض.

وأكد على التعاطف مع المنكوبين جراء هذه الزلازل من بني البشر، فهم نظراء لنا في الخلق، كما يقول أمير المؤمنين: «الناس صنفان: إما أخٌ لك في الدين أو نظير لك

في الخلق»^(١).

من جانب آخر أكد الشيخ الصفار على ضرورة أخذ الدرس والعبرة من هذه الكوارث الطبيعية فهي لا تمثل إلا شيئاً بسيطاً جداً مما سيحدث في الآخرة، يقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا *﴾. ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ *﴾، مؤكداً على أن الإنسان ينبغي له أن يرى كيف سيكون وضعه في ذلك اليوم العصيب، وليمعن النظر فإذا كان في حالة الكوارث الطبيعية في الدنيا يجد الإنسان من يُسنده ويُساعده، فإن العواطف والمشاعر في الآخرة تنتهي، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ *﴾.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن سير الإنسان في طريق طاعة الله تعالى، والتزامه النهج الإيماني الصحيح، يجعله في أمانٍ من كل تلك الأهوال العظيمة في يوم القيامة، وتؤكد ذلك آيات القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *﴾.

والحمد لله رب العالمين.

(١) نهج البلاغة. كتاب رقم ٦٢، عهده إلى مالك الأشر.

البيئة العربية وإنتاج الصراعات

خطبة الجمعة بتاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

بارك سماحة الشيخ حسن الصفار للشعب اللبناني الاتفاق الذي توصل إليه الزعماء السياسيون في الدوحة، متمنياً أن يكون ذلك الاتفاق إيذاناً بمرحلة جديدة من الوفاق بين أطراف الساحة اللبنانية، يمكنها من البناء والإعمار ومواجهة أي عدوان صهيوني. ودعا الشيخ الصفار إلى دراسة وضع البيئة العربية لكونها منتجة للصراعات والنزاعات، مشيراً إلى أن هناك ثلاثة أسباب رئيسة، وراء فقدان السلم والاستقرار الداخلي، وهي غياب النظام السياسي العادل، وتجزد العصبية القومية والمذهبية والقبلية، ودور القوى الخارجية وعلى رأسها أمريكا وإسرائيل في تغذية وتشجيع النزاعات والخلافات داخل العالم العربي والإسلامي.

وفي سياق آخر وجه الشيخ الصفار خطابه للمجتمع بأن يعلن حالة الطوارئ لتجاوز العادات والتقاليد التي باتت تُكبّل حركته وتُعرقل مسيرته، وخصوصاً تلك التي ترتبط بمراسيم الزواج ومن أهمها عادة الإسراف والتبذير، والمبالغة في حفلات النساء، مطالباً النساء العاملات بدورٍ ريادي في سبيل تحطيم هذه العادات السببية، ومؤكداً على ضرورة أن يتحمل كل فردٍ في المجتمع مسؤوليته تجاه هذا الواقع، وأن يكون شجاعاً في التمرد على هذه الأغلال والقيود.

الخطبة الأولى

أكد الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (٢٣ مايو

٢٠٠٨م) أن النزاعات والصراعات على مختلف الصعد تُخلف وراءها تبعات وخسائر جسيمة، وإذا كانت أمام الإنسان فرصة للتخلص من نزاع قد تورط فيه فعليه أن يغتنم هذه الفرصة، ولا يُفوتها على نفسه، ذلك لأن تجنب العداء مع أي جهة كانت أمرٌ عقلائي، وكما يقول الحكماء: (عدوٌ واحدٌ كثير، وألف صديق قليل). مضيفاً: إن النزاعات والصراعات ليست محصورة في إطارٍ دون آخر، وإنما هي في مختلف الصعد سواءً الشخصي أو العائلي أو الاجتماعي أو السياسي، في إطار الفرد أو المجتمع. وشدد على ضرورة أن لا يغتر الإنسان بقوته فقد يتأتي الضرر من جهةٍ لا يتوقع منها ذلك، مشبهاً هذه الحالة بموقف الإنسان من البعوضة حيث تستطيع أن تؤذيه على صغر حجمها.

وأشار إلى أن القرآن الحكيم أقر قاعدةً عامة في موضوع النزاع والخصومة، يقول تعالى: ﴿وَالصُّلْحَ خَيْرٌ وَأَحْضَرْتِ الْآنَفُسَ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنُونَ وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٨]، فالصلح على إطلاقه خيرٌ من النزاع والصراع، إلا أن طبيعة النفس الشحيحة التي تحرص على مصالحها مهما كانت قليلة، هي التي تولد لدى الإنسان اندفاعاً باتجاه عدم التسامح، واجتناب النزاع. والله تعالى يؤكد في كثير من الآيات حسن الصلح، وقبح النزاع، ويدعو لمجاهدة النفس لتكون منقاداً للصلح والخير، بدل أن تتجه نحو النزاع والخصومة، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦١]. وأمير المؤمنين عليه السلام حينما سمع أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين، قال لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّيين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»^(١). وفي عهده لملك الأشتر، يقول: «ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة

(١) بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٥٦٢.

لجنودك، وراحةً من همومك، وأمنًا لبلادك».

وأبدى الشيخ الصفار فرحته باتفاق الدوحة الذي جمع الزعماء السياسيين اللبنانيين، معرباً عن استحقاق الشعب اللبناني لهذا الحدث الكبير فقد ناضل هذا الشعب، وأبدى بسالة وشجاعة على يد المقاومة الإسلامية الباسلة في مواجهة العدوان الصهيوني الغاصب، وكان لأحداث تموز ٢٠٠٦م أكبر الأثر في تغيير معادلة الصراع مع إسرائيل. وسلط الضوء على واقع البيئة العربية التي تُعتبر من أبرز البيئات إنتاجاً للصراع والنزاع، مؤكداً أن الطريق الأمثل لمواجهة حالات النزاع والصراع المتأججة في واقع الأمة العربية لا يتأتى من خلال عقد المؤتمرات والحوارات عند بروز أي نزاع، وإنما يتحقق من خلال معالجة البيئة العربية من أساسها لتكون بيئة منتجة لمقومات السلم والوفاق، وليس العكس، وهو ما تعيشه الأمة العربية اليوم من إنتاج متفاقم لحالات الصراع والنزاع في مختلف المناطق العربية، كالصومال والسودان والعراق ولبنان واليمن. وأفرد ثلاثة أسباب اعتبرها الأهم وراء كون البيئة العربية منتجة للصراعات والنزاعات:

أولاً: غياب النظام السياسي العادل، الذي ينبثق من قبول شعبي، وتتساوى فيه الحقوق والفرص، ويكون فيه تداول سلمي للسلطة. مشيراً أن هذا الأمر طبيعي في مختلف دول العالم المتقدمة، فلماذا تقبع الأمة العربية في واقعٍ مظلم يسوده الاستبداد والقهر، مؤكداً أن المظلومين إذا تحملوا الواقع الظالم لفترة من الزمن فإن ذلك لن يدوم طويلاً، وستكون لهم ردة فعلٍ عنيفة مع أقل فرصة تتاح لهم، من هنا فإن وجود نظام سياسي عادل يحمي البلاد العربية من تأجج الصراعات بين حينٍ وآخر. مطالباً النخبة السياسية في العالم العربي باتخاذ القرار الجاد تجاه هذا الواقع السياسي.

ثانياً: العصبية القائمة: عرقية، قبلية، ومذهبية، وهي تكشف عن خلل في واقع النخبة الدينية والفكرية. والأسوء من وجود هذه العصبية تزايد حالات الإثارة

والتعبئة المضادة بين مختلف الفئات في المجتمع العربي.

وأضاف: وجود تحليل سياسي لأي فرد على حدثٍ ما في الساحة السياسية، أمرٌ طبيعي، ومن حق أي أحد أن يكون له رأيه الخاص وتعاطفه مع أي جهة يُريد، إلا أن الأمر غير الطبيعي هو أن تُفرض الآراء السياسية، أو أن تكون مثارًا لإثارة النزعات الطائفية في الساحة. وأبدى استغرابه من سقوط بعض العلماء والمثقفين في وحل النزاعات الطائفية، رغم أن الساحة العربية مليئة بالموضوعات الأكثر أهمية إلا أن البعض ينجرون إلى مثل هذه الصدمات مبرر أو بدون مبرر.

مشيرًا إلى أن الواقع السياسي الذي تعيشه الأمة العربية له أثره أيضًا على الواقع الفكري والثقافي، فغياب الهوية المشتركة والحاضنة للجميع من شأنه أن يدفع الناس للاحتفاء بهوياتهم الفرعية الخاصة.

وأثار تساؤلًا يطرح نفسه: إذا كان للسياسيين مبرراتهم في خوض النزاعات لتحقيق جانب من المصالح السياسية، فما بال العلماء والمثقفين الذين ينجرون لهذه الصراعات والنزاعات التي ستأتي على ما بقي من مكانةٍ للأمة بين الأمم؟ مؤكدًا أن لا مبرر لهم، وعليهم أن يستيقظوا من سباتهم قبل فوات الأوان.

ثالثًا: دور الخارج، المتمثل في القوى الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، وحليفاتها المدللة إسرائيل، إذ لا تقرّ لهم عين ما لم يُثيروا الفتن والصراعات تطبيقًا لنظرية الفوضى الخلاقة. فتراهم يُعرقلون كل مبادرات الصلح والسلام في الأوساط العربية، وما شهدته الساحة اللبنانية من أحداثٍ خير شاهدٍ على محاولاتهم التي ترفض حصول الصلح، وقد طرحت واشنطن علامات استفهام حول إعطاء جماعة ١٤ آذار الثلث المعطل للمعارضة وطلبت إيضاحات، كل ذلك تأكيدًا على رغبتهم في تمزيق الصف العربي.

وأكد أن الخارج لا يتأتى له ذلك إلا عندما تكون الساحة العربية خصبة، ومستقبلة

لمؤامراته، لذا فإن الحل هو في إصلاح الواقع العربي، وليس في إلقاء اللائمة على الخارج فقط.

واختتم الشيخ الصفار خطبته بتوجيه نداءٍ عاجل لجميع السياسيين والعلماء والمثقفين في العالم العربي لمعالجة هذا الواقع المرير الذي يقعون فيه، من أجل أن تصل الأمة العربية إلى مرحلة الاستقرار والنضج العام في مختلف الأبعاد السياسية والاجتماعية.

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في خطبته الثانية أن المجتمعات تُعاني من وجود بعض الأغلال والقيود التي تُكبّل حركتها، وتُعرقل مسيرتها، وتتفاوت المجتمعات في مدى تعاطيها مع هذه الأغلال والقيود.

مضيفاً: إن مجتمعنا يُعاني من بعض الأغلال التي باتت تُشكّل عبئاً كبيراً على المجتمع، وأصبح يئن منها، إلا أن المشكلة هي في الاستجابة لهذه الأغلال، ووجود الصعوبة البالغة في الوقوف أمامها. مؤكداً أن الشعور بالعرف الاجتماعي الضاغط هو الذي يدفع باتجاه الاستجابة لهذه الأغلال والقيود.

وأشار إلى أن رسالة النبي جاءت من أجل رفع الأغلال التي يُكبّل المجتمع بها نفسه، ثم يئن منها، يقول تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٥٧]. ويقول الإمام علي محذراً من خطورة الاستجابة للعادات: «غالبوا أنفسكم على ترك العادات تغلبوها، وجاهدوا أهواءكم تملكوها»^(١).

وسلّط الشيخ الصفار الضوء على بعض عادات مراسيم الأفراح والأعراس، التي باتت مكبّلة للمجتمع، ومن أبرز تلك العادات:

أولاً: الإسراف والتبذير والنفقات الكبيرة على مراسيم الأفراح، بدءاً من بطاقات

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

الزواج، وانتهاءً بمراسم العرس. مؤكداً أن الأمر واضحٌ جداً والمجالس حافلةٌ بالحديث عن هذه العادات حيث التضجّر منها، وذمّها، بينما المفارقة العجيبة تكمن في استجابة الجميع لها، بدعوى ليس باليد حيلة.

وانتقد الشيخ الصفار بشدة الطريقة المتبعة للضيافة في الأعراس، بوضع الصحون الكبيرة المملوثة بالرز واللحم التي لا يستهلك منها إلا جزء بسيط ويرمى الباقي، واصفاً إياها بالمتخلفة، وداعياً إلى ضرورة تجاوزها، مؤكداً أنها لا تُمارس إلا في واقعنا الخليجي. ثانياً: المبالغة في حفلات النساء، حيث التباهي بأفخم الصالات، وأرقى الملبوسات، وأرقى أنواع الضيافة، وكل ذلك على حساب الأسرة، والجيل القادم. وفوق ذلك كله مستوى التأخير في حفلات النساء فاق المستوى المعقول، حيث التأخير إلى قرب طلوع الفجر، وبالتأكيد فإن لذلك مضاعفاتٍ كبيرة على الاستقرار الأسري، لكثير من الأسر في الواقع الاجتماعي.

مهيباً بالأخوات العاملات في المجال الديني والثقافي والاجتماعي أن تكون هنّ مبادرة في سبيل تخطي هذه المرحلة حيث تسيطر هذه العادات على واقع الأعراس في المجتمع. ضارباً مثلاً مميّزاً للملتقى النسائي بجدة، حيث نظّم حملة توعوية ضد العادات السلبية في حفلات الأعراس، داعياً الأخوات في المنطقة لاتخاذ خطوات رائدة في هذا المجال. وفي ختام الخطبة وجه الشيخ الصفار خطابه للجميع بأن يتحمل كل فردٍ مسؤوليته تجاه هذا الواقع، وعندما يصل الأمر إليه، فعليه أن يكون شجاعاً وجريئاً في التمرد على هذه الأغلال والقيود، لينتقل من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق. والحمد لله ربّ العالمين.

الأعمال الحرة خيار أفضل

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار نظرة الشباب للوظيفة وأنها الخيار الوحيد، مشجعاً على الأعمال الحرة، ومؤكداً أنها خياراً أفضل، لما لها من تأثير كبير على الجانب المادي والذهني لمن يتجه بهذا الاتجاه، وأن النصوص الدينية تُشجع الإنسان على التجارة والأعمال الحرة. وأوضح أن تحقيق هذا التوجه بحاجة إلى عدة أمور: التفكير الجاد والبحث عن فرص العمل الحر.

وجود الأنظمة والقوانين المساعدة، الجدية والاهتمام وتحمل المسؤولية، وحاجة العمل الحر إلى رأس مال، مؤكداً أن عامل المال قد تقلص بتوفر عدة جهات مساندة ومن أبرزها صندوق المئوية الذي تم مؤخراً توقيع اتفاقية إنشاء فرع له في محافظة القطيف، إضافة إلى أن بعض المشاريع لا تحتاج إلى رأس مال كبير بقدر ما تحتاج إلى وجود فكرة مميزة.

وفي سياق آخر تحدث عن أهمية الوازع الديني في نفس الإنسان وأنه الرادع الأقوى من الوقوع في الانحراف والفساد، في حين أن الروادع الخارجية لا تستطيع الصمود أمام توجه الإنسان الانحرافي. وأكد أن شعور الإنسان بالرقابة الإلهية وأنه في يوم القيامة سيواجه محاسبة دقيقة وأن هناك شهوداً متعددة عليه، فالأرض تشهد والزمن يشهد، والملائكة تشهد، وحتى الأعضاء والجوارح تشهد، عندها سيكون الإنسان متوجهاً بقلبه

لله تعالى مبتعداً عن المعاصي والذنوب.

الخطبة الأولى

استفتح الشيخ الصفار خطبة الجمعة ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ (٣٠ مايو ٢٠٠٨م) بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٠]، مبيناً أن هذه الآية من الآيات التي يمتنُّ الله تعالى فيها على عباده بنعمه الغزار التي تُحيط بالإنسان، وهدف ذلك أن يلتفت الإنسان إلى هذه النعم العظيمة، إذ من المحتمل أن يغفل الإنسان عن هذه النعم أو يجهلها.

وأضاف: إن الآية الكريمة تؤكد أن الله تعالى قد منح الإنسان الأدوات التي من خلالها يستطيع أن يُسخر الأرض، ويكتشف مكنوناتها وكنوزها، ووهبه فوق ذلك العقل ليكون المحرك الأقوى لهذا الاتجاه.

مؤكدًا أن من أهم ما يحتاجه الإنسان في هذه الحياة أن تتوفر له أسباب المعيشة الكريمة، مشيراً إلى أن هناك من بني البشر من يُحققون ثروات طائلة في حياتهم فتكون جميع احتياجاتهم المادية تحت إرادتهم، وهناك من الناس من يعيشون حالة الكفاف، إن لم يكن الفقر.

ويرجع السبب في وجود حالات الضعف وعدم التمكن من الوصول إلى مكاسب الرزق، إلى أحد أمرين:

الأول: وجود ظلم يمنع بعض الناس من الوصول إلى مكاسب الرزق.

الثاني: حالة الكسل والتخاذل التي يعيشها البعض مما يُعيق حركته ونشاطه باتجاه العمل والتفكير الجاد للوصول إلى مكاسب الرزق.

واعتبر الشيخ الصفار أن قضية تأمين فرص العمل والحياة الكريمة للناس من أهم القضايا التي أصبحت تُمثلُ همًّا على مستوى البلد والعالم بشكل عام. مشيراً إلى أن المملكة

وهي تحتضن ٦٠٪ من شعبها من الشباب، فإن لهذه القضية أهمية كبرى وبالغة. وأكد على أن دور الإنسان نفسه في التغلب على هذه المشكلة هو من أهم العوامل التي يُمكن التعويل عليها لتجاوز بعض من جوانب هذه القضية الحساسة. وانتقد الحالة السائدة عند الشباب في نظرهم للوظيفة، وأنها الخيار الوحيد، مشجّعاً على طرق باب الأعمال الحرة، وأنها خياراً أفضل من الوظيفة، لما لها من تأثير كبير على الجانب المادي والذهني لمن يتّجه بهذا الاتجاه.

وأكد أن النصوص الدينية تُشجع الإنسان على التجارة والأعمال الحرة، بل إن هناك نصوصاً تضع الوظيفة في دائرة المكروه، حيث عنون الحر العاملي باباً في كتاب «الوسائل» بعنوان «كراهة إجارة الإنسان نفسه» والوظيفة هي إجارة. جاء فيه عن الإمام الصادق: «من آجر نفسه فقد حذر على نفسه الرزق»^(١). وذكر نماذج من النصوص المشجعة على التجارة، ومنها:

- قال رسول الله ﷺ: «الرزق عشرة أجزاء، تسعة منها في التجارة، وواحد في غيرها»^(٢).
- وقال أمير المؤمنين ﷺ: «تعرضوا للتجارة فإن فيها غنى لكم عمّا في أيدي الناس»^(٣).
- وقال ﷺ: «من طلب التجارة استغنى عن الناس. قلت: وإن كان معيلاً؟ قال: «وإن كان معيلاً. إن تسعة أعشار الرزق في التجارة»^(٤).
- وقال ﷺ: «التجارة تزيد في العقل»^(٥).

(١) الكافي. ج ٥، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه. ص ٣١٩.

(٣) المصدر نفسه. ص ١٤٩.

(٤) المصدر نفسه. ص ١٤٨.

(٥) وسائل الشيعة. ج ١٧، ص ١٢.

وواضح أن الاعمال الحرة تفتح الآفاق امام فكر الإنسان وتجعله على صلة مباشرة بالأوضاع، فهي تزيد خبرته وتجربته وعلاقاته.

ولتحقيق هذا التوجه المهم، أكد الشيخ الصفار على عدة أمور:

١. التفكير الجاد، والبحث عن فرص العمل الحرّ.
٢. وجود الأنظمة والقوانين المساعدة، فقد تكون الأنظمة في بعض حالاتها معوّقة ومعرّقة لحركة الأعمال الحرة لدى الشباب، مؤكداً أن بلادنا تحتاج إلى قفزة نوعية على هذا الصعيد، ليتسنى للشباب تحقيق طموحاتهم وآمالهم من خلال الانخراط في العمل الحرّ، وبالتأكيد فإن نجاحهم يعني نجاح البلد ككل. وأشار إلى خير نشرته الصحف المحلية يؤكد وجود نوع من الإعاقة بسبب بعض التعقيدات الإدارية والبيروقراطية. والخبر يؤكد أن صناعيين بجدة هاجموا الهيئة السعودية للمدن الصناعية وأمانة محافظة جدة لتعطيلها لحوالي (١٠٠٠) طلب ترخيص لإنشاء مصانع منذ ١٥ سنة بحجة عدم وجود أراضي مخصصة رغم توفر ١٨٠ مليون متر مربع مساحة صناعية تعود ملكيتها لأمانة جدة. وجاء ذلك في ورشة عمل نظّمها الصناعيون مع الإعلاميين في الغرفة التجارية الصناعية بجدة (اليوم الإلكتروني - الثلاثاء ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٨ م).

٣. الأعمال الحرة تحتاج إلى جدية واهتمام وتحمل للمسؤولية، والهروب من المسؤولية لن يحقق للإنسان نجاحاً مطلقاً. والله تعالى يؤكد أن الإنسان في هذه الحياة إنما من أجل الجِدِّ والعمل والكِدِّح، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [سورة الانشقاق، الآية: ٦]. بيد أن البعض يبحثون عن وظيفة يرونها مريحة في مقابل العمل الحرّ الذي يكلفهم مسؤولية والتزاماً.

٤. حاجة العمل الحرّ إلى رأس مال، وأكد أن هذا العامل قد تقلص قليلاً لوجود عدة طرق لتوفيره، ويأتي صندوق المتوىة كأحد الروافد في هذا الجانب، حيث

يُقدّم الصندوق قرصًا من (٥٠) إلى (٢٠٠) ألف ريال لدعم المشاريع الصغيرة، إذا استوفت الشروط المطروحة، كما يقدم الصندوق الدعم الاستشاري والخبرة وكذلك التسهيل في الدوائر الرسمية. وقد قام الصندوق بمساعدة العديد من المشاريع منذ بدء العمل مع الصندوق. وأشار إلى الاتفاقية التي تم توقيعها لإنشاء فرع الصندوق في محافظة القطيف مساء يوم الثلاثاء الماضي. إضافة إلى أن بعض المشاريع لا تحتاج إلى رأس مال كبير بقدر ما تحتاج إلى وجود فكرة مميزة. وأكد الشيخ الصفار أن عالم الأعمال الحرة كما أن فيه قصص الفشل فإنه حافل بقصص النجاح والتقدم، موجّهًا إلى دراسة عوامل وأسباب الفشل في المشاريع التي لم يُحالفها الحظ، بدل أن تكون معوّقًا للدخول إلى هذا الميدان المهم.

وذكر الشيخ الصفار بعضًا من قصص النجاح في محافظة القطيف.

ودعا الشيخ الصفار رجال الأعمال إلى تشجيع هذه الخطوات الرائدة، مؤكدًا أن الاقتصاد على مساعدة الفقراء بتقديم الإعانة غير مجدية لتحقيق وسائل الحياة الكريمة في المجتمع، في حين أن فتح المجال أمام الشباب للدخول إلى عالم الأعمال الحرة من شأنه أن يدفع بالمجتمع إلى مرحلة جديدة من النشاط والفاعلية، إضافةً إلى أنه سيقبل من وجود حالات الضعف والعوز في المجتمع.

وأضاف: ينبغي أن تتضمن مناهج التعليم ما يُحفّز الشباب للدخول إلى عالم الأعمال الحرة، وعدم الاقتصاد على الوظائف المحدودة، كما أن وسائل الإعلام المختلفة تتحمل جانبًا من المسؤولية في تغذية هذا الجانب عند الشباب.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالدعوة إلى شحذ الهمم من أجل مستقبل واعد لجميع

الشباب.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في الخطبة الثانية إلى أن دواعي الانحراف والفساد موجودة في

نفس الإنسان، فكما أن الله تعالى منح الإنسان عقلاً وإرادة وضميراً، فقد أودع في نفسه الأهواء والشهوات والغرائز، وبذلك يعيش الإنسان صراعاً بين العقل والغرائز. مؤكداً أن كل الوسائل الخارجية التي تسعى لمنع الإنسان من التوجه باتجاه الانحراف غير كافية، ولذا فإن العالم الآن يعج بمختلف أنواع الانحرافات والفساد على مستوى القيادات والزعامات فضلاً عن الناس العاديين. ويؤكد الشيخ الصفار أن وجود الوازع الديني في نفس الإنسان هو الذي يجعلها يتجنب الوقوع في المفاسد والانحراف، وكلما كان هذا الوازع ضعيفاً فإن طرق ووسائل الانحراف ستكون مفتوحة على مصراعها. وأضاف: شعور الإنسان بوجود رقابة إلهية عليه، وأنه سيحاسب يوم القيامة، وأنه لا مفر من الحساب، هذا الشعور يولد لدى الإنسان رادعاً عميقاً من الوقوع في الانحراف، خصوصاً إذا علم أن جميع حركاته مرصودة، والشهود على ذلك متعددين، ومنها:

أولاً: الأرض، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة، الآية: ٤].

ثانياً: الملائكة، يقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية: ١٨].

ثالثاً: الزمن، يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «كل يوم يأتي على ابن آدم يقول له: أنا يومٌ جديد، وغداً عليك شهيد، فقل في خيراً، واعمل في خيراً، أشهد لك يوم القيامة»^(١).

رابعاً: الأعضاء والجوارح، يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة فصلت، الآيات: ١٩-٢٣].

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن حسن الظن بالله تعالى منجاة، وذلك بالطبع يستلزم التوجه لله تعالى بإخلاص، ففي الحديث القدسي: «أنا عند حسن ظنّ عبدي المؤمن بي»^(١)، وعن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «ليس من عبدي يظن بالله عز وجل خيراً إلا كان عند ظنه به»^(٢). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله إذا حاسب الخلق يبقى رجل قد فضلت سيئاته على حسناته، فتأخذ الملائكة إلى النار، وهو يلتفت. فيأمر الله برده. فيقول له: لم التفت؟ وهو تعالى أعلم به. فيقول: يا رب ما كان هذا ظني بك. فيقول تعالى: يا ملائكتي أجزوا له كذبه وأدخلوه الجنة»^(٣).

(١) بحار الأنوار. ج ٦٧، ص ٣٨٥.

(٢) المصدر نفسه. ص ٣٨٤.

(٣) وسائل الشيعة. ج ١٥، ص ٢٣١.

مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي

خطبة الجمعة بتاريخ ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن موسى الصفار أن الحوار والتلاقي خيار الأمة الوحيد لإزالة ترسبات الماضي، مثنياً على مبادرة خادم الحرمين الشريفين لعقد مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي، الذي كشف عن وجود صورة مشوشة لدى كل طرف من الأطراف الإسلامية عن الآخر، مما يؤكد أهمية وضرورة التلاقي والحوار. وأوضح أننا نُعاني من مشكلتين: الأولى: إننا نُحمّل الآخرين مسؤولية التعرف إلينا، متغافلين عن مسؤوليتنا تجاه ذلك. والثانية: اعتقاد الكثيرين أن الآخرين يُصرون على الظلم واتباع غير طريق الهدى، مؤكداً أن هذا الكلام قد يصدق على الجاحدين والمتعصّبين ضد الإسلام والمذاهب المخالفة، أما تعميم الكلام فهو في غير محله.

وفي سياقٍ آخر نعى الشيخ الصفار رحيل العالم الربّاني الفقيه آية الله السيد محمد رضا الشيرازي، مؤكداً أنه مثالٌ للعالم التقي الورع والعابد الزاهد، صاحب الأخلاق الرفيعة والخصال الحميدة، وفوق ذلك فإنه يتميز بغزارة علمه ونباهته. مضيفاً: إن فقدته يُمثل خسارةً جسيمةً على الأمة بشكلٍ عام وعلى المرجعية بشكلٍ خاص، فقد كان معقوداً عليه آمالٌ كبيرة.

الخطبة الأولى

استعرض الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ (٦ يوليو ٢٠٠٨م) آراء المفسرين حول قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿سورة الممتحنة، الآية: ٥﴾، مبيناً أن لفظة ﴿فِتْنَةٌ﴾ تتضمن أحد معنيين:

الأول: الامتحان والاختبار

الآخر: اضطراب الحال وفساده، بمعنى لا تجعل الاضطراب والفساد في أحوالنا بسبب الذين كفروا.

ورجح القول الذي ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير)، حيث قال في تفسير هذه الآية: (ويجوز عندي أن تكون (فتنة) مصدرًا بمعنى اسم فاعل، أي لا تجعلنا فاتنين، أي سبب فتنة للذين كفروا، فيكون كناية عن معنى لا تُغلب الذين كفروا علينا، واصرف عنا ما يكون به اختلال أمرنا وسوء الأحوال كي لا يكون شيء من ذلك فاتناً للذين كفروا، أي مقويًا فتنتهم، فيفتنوا في دينهم، أي يزدادوا كفرًا وهو فتنة في الدين، أي فيظنوا أننا على الباطل وأنهم على الحق).

واعترف الشيخ الصفار أن هذا المعنى راجح وأنه دقيق، حيث إن المسلم قد يكون سبباً لابتعاد غير المسلم عن الإسلام، وذلك من خلال واقعه الذي يكشف للعالم مدى صوابية دينه من عدمه، فالناس عقولهم في أعينهم.

وكذلك الحال بالنسبة لأتباع أي مذهب من المذاهب، فواقع الحال يكشف للآخرين طبيعة هذا المذهب، وبالتالي ينعكس على تقبلهم له من عدمه.

وأكد أن كل واحد يتحمل مسؤولية رسم صورة دينه ومبادئه للآخرين، فكلما استطاع أن يرسم صورةً ناصعةً فإن تقبل الآخرين لذلك الدين وتلك المبادئ سيكون في مستوى متقدم.

وأضاف: إننا نعانى في واقعنا من مشلكتين:

الأولى: إننا نحمل الآخرين مسؤولية التعرف إلينا وعلى ديننا ومبادئنا، متغافلين عن

مسؤوليتنا تجاه ذلك، معتبرين أن الواجب الفعلي يقع على الآخرين للوصول إلى الحق، بينما ديننا يُربينا على تحمل المسؤولية، فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام قوله: «إن الله ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يُعلموا»^(١).

الثانية: هناك اعتقاد عند الكثيرين أن الآخرين يُصرون على الظلم واتباع غير طريق الهدى، وهذا الكلام قد يصدق على الجاحدين والمتعصّبين ضد الإسلام والمذاهب المخالفة، أما تعميم الكلام فهو في غير محله. ونحن نقرأ في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كيف أنه كان يتلمّس لقومه الأعداء مع أنهم مشركون، إلا أنه كان يُكرر مقولته المشهورة: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وأكد الشيخ الصفار على ضرورة أن يتحمل كلُّ مسؤوليته تجاه التعريف بواقعه الديني، ولا يُلقى بالمسؤولية على الآخرين، فإن الواقع الإعلامي قد يقلب الحقائق في زمنٍ أصبح فيه الإعلام من أهم الوسائل للوصول إلى أفكار وأذهان الناس. مضيئاً: إن أدنى مستويات تحمل المسؤولية هو أن لا يكون الواقع والصورة التي يراها الآخر منقّرة عن الدين أو المبدئ والمعتمد.

وأكد أن مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي كشف عن الحاجة الماسة لمزيد من اللقاءات والحوارات التي تهدف للحوار والتعارف وتقديم الصورة السليمة للاتجاهات الأخرى. مضيئاً: إن هذا المؤتمر الذي يضم أكثر من (٥٠٠) عالم وباحث من مختلف التوجهات والبلاد الإسلامية أوضح في أكثر من موقف وجود حالة من الضبابية التي تكشف صورة غير دقيقة عن الطرف الآخر المخالف، مبيّناً أن ذلك على المستوى الشيعي تجاه السني، أو السني تجاه الشيعي، وأورد مثالين عايشهما خلال هذا المؤتمر، أحدهما حينما ترأس الجلسة فضيلة الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، يقول الشيخ الصفار: فبان الامتعاض على وجه بعض

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ٧٨.

الحضور، إلا أنهم بعد أن أصغو لحديثه أبدوا إعجابهم بمنطقه وأدبه وأسلوبه، وعبروا عن إعجابهم ورغبتهم في مزيد من التعارف والتواصل. ويُضيف: وفي المقابل فإن أحد المشاركين من العلماء الشيعة حينما استمع لحديث بعض العلماء السلفيين ووجد فيهم الاعتدال أبدى استغرابه من وجود مثل هذه الحالة في الجانب السلفي، مما يؤكد أن صورة كل طرف لدى الآخر مشوّشة وتحتاج إلى صياغة جديدة، مؤكداً أن المسؤولية تقع على كل طرف للتعريف بنفسه ورسم الصورة التي تليق بشأنه لدى الآخر.

وخلص الشيخ الصفار إلى أن الحوار يُمثل حلاً أساسياً تجاه الواقع الذي تعيشه المذاهب الإسلامية من حالة القطيعة وعدم وضوح صورة الطرف المخالف، مبيّناً استنكاره لحالة الصراع والصدام مؤكداً أنها خيارٌ يضر الجميع، وقد كانت التجارب السابقة خير دليل على سوء هذا الخيار.

وبالنسبة لمن يستعجل النتائج يؤكد الشيخ الصفار لهم بأن القطيعة والتعبئة المضادة المتبادلة لأكثر من (١٤) قرن من الزمن ليس من السهل إزالتها بين عشية وضحاها، إنها بحاجة لبذل الجهد المكثف حتى تتقلص شيئاً فشيئاً، مؤكداً أن الأحداث والوقائع التي تجري تؤكد أن آثار الحقب الماضية لا زالت شديدة، وستترك مضاعفات سلبية كبيرة إذا لم تتجه الأمة باتجاه الحوار والتلاقي لتوضيح الصورة للأطراف الأخرى.

وأكد في ختام خطبته أن هذا التوجه بطبيعته سيواجه باستنكارٍ وستوضع أمامه العراقيل، مؤكداً أن البيان الذي أصدره (٢٢) من المشايخ في المملكة هو نموذج من نماذج المواجهة السلبية تجاه هذا التوجه الإيجابي، مؤكداً أن الأمل معقودٌ على إرادة المجتمعين والمتحاورين، بأن يصمدوا أمام مختلف الضغوطات، وأن يُثبتوا للأمة التزامهم بهذا المنهج، وأنه السبيل الوحيد لإنقاذ الأمة وإعطائها الصورة المشرقة للعالم.

الخطبة الثانية

استفتح الشيخ الصفار الخطبة الثانية بخطبة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يصف فيها المتقين، حيث روي أن صاحباً لأمر المؤمنين يقال له همام، وكان من شيعة أمير المؤمنين وأوليائه وكان ناسكاً عابداً، قال له يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كاتي أنظر إليهم فتناقل عن جوابه ثم قال: يا همام اتق الله وأحسن ف ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾، فلم يقنع همام بهذا القول، حتى عزم عليه.

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: «أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حيث خلقهم غنياً عن طاعتهم أمناً من معصيتهم لأنه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه فقسّم بينهم معاشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم. فالتقون فيها هم أهل الفضائل منطقتهم الصواب وملبسهم الإقتصاد ومشيتهم التواضع غصوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء لو لا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفه عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظم الخلق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معدّبون قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففقدوا أنفسهم منها... إلى آخر الخطبة». قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين: أما والله لقد كنت أخافها عليه، ثم قال: هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها.

من هذه الخطبة العظيمة لسيد البلغاء والموحدين أمير المؤمنين انطلق الشيخ الصفار في الحديث عن علم من أعلام أهل البيت رزئت الأمة بألم فقدته المفاجئ خلال الأسبوع المنصرم وهو ساحة الفقيه آية الله السيد محمد رضا الشيرازي رحمته الله.

وأشار الشيخ الصفار أن هذه الخطبة وهذه العبارات التي احتوتها حول صفات المتقين قد يتبادر للأذهان أنها صعبة التحقق في الواقع الخارجي إلا لمن عصمهم الله تعالى، إلا أنه من نعم الله تعالى على الأمة أن لا يخلو عصر من العصور، ولا مجتمع من المجتمعات من نهاج تُجسّد هذه الصفات بأعلى مستوياتها الممكنة، مؤكداً أن سباحة الفقيه السيد محمد رضا الشيرازي كان مثلاً جلياً لهذه الصفات والخصال الرفيعة، فقد كان عفيفاً نزيهاً زاهداً ورعاً، وكل من عاشه يشهد له بذلك.

وتحدث عن جانب من حياته ونشأته، مشيراً أن السيد الفقيه وُلد ونشأ في أسرة علمية عُرفت بمحاسن الأخلاق وعظيم الصفات. مضيفاً: إن الفقيه كان قمةً في الأخلاق والتواضع، فقد عرفته وهو في العقد الثاني من عمره، وإن أقل ما يُمكن أن يُوصف به هذا الرجل أنه نموذجٌ للعالم الربّاني، فهو على الرغم من كونه الابن الأكبر للمرجع، ومن الطبيعي أن يحظى بالنفوذ والمكانة إلا أن تواضعه وأخلاقه السامية كانت أعلى من أن يسعى لممارسة النفوذ بحكم مكانته.

وأضاف: إن السيد الفقيه كان يذوب خجلاً وتواضعاً مع الآخرين حتى لتلامذته والناس العاديين وصغار القوم. وفوق ذلك: فإن الفقيه كان يتعد نهائياً عن المشاركة في أي حديث سلبي، وكان يتلمس الأعذار للآخرين، فلا تستطيع أن تستخرج منه كلمة سيئة أبداً.

وعن موقفه من تشنج الأوضاع أيام مرجعية والده (رضوان الله تعالى عليه) يقول الشيخ الصفار: إن السيد الفقيه لم يُشارك بأي إساءة لأي طرف، رغم أن الإمكانيات كانت بيده إلا أنه كان يعيش العفاف، والترفع عن هذه المشاحنات.

وتابع الشيخ الصفار: إن الفقيه كان مثلاً للعالم المتميز في علمه ونباهته، فقد توفقت للتلمذ على يديه فكان في دروس الأصول عند أي بحث عميق بخلاف كثير من الأساتذة الذين يبدأون الدرس بعبارات التهويل، إلا أنه كان يبدأ درسه بانتزاع الهيبة من الطلاب،

فيبدأون الدرس وهم متهيئون نفسياً وذهنياً. مؤكداً أن السيد كان لا يتناول موضوعاً إلا إذا كان ملماً بجميع أبعاده المختلفة.

واختتم خطبته بالتأكيد على أن فقد هذا العالم يُمثل خسارةً جسيمةً للأمة بشكل عام وللمرجعية بشكل خاص، فقد كان معقوداً عليه آمالٌ كبيرة، مبيناً استياءه لواقع مجتمعاتنا بأنها لا تطرح هذه الشخصيات ولا تُعرّف بها وعن مكانتها إلا بعد فقدها.

منهياً حديثه بأننا أمام قضاء الله وقدره نقف خاشعين معلنين أن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ورفع سحاته تعازيه لعائلته وذويه سائلاً العلي القدير أن يلهمهم الصبر والسلوان، وأن يخلف على الأمة بالخلف الصالح، إنه سميعٌ مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

في مواجهة أصوات التطرف

خطبة الجمعة بتاريخ ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن الأصوات المتطرفة لن تنتهي، لأن جذورها عميقة، فهي نابعة إما من ثقافة سلبية وفهم خاطئ، أو لوجود مصالح ومآرب شخصية، أو لأنها تتغذى من جهات خارجية أو داخلية تهدف لتمزيق صفوف المجتمع. محذراً من مواجهتها بأسلوبٍ متطرفٍ لأن ذلك يدعم توجهها ولا يخدم الوحدة الوطنية، داعياً إلى نهج سلوكٍ عقلائيٍّ في مواجهة هذا التطرف تبرز ملامحه في عدة أمور: وجود تشريعات وأنظمة تُجرّم المنهج المتطرف بكل أنواعه ووسائله، التصدي لتوعية الناس بأخطار هذه التوجهات وفضحها، نشر ثقافة الوحدة والتسامح والتقريب والألفة، وهذا أقوى ردّ لمواجهة دعاة التطرف في المجتمع، وأخيراً تشجيع التواصل والتداخل بين أبناء الوطن، بعيداً عن سياسة الفرز والتمييز الطائفي.

وفي سياقٍ آخر أوضح أن الشعائر العبادية تهدف إلى توثيق الصلة بالله تعالى لتتأكد القيم والمبادئ الإيمانية في نفس الإنسان، فتنعكس على سلوكه. فالعبادات لها وظائف نفسية وسلوكية. وآيات القرآن والروايات تُشير إلى هذا الجانب كثيراً. مشيراً أن هناك من يؤدي العبادات رياءً أو كعادة تعود عليها أو لإسكات الضمير، مؤكداً أن أبرز مقياسين لكشف مدى تحقيق هذه العبادات لوظائفها الفعلية يكمن في الورع عن محارم الله، وأداء الحقوق لأهلها. مؤكداً أن الإنسان أعلم بنفسه وعليه محاسبتها لتسير وفق المنهج

الإلهي السليم.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ (١٣ يوليو ٢٠٠٨ م) إلى وجود تنوع طبيعي بين بني البشر، فمنهم من ينطلق مع الفطرة السليمة ويسترشد بنور عقله ووعيه ليسلك طريق الخير والمعروف، ومنهم من يستجيب لنوازع الهوى والشهوة فيسقط في وحل الشر والمنكر. ومن الطبيعي أيضاً أن يجذب كل أتباع توجه إلى بعضهم بعضاً، فتجد أن أتباع الشر والمنكر يتكثرون ويتعاونون من أجل نشر فسادهم وانحرافاتهم. وفي المقابل ينبغي أن يكون هناك تعاون وتكثف مماثل لأتباع الخير والمعروف استجابةً لنداء الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢].

مضيفاً: إن المعروف عنوانٌ شامل، وهو كل ما قبله الناس الأسوياء، في حين أن المنكر ما يرفضه الناس الأسوياء. مؤكداً أن وجود المنكر حالة طبيعية بسبب دواعي الشهوة، ولذا لزم أهل المعروف الوقوف أمام دعاوى الشر والمنكر، وهذا ما تدعو إليه آيات القرآن الحكيم، يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].

وأكد الشيخ الصفار أن من أبرز تجليات المعروف في الشأن الوطني الدعوة للوحدة والتقارب والسلم الاجتماعي ورعاية التماسك بين أبناء الوطن، بينما إثارة الفتنة والتحريض على الكراهية وإشاعة روح البغضاء بين المواطنين لتمزيق صفوف المجتمع هي من أبرز عناوين المنكر.

معتبراً أن التنوع الذي تحتضنه البلاد ينبغي ألا يكون سبباً لغياب المعروف بين أبناء الوطن، ومستشهداً بالموقف الرسالي الذي قام به رسول الله ﷺ بعد هجرته للمدينة،

حيث كان التنوع من أبرز تجليات تلك المرحلة، إذ تحتضن المدينة المسلمين واليهود، ولذلك عمد رسول الله ﷺ لوضع ميثاق يجمع هذا التنوع، وقد عُرف هذا الميثاق تاريخياً بـ: «صحيفة المدينة».

وأكد أن من بين أبناء الوطن أناساً متطرفين يحملون أفكاراً وتوجهاتٍ شاذة، ويثيرون الفتنة ويزرعون الكراهية في نفوس أبناء الوطن بين بعضهم بعضاً، مضيفاً: إن هذه الجراثيم والميكروبات لا يخلو منها مجتمعٌ من المجتمعات، ولا طائفة من الطوائف، ولا مذهب من المذاهب، بل هي حالة مرضية يُبتلى بها الجميع.

مستعرضاً أهم الأسباب وراء هذه التوجهات المتطرفة، وإن اختلف حجمها من مجتمع لآخر أو طائفةٍ لأخرى، إلا أنها تعود إلى المنشأ ذاته في كل الأحوال. ومن تلك الأسباب التي ذكرها الشيخ الصفّار:

أولاً: الجانب الثقافي، ويكمن في الجهل بالآخر، والفهم الخاطيء للدين، ورسالة الإسلام، فيُبنى الموقف عن الطرف الآخر بناءً على فهم خاطيء أو ثقافة سلبية. ويبارسون دور الوصاية على آراء وأفكار الآخرين..

ثانياً: الدافع المصلحي، فتعمد بعض الجهات إلى تبني موقفٍ معينٍ لهدفٍ مصلحي، كأن يكون وراء ذلك كسب ودّ جمهور معين أو الوصول إلى منصبٍ متميز، أو زعامة اجتماعية، وما إلى ذلك.

ثالثاً: التغرير والتحريك الخارجي، بأن تكن هناك جهات خارجية معادية للأمة، أو جهات من داخل الأمة يطيب لها إثارة الفتنة في الأمة، فتدفع بهؤلاء المتطرفين وتغرر بهم ليدعموا طريق التفرقة والفتنة.

وفي سياق استعراض الدور المطلوب تجاه هذه الفئات المتطرفة حدّر الشيخ الصفّار من خطورة مواجهة التطرف بتطرفٍ مثله، لأن ذلك يدعم التوجه المتطرف ولا يخدم طريق المعروف الوطني الذي تتجلى فيه صور الوحدة الوطنية، والتلاحم والتماسك بين

أبناء الوطن.

ودعا إلى نهج سلوكٍ عقلائيٍّ في مواجهة هذا التطرف، مؤكداً على مجموعة من المحاور الرئيسة التي تخدم هذا التوجه الإيجابي، وهي:

أولاً: وجود تشريعات وأنظمة تُجرّم إثارة الفتنة والتحريض على الكراهية، بكل أنواعه ووسائله. وليس طبعياً أن تصدر جماعة متطرفة بياناً تُسيء فيه إلى شريحة وطائفة بأكملها، وتسير الأمور وكأن شيئاً لم يكن، فعدم تجريم هذا السلوك من خلال تشريعاتٍ وأنظمةٍ رسمية يُتيح الفرصة لتكرار ذلك، مما يعني الوقوع في مأزقٍ وطني لا تُحمد عقباه.

ثانياً: التصدي لتوعية الناس بأخطار هذه التوجهات وفضحها، حيث يتحمل الدعاة والعلماء والواعون من أبناء الوطن والمثقفون مسؤولية الأخذ بزمام المبادرة. فكما أننا نغضب لإساءة غربية موجهة للإسلام، فعلينا أن نغضب كذلك للإساءة إلى جزء من المجتمع والأمة، بأن نُكثّف وسائل الوعي في مختلف الأوساط الاجتماعية.

ثالثاً: نشر ثقافة الوحدة والتسامح والتقريب والألفة، وهذا أقوى ردّ نواجه به دعاة التطرف في المجتمع.

رابعاً: تشجيع التواصل والتداخل بين أبناء الوطن، بعيداً عن سياسة الفرز والتمييز الطائفي، بأن يشعر المواطن بأنه وسط مجتمعه ووطنه في أي بقعةٍ من بقاع الوطن، فيأمن على نفسه، ويُمارس شعائره العبادية بكل حرية.

وقال الشيخ الصقّار في ختام خطبته: إننا في الوقت الذي نفخر فيه بالوحدة التي تحققت في بلادنا، نتطلع إلى أن يعيش المواطنون بمختلف توجهاتهم هذه الوحدة عملياً، مؤكداً أن أصوات التطرف لا تنتهي ما دامت تسقى من جذورٍ عميقة، لكننا بحذرنا وحرصنا على وحدة وطننا وتلاحم أبنائه بالتزام لغة السلم والتقارب والوحدة التي دعانا إليها القرآن الحكيم، فإننا وبإذن الله تعالى سنُحقق النجاح في مواجهتنا للأصوات

المتطرفة البغيضة. يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤].

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن وظيفة الشعائر والعبادات في حياة المتدين هي توثيق صلته بالله، لتتأكد القيم والمبادئ الإيمانية في نفسه، فننعكس على سلوكه. فمن حققت لديه الشعائر العبادية هذه الوظيفة فهو صادق مخلص في أداؤها، ومن لم تحقق لديه هذه الوظيفة فلیدرس الخلل أين يكون. إما في خلوص النية، أو الوعي بفلسفة العبادة وأغراضها، أو في الالتفات إلى معانيها وأبعادها.

مشيراً أن آيات القرآن الكريم تؤكد أن العبادات لها وظائف أخرى سوى الممارسة العملية الفعلية لها، فحول الصلاة يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٥]، وحول الصيام يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٣]، وحول نسك الهدي في الحج يقول تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [سورة الحج، الآية: ٣٧].

مضيفاً: إن الأحاديث والروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ تؤكد المعنى ذاته حول هذه العبادات والشعائر، وتُعطي للإنسان التفاتاً عميقاً في أدائه للعبادات بأن يكون نصب عينيه أن الهدف أسمى من أن تمارس هذه العبادات كممارسة جوفاء خالية من أي انعكاسٍ على السلوك الخارجي، يقول رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يُطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر»^(١)، وعنه ﷺ: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم بالليل، ولكن انظروا إلى صدق

(١) بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ١٩٨.

الحديث وأداء الأمانة»^(١).

وأضاف الشيخ الصفار: إن العبادات التي تفقد وظيفتها إنما يقوم بها صاحبها لأغراضٍ سوى تلك التي أرادها الله تعالى، مشيرًا إلى بعض تلك الحالات:

١. البعض يؤدي العبادات رياءً، فيتوصل من خلال ذلك إلى مآرب ومكاسب معينة، أو ليحصل بها على ثقة الناس.

٢. البعض يؤدي العبادات كعادة، يقول الإمام الصادق: «لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة»^(٢).

٣. البعض يؤدي العبادات لإسكات الضمير، فيعيش حالة الازدواجية في الشخصية بين محافظٍ على العبادات، ومرتكب للمحرمات في ذات الوقت، فتكون العبادة عنده وسيلة من وسائل إسكات الضمير.

وأكد الشيخ الصفار أن المقياس الأبرز في بيان صدق الإنسان في أدائه للشعائر العبادية يتأكد في أمرين:

الأول: الورع عن محارم الله، وتتأكد هذه الحالة عندما تُتاح للإنسان فرصة الحرام، عندها يكون اجتنابه للمحرمات دليلًا على نجاحه في عبادته لله تعالى، وإلا فعليه أن يُعيد حساباته من جديد. مشيرًا أن موسم الصيف باعتباره موسم سفر، فإن كثيرًا من الناس يفشل في الامتحان، حيث يعتبرون السفر فرصة لممارسة ما قد يصعب عليهم ممارسته وسط المجتمع، وهذا هو الامتحان الحقيقي لكشف تحقيق العبادات لوظائفها التي أرادها الله تعالى أو لا.

الثاني: أداء الحقوق، والحقوق بمعناها الشامل، مادياً ومعنوياً، والأقربون أولى

(١) وسائل الشريعة. ج ١٩، ص ٦٩، حديث ٢٤١٧٣.

(٢) الكافي. ج ٢، ص ١٠٤.

بالمعروف. فليُنظر الإنسان إلى معاملته لأهله والناس، فتلك المعاملة مقياس لصدق توجهه لله تعالى.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على ضرورة محاسبة النفس، فكل واحد يعرف نفسه، يقول تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [سورة القيامة، الآية: ١٤]، وليختبر سلوكه وتصرفاته، فإن كانت ضمن المنهج الذي أراده الله تعالى، وإلا فعليه أن يُعيد النظر في أمر نفسه، ويُجاسبها ليُحقق في ذاته رضا الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

اتفاق التهدئة في غزة مؤشر قوة وانتصار

خطبة الجمعة بتاريخ ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين ستُسجل انتصاراتٍ أكبر تُعزز بها مكانة الأمة الإسلامية في العالم، لو أن القيادات السياسية التي تجاهلت هذه المقاومة تتركها وشأنها دون أن تضع أمامها العراقيل. مهنتاً المقاومة الإسلامية في فلسطين تحقيقها هذا النصر الكبير الذي لم يتأت لو لا صمود المقاومين وثباتهم. ودعا قادة الأمة العربية والإسلامية إلى إعادة النظر في موقفهم السلبي تجاه المقاومة مستثنياً تلك الأيدي البيضاء التي لا يهمها رضا أمريكا ولا تُرهبها القوى الاستكبارية في العالم، التي مازالت ثابتةً في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمقاومة.

وأوضح أن معادلة الصراع قد تغيرت خصوصاً بعد أن قرأ المقاومون واقعهم وواقع العدو الصهيوني قراءة صحيحة، فتعرفوا نقاط قوتهم وضعفهم، وعرفوا نقاط قوة العدو وضعفه، فاستطاعوا أن يُحرزوا الانتصار تلو الآخر وأن يوقعوا بالعدو الهزيمة النكراء، مؤكداً أن دويلة إسرائيل في طريقها للانكماش والتراجع.

وفي سياق آخر تحدث الشيخ الصفار عن العطلة الصيفية وضرورة استيعاب الأبناء والبنات فيها من خلال: احتواء العائلة لأبنائها في الصيف، تكثيف البرامج المستوعبة للشباب، التوجه لتأهيل الأبناء والبنات عبر تسجيلهم في الدورات المختلفة كدورات اللغة الإنجليزية أو الحاسب الآلي، وأخيراً الدفع باتجاه العمل الصيفي. وأكد أن العطلة الصيفية بمثابة قبلة موقوتة من شأنها أن تُدمر الأبناء والبنات إذا لم تُعلن حالة الطوارئ

من المجتمع لحماية هذا الجيل من الآثار السلبية المحتملة.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية الخطبة الأولى للجمعة ١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ (٢٠ يونيو ٢٠٠٨م) إلى حقيقة مهمة أكدتها الآيات القرآنية، وهي أن الحالة النفسية للإنسان تؤثر عليه إيجاباً أو سلباً في مواجهة العدو، فإذا كانت نظرة الإنسان إلى عدوه بهيبة وبتركيز على نقاط قوته وتضخيمها فإنه بذلك سيحجم عن المواجهة، أما إذا نظر الإنسان إلى عدوه بموضوعية من خلال التركيز على نقاط القوة في مقابل نقاط ضعف العدو فهنا تتعز الثقة بالنفس، ويندفع باتجاه المواجهة.

مستشهداً بواقعة بدر الكبرى التي حكى عنها القرآن الكريم في مشهدٍ تأكدت فيه هذه الحقيقة بجلاء، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٤]. فرغم أن عدد المشركين كان ثلاثة أضعاف المسلمين، والعتاد لديهم كان أضعاف ما عند المسلمين، إلا أنهم عند المواجهة رأوهم قليلاً ليس من خلال النظرة المادية الحسية، وإنما من خلال النظرة المعنوية، وبالتالي استطاع المسلمون أن يُحرزوا انتصاراً عظيماً على المشركين.

من خلال هذه الفكرة انطلق الشيخ الصفار متأملاً في معركة المسلمين اليوم مع الصهاينة المحتلين لفلسطين، مؤكداً أن أهم مشكلة واجهت المسلمين في الماضي أنهم نظروا إلى عدوهم من خلال تضخيم نقاط قوته وتجاهل نقاط ضعفه، وفي الوقت ذاته تجاهل نقاط قوة المسلمين وتأکید نقاط ضعفهم، ولذا كان التقدم للإسرائيليين وتوسيع دائرة الاحتلال. ولكن الحقيقة لم تكن كما صورها المسلمون في أنفسهم تجاه هذه القوة المعادية، حيث إن لديهم نقاط ضعفٍ كبيرة، وأهمها أنهم على الباطل، ويُدافعون عن

مصالح مادية، مما يعني أنهم غير مستعدين لتكبد خسائر جسيمة مادية أو بشرية، فاهتمامهم بأنفسهم وبحياتهم يأتي بالدرجة الأولى. وفي الوقت ذاته لا يُنكر أن لديهم قوة كبيرة، فتقدمهم التكنولوجي واضح، والدعم العالمي والدولي لصالحهم، وكل ذلك يجعل لهم هذه القوة والهيبة. ومع أن المسلمين في واقع المعادلة يمتلكون نقاط الضعف التي يصعب معها مواجهة العدو الصهيوني، إلا أن من أهم نقاط قوتهم التي تجاهلها هي أنهم على الحق، وأنهم يمتلكون مخزوناً روحياً كبيراً يجعلهم متطلعين لثواب الله تعالى وجنته، إضافةً للكثافة العددية التي بإمكانها أن تُزعزع أمن العدو واطمئنانه.

وأكد أن هذه المعادلة حينها كانت غائبة عن المسلمين، استطاع الصهاينة اليهود أن يوقعوا بالمسلمين الخسائر الكبيرة، بينما اليوم وبعد أن تغيرت المعادلة، بإدراك المسلمين لنقاط قوتهم، وقراءتهم بعمق نقاط ضعف العدو، استطاعوا أن يُحققوا انتصاراً تلو آخر أمام هذا الجيش الذي سوّق لنفسه أمام العالم بأنه الجيش الذي لا يُقهر.

ففي لبنان خرج الصهاينة يجرون أذبال الخيبة هزيمة نكراء، على أيدي المقاومين المؤمنين في لبنان، رغم أن القوة المادية والعتاد العسكري كان لصالح اليهود، وكذلك كان الدعم العالمي والدولي، ومع ذلك بصمود المقاومين المؤمنين تحقق النصر المبين.

واليوم تشهد الساحة الإسلامية انتصاراً آخر يُسجله المقاومون في فلسطين حيث أثبتوا للعالم صمودهم في مواجهة هذا العدو، رغم ضآلة الإمكانيات، وضعف الدعم، إلا أن إسرائيل تجد نفسها مضطرة لإعلان التهدئة مع المقاومة الفلسطينية، وتوافق على وقف عملياتها العسكرية ضد قطاع غزة، وأن الحصار يُرفع تدريجياً حتى ينتهي تماماً خلال عشرة أيام.

كل ذلك يؤكد أن المقاومين حينها قرأوا واقعهم وواقع عدوهم قراءةً صحيحة استطاعوا أن يُحققوا انتصارات كبيرة، وأن يوقعوا بالعدو هزائم نكراء من شأنها أن تشل حركته.

وأكد الشيخ الصفار أن دويلة إسرائيل في طريقها للانكماش والتراجع، وقد بدأ العد التنازلي لهذا الكيان الغاصب، وقريباً يتلاشى، وتُحرر أرض فلسطين، والمسجد الأقصى، ويمضي المسلمون جميعاً للصلاة فيه بأمن وأمان.

وفي سياق الحديث عن الدور المطلوب تجاه هذا الواقع الجديد أكد الشيخ الصفار أن الانتصار الذي حققه المقاومون في لبنان وفلسطين لم يكن عبر مفاوضات السلام، ولا من خلال الدعم الدولي ولا حتى العربي والإسلامي، وإنما كان بصمود المقاومين، ولذا فإن على المقاومين أن يستمروا في صمودهم وثباتهم، لأن ذلك خيار الأمة الوحيد في بانتزاع الحقوق، وتحرير الأرض المحتلة.

مضيفاً: إن على قيادات الأمة العربية والإسلامية أن تعيد النظر في موقفها السلبي تجاه المقاومة، وعيبٌ على هذه الأمة أن يعيش أهالي غزة الجوع والحرمان، وليس هناك من يدعمهم ولا يُساندهم، كل ذلك حفاظاً على مشاعر أمريكا، فلتغضب أمريكا. وأعرب عن استيائه للموقف الرسمي العربي والإسلامي وخوفه على مشاعر أمريكا في حين أن أمريكا لا تُعير لهذه الأمة أيّ اهتمام، ولا تُراعي مشاعرها ولا مصالحها. مستثنياً المواقف الإيجابية التي لا يهتمها رضا أمريكا من غضبها ولا يهتمها القوى الاستكبارية في العالم، والتي من خلالها يصل للمقاومة دعم إلا أنه ليس المستوى الذي تحتاجه المقاومة في مواجهة هذا العدو الغاصب.

وأخيراً أكد الشيخ الصفار أنه إذا لم تكن هناك إرادة لدعم المقاومة فلتترك لحال سبيلها لتؤدي دورها الجهادي دون أن توضع أمامها العراقيل والعقبات الداخلية التي تحول دون تقدم المقاومين، مضيفاً: إن المقاومة لو تُركت بدون هذه العراقيل لحققت انتصارات كبيرة تُعزز بها مكانة الأمة الإسلامية في العالم.

الخطبة الثانية

قارن الشيخ الصَّفَّار في الخطبة الثانية بين اهتمام الإنسان بوضعه الصحي والروحي، مبيِّناً أن هناك قاعدة عامة في المجال الصحي يسعى لتطبيقها كل من يهتم بصحته وصحة من يتحمل مسؤوليتهم، تلك القاعدة هي: الوقاية خيرٌ من العلاج.

مؤكدًا أن هذه القاعدة في الجانب الروحي والنفسي لا تقل أهمية عن الجانب الجسمي، إذ ينبغي للإنسان أن يقي نفسه وأهله من الوقوع في المعاصي والمحرمات ذلك لأن الذنوب تسلب الإنسان أمنه واطمئنانه واستقراره، في الدنيا، وتجره إلى عذابٍ أليم في الآخرة.

ومع إطلالة العطلة الصيفية أكد الشيخ الصَّفَّار على ضرورة أن تُكثَّف العائلة والمجتمع الجهود في شغل أوقات الفراغ الضار التي يعيشها الأبناء والبنات، والتي من شأنها أن تتحول إلى قنابل موقوتة تجر الأولاد إلى مهاوي الانحرافات المختلفة والتي من شأنها أن تُضيِّع مستقبلهم ومستقبل المجتمع.

مؤكدًا أن التقارير تُشير إلى زيادة الممارسات الطائشة في العطلة الصيفية، وفي كل عام تتخرج مجاميع من الأبناء والبنات لتنضم إلى فئات الانحراف والإجرام في المجتمع، وهذا بالتأكيد ينبغي أن يؤرق الجميع ليُعلنوا حالة الطوارئ حمايةً للجيل الناشئ مما قد يُسبب في ضياع مستقبلهم.

وأشار الشيخ الصفار إلى وجوب التعاون، وبذل الجهود المشتركة من أجل تحقيق أكبر وقايةٍ للأبناء والبنات، مسلطاً الضوء على عدة نقاط من الضروري التوجه نحوها: أولاً: احتواء العائلة لأبنائها في الصيف، ففي فترة الدراسة ينشغل الأبناء والبنات بالدروس أما في فترة الصيف فإنهم يقعون في فراغٍ مميت، وهنا يتوجب على العائلة أن تولي أبنائها اهتماماً أكبر خصوصاً في هذه الفترة الزمنية. مهيباً بالعوائل التفاعل مع البرامج والأندية الصيفية، وتكثيف الاهتمام بالأبناء والبنات خصوصاً في هذه الأيام الحرجة.

ثانيًا: تكثيف البرامج المستوعبة للشباب، حيث يتوجب على المجتمع دعم هذه البرامج وأن تتسع لهذه البرامج والأنشطة المساجد والحسينيات، وأن تحظى بدعم مادي ومعنوي، من قبل العلماء، ورجال الأعمال، وعليهم تُعقد آمال كبيرة في احتواء الشباب والفتيات من الانزلاق في حبال الانحراف، ومن المخجل أن يتقاعس المجتمع عن دعم هؤلاء المهتمين بإقامة هذه البرامج.

ثالثًا: التوجه لتأهيل الأبناء والبنات، عبر تسجيلهم في الدورات المختلفة كدورات اللغة الإنجليزية أو الحاسب الآلي، تفجيرًا لطاقتهم واستثمارًا لأوقات فراغهم، ووقاية لهم من مخاطر الانحراف.

رابعًا: الدفع باتجاه العمل الصيفي، حيث إن جميع الشركات ملزمة بتوظيف مجاميع من الشباب في العطلة الصيفية، والتفاعل مع هذه المسألة من شأنه أن يُخفف من حدة خطورة العطلة الصيفية ويوفر الفرصة لكسب الخبرة وصقل الشخصية.

واختتم الشيخ الصفار خطبته بالتأكيد على أن المسؤولية على الجميع، وفي التفاعل مع هذه الأمور وقاية للأبناء والبنات، وبذلك نكون قد التزمنا بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦].

والحمد لله رب العالمين.

اليوم العالمي لمكافحة المخدرات

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ

أبدى سماحة الشيخ حسن الصفار قلقه من انتشار آفة المخدرات في صفوف الشباب والفتيات، مؤكداً أن هذه الآفة أخطر انحراف قد يتجه نحوه الإنسان، لأنها تجره لانحرافات أخرى تضر بأمن واستقرار المجتمع، وتُنهى بمستقبله وحياته. ودعا إلى ضرورة التصدي لهذه الآفة بمزيد من التوعية التي ينبغي نشرها في صفوف الأصحاء حتى يعيشوا بأمان، إضافةً إلى التوجيه والإرشاد للمدمنين ليلتحقوا بأحد برامج العلاج، والتعامل معهم على أنهم مرضى كما هو الوضع العالمي. وأكد أن الجهات الرسمية تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا الجانب، كما أن على الأسر رعاية أبنائها لحمايتهم من الانزلاق في شبكات المخدرات. ووصف تجار المخدرات بأنهم أناسٌ لا كرامة لهم ولا إنسانية حيث اتَّجهوا لتعزيز قوتهم الاقتصادية على حساب الوطن ومستقبل أبنائه.

وفي سياقٍ آخر استنكر الشيخ الصفار على البعض تضخيم بعض الشعائر على حساب القيم والمبادئ العليا التي جاء الدين من أجل تحقيقها كسيادة البرّ بين الناس، وتقوى الله تعالى بامتنال طاعته واجتناب معاصيه، والإصلاح بين الناس. مؤكداً على ضرورة فهم سلّم الأولويات الشرعية، فلا يصح تقديم المهم على الأهم، ولا المستحب على الواجب.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ (٢٧ يونيو ٢٠٠٨ م) إلى طبيعة النفس البشرية التي تنطوي على الغرائز والشهوات، مبيناً أن الهوى الذي تتحدث عنه آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٣] يعني الرغبة والميل في نفس الإنسان. مؤكداً أن هذا الميل في نفس الإنسان للشهوات والغرائز يحتاج إلى ترشيد، ولذلك منح الله تعالى الإنسان عقلاً ليقوم بدور القيادة، فإذا التزم الإنسان بهدي الله تعالى، واسترشد بعقله فإنه يسير في الطريق السليم، وإلا فإن مآله إلى الشقاء والجحيم. مضيفاً: إن الآية السابقة وصفت الهوى بأنه إله، وهو تعبيرٌ عن خضوع الإنسان لهواه فيكون الهوى قائداً دون العقل. مستعرضاً جملة من الرويات والأحاديث الشريفة في هذا السياق، فعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل»^(١)، وقال ﷺ: «إنما سمّي الهوى لأنه يهوي بصاحبه»^(٢)، وقال ﷺ: «رب شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً»^(٣)، وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «الهوى عدوّ العقل»^(٤)، وقال ﷺ: «أشجع الناس من غلب هواه»^(٥)، وقال ﷺ: «إن طاعة النفس ومتابعة أهميتها أس كل محنة ورأس كل غواية»^(٦)، وقال ﷺ: «الهوى إله معبود، والعقل صديق محمود»^(٧)، وقال ﷺ: «إياكم وتمكّن الهوى منكم، فإن أوله فتنة وآخره محنة»^(٨)، وقال ﷺ: «الشهوات

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) سنن الدارمي. ج ١، ص ١٠٩.

(٣) كنز العمال. ج ١٥، ص ٨٨٣.

(٤) مستدرک الوسائل. ج ١١، ص ٢١٣.

(٥) المصدر نفسه. ج ١٢، ص ١١١.

(٦) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٣، ص ٢٥٠، حديث ٦٠٩.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم.

سمومٌ قاتلات»^(١)، وقال ﷺ: «أول الشهوات طرب وآخرها عطب»^(٢)، وقال ﷺ: «حلاوة الشهوة يُنغصها عار الفضيحة»^(٣)، وسأل زيد بن صوحان الإمام علياً ﷺ: أي سلطان أغلب وأقوى؟ قال: الهوى^(٤).

وتابع الشيخ الصفار بأن الإنسان يجد في نفسه مختلف الرغبات والشهوات التي تدفعه هنا وهناك، مؤكداً أن استجابة الإنسان لهذه الرغبات ينبغي أن تكون في إطار يحفظ فيه دينه وإنسانيته ومكانته ومصالحته، ولا يمكنه أن يُحقق ذلك إلا إذا استرشد بعقله، وإلا فإن الخطر شديد، وعندها قد يقع الإنسان في مأزق لا يُمكنه الخروج منه. مشيراً إلى أن الكثير من المآسي التي يمر بها الشباب والشابات تكون مقدمتها رغبة معينة كارتياح لمكالمة هاتفية أو رسالة عبر الهاتف النقال أو البريد الإلكتروني، ولكنها ما تلبث أن تهوي بالإنسان إلى أسفل سافلين.

وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة المخدرات، الذي يُصادف ٢٦ يونيو، سلط الشيخ الصفار الضوء على هذه الآفة الخطيرة مؤكداً أنها أكبر آفةٍ على الناس وخصوصاً الشباب، لافتاً الانتباه إلى أن التعاطي مع المخدرات تكون بدايته ممتعة حيث يشعر الإنسان بسعادة ومنتعة مزيفة، لكنها الخطوة الأولى نحو الانحراف والشقاء، مشيراً إلى مجموعة من الانحرافات التي يقع فيها مدمن المخدرات ومن أبرزها: السرقة، الاغتصاب، الانضمام إلى شبكات الدعارة، مضيئاً: وسنةً بعد أخرى يتسع مدى هذه الآفة.

واستعرض الشيخ الصفار جملة من الدراسات والإحصائيات فيما يتعلق بتجارة المخدرات، فحسب تقرير الأمم المتحدة أن حصاد هذه التجارة في عام ٢٠٠٦م بلغ ٣٢٢ مليار دولار، أي ما يُعادل الناتج القومي لأكثر من ٩٠ دولة. وفي دراسة أخرى

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٣، ص ٣١١، حديث ٧٨٣.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ١١، ص ٣٤٣.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٤) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ٨٣، حديث ٨٧٩٠.

تقول: يوجد في العالم (٢١٥) مليون مدمن ومتعاطي للمخدرات، ويُعادل ذلك ٥٪ من البشرية. وتُغذي أفغانستان ٩٢٪ من هذه التجارة، حيث بها (٤٠٧) آلاف فدّان. وتؤكد إحدى الدراسات أنه يوجد في العالم العربي (١٠) مليون مدمن. أما المتعاطين للمخدرات فهم أضعاف هذا العدد.

أبدى الشيخ الصفار قلقه الشديد، حيث إن هذه الآفة طالت النساء أيضًا، فأصبح هناك متعاطيات ومدمنات للمخدرات، مؤكّدًا أن هذا يُمثل خطرًا كبيرًا على الحياة ككل.

وعن الأسباب التي تدفع بالإنسان نحو هذا الوبال الكبير، أشار الشيخ الصفار إلى عددٍ منها:

١. التفكك الأسري، حيث إن ٤٠٪ من متعاطي ومدمني المخدرات هم من أسر متفككة.

٢. أصدقاء السوء، إذ يُشكل هذا العامل ٣٨٪ من نسبة المتعاطين والمدمنين.

٣. بحثًا عن المتعة واللذة الزائفة، ف ٢١٪ من المتعاطين والمدمنين يتجهون بهذا الاتجاه.

٤. نسيان المشاكل، بما يصنعه المخدّر من تأثير كبير على عقل الإنسان فنسيه العالم من حوله.

٥. تحمل السهر، وهذه الدافع يتجه نحوه سائقي الباصات للشوارع الطويلة، وكذلك بعض الطلبة والطالبات في أوقات الامتحانات، أملاً في النشاط والحيوية، ولا يعلمون أن ذلك طريقًا للإدمان.

ووجه الشيخ الصفار نداءه للأسر لأخذ الحذر من انتشار هذه الآفة في وسط أبنائها، وذلك بتتبعهم، ومعرفة كل ما يدور حولهم، وأوضح أبرز العلامات التي يُمكن عن طريقها كشف المدمن والتعرف إليه، مؤكّدًا أنها تُعطي مؤشرًا وليس من بالضرورة أن

يكون وجود بعضها دليلاً على الإدمان، وأهم تلك العلامات:

١. الانطوائية والانعزال عن الآخرين بصورة غير عادية.
٢. الإهمال وعدم العناية بالمظهر.
٣. الكسل الدائم والتشاؤم المستمر.
٤. شحوب الوجه وعرق ورعشة في الأطراف.
٥. فقدان الشهية والهزال والإمساك.
٦. الهياج الشديد لأقل الأسباب مما يُخالف طبيعة الشخص المعتادة.
٧. الإهمال الواضح في الأمور الذاتية وعدم الانتظام في الدراسة والعمل.
٨. إهمال الهوايات الرياضية أو الثقافية.
٩. اللجوء إلى الكذب والحيل الخادعة للحصول على مزيد من المال.
١٠. اختفاء أو سرقة بعض الأشياء الثمينة من المنزل دون اكتشاف السارق.

وعن الدور المطلوب دعا الشيخ الصقّار إلى ضرورة التصدي لهذه الآفة بمزيد من التوعية التي ينبغي نشرها في صفوف الأصحاء حتى يعيشوا بأمان من هذه الآفة الخطير، إضافةً إلى التوجيه والإرشاد للمدمنين ليلتحقوا بأحد برامج العلاج، والتعامل معهم على أنهم مرضى كما هو الوضع العالمي.

وأكد أن على الجهات الرسمية أن تبذل جهوداً أكبر في سبيل تطويق هذه المشكلة، مؤكداً أن المتعاطين والمدمنين للمخدرات هم ضحية أولئك التجّار الذي زجّوا بهذه الآفة إلى بلادنا، واصفاً إياهم بأنهم لا إنسانية لهم ولا كرامة حيث إنهم باعوا كرامتهم وإنسانيتهم من أجل فتاتٍ من المال الزائل، وبسلوكهم طريقاً دمرّوا به مستقبل أبناء الوطن.

واختتم الشيخ الصقّار الخطبة بالتأكيد على ضرورة الحفاظ على أمن المجتمع، وتنقيته من كل الشائبات، ومشكلة المخدرات من أكبر المشكلات التي من شأنها أن تدمر

المجتمع والوطن. مشيداً في الوقت ذاته بالموقف الإيجابي الذي قام به مجموعة من طلبة العلوم الدينية وبعض الشباب المؤمن حين توجهوا إلى أحد أسواق المنطقة المعروفة بـ (سوق واقف) وقاموا بدور مشرف من توجيه النصح والإرشاد لأولئك الشباب الذين يتجرون ببيع الأفلام المخلة بالأدب، مؤكداً أن استخدام القوة في مثل هذه الحالات لا يُجدي نفعاً، ولذا فإن الطريق الأمثل هو المزيد من الوعي والإرشاد، وهنا يتأكد دور الشباب المؤمن حيث ينبغي أن يكون حضورهم بارزاً لحماية المجتمع من الآفات التي بدأت تتسلل إليه فتسلب الشباب والشابات عقبتهم والتزامهم الديني والقيمي.

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن الدين جاء من أجل تحقيق قيمٍ عليا، كسيادة البرّيين الناس، وتقوى الله تعالى بامثال طاعته واجتناب معاصيه، والإصلاح بين الناس. مشيراً أن البعض قد يتمسك ببعض المظاهر الدينية ويُعطونها الأولوية على حساب تلك المبادئ والقيم العليا. ولذا جاء التحذير في آيات القرآن الكريم من الوقوع في مثل هذه المشكلة، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٤]، مشيراً إلى أن الأيمان، هي جمع يمين، وتعني: الحلف. فقد يحلف الإنسان على ترك عملٍ صالحٍ وراجح، وهنا لا تنعقد اليمين، مشيراً إلى سبب نزول الآية الكريمة حيث أقسم الصحابي عبد الله بن رواحة ألا يتدخل للصلح بين ابنته وزوجها حين وقع خلاف بينهما، فلامه بعض الصحابة على ذلك، فبرر موقفه بأنه أقسم، ولكن رسول الله ﷺ لم يُجزِ قسمه وأمره بالتدخل. وأضاف: إن الآية الكريمة توجه النظر إلى معنى عظيم كما يقول ابن عاشور وهو: إن تعظيم الله تعالى لا ينبغي أن يجعل وسيلة لتعطيل ما يُحبه الله من الخير. وعلى ذلك جاءت الروايات لتنهي عن الحلف بالله تعالى بدون مبرر حقيقي، ففي الرواية: «لا تحلف بالله وإن

كنت صادقاً».

وأكد الشيخ الصّفّار أن الآية الكريمة توجّهنا إلى معنى أكبر، حيث لا يصح أبداً أن يكون الاهتمام بمظاهر الدين وشعائره الجزئية على حساب القيم والمبادئ العليا التي جاء الدين من أجل تحقيقها، مستنكراً على البعض تضخيم بعض الشعائر على حساب هذه القيم، مؤكداً على ضرورة فهم سلّم الأولويات الشرعية، فلا يصح تقديم المهم على الأهم، ولا المستحب على الواجب.

وضرب لذلك بعض الأمثلة، كأن يؤخر الإنسان صلاته الواجبة من أجل نشاط ديني مستحب، معتقداً بذلك أولوية النشاط أو العمل الديني على حساب إتيان الصلاة الواجبة في أول وقتها.

وكذلك ما يقوم به البعض من السهر طوال الليل خارج المنزل مع الأصدقاء بمبرر لقاء الأخوان، في حين أنه يهمل في الكثير من واجباته الأسرية وحتى العملية فقد يذهب للعمل في وضع لا يؤهل للأداء المناسب. غير أنه قد تفوته صلاته الواجبة بسبب تلك الممارسة التي ينظر إليها على أنها إيجابية إلا أنها تنعكس سلباً عليه وعلى من هم حوله. وأكد في ختام الخطبة على أهمية أن يعيش الإنسان الموازنة في حياته، فيتعرف على أمور دينه وقيمه العليا، فتكون هي الأساس، وهي المنطلق، ومن خلالها تكون تحركاته واهتماماته.

والحمد لله رب العالمين.

أبناءؤنا بين الشهادات والكفاءات

خطبة الجمعة بتاريخ ١ رجب ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفّار أن القيمة الحقيقية للإنسان تُحددها كفاءاته ومواهبه وليس شهاداته، فقيمة كلّ امرئ ما يُحسّنه، كما يقول الإمام علي . مهيباً بجميع الشباب والفتيات إلى تفجير طاقاتهم الكامنة بذواتهم، مستثمرين أيام العطلة الصيفية لاكتشاف المكونات الداخلية لديهم، لافتاً نظرهم إلى أن صعوبات الحياة المستقبلية أشد بكثير مما هي عليه الآن، وشروط التقدم في تعقيد مستمر. وعاب على أولئك الذين يقتلون أوقات العطلة الصيفية باهتماماتهم الزائفة. مشجّعاً على التعرف إلى الكفاءات الناجحة، سواءً العالمية منها أو المحلية في مختلف المجالات العلمية والثقافية والأدبية والتقنية. ودعا العوائل والواعين من المجتمع أن يأخذوا بزمام المبادرة ليوجّهوا الشباب والفتيات لما ينفعهم لبناء مستقبل مشرقٍ لهم، وأن يأخذوا على عاتقهم توعية هذا الجيل الواعد.

وفي سياقٍ آخر تحدث الشيخ الصفّار عن فضل شهر رجب الأصعب مستعرضاً جملةً من الرويات التي تبيّن فضل هذا الشهر الكريم، وفضل الأعمال المستحبة فيه، مسلّطاً الضوء على أهم البرامج العبادية التي يُستحب للإنسان أن يواظب عليها خلال شهر رجب، كالصوم والصدقة والاستغفار، معتبراً هذا الشهر الفضيل بوابة ومحطة استعداد لاستقبال شهر الله الأعظم، وهو شهر رمضان.

الخطبة الأولى

أكد الشيخ الصفار في بداية الخطبة الأولى للجمعة، غرة شهر رجب الأصب ١٤٢٩ هـ (٤ يوليو ٢٠٠٨م) أن مكانة الإنسان وقيمتة الحقيقية لا تتحدد من خلال الحسب والنسب، ولا من خلال الثراء والشكل الخارجي، وإنما تتحدد من خلال الكفاءات والمواهب والطاقات التي يُفجّرُها الإنسان في شخصيته، مضيفاً: فالكفاءات لا تُشترى، وإنما تُفجّرُ، لأنها موجودةٌ في أعماق الإنسان، فإن استطاع أن يكتشف مكونات ذاته، أصبح بإمكانه أن يصنع له القيمة التي يستحقها وتليق به.

وبمناسبة انتهاء العام الدراسي هنا الشيخ الصفار جميع الخريجين من الأبناء والبنات، سواء الذين أنهموا مرحلة دراسية لينتقلوا إلى ما بعدها، أو أولئك الذين أحرزوا الشهادة الجامعية لينطلقوا إلى سوق العمل. موجّهاً خطابه للجميع وباعتبار أنهم يعيشون هذه الأيام الإجازة الصيفية، مؤكداً عليهم أن يضعوا نصب أعينهم حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن الشهادة في زمننا المعاصر لم تعد تصنع القيمة الحقيقية للإنسان، ولم تعد لها تلك المكانة التي كانت في الماضي، فعدد الخريجين في ازدياد مستمر، وآفاق التعليم والمعرفة أصبحت مفتوحة على مصراعيها، والتنافس الوظيفي على أعلى درجاته. مؤكداً في الوقت ذاته أن التعليم والمعرفة لها قيمتها الذاتية، ولا يمكن التقليل من شأن التعليم، إلا أن القيمة الحقيقية التي ينبغي للأبناء والبنات التوجه نحوها تكمن في اكتشاف المواهب والطاقات والمكونات الداخلية في شخصية كل واحد منهم.

لذلك ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله: «قيمة كل امرئ ما يُحسّنه»، ويقول الشريف الرضي معلّقاً على هذه الكلمة: وهي الكلمة التي لا تُصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تُقرن إليها كلمة.

وشجّع الشيخ الصفار على التعرف إلى الكفاءات الناجحة، سواء العالمية منها أو المحلية، فالعالم مليء بالكفاءات التي استطاعت أن تتجاوز جميع العقبات، رغم أن أغلب

تلك الكفاءات لم تحظ بمستوى تعليمي جيد، فهذا أديسون (ت: ١٩٣١م) رغم أنه لم ينل من التعليم سوى ثلاثة أشهر، إلا أنه أشهر مخترع أمريكي، وله (١٠٩٣) اختراع مسجّل، وأشهرها المصباح الكهربائي الذي غير عجلة الحياة للعالم أجمع.

ومخترع أضخم بريد إلكتروني على الشبكة العنكبوتية (Hotmail) اسمه صابر (هندي - مسلم)، وقد باع هذا الاختراع على شركة مايكروسوفت بـ (٤٠٠) مليون دولار.

ومخترع أهم محرّك بحث على الشبكة العنكبوتية (Google) هما: (سيرجي برين - لاري بيج) وهما يحملان شهادة البكالوريوس، وقد استطاعا أن يُنجزا هذا العمل الضخم رغم أنهما كانا يعملان في كراج لهما، أما اليوم فثروتهما تُقدّر بـ (١٨,٥) مليار دولار. مؤكداً أن الكفاءات العلمية والأدبية والثقافية المحلية لا تقل عن المجتمعات الأخرى، مشيراً إلى نهاج واعدة في المجتمع استطاعت أن تُفجّر الكفاءات في ذاتها، فانطلقت لتنجز ما يُحقق لها المكانة الحقيقية في الحياة، مهيباً بالأبناء والبنات أن يتعرفوا إلى الكفاءات من حولهم، وأن يجعلوهم قدوة لهم في النجاح والتقدم، فالقيمة الحقيقية تكمن في الكفاءة والموهبة.

وعاب الشيخ الصقّار على أولئك الذين يقتلون أوقات العطلة الصيفية باهتماماتهم الزائفة، حيث يقضي البعض جلّ وقته في النوم، أو في مشاهدة البرامج التلفزيونية غير المفيدة، أو في تصفح مواقع الإنترنت غير النافعة، والبعض يقضيها في الرحلات التي لا يجني من ثمارها شيئاً، وآخرون يقضونها في السهرات مع الشلل والأصدقاء وغالب أحاديثهم حول أمورٍ تافهة. مؤكداً أن هذه التصرفات السلبية تقضي على الإنسان وتصنع منه إنساناً بلا قيمة في الحياة.

وأكد الشيخ الصقّار أن العطلة الصيفية فرصة لتفجير الطاقات والكفاءات، محمّلاً الشباب والفتيات المسؤولية الكبرى في ذلك، بأن يغتنموا الفرصة، فصعوبات الحياة

المستقبلية أشد بكثير مما هي عليه الآن، وشروط التقدم في تعقيد مستمر. ودعا العوائل والواعين من المجتمع أن يأخذوا بزمام المبادرة ليوجّها الشباب والفتيات لما ينفعهم لبناء مستقبل مشرقٍ لهم، وأن يأخذوا على عاتقهم توعية هذا الجيل، فالشهادة لم تعد هي المقياس للوصول إلى الأهداف وتحقيق الطموحات.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في الخطبة الثانية إلى عظمة شهر رجب الأصب، مهناً المصلين بحلول هذا الشهر الفضيل، مبيّناً أن وصف هذا الشهر بالأصب، لأن الله تعالى يصب فيه الرحمة صباً.

مضيفاً: إن من نعم الله تعالى على المؤمنين أنهم يتفاعلون مع حركة الزمن ويتعاملون معه ككائن حي، فيتوجهون إلى تركيباته الداخلية ليكتشفوا أسرارها، وبالطبع فهم ينهلون هذه المعرفة عبر أولياء الله الذين علمهم من عند الله تعالى.

واستعرض جملةً من الروايات التي تبين فضل هذا الشهر الكريم، وفضل الأعمال المستحبة فيه، مسلطاً الضوء على أهم البرامج العبادية التي يُستحب للإنسان أن يواظب عليها خلال شهر رجب، معتبراً هذا الشهر الفضيل بوابة ومحطة استعداد لاستقبال شهر الله الأعظم، وهو شهر رمضان.

وأكد أن أهم البرامج العبادية المستحبة في هذا الشهر الصوم، الصدقة، الاستغفار، والتوجه الروحي إلى الله تعالى ليتكامل الإنسان روحياً، ويكون مستعداً لليوم الذي يلتقي فيه مع الله تعالى.

وأشبع الشيخ الصفار حديثه حول فضل شهر رجب وأعماله العبادية، بالأحاديث والروايات عن أهل البيت عليهم السلام، فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «من صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر، وأطفى صومه ذلك اليوم غضب الله،

وأغلق عنه باباً من أبواب النار»، قيل يا نبي الله فمن عجز عن صيام رجب لضعفٍ أو لعدة؟ قال: «يتصدق كل يوم»^(١).

وعن علي بن سالم عن أبيه قال: دخلت على الصادق عليه السلام في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إليّ قال لي: يا سالم هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا ابن رسول الله. فقال لي: لقد فاتك من الثواب ما لا يعلم مبلغه إلا الله عز وجل^(٢).
وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رجب شهر الاستغفار لأمتي، أكثروا فيه الاستغفار»، وأكد الشيخ الصفار أن الاستغفار الذي يعنيه هذا الحديث هو المتضمن للعزيمة على ترك الذنب، وليس مجرد قلقة اللسان.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش، أين الرجبيون؟ فيقوم أناسٌ يُضيء وجوههم لأهل الجمع، فيأتي النداء من عند الله -عز وجل- إنكم تطوّعتم بالصوم لي في شهرٍ عظمت حرمة، وأوجبت حقّه، ملائكتي أدخلوا عبادي وإمائي في الجنة. ثم قال: هذا لمن صام من رجب شيئاً ولو يوماً واحداً من أوله أو وسطه أو آخره»^(٣).

وأورد الشيخ الصفار رواية أوضح فيها أن العلاقة بين الإمام الصادق مع مخالفه كانت تسودها الاحترام المتبادل، فالمخالفون كانوا يأخذون عن الإمام، والإمام كان يُعاملهم بكل ود واحترام، ولم يكن هذا الاختلاف مانعاً من التعامل الراقي من قبل الإمام والتواصل المتبادل مع مخالفه، رغم أن الإمام يقطع بصوابية رأيه. مشيراً إلى الأوضاع الاجتماعية المعاصرة حيث يسود بعض الأوساط الدينية التشنجات لوجود بعض الاختلافات الجزئية، مما قد يُسبب القطيعة في بعض الحالات، بيد أنه لا أحد يقطع

(١) بحار الأنوار. ج ٩٤، ص ٢٧.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٤٧٥، حديث ١٣٨٨٦.

(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٥، ص ٥٠٠.

بصوابية رأيه وإنما هي مجرد اجتهادات.

ففي أمالي الصدوق عن النوفلي عن مالك بن أنس (إمام المذهب المالكي) قال: والله ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد زهدًا وفضلًا وعبادة وورعًا، وكنت أقصده فيكرمني ويقبل عليّ. فقلت له يومًا: يا ابن رسول الله ما ثواب من صام يومًا من رجب إيمانًا واحتسابًا؟ فقال، وكان والله إذا قال صدق: حدثني أبي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا من رجب إيمانًا واحتسابًا غفر له»^(١).

وأكد الشيخ الصفار في ختام الخطبة أن شهر رجب فرصة ثمينة للعبد لكي يقترب من خالقه، ويتوجه لذاته فيرى نواقصها وعيوبها، فيقوم بمراجعة نفسه ومحاسبتها ليتخلص مما يشوبها، فيرتقي معنويًا ويتكامل روحيًا، فحياة الإنسان فيها بعدان: المادي والروحي، وليس سليمًا أن يهتم الإنسان بالبعد المادي متجاهلاً البعد الروحي. وأمام الإنسان مستقبلٌ آخر، وهو الآخرة، فعلى الإنسان أن يهتم بتلك الدار كما يهتم بدار الدنيا. والحمد لله رب العالمين.

(١) الشيخ الصدوق. الأمالي، ص ٦٣٦.

عاملات المنازل وحقوقهن الإنسانية

خطبة الجمعة بتاريخ ٨ رجب ١٤٢٩ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار للاستغناء عن عاملات المنازل إلا بمقدار الحاجة، مؤكداً أن التعاون العائلي والنظام الأسري من شأنه أن يُحقق ذلك. وأضاف: إذا دعت الضرورة وجود العاملة في المنزل فينبغي أن تُراعى الحقوق الشرعية والإنسانية وحقوق العمل، مشيراً إلى تقرير أصدرته «هيومان رايتس ووتش» جمعية حقوقية بنيويورك حول أوضاع عاملات المنازل بالسعودية، ويحكي التقرير عن حقائق تعيشها العاملات، ويحمل عنوان: وكأنني لست إنسانة. ويُسلط الضوء على أبرز الإساءات التي تتعرض لها العاملات، وأهمها: عدم دفع الأجور لشهور ولسنوات، تجديد الإقامة قسراً والحبس، العنف البدني والجنسي، والإفراط في العمل. وأكد الشيخ الصفار أن التعاليم الدينية تأمر بحسن التعامل مع العاملين، وتُحذر من الإساءة إليهم وظلمهم.

وفي سياق آخر حذر الشيخ الصفار من قرناء السوء، وأكد أن الشيطان الرجيم قد يكون قريباً للإنسان، وهو أسوأ قرين. وأورد مجموعة من الصور التي يُمكن من خلالها أن نتصور كيف يكون الشيطان قريباً للإنسان، وأبرزها: أن يتصف الإنسان بصفة من الصفات الشيطانية، كالبخل والغضب والكذب، أن يكون للإنسان أصدقاء سوء من البشر يُمارسون أعمالاً شيطانية، وتورط الإنسان بإحدى العادات السيئة الإجرامية، كالإدمان على المخدرات.

الخطبة الأولى

أكد الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٨ رجب ١٤٢٩هـ (١١ يوليو ٢٠٠٨م) أن طبيعة الحياة اقتضت أن يخدم الناس بعضهم بعضاً، وأن يكون هناك أناس يعملون لحساب أناسٍ آخرين، مضيفاً: وكون الإنسان في موقعية العامل لا يسلبه شيئاً من حقوقه الإنسانية، وإنما ينبغي التعامل معه في إطار الحقوق الشرعية، مع مراعاة ضوابط العقد الذي بموجبه تم الاتفاق على العمل.

مشيراً إلى أن البعض من أصحاب العمل يُسيئون بحكم سلطتهم التعامل مع العاملين عندهم، متجاهلين كل الضوابط الشرعية والانسانية. لافتاً الانتباه إلى أن هذا العامل قد يكون أكثر قرباً من الله تعالى، ويمتلك كفاءة متقدمة على صاحب العمل، ويتصف بميزات لا يمتلكها صاحب العمل، إلا أن الظروف الاقتصادية والمعيشية جعلته في موقعية العامل. وتبرز هنا كلمة رائعة تُمثل دعاءً يتمناه الكثير: (اللهم ارزقني حظاً استخدم به ذوي العقول، ولا تمنحني عقلاً يستخدمني به ذوي الحظوظ).

وأشار إلى أن النصوص والروايات تأمر بحسن التعامل مع العاملين، وتُحذر من الإساءة إليهم وظلمهم، فعن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «من ظلم أجيراً أجرته أحبط الله عمله وحرّم الله عليه ريح الجنة»^(١)، وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٢). وقال أنس بن مالك: خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا؟

ودعا الإمام علي ﷺ غلاماً له فلم يجبه، فدعاه ثانيةً فرآه مضجعاً، فقال: أما تسمع يا

(١) وسائل الشيعة. ج ١٩، ص ١٠٧، حديث ٢٤٢٥٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل. ج ٥، ص ١٦١.

غلام؟ قال: نعم. قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت. قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى^(١).

وعن ياسر خادم الإمام الرضا عليه السلام قال: قال لنا أبو الحسن: إذا قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون فلا تقموا حتى تفرغوا، ولربما دعا بعضنا فيقال هم يأكلون، فيقول: دعوهم حتى يفرغوا^(٢).

وقال أبو مسعود الأنصاري: كنت أضرب غلامًا فسمعت من خلفي صوتًا: اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وآله، قلت يا رسول الله هو حرٌّ لوجه الله، فقال: لو لم تفعل للفحتك النار^(٣).

واستعرض الشيخ الصفار بعض النتائج التي توصلت إليها منظمة (هيومان رايتس ووتش) الحقوقية في تقريرها حول أوضاع عاملات المنازل في السعودية، تحت عنوان: (وكأنني لست إنسانة).

ووصفت المنظمة - التي مقرها نيويورك - أن أوضاع العاملات تصل إلى درجة العبودية والاسترقاق. ويقع التقرير في (١٣٣) صفحة ثمرة عامين من إجراء البحوث، ويتضمن (١٤٢) مقابلة مع عاملات ومسؤولين حكوميين ووكلاء استقدام.

ويشير التقرير إلى أن أبرز الاساءات تتمثل في:

- عدم دفع الأجور لشهور ولسنوات.
- تجديد الإقامة قسرًا والحبس.
- العنف البدني والجنسي.
- الافراط في العمل.

(١) شرح إحقاق الحق. ج٣٢، ص٢٩٣.

(٢) الكافي. ج٦، ص٢٩٨.

(٣) مستدرک الوسائل. ج١٨، ص٢٩، حديث ٢١٩٢٣.

وأوضح التقرير أن عدد العاملات في المنازل السعودية يزيد على ١,٥ مليون عاملة، معظمهن من دول شرق آسيا: أندونيسيا، وسريلانكا، والفلبين، والنيبال، والهند. وأشار التقرير إلى مجموعة من الحقائق، التي قد يراها البعض مبالغاً، إلا أن الواقع المعيش يكشف عن الكثير منها، وأكد الشيخ الصفار أن مجتمعاتنا لا يُعجبها أن يتكلم الآخرون عن عيوبها، وهذا غير منطقي فإذا لم نتكلم عن عيوبنا نُصلحها، سيتكلم الآخرون عنها.

ومن بين الحقائق التي يؤكدتها تقرير المنظمة:

- نظام العمل يستبعد العاملات في المنازل من مظلة حمايته، مما يجرحهن من الحقوق المكفولة لغيرهن من العمّال، مثل: يوم العطلة الأسبوعية، وأجور الساعات الإضافية، حيث إن بعضهن قد تعمل (١٨) ساعة يومياً وطيلة أيام الأسبوع.
- وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع الشرطة أعدت مأوى في الرياض لمساعدت عاملات المنازل على المطالبة بأجورهن وإعادتهن لبلدانهن.
- في المملكة (٨) ملايين عامل يُشكلون ثلث السكّان، وقد أرسلوا إلى بلادهم (١٥,٦) مليار دولار سنة ٢٠٠٦م.

وحول هذا الموضوع الشائك، أكّد الشيخ الصفار على مجموعة من النقاط يرى من الضروري الالتفات إليها، وجعلها أمام الأعين حين يستدعي الأمر وجود عاملة في المنزل:

أولاً: الاستغناء عن العاملات إلا بمقدار الحاجة، فالعاملة عنصر غريب في البيت لها عاداتها وتقاليدها، فانفتاحها على أوضاع البيت وعلى تربية الأبناء بالتأكيد سيكون له أثر قد يكون سلبياً، ولذا ينبغي أخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار عند الحاجة لاستقدام عاملة لتعمل في المنزل. إضافة إلى أن البعض يعتبر وجود العاملة في المنزل من قبيل الموضة والتفاخر، وهذا يدفعنا إلى أن نُعيد النظر في هذه الأفكار والعادات السلبية التي بدأت

تتسلل إلى مجتمعاتنا.

وأكد الشيخ الصفار أن التعاون العائلي ووجود نظام أسري متقدم، كفيل بالاستغناء عن عاملات المنازل، وكفيلٌ بحماية الأسرة من تبعات وجود عاملة في المنزل.
ثانيًا: رعاية الحقوق الإنسانية، فالعاملة إنسانة من حقها أن تُحترم، ولا يصح التعامل معها كآلة.

ثالثًا: رعاية حقوق العمل، بإعطائها راتبها في موعده، ومنحها إجازة أسبوعية، وأن تُصرف لها أجرة ساعات العمل الإضافية.

رابعًا: رعاية الأحكام الشرعية، فالعاملة ليست من المحارم، ولذا ينبغي أن تُراعى الضوابط الشرعية من العفة والاحتشام، والتزام الحجاب الشرعي، لحماية الأسرة، وضمان استقامة أفرادها.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في الخطبة الثانية إلى أن وجود علاقة بين الإنسان وآخر تُلقى بظلالها على الإنسان، فإذا كان هذه العلاقة دائمة فإن أثرها سيكون كبيرًا، وعلى الإنسان أن يأخذ حذره فإن كان هذا القرين يؤثر عليه ويتأثر به فإن علاقتها فيها ندية، أما إذا كان القرين له تأثير أقوى فهنا تكون المسألة أكثر خطورةً، لأن هذه العلاقة قد تصل إلى مرحلة الذوبان، مما يجعل التأثير بالقرين في أعلى درجاته، مما يُحتم على الإنسان النظر في علاقاته وإلى أي مسار تسير به.

وأضاف: إن آيات القرآن الكريم تُحذرننا من الشيطان الرجيم، وأنه العدو الأكبر للإنسان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٦]. مؤكداً أن المشكلة الأكبر أن يتخذ الإنسان هذا الشيطان قريناً له، ولذا جاء التحذير من الله تعالى أن تصل العلاقة مع الشيطان إلى هذا المستوى، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ

لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿[سورة النساء، الآية: ٣٨].

وأورد الشيخ الصفار مجموعة من الصور التي يُمكن من خلالها أن نتصور كيف يكون الشيطان قريناً للإنسان:

أولاً: أن يتصف الإنسان بصفة من الصفات الشيطانية، كالبخل والغضب والكذب، وما شابه ذلك.

ثانياً: أن يكون للإنسان أصدقاء سوء من البشر يُارسون أعمالاً شيطانية، وهؤلاء من أخطر ما قد يقع فيه الإنسان فعليه الحذر، وانتقاء الأصدقاء بدقة. وعلى العوائل مراقبة أصدقاء أبنائها لحمايتهم من أصدقاء السوء.

ثالثاً: تورط الإنسان بإحدى العادات السيئة الإجرامية، كالإدمان على المخدرات، ولا يعني ذلك أنه لا يُمكن تجاوز هذه الحالة وأن يُنقذ الإنسان نفسه، نعم إذا كانت لديه إرادة فإنه سيتجاوز ذلك.

وأكد الشيخ الصفار أن العاقبة وخيمة في الدنيا والاخرة، إذا كان الشيطان قريناً للإنسان.

وختم الشيخ الصفار الخطبة بمقطع من خطبة لسيد البلغاء والموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول فيها: «وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ هَذَا الْجُلْدَ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ فَارْحَمُوا نَفْسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا أَمْ تَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ وَالْعَثْرَةَ تُدْمِيهِ وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَيْنِ مِنْ نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينِ شَيْطَانٍ أَعْلَمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِعُضْبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجَرَتِهِ»^(١).

(١) نهج البلاغة من خطبة له في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى الله تعالى، خطبة ١٨٣.

عن المؤتمر العالمي للحوار

خطبة الجمعة بتاريخ ٥٢٢ رجب ١٤٢٩ هـ

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بالمبادرة الكريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد بن عبد العزيز لعقد المؤتمر العالمي للحوار، مستعرضاً أبرز أهداف هذا المؤتمر على المستوى الخارجي المتمثلة في تحسين صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم، وعلى المستوى الداخلي ويتمثل في تخفيف حدة التشدد والانغلاق الذي تعيشه بعض اوساط الأمة الإسلامية في داخلها. مؤكداً أن هذا المؤتمر ينعقد في ظرف يواجه فيه العالم أخطاراً محدقة جاء ليؤكد على قيم التعايش والتسامح والحوار كقيم رئيسة لا غنى عنها في تعاطي الشعوب مع بعضها البعض على اختلاف أديانها ومذاهبها.

وأضاف: إن خيار التعايش والحوار والتعاون في المشتركات ينبغي أن يكون هو الخيار الطبيعي للعلاقة بين أتباع الديانات والمذاهب المختلفة في مقابل الصراع والحروب الذي تولده: المصالح السياسية، وسوء الفهم، وممارسة الوصاية على الآخر. موضّحاً أن معظم الديانات على وجه الأرض تتفق فيما بينها على ضرورة القيم الإيمانية والروحية، وتحتكم إلى القيم السلوكية والأخلاقية، مما يوجد أفقاً واسعاً للحرّك التفاعلي الإيجابي فيما بينها.

وفي سياق آخر حثّ الشيخ الصفار جموع المصلين على المداومة على ذكر الله تعالى، مؤكداً أن المؤمن ينبغي أن يكون ذكر الله تعالى دائماً على لسانه، وبالتالي يكون الله تعالى

حاضرًا في قلبه ونفسه. وأن يتجاوز ذلك مجرد اللفظ وقلقة اللسان إلى استشعارٍ لصفات الله تعالى، واستحضارٍ لرقابته على الإنسان.

الخطبة الأولى

أوضح الشيخ الصفار في بداية الخطبة الأولى للجمعة ٢٢ رجب ١٤٢٩ هـ (٢٥ يوليو ٢٠٠٨ م) أن فطرة الإنسان وعقله بطبيعتها التي خلقها الله تعالى تفرض على الإنسان مجموعة من الأسئلة الملحة: من أوجد هذا الكون؟ ومن خلقتني؟ وإلى أين يكون مصيري؟ مؤكدًا أن الإجابات عن هذه الأسئلة يُطلق عليها دينًا، والله تعالى لم يترك الإنسان حائرًا في البحث عن الإجابات وإنما بعث الأنبياء والرسل ليرشدوا الناس للدين الصحيح، حيث إن البشر إذا لم ينتهجوا الدين الذي جاءت به الرسل فإن دينهم يكون ناقصًا وتشوبه الأخطاء نتيجة النوازع النفسية والأهواء الشيطانية. وخلص في مقدمة الخطبة إلى أن معظم البشر لهم دين مهما كان ذلك الدين كاملاً أو ناقصًا.

وأكد الشيخ الصفار أن الأديان مهما اختلفت إلا أن بينها قواسم مشتركة، وأبرزها: أولاً: التزام القيم الإيمانية والروحية، فمعظم الأديان تشترك في الإيمان بالله تعالى، وبالمعاد إليه، حيث يعتقد جميع أتباع الديانات أن الإنسان مخلوق مختلف عن باقي المخلوقات، ولذا ينبغي أن تكون نهايته أيضًا مختلفة، وهذا يجعل الإنسان يشعر بمسؤوليته في الحياة، حيث إنه يعتقد بالحياة الآخرة. ويُستثنى من ذلك الملحدون والدهريون، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية، الآية: ٢٤]. فمعظم الديانات تؤمن بأن هناك موجدًا لهذا الكون لاستحالة أن يكون بلا موجد، وأن الخلق يرجعون إلى هذا الموجد، وتختلف الديانات في الجزئيات التفصيلية، كصفات الخالق، وطريقة العبادة، وهذه التفاصيل هي

التي تجعل امتيازاً لدين على آخر.

ثانياً: حاكمية القيم السلوكية والأخلاقية، فكل الأديان على اختلافها تنشد العدل وترفض الظلم، وتدعو لتأصيل القيم والأخلاق السامية والرفيعة كالصدق والأمانة والفضيلة، وتنبذ الأخلاق والسلوكيات السلبية كالكذب والخيانة والرذيلة.

وأشار إلى أن القرآن الكريم يؤكد على القواسم المشتركة بين الديانات المختلفة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٢].

وفي إجابته عن سؤال يطرح نفسه: كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين أتباع الديانات المختلفة؟ أكد أن هناك خيارين أساسيين:

الأول: الصراع والحروب، وهو منهج ليس في صالح الجميع، وكل الأديان يفترض أنها ترفض هذا الخيار، لأنها تؤمن بحاكمية القيم السلوكية والأخلاقية. مشيراً أن هناك عوامل متعددة من شأنها أن تصل بأتباع الديانات والمذاهب للوصول إلى نفق هذا الخيار المظلم، وأهمها: المصالح السياسية، سوء الفهم، وممارسة الوصاية والهيمنة على الآخر.

الثاني: التعايش والحوار والتعاون في المشتركات، وهو المنهج السليم الذي ينبغي لجميع الديانات والمذاهب الاحتكام إليه خصوصاً في عصرنا الحاضر الذي تواجه فيه البشرية على اختلافها ألواناً من المخاطر التي تهدد الجميع وتسلب الطمأنينة والأمان.

مؤكداً على حق الإنسان في التبشير بالقيم والمبادئ التي يؤمن بها إنما عبر الطرق والوسائل المناسبة وبالتي هي أحسن، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

وحول صوابية اعتناق دين غير الإسلام، أشار الشيخ الصقّار أن الله تعالى في كتابه العزيز أكد على أن الدين الإسلامي هو الحق، وما سواه باطل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿سورة آل عمران، الآية: ١٩﴾، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٨٥]. مضيئاً: إذا كان الجاحد المعاند مستحقاً لعذاب الله وغضبه، فإن المستعد نفسياً وفكرياً لقبول الحق لو بلغه واتضح لديه، له حساب آخر.

وتابع يقول: إن أشخاصاً كثيرين يعيشون ضمن بيئة مخالفة للدين الحق، ولا تصلهم رسالة الإسلام، فهم قاصرون عن الوصول إلى الحقيقة، وقد لا يكونون مقصّرين، ولديهم قلوب صافية طيبة لا ترفض الحق، وما نسمعه عن دخول أناس جدد إلى الإسلام من أمريكيين وأوروبيين وغيرهم يؤكد هذه الحقيقة.

فمثل هؤلاء الناس غير المعاندين يتسع لهم عفو الله تعالى ورحمته وإن كانوا كفّاراً؛ لأن الله تعالى لا يُعَذِّبُ إِنْسَانًا قَبْلَ إِكْمَالِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٥]، ويقول تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٢].

ونقل رأي آية الله الشهيد مطهري عن (ديكارت) الفيلسوف الفرنسي الذي يقول: إنني لا أدعي أن المسيحية قطعاً أفضل دين في الأرض، ولكني أقول إن المسيحية هي الأفضل بالقياس إلى الأديان التي أعرفها، وقد تناولتها بالبحث والتحقيق، وليس لي أي عداً مع الحقيقة، فقد يكون هناك في أماكن أخرى من الدنيا دين يرجح على المسيحية، إنه لا علم لي فلعلّ ديناً أو مذهباً يوجد في إيران مثلاً هو أفضل وأحسن من المسيحية.

ويُعَقِّبُ آية الله مطهري قائلاً: لو كان ديكارت صادقاً في حديثه ومستسلماً للحقيقة بالمقدار الذي يدعيه لنفسه، وقد بحث واستقصى بكل جهوده ولم يصل إلى أكثر مما وصل إليه فهو يُعْتَبَرُ حِينْتِذَ مُسَلِّماً بِالْفِطْرَةِ.

وتابع الشيخ الصفار قوله: ومما يؤكد ذلك ما ورد عن محمد بن مسلم قال: كنت عند

أبي عبد الله جالسًا عن يساره، وزرارة عن يمينه، فدخل عليه أبو بصير فقال: يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شكَّ في الله؟ فقال: كافر يا أبا محمد. قال: فشكَّ في رسول الله ﷺ؟ فقال: كافر. قال: ثم التفت إلى زرارة، فقال: إنما يكفر إذا حجد^(١).

وعن مؤتمر الحوار العالمي بين الأديان الذي انعقد في مدريد في الفترة (١٦ - ١٨) يوليو ٢٠٠٨م، بدعوة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد بن عبد العزيز، وشارك فيه حوالي (٣٠٠) شخصية من مختلف الديانات والدول على وجه الأرض؛ أكد الشيخ الصفار أن المبادرة لعقد هذا المؤتمر مبادرة طيبة، مشيرًا إلى أنها ليست الأولى من نوعها في العالم، فخلال الثلاثة عقود الماضية تم عقد أكثر من مؤتمر للأديان وفي دول مختلفة كاليابان وقطر، وغيرهما، إلا أن ما يميز هذا المؤتمر أن المملكة هي الجهة الداعية له، وبرعاية رسمية من الملك، وحيث إن المملكة تحتل مكانة ريادية بين الدول الإسلامية، إضافةً إلى أن المؤسسة الدينية فيها تحفظ من التواصل والتعامل المشترك مع المخالفين لها في المذهب فضلًا عن الدين، لذلك كان لهذا المؤتمر ميزة خاصة، ونظرة مختلفة عن سابقه من المؤتمرات التي نهجت ذات النهج.

وسلَّط الشيخ الصفار الضوء على هدفين أساسيين لعقد هذا المؤتمر العالمي:
الهدف الأول: خارجي، ويتمثل في تحسين صورة الإسلام للعالم، وبالخصوص في هذه الحقبة الزمنية التي تشوَّهت فيها صورة الإسلام بسبب تلك التصرفات الهوجاء التي قام بها مجموعة من الحمقى المنتمين للإسلام.

وباعتبار موقعية المملكة وأن عددًا من هؤلاء الحمقى ينتمون إلى هذا البلد، لذلك تحمَّلت المملكة القسط الأكبر من المسؤولية، فما عاد السعودي يحمل تلك المكانة والاحترام عند غالبية الدول والمجتمعات، فقد حصل انحسار في التعاطي اللائق مع السعوديين بسبب تلك الأحداث الطائشة.

(١) وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٢٥٦.

الهدف الثاني: داخلي، ويتمثل في تخفيف حدة التشدد والانغلاق الذي تعيشه الأمة الإسلامية في داخلها، حيث تزخر الأمة الإسلامية بتعدد في التيارات والتوجهات، إلا أن هذا التعدد شابه وجود بعض التيارات المنغلقة والمتشددة التي ترفض الاعتراف بالآخر والتعايش معه، ف جاء هذا الحوار ليؤصل قيمة التعايش والتسامح، ليُعالج بذلك هذه الحالة المتشددة عند بعض التيارات لتعايش مع بقية المسلمين على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم.

وأكد الشيخ الصفار أن هذا المؤتمر لم يسلم من معارضة بعض المتشددين من المؤسسة الدينية الذين يعتبرون أن الدور الأساس في التعامل مع الديانات الأخرى يتمثل فقط في الدعوة للإسلام، ولا سبيل للحوار من أجل التعايش والتعاون في المشتركات. لكن قيادة المملكة اتخذت منحى مختلفاً، وقد أكد الملك عبد الله في افتتاحيته للمؤتمر أن هذا المؤتمر إنما يُعقد من أجل الحوار في المشتركات، ومن أجل تأكيد قيم التعايش والتسامح بين أتباع الديانات المختلفة. وهذا ما تؤكد آيات القرآن الحكيم، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

وحول النتائج المرجوة من عقد هذا المؤتمر أكد الشيخ الصفار أن البعض يستعجل النتائج متجاهلين التراكمات الجليدية من التخلف التي تكوّنت عبر السنين الماضية، وأن إزالتها يستلزم جهوداً مضمّنية، وهذا الحوار إنما هو خطوة في الطريق، بحاجة إلى خطوات تتبعه، والأمل بالله كبير.

وختم الشيخ الصفار الخطبة بالإشارة إلى مؤتمر المجلس الاستشاري الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الذي عُقد في الرباط في مقر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسكو) بتاريخ ٢٤/٧/٢٠٠٨م وقد نص في توصياته الختامية على ضرورة أن تشمل المناهج الدراسية على ثقافة التقريب، وأن يجتهد العلماء والخطباء في نشر ثقافة

التسامح والتعايش. مما يؤكد على أن هذا المؤتمر يصب في المسار ذاته الذي سار عليه المؤتمر العالمي للحوار، وهو التأكيد على ضرورة التعايش فيما بين البشر على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وطوائفهم، وأن لغة الحوار هي اللغة المثلى التي ينبغي أن تحكم هذا التعايش.

الخطبة الثانية

حثَّ الشيخ الصَّفَّار جموع المصلين على مداومة ذكر الله تعالى، مؤكداً أن المؤمن ينبغي أن يكون ذكر الله تعالى دائماً على لسانه، وبالتالي يكون الله تعالى حاضرًا في قلبه ونفسه. وأكد أن ذكر الله تعالى ليس مجرد ألفاظ، ولقلقة لسان، وإنما هو استحضارٌ لصفات الله تعالى، واستشعارٌ لرقابته على الإنسان.

وأضاف: إن ذكر الله تعالى يدفع الإنسان للطريق الصحيح، ويصده عن طريق الانحراف، ويجعل قلب الإنسان مطمئنًا، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].

واستعرض جملةً من الأحاديث والروايات التي تؤكد أهمية التزام الإنسان ذكر الله تعالى وتسيبته:

- قال رجل للنبي ﷺ: أحب أن أكون أخصَّ الناس إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «أكثر ذكر الله تكن أخصَّ العباد إلى الله تعالى»^(١).
- وسئل: من أكرم الخلق على الله؟ قال ﷺ: «أكثرهم ذكرًا لله، وأعملهم بطاعته»^(٢).

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ١٢٨.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ١٢٦، حديث ٨٩٩٣.

- وقال ﷺ: «ما من ساعة تمر ببن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسر عليها يوم القيامة»^(١).
 - وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا ذكرَ الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، فإن الله أمر بكثرة الذكر له»^(٢).
 - وقال ﷺ: «إذا ذكر العبد ربه في اليوم مائة مرة كان ذلك كثيرًا»^(٣).
 - وفي دعاء كميل جاءت هذه الفقرة: «ياربَّ ياربَّ ياربَّ أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسئائك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة».
- وأكد أن على الإنسان أن لا ينشغل عن ذكر الله تعالى بأي شيء آخر، امثالاً لأمر الله تعالى، حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون، الآية: ٩].
- واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن ذكر الله تعالى ينبغي أن يكون حاضرًا في قلب الإنسان وفكره ووعيه في كل حين، وبالخصوص في اللحظات التي تتحرك فيها شهواته وغرائزه، فإن ذكر الله تعالى يقي الإنسان من الاستجابة لتلك الأهواء والشهوات المنحرفة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٠١].
- والحمد لله رب العالمين.

(١) كنز العمال. ج ١، ص ٤٢٤، حديث ١٨١٩.

(٢) الكافي. ج ٨، ص ٤٠١.

(٣) بحار الأنوار. ج ٩٠، ص ١٦٠.

بذل الجاه والوساطة في الخير

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٩ رجب ١٤٢٩ هـ

شجّع سماحة الشيخ حسن الصفّار على مبدأ الشفاعة (الوساطة) لقضاء حوائج الناس، الذي يعني: أن يضم المتصدّي لحوائج الناس جهده إلى جهدهم لمساعدتهم لقضاء حوائجهم. مؤكداً أن النصوص الدينية تحث على هذا المبدأ بل تعتبره من أفضل أنواع الصدقات. مشيراً أن كل المجتمعات تحتاج إلى تفعيل هذا المبدأ مع اختلاف في حجم الحاجة تبعاً لحاكمية القانون والنظام في المجتمعات. وحثّ العلماء والوجهاء وأصحاب الوظائف الكبيرة على تسخير ما منحهم الله إياه من مكانة في خدمة هذا المبدأ الإنساني، فذلك طريقٌ لقضاء حوائجهم ودفع البلاء في الدنيا، ورفع العذاب عنهم في الآخرة. مستنكراً على أولئك الذين يُمارسون دور الإعاقة لسبب الخير في المجتمع. ومعرباً في الوقت ذاته عن استيائه لقلّة المتصدّين لهذا الدور الاجتماعي.

وفي سياق آخر تحدث الشيخ الصفّار عن حادثة الكسوف باعتبارها ظاهرة كونية طبيعية تحدث عندما يمر القمر بين الشمس والأرض، وقد يكون الكسوف جزئياً أو كلياً. وأشار إلى أن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يتفاعل مع ظواهر الكون الطبيعية، فشّرّع في كل ظاهرة من الظواهر شعائر عبادية يقف فيها الإنسان بين يدي الله تعالى مستحضراً قدرته وعظمته. مسلّطاً الضوء على بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بصلاة الآيات المفروضة عند حدوث الكسوف.

ويأتي حديث الشيخ الصّفار عن ظاهرة الكسوف تزامناً مع الكسوف الجزئي الذي شهدته المنطقة الشرقية بالمملكة اليوم الجمعة قبيل الساعة الثانية بعد الظهر، بنسبة ٨٪ من قرص الشمس حسب تقدير علماء الفلك.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصّفار في بداية خطبة الجمعة ٢٩ رجب ١٤٢٩هـ (١ أغسطس ٢٠٠٨) أن الناس بطبيعتهم يحتاجون إلى بعضهم بعضاً، على اختلاف تلك الحاجات فيما بينهم، وتعدد كذلك قدرة الأشخاص الذين هم في موقع التصدي لحاجات الناس بتعدد تلك الحاجات:

- فإما أن تكون الحاجة بيد المتصدي لقضائها، وهنا يلزمه قضاء تلك الحاجة، فيقضي الله تعالى بذلك حوائجه، ويدفع عنه البلاء في الدنيا، والعذاب في الآخرة.
- وقد يكون قضاء الحاجة بيد طرف آخر، ولكن المتصدي بإمكانه المساعدة، وعليه هنا أن يبذل جهده في ذلك.
- وأوضح الشيخ الصّفار أن الصورة الثانية يُعبّر عنها بالشفاعة (الوساطة). والشفاعة من الشفع، وهي ضمّ الشيء إلى شيءٍ آخر. فالإنسان المتصدي لقضاء حوائج الناس يضم جهده إلى جهدهم لمساعدتهم لقضاء حوائجهم.
- وأكد أن كل المجتمعات الإنسانية تحتاج إلى وجود أناس يقومون بدور الشفاعة، وذلك للأسباب التالية:

- ليس كل صاحب حاجة يعرف الطريق لحاجته وحل مشكلته.
- قد لا يستطيع صاحب الحاجة الوصول إلى الجهة التي بيدها معالجة حاجته.
- أو ليس لديه قدرة على تبين حاجته.

■ أو لا معرفة له ولا مكانة تدفع الآخرين للاستجابة له.

وأضاف: تختلف حاجة المجتمعات إلى ممارسة الشفاعة، فالمجتمعات التي يسودها النظام والقانون، وتمارس فيها المؤسسات دورها الطبيعي، فإن هذه المجتمعات تقل فيها الحاجة للشفاعة. أما المجتمعات التي يكون فيها القانون ضعيفاً أو غائباً، والتي يضعف فيها الدور المؤسسي وتبرز فيها المحسوبيات فإن هذه المجتمعات تكون أسيرة أمام سيطرة الوساطات في مختلف قضاياها الرسمية وغير الرسمية.

وأشار أن الشفاعة إما أن تكون مرتبطة بمؤسسة رسمية حكومية أو أهلية، وهنا ينبغي أن تكون الشفاعة ضمن القانون والنظام، ولا يصح مخالفة القانون أو تجاوز حقوق الآخرين، وإلا فإن هذه الشفاعة تكون مذمومة وقبيحة. وهناك تأكيد شرعي على أنه لا شفاعة في حدود الله، فعن الرسول الأعظم أنه قال: «من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله فقد ضادَّ الله تعالى في ملكه، ومن أعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله تعالى حتى ينزع»^(١). وعلى العكس من ذلك إذا كانت الشفاعة في إطار القانون فهي شفاعة محمودة ويُشجّع الإسلام عليها، يقول تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٥]. وقد ورد عن النبي أنه قال: «من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دلَّ على خير أو أشار به، فهو شريك، ومن أمر بسوء أو دلَّ عليه أو أشار به فهو شريك»^(٢).

وقد تكون الشفاعة مرتبطة بجهات شخصية، وهنا المجال مفتوح للشفاعة، والنصوص الواردة بهذا الصدد كثيرة جداً، ومنها:

■ عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال: «إني أوتي فأسأل، وتُطلب إليّ الحاجة، وأنتم

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٨٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٢٥، حديث ٢١١٤٧.

- عندي فاشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب»^(١).
- وقال ﷺ: «من شفع شفاعة يدفع بها مغرمًا أو يُجبي بها مغنمًا ثبت الله قدميه حين تدحض الأقدام»^(٢).
 - وقال ﷺ: «أفضل الصدقة صدقة اللسان، الشفاعة تفك بها الأسير، وتحقن بها الدم، وتجبر المعروف والإحسان إلى أخيك، وتدفع عنه الكريمة»^(٣).
 - وقال الإمام الصادق ﷺ: «الشفاعة زكاة الجاه»^(٤).
- وأشار الشيخ الصفار أن البعض من الناس يُمارس دور إعاقة سبل الخير في المجتمع، وهو لاء مثال واضح لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٧].
- مختتمًا الخطبة بالتأكيد على أن حاجات المجتمع إلى من يتصدى لهذا الدور المهم من بذل الشفاعة بالمال أو الجاه، معربًا عن استيائه لتقاعس الكثيرين عن هذا الدور الاجتماعي، داعيًا العلماء والوجهاء لبذل جاههم في تلبية حاجات المجتمع، وأصحاب الأموال لاستثمار أموالهم في هذا الجانب، وأصحاب الوظائف الكبيرة للاستفادة من وظائفهم في قضاء حوائج الناس. لافتًا نظر الجميع أن هذا الدور لا يحظى به إلى من أوتي حظًا عظيمًا من الخير والتوفيق، يقول تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٥].

الخطبة الثانية

تحدث الشيخ الصفار عن ظاهري الكسوف والخسوف باعتبارهما ظاهرتين طبيعيتين،

(١) كنز العمال. ج ٣، ص ٢٧٠، حديث ٦٤٩٥.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢٧١، حديث ٦٤٩٦.

(٣) المصدر نفسه. ص ٢٧٠، حديث ٦٤٩٣.

(٤) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٢٦٨.

ترتبط الأولى بالشمس، والأخرى بالقمر.

مضيفاً: تحدث ظاهرة الكسوف عندما يمر القمر بين الشمس والأرض، وقد يكون جزئياً أو كلياً.

وأكد أن هذه الظاهرة طبيعية ناشئة عن حركة الأجرام السماوية، ولا علاقة لها بالعقاب والعذاب كما يعتقد البعض، ويرصد علماء الفلك هذه الظواهر قبل حدوثها بفترات زمنية طويلة، لأنها تحدث ضمن نظام كوني أودعه الله سبحانه في هذا الكون العظيم.

وأشار إلى أن الله سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يتفاعل مع ظواهر الكون الطبيعية، فشرع في كل ظاهرة من الظواهر شعائر عبادية يقف فيها الإنسان بين يدي الله تعالى مستحضراً قدرته وعظمته، فالصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء كلها ظواهر طبيعية أوجب الله تعالى في كل منها فريضة.

وظاهرة الكسوف من الظواهر الطبيعية التي فرض الله تعالى عند حدوثها على الناس فريضةً يؤدونها من وقت شروع الكسوف إلى حين تمام الجلاء.

وأوضح الشيخ الصفار بعض الفروقات التفصيلية حول صلاة الآيات التي تؤدي عند الكسوف أو الخسوف، بين المذاهب الإسلامية، فالشيعة الإمامية يرون وجوب هذه الصلاة على كل مكلف ما عدا الحائض والنفساء، أما جمهور أهل السنة فيرون انها سنة مؤكدة، عدا قول عند الأحناف بوجوبها. وكيفية صلاة الآيات في الفقه الشيعي انها ركعتان في كل واحدة خمس ركوعات، اما في الفقه السني فهي ركعتان في كل واحدة ركوعان.

وأشار الشيخ الصفار إلى بعض المسائل المتعلقة بهذه الصلاة، في كيفية أدائها وبعض شرائطها.

الجدير بالذكر أن حديث الشيخ الصفار عن الكسوف يتزامن مع حدوث هذه الظاهرة

في المنطقة بعد ظهر الجمعة، قبيل الساعة الثانية ظهرًا، حيث شهدت المنطقة الشرقية هذا اليوم كسوفًا جزئيًا بنسبة ٨٪ من قرص الشمس حسب تقدير علماء الفلك.
والحمد لله رب العالمين.

بركات شهر شعبان

خطبة الجمعة بتاريخ ٦ شعبان ١٤٢٩ هـ

استحضر سماحة الشيخ حسن الصفار بركات شهر شعبان باعتباره شهر رسول الله ﷺ وفيه ذكرياتٌ لولادات عدد من الأئمة الهداة (عليهم السلام)، مذكراً ببعض الأعمال العظيمة في هذا الشهر كالصيام والصدقة والدعاء، ومؤكداً على أفضلية الدعاء من بين هذه الأعمال، فهو منح العباد، كما يقول رسول الله ﷺ. ومشيراً إلى خصائص الدعاء التي تُميّزه على سائر العبادات، فهو مدرسةٌ فكريةٌ أخلاقيةٌ تربوية، ومن خلاله تترسخ مفاهيم العقيدة وثقافة الإسلام الصحيحة في نفس الإنسان. مشيراً أنه ينبغي عند قراءة الدعاء التفكير والتدبر في معاني الألفاظ، وليس الاقتصار فقط على ترديدها.

وسلّط الضوء على سيرة وشخصية الإمام علي بن الحسين فقد كانت حياته تجسيدا للقيم والمثل العليا، واعترف له بالمكانة والمنزلة العظيمة لجمهور المسلمين. مشيراً إلى أن أخلاق الإمام وسيرته كانت تجسيدا لعبادته المنقطعة لله تعالى، مؤكداً أنها أفضل درسٍ نأخذه من هذه الذكرى العطرة بأن نراجع سلوكنا وتعاملنا مع من حولنا، ليكون تعاملنا على أساس الإحسان، الذي هو فوق العدل، فالعدل أن تُعطي كل ذي حقّ حقه، أما الإحسان فهو زيادة على ذلك.

الخطبة الأولى

استفتح الشيخ الصفار الخطبة الأولى للجمعة ٦ شعبان ١٤٢٩ هـ (٨ أغسطس

٢٠٠٨م) بفقرات من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان يدعو به في كل يومٍ من أيام شهر شعبان، وفي ليلة النصف منه، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الدعاء: «اللهم صلّ على محمدٍ وآل محمد، واعمر قلبي بطاعتك، ولا تُخزني بمعصيتك، وارزقني مواساة من قُتِرَ عليه من رزقك بما وسَّعت عليّ من فضلك، ونشرت عليّ من عدلك، وأحييتني تحت ظلك، وهذا شهر نبيك سيد رسلك شعبان، الذي حففته منك بالرحمة والرضوان، الذي كان رسول الله يدأب في صيامه وقيامه في ليليه وأيام، بخوعاً لك في إكرامه وإعظامه، إلى محلّ حمامه، اللهم فأعنا على الاستئنان بستته فيه، ونيل الشفاعة لديه».

مستحضراً بذلك فضل هذا الشهر العظيم، وما له من المكانة والمنزلة العظيمة عند الله تعالى، فعن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام حثّ من في ناحيتك على صوم شعبان. فقلت: جعلت فداك ترى فيه شيئاً؟ فقال: نعم. إن رسول الله عليه السلام كان إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً يُنادي في المدينة: يا أهل يثرب إني رسول الله إليكم، ألا إن شعبان شهري فرحم الله من أعانني على شهري»^(١).

مضيفاً: إن من أفضل الأعمال في هذا الشهر العظيم: الصيام والصدقة والدعاء. مؤكداً أن الدعاء يأتي في المرتبة الأولى من بين تلك الأعمال، فالدعاء مدرسةٌ فكريةٌ أخلاقيةٌ تربوية، ومن خلال الدعاء تترسخ مفاهيم العقيدة وثقافة الإسلام الصحيحة في نفس الإنسان. مشيراً أنه ينبغي عند قراءة الدعاء التفكير والتدبر في معاني الألفاظ، وليس الاقتصار فقط على ترديدها.

وحول الحديث المروي عن رسول الله عليه السلام أنه قال: «الدعاء مخّ العبادة»^(٢)، أكدّ الشيخ الصفّار أن تشبيه الرسول للدعاء بعضو من أعضاء جسم الإنسان وهو: المخ،

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٥٠٨، حديث ١٣٩٧٦.

(٢) المصدر نفسه. ج ٧، ص ٢٧، حديث ٨٦١٥.

يدفعنا للنظر في أهمية هذا العضو لنستقرئ عظمة الدعاء من خلال ذلك.

فالمخ له دور إدارة الأعضاء الأخرى في جسم الإنسان، ومن خلاله تقوم بقية الأعضاء بأدوارها. وكذلك الدعاء يقوم بدور التوجيه وترشيد وعي الإنسان في الحياة، ويُصحح فهم الإنسان بالدين لكي لا يكون فهمه مبتورًا.

وللمخ أفضلية على سائر أعضاء الجسم، وكذلك الدعاء له أفضلية على سائر العبادات، ولذلك رود عن الرسول الأعظم ﷺ قوله: «أفضل العبادات الدعاء»^(١).

وأشار الشيخ الصفار إلى بعض الخصائص التي تُميّز الدعاء على سائر العبادات، ومنها:

- الدعاء انبعاث فطري وجداني، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٨].
- الدعاء مظهر للعبودية والإقرار بقدرته الله تعالى وصفاته.
- الدعاء يرفع معنويات الإنسان أمام المشاكل والتحديات، يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٢].
- الدعاء توثيق للصلة والانفتاح على الله تعالى.
- الدعاء تكريس للمفاهيم والتربية الأخلاقية.

واختتم الخطبة بالتأكيد على أن الإنسان عندما يتجه بالدعاء لله تعالى ينبغي أن يواكب ذلك سعيًا وعملاً باتجاه تلك الحاجة، يقول رسول الله ﷺ: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»^(٢). وفي وصية للإمام علي ﷺ لابنه الإمام الحسن ﷺ يقول فيها: «وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكْفَلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْجِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ وَ لَمْ يُلْجِئِكَ

(١) كنز العمال. ج ٢، ص ٦٤، حديث ٣١٣٤.

(٢) وسائل الشيعة. ج ٧، ص ١٤٥، حديث ٨٩٦٢.

إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ.. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أُذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فَامْتَنِي
شَيْئًا اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ»^(١).

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن من بركات شهر شعبان أن فيه ذكرياتٍ مباركةٍ عظيمةٍ لولادات عدد من أئمة الهدى، ففي الثالث منه ذكرى ولادة سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام، وفي الرابع ذكر ولادة قمر بني هاشم أبي الفضل العباس وفي اليوم الخامس ذكرى ولادة زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين . مضيئاً: إن إحياء هذه الذكريات العظيمة ينبغي أن يكون باستحضار سيرة هؤلاء العظماء والتأسي بأخلاقهم والسير على نهجهم القويم.

مشيراً أن مجتمعنا اعتاد الاهتمام بذكريات الحزن والألم حتى أصبح ذلك جزءاً من ثقافة المجتمع، مؤكداً أنه مع أهمية هذا الجانب إلا أنه ينبغي أيضاً أن يكون هناك توازن في التعاطي مع ذكريات الأئمة والقادة العظماء، فالإحتفاء بذكريات الأفراس جزءاً لا يتجزأ من الاقتداء والارتباط بهم (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام) وقد ورد عنهم: «لنا شبيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»^(٢).

وركّز في حديثه على شخصية الإمام زين العابدين حيث كانت حياته تجسيدا للقيم والمثل العليا، واعترف له بالمكانة والمنزلة العظيمة كبار علماء الأمة، فقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق بسنده عن ابن الزبير قال: كنا عند جابر بن عبد الله الأنصاري فدخل عليه علي بن الحسين، فقال له جابر: كنت عند رسول الله فدخل عليه الحسين، فضمّه إليه وقبّله، وأقعده إلى جنبه، ثم قال: «يولد لابني هذا ابن يُقال له: علي بن الحسين،

(١) نهج البلاغة من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليه السلام كتبها إليه بحاضرين عند انصرافه من صفين.

(٢) بحار الأنوار. ج ١٠، ص ١١٤.

إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش ليقم سيد العابدين فيقوم هو»^(١). ويقول الحافظ، وهو الإمام شمس الدين الذهبي (محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الإسلام) توفي ٧٤٨هـ، يقول في كتابه سير أعلام النبلاء في ترجمته للإمام علي بن الحسين عليه السلام: «وكان له جلالة عجيبة، وحق له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتأهله، وكمال عقله»^(٢).

واستحضر الشيخ الصقار شيئاً من سيرة هذا الإمام العظيم، مشيراً إلى أن التأسي والافتداء بهذه السيرة هو حقيقة الاحتفاء بذكرى ولادته المباركة، ومؤكداً أن صدق العبادة لله تعالى يتمثل في التعامل مع الناس، فلو كان هناك من يُسيء تعامله مع الآخرين، فلا يُمكن أن نثق بدينه، مهما أظهر من ممارساتٍ يقوم بها بين الناس.

وأضاف: ومما جاء في سيرة الإمام زين العابدين أن أخلاقه وتعامله مع الناس كانت تجسيدا لعبادته لله تعالى، واستشهد ببعض الشواهد من هذه السيرة المباركة، ومنا:

■ كان عند الإمام ضيوف، وجاء خادمه بجفنةٍ عليها لحم مشوي، وكانت شديدة الحرارة، ومن عجلة الغلام وقعت على طفل للإمام فاحترق ومات. وما كان من الإمام إلا أن جاء مخاطباً الغلام: أنت حرٌّ لوجه الله فإنك لم تتعمد ذلك، ثم أخذ في جهاز ابنه ودفنه.

■ وكان لا يُسافر إلا مع رفقةٍ لا يعرفونه ليكون من خدام الرفقة فيما يحتاجون إليه.

■ وكان يتفقد بيوت الفقراء ليلاً ولا يعرفهم بشخصه، ولم يعرفوا أنه الإمام إلا بعد وفاته.

(١) ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق ج ٥٤، ١٤١٥هـ، (بيروت: دار الفكر)، تحقيق: علي شيري، ص ٢٧٨.
(٢) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج ٤، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة) تحقيق: مامون الصاغري، ص ٣٩٨.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن أفضل درسٍ نأخذه من هذه السيرة العطرة أن نراجع سلوكنا وتعاملنا مع من هم حولنا، ليكون تعاملنا على أساس الإحسان، الذي هو فوق العدل، فالعدل أن تُعطي كل ذي حقَّ حقه، أما الإحسان فهو زيادة على ذلك، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٠].
والحمد لله رب العالمين.

الدور المسؤؤل في زمن الانتظار

خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ شعبان ١٤٢٩ هـ

دعا ساحة الشيخ حسن الصفار لدورٍ مسؤول في زمن انتظار المهدي الموعود، مشيراً إلى ثلاث مسؤوليات رئيسة: التزام الإنسان خط العدل والاستقامة، ليكون مؤهلاً للمشاركة في حركة الإصلاح الموعود؛ المساهمة في إعداد الأمة والمجتمع للقيام بحركة الإصلاح؛ نشر ثقافة التطلع للعدل ورفض الظلم على مستوى العالم. منتقداً تلك الثقافة التي تدعو للتكالية وتأجيل مسؤولية التغيير لحين ظهور الإمام المهدي عليه السلام. وأكد أنه لا تكاد تخلو ثقافة من ثقافات المجتمعات البشرية من التطلع إلى عهدٍ يسود فيه العدل بين الناس، وينحسر فيه الظلم والجور. مضيفاً: إن هذا الشعور النفسي والتطلع الإنساني يُحقق غايتين: يُعزز رفض الإنسان للظلم حتى وإن ساد الدنيا؛ ويُقوي الأمل ويمنح الثقة.

وفي سياق آخر تحدث الشيخ الصفار عن فضل ليلة النصف من شهر شعبان، مؤكداً أن المسلمين جميعاً أجمعوا على فضل هذه الليلة ومكانتها العظيمة. وحول الاحتفاء بهذه الليلة ومراسيم البهجة والسرور، أكد على ضرورة الالتفات إلى نقطتين مهمتين: أن يُمثل هذا الاحتفاء الوجه المشرق لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ولمناسبتهم العظيمة، بأن يُوضع حدٌ لتلك الممارسات السلبية التي تشوّه صفو هذه الليلة المباركة؛ وثانياً استثمار هذه الليلة بإحيائها بالعبادة، والتوجه إلى الله تعالى، ودعا لتفعيل دور المساجد للقيام ببرنامج

عبادي كما هو حال ليلة القدر.

الخطبة الأولى

أكد الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٣ شعبان ١٤٢٩هـ (١٥ أغسطس ٢٠٠٨م) أنه لا تكاد تخلو ثقافة من ثقافات المجتمعات البشرية من التطلع إلى عهد يسود فيه العدل بين الناس، وينحسر فيه الظلم والجور، وتعتقد المجتمعات الدينية كاليهود والمسيحيين والمسلمين أن هناك مصلحاً إلهياً يتحقق على يديه ذلك.

فاليهود يعتقدون أن الله تعالى سيرسل مسيحاً من ولد داود النبي لإنقاذهم، وسيقيم لهم المملكة الموعودة التي يسود فيها العدل والسلام. كما أن المسيحيين يعتقدون بأن يسوع هو المسيح الموعود، وأنه سوف يأتي ويُقيم مملكة الله على الأرض ليخلص العالم من الظلم والجور والشور.

ويعتقد المسلمون، إلا من شدّ منهم، بظهور مصلحٍ ومنقذٍ من ذرية رسول الله من ولد فاطمة الزهراء هو المهدي المنتظر، فقد ورد عن الرسول الأعظم أنه قال: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(١). ويختلفون في بعض التفاصيل، فهل هو من ولد الإمام الحسن أو من ولد الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل ولدٌ وغاب، كما يعتقد شيعة أهل البيت عليهم السلام، أم لا، كما بقية المسلمين من المذاهب الأخرى؟

وأضاف: حتى الثقافات المادية لم تخل من الحديث عن التطلع لعهد العدل والسلام، فالمادية الجدلية (الماركسية) التي فسّرت التاريخ على أساس التناقضات، آمنت بيوم موعود تصفى فيه كل تلك التناقضات ويسود فيه الوئام.

مشيراً أن هذه الاعتقادات تدل على أرضية وجدانية لفكرة ظهور المنقذ عند أبناء البشر، وعلى وجود تطلع إنساني لسيادة العدل والسلام، مؤكداً أن هذا الشعور النفسي

(١) سنن أبي داود. ج ٢، ص ٣١٠، حديث ٤٢٨٤.

والتطلع الإنساني يُحقق غايتين:

الأولى: يُعزز رفض الإنسان للظلم حتى وإن ساد الدنيا.

الثانية: يُقوّي الأمل ويمنح الثقة.

ويبين الشيخ الصفار أن المسلمين يستقون ثقافتهم بهذه القضية (المهدي المنتظر) من خلال الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ، التي تؤكد على هذه الحقيقة، فعنه أنه قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^(١)، مشيراً أن أكثر من (٢٣) عالماً من كبار علماء السنة صححوا هذه الأحاديث واحتجوا بها، ومن أواخرهم الشيخ عبد العزيز بن باز، مفتي المملكة السابق، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

وعن الدور المطلوب في زمن الغيبة وزمن انتظار ظهور الإمام المهدي ﷺ أكد الشيخ الصفار أن النصوص الواردة تحمّل الإنسان المؤمن مسؤولية كبرى، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من سرّه أن يكون من اصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا»^(٢). مبيّناً أن هذه الرواية تؤكد على ضرورة التزام الورع واجتناب الظلم، والعمل بمحاسن الأخلاق، وتحمل المسؤولية الاجتماعية في زمن الغيبة الكبرى. بمعنى أن يكون للإنسان المؤمن دورٌ إيجابي يقوم به، بخلاف تلك القناعات التي تدعو للتواكل وتأجيل مسؤولية التغيير لحين ظهور الإمام المهدي ﷺ. وتزيد بعض الفئات على ذلك بأنها ترى أنه من الخطأ مقاومة الفساد والظلم في زمن الغيبة، بحجة أن ذلك يؤخر ظهور الإمام المهدي ﷺ، إذ إن الأحاديث والروايات تؤكد أنه سيظهر بعد أن تملأ الأرض ظلماً وجوراً.

(١) سنن أبي داود. ج ٢، ص ٣١٠، حديث ٤٢٨٣.

(٢) بحار الأنوار. ج ٥٢، ص ١٤٠.

وعلق الشيخ الصفار على هذه الفئات بأنها تنحرف بهذه العقيدة وهذا التطلع الإيماني والإنساني، مؤكداً أن هذا التوجه يتناقض مع تعاليم الإسلام التي تدعو للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدعو لرفض الظلم، ومقاومة العدوان.

وأشار الشيخ الصفار إلى ثلاث مسؤوليات، أكد أنها تمثل معنى الانتظار الصحيح لظهور الإمام المهدي عليه السلام:

أولاً: التزام الإنسان خط العدل والاستقامة، ليكون مؤهلاً للمشاركة في حركة الإصلاح الموعود.

ثانياً: المساهمة في إعداد الأمة والمجتمع للقيام بحركة الإصلاح.

ثالثاً: نشر ثقافة التطلع للعدل ورفض الظلم على مستوى العالم.

مختتماً الخطبة بالتأكيد على أن هذا الدور الكبير هو المطلوب ممن يؤمنون بعقيدة الانتظار لظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام لأنهم بذلك يُحققون الغاية التي من أجلها شاءت حكمة الله تعالى أن يعيش المؤمنون في زمن الغيبة انتظاراً للفرج الموعود الذي أَراده الله تعالى أن يتحقق على يدي قائم آل محمد (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين).

الخطبة الثانية

تحدث الشيخ الصفار عن فضل ليلة النصف من شهر شعبان، التي تُصادف ميلاد منقذ البشرية، قائم آل محمد، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، كما يعتقد بذلك شيعة أهل البيت عليهم السلام، مؤكداً أن المسلمين جميعاً أجمعوا على فضل هذه الليلة ومكانتها العظيمة. مشيراً إلى رأي ابن تيمية حول ليلة النصف من شعبان، حيث ذكر في فضلها: أما ليلة النصف فقد روي في فضلها أحاديث وآثار، ونقل عن طائفة من السلف أنهم كانوا يُصلّون فيها، فصلاة الرجل فيها وحده قد تقدّمه فيه سلف وله فيه حجة، فلا يُنكر مثل هذا. كذا ورد

في مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية ج ٢٣ ص ١٣٢ .

وأضاف الشيخ الصفار: وقد صحح الألباني بعض الروايات الواردة في فضلها وفضل العبادة فيها في كتابه (صحيح ابن ماجة)، وقد ورد عن أم المؤمنين عائشة عنه: «أن الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم فيه»^(١).

أما في ثقافة شيعة أهل البيت فليلة النصف من شعبان لها خصوصيتها، فهي تُصادف ميلاد الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، ويحتفي فيها أتباع مذهب أهل البيت بمظاهر من البهجة والسرور التي لا يقومون بمثلها إلا فيها، وفي ليلة النصف من شهر رمضان. وحول هذه الاحتفالات ومراسيم البهجة والسرور بليلة النصف من شعبان، أكد الشيخ الصفار على ضرورة الالتفات إلى نقطتين مهمتين:

الأولى: أن يُمثل هذا الاحتفاء الوجه المشرق لأتباع أهل البيت عليهم السلام، ولمناسبتهم العظيمة، مما يؤكد على ضرورة منع حدوث ما يشوّه هذه المناسبة من أمثال الممارسات السلبية التي يقوم بها بعض الشباب الذين ينقصهم الوعي بأهمية هذه المناسبات، وضرورة إبدائها بأجلى صورها.

ودعا الشيخ الصفار إلى تحمل مسؤولية الوقوف أمام هذه الممارسات السلبية، والتي هي أحسن، عبر النصح والإرشاد، ومن خلال التعاون مع الجهات الرسمية. مشيداً بالجهود التي بذلها الشباب الطيبون خلال العام الماضي للحدّ من هذه الممارسات، ودافعاً باتجاه المزيد من الإصرار حتى تنتهي كل المظاهر السلبية التي تُشوّه إحياء هذه المناسبات.

الثانية: استثمار هذه الليلة بإحيائها بالعبادة، والتوجه إلى الله تعالى، فقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد عظمة هذه الليلة وفضلها من بين ليالي السنة، فعن الإمام

(١) كنز العمال. ج ٣، ص ٤٦٤، حديث ٧٤٥٠.

الصادق عليه السلام أنه قال: «سئل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان؟ فقال: هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله، ويغفر لهم بمنه، فاجتهدوا في القربة إلى الله فيها، فإنها ليلة آلى الله على نفسه أن لا يرد سائلاً له فيها ما لم يسأل معصية»^(١). وعن زيد بن علي الشهيد قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يجمعنا جميعاً ليلة النصف من شعبان، ثم يُجزئ الليل أجزاء ثلاثة، فيُصلي بنا جزءاً، ثم يدعو فتؤمن على دعائه، ثم يستغفر الله ونستغفره، ونسأله الجنة حتى ينفجر الفجر»^(٢). وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ينام فيها محيياً لعبادة الله بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن.

واستعرض بعض الأعمال العبادية المنصوص عليها في هذه الليلة المباركة، وأهمها: صلاة جعفر الطيار، ودعاء كميل، وزيارة الإمام الحسين عليه السلام. وبالطبع فإن لتلاوة القرآن والصدقة والغسل في هذه الليلة فضلاً عظيماً، وثواباً كبيراً.

ودعا الشيخ الصفار في ختام الخطبة إلى سنّ سنة حسنة في هذه الليلة العظيمة، بأن يُحبي الناس ليلة النصف من شعبان بالعبادة والدعاء في المساجد، كما هي العادة في ليلة القدر، مؤكداً أن هذه البرامج العبادية تُعطي أثراً كبيراً في احترام أبناء المجتمع لهذه الليلة، ومن شأنها أن تُحوّلها من ليلةٍ قد يستغلها البعض لممارسات سلبية، إلى ليلةٍ ذات تقديس أكبر، يجعل الجميع يعيش فيها بأجواء روحية خاصة، مما يُضفي على الليلة حرمة، وبذلك تنتفي كل المظاهر السلبية منها، فيُحقق أتباع أهل البيت عليهم السلام فيها مزيجاً بين البهجة والفرحة والسرور، وبين التوجه لله تعالى والخضوع له بالعبادة والتهجد والدعاء.

والحمد لله ربّ العالمين.

(١) وسائل الشيعة. ج ٨، ص ١٠٧، حديث ١٠١٨٣.

(٢) المصدر نفسه. ص ١١٠، حديث ١٠١٩٢.

شخصية الإنسان بين الاستقلالية والذوبان

خطبة الجمعة بتاريخ ٢١ شعبان ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن الإسلام يحفظ للإنسان استقلالته في قراراته ومختلف شؤون حياته، وذلك من خلال عدة أمور: غرس روح المسؤولية في الإنسان عن أعماله وتصرفاته، الإقرار التشريعي بحرية واستقلالية الإنسان في جميع شؤونه وأموره الفكرية والعملية، تحصين الإنسان من الخضوع للتأثيرات السلبية، والاهتمام بالشأن الاجتماعي والتفاعل الإيجابي مع المحيط. مستنكرًا على أولئك الذين يقبلون العيش بشخصيات مسحوقة، وكذلك المجتمعات والبيئات التي تسحق شخصيات أبنائها في مختلف المجالات: السياسية والدينية والعائلية والاجتماعية. مؤكدًا أن هذه الحالة تتنافى مع التعاليم الإسلامية التي تُربي الإنسان على قوة الشخصية وبناء الذات لكي يُطلق الإنسان العنان لإبداعاته فيُحقق وجوده في الحياة من خلال إنجازاته وعطاءه. ودعا للرجوع إلى آيات القرآن الكريم وقراءتها بوعي وتأمل، فهي تزرع في الإنسان قوة الشخصية، وتبني منه إنسانًا فاعلاً له أثره في الحياة.

وفي سياقٍ آخر أكد أن الأزمات التي تعيشها المجتمعات إنما هي نتيجة لذنوب يُمارسها المجتمع، مشيرًا إلى أن المجتمعات بحسب وعيها تختلف في أسلوب مواجهتها وتعاملها مع هذه الأزمات، فالمتقدمة منها تواجه هذه الأزمات بمراجعة الواقع والسعي باتجاه تغييره، أما المتخلفة منها فتسترسل فيه رغم أنها تتدمر منه وتسنكره. مشجعًا على

ضرورة أن يكون في المجتمع مراكز دراسات وأبحاث من أجل رصد الظواهر السلبية لتحليلها ومعالجتها.

وأوضح أن الإسلام إنما يؤكد على الاستغفار من أجل دفع هذه الأزمات، والمطلوب أن يكون الاستغفار كاشفاً عن توجه نفسي ونية صادقة، وإلا فإن مجرد التلفظ بالاستغفار لا يحقق الهدف منه.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٢١ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٢ أغسطس ٢٠٠٨م) أن الإنسان في علاقته مع محيطه قد يقع في حالة إفراط أو تفريط، فقد يعيش حالة من الأنانية، أو العزلة، أو التعالي، وقد يعيش حالة من الذوبان والانسحاق بحيث يفقد شخصيته، وتضمحل إبداعاته.

مضيفاً: إن كلا الحالتين خطأ، مؤكداً أن الصحيح هو أن يعيش الإنسان التوازن والاستقامة، بأن يتفاعل مع محيطه، وفي الوقت ذاته يحفظ شخصيته المستقلة في الإطار الصحيح.

وأوضح أن الإسلام يؤكد على الإنسان أن يمارس دوره الاجتماعي مع حفظ استقلاليته الشخصية، مشيراً إلى عدة أمور يتضح من خلالها هذا التأكيد الإسلامي:

الأمر الأول: غرس روح المسؤولية في الإنسان عن أعماله وتصرفاته، فهو المسؤول الأول عن قراراته، وبالتالي هو الذي سيجني نتيجة تلك القرارات والتصرفات في الجانب الإيجابي أم السلبي، وهذا ما تؤكد آيات القرآن الكريم في كثير من المواضع، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ١١١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥]، ﴿وَقَفُّهُمْ

إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿[سورة الصافات، الآية: ٢٤]، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨]. والآيات القرآنية تؤكد أيضاً أنه لن ينفع الإنسان أحدٌ في ذلك اليوم العصيب حتى أقرب الناس إليه، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس، الآيات: ٣٤-٣٧]، ويقول تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٦٦].

الأمر الثاني: الإقرار التشريعي بحرية واستقلالية الإنسان، في جميع شؤونه وأموره الدينية والفكرية، يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]؛ وأيضاً الممارسات العملية، ففي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «الناس مسلطون على أنفسهم وأموالهم»^(١).

وفي هذا الصدد أكد الشيخ الصفار أنه لا يحق لأحد أن يُصادر حرية الآخر مهما كانت موقعيته، فالحاكم لا يحق له أن يجبر الشعب على أمر لا يرتضونه إلا بما يُحقق النظام والقانون في البلاد، وكذلك العالم لا يحق له أن يجبر الناس على توجه معين.

كما أن الأب لا يحق له أن يجبر أولاده على أمر لا يرون فيه مصلحتهم، حتى فيما يتعلق بأمر الزواج مثلاً، فإن من حق الولد أن يقرر ذلك بقناعته، حتى وإن تعارضت مع قناعات أبيه، فعن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إني أريد أن أتزوج امرأة، وإن أبويَّ أرادا غيرها، فقال: تزوج التي هويت، ودع التي يهوى أبواك^(٢).

مشيراً إلى رأي السيد الخوئي الذي يقول فيه: «لم ينهض دليل على وجوب إطاعة الوالدين على سبيل الإطلاق على حد إطاعة العبد لسيده، نعم تجب المعاشرة الحسنة والمصاحبة بالمعروف على ما نطقت به الآية المباركة، فلا يجوز العداوة والإيذاء، وأما

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٢٧٣.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٤٠١.

الوجوب والتحرير بمجرد الأمر والنهي فضلاً عن لزوم الإستيذان في كافة الأفعال، وإن لم يترتب على تركه الإيذاء خصوصاً لو صدر من غير اطلاع منها أصلاً، فهو عار عن الدليل.

أجل قد ورد في بعض النصوص أنه إن أمرك أن تخرج من أهلك ومالك فافعل، ولكن أحداً لا يستريب في أن هذا حكم أخلاقي، وليس بتكليف شرعي كما هو واضح جداً^(١).

وكذلك الحال بالنسبة للزوج فلا يحق له أن يجبر زوجته على أمر لا ترتضيه ولا أن يتصرف في أموالها بدون رضاها، مؤكداً أن ما يقوم به بعض الأزواج من ابتزاز لزوجاتهم والتحكم في أموالهن هو حرام شرعاً، ولا يحق للزوج مطالبة زوجته إلا في حدود الحقوق الشرعية التي تتمثل في إطاعته في الفراش، وأن لا تخرج من بيته إلا بإذنه على تفصيل فقهي في الأمر الثاني.

الأمر الثالث: تحمين الإنسان من الخضوع للتأثيرات السلبية، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٥].

الأمر الرابع: الاهتمام بالشأن الاجتماعي والتفاعل الإيجابي مع المحيط.

وأشار الشيخ الصفار أن البعض من الناس يتقبل أن يعيش مسحوق الشخصية، مما يجرمه من أن يُبارس حقه الطبيعي في الحياة والتفاعل معها. مؤكداً أن بعض البيئات تكون أرضيتها مهينة لهذه الحالة فتكون شخصيات الناس فيها مسحوقة في مختلف جوانب الحياة، ففي الجانب السياسي يتربع بعض المستبدين لِيُبارسوا الاستبداد والقهر للشعوب، وفي الجانب الديني تبرز نماذج من الشخصيات التي تسحق إرادة الناس فلا يحق لأحد الاعتراض ولا النقاش ولا السؤال، والعالم مطاع على كل حال، في حين أن

(١) السيد أبو القاسم الخوئي. مستند العروة الوثقى، كتاب الصلاة ج ٨ ص ١٠٦.

هذا ليس من خلق النبي الأكرم ﷺ ولا الأئمة ﷺ حيث كانوا نموذجاً للخلق الرفيع، وكانوا يُتّيحون للناس فرصة النقاش والحوار، وقد يصل الأمر للجدال، وهذا ما أقره القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١]. وفي المحيط العائلي يعيش أفراد الأسرة مسحوقى الشخصية، سواءً من الأب أو الأم أو الأخوة الكبار. وكذلك المحيط الاجتماعي قد يُكبّل أفرادَه بمجموعة من الأعراف والتقاليد التي يقف معها البعض مكتوفى الأيدي، يئنّوا منها، ويستسلمون لها.

مضيفاً: إن الإنسان الذي يعيش في مثل هذه البيئة لا يؤمل منه تقدم ولا إبداع، إن لم يُحقق استقلاليتَه لشخصيته، ويثق بذاته، ويعيش متوازناً في حياته، فيبني لنفسه آراءً يكون مقتنعاً بها، ويعرف كيف يُطبقها عملياً في حياته.

وأكد أن مجتمعنا قد ربّى أبناءه على ضعف الشخصية، مما أنتج حالة من الذوبان والانسحاق بحيث لا يستطيع إنسان هذا المجتمع أن يُدافع عن حقه أمام أي جهة، وليس من مبرر سوى أن هذا الإنسان يعيش مسحوق الشخصية، وليس له أي استقلالية بذاته ولا بقراراته وآرائه.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على الرجوع إلى آيات القرآن الكريم وقراءتها بوعي وتأمل، فهي تزرع في الإنسان قوّة الشخصية، وتبني منه إنساناً فاعلاً له أثره في الحياة.

الخطبة الثانية

أشار الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن الذنوب نوعان: فردية يقوم بها الأفراد في أوضاعهم الشخصية، وهناك ذنوب تُصبح ظاهرة يُارسها طبقة واسعة من المجتمع. مؤكداً أن هذه الذنوب على تنوعها توجب عقوبة الله تعالى، سواءً في الآخرة عبر العذاب والنار، أو في الدنيا من خلال الأزمات والمشاكل التي يبتلي بها المجتمع.

موضحاً أن المجتمعات البشرية لا تخلو من وجود الخلل والانحرافات، إلا أن المجتمعات تختلف من حيث تعاملها مع أوضاعها، بحسب وعي تلك المجتمعات. فالمجتمعات المتقدمة تعيش واقعاً واعياً في تعاملها مع أوضاعها، بأنها تُهيء مختلف الوسائل والسبل للوقوف أمام الأوضاع السلبية، فهناك وسائل الإعلام التي توجّه قنواتها باتجاه أي ظاهرة سلبية وملاحظتها، ويوجد في تلك المجتمعات مراكز دراسات وأبحاث تدرس الظواهر التي تطرأ على المجتمع وتُشعبها دراسةً وتحليلاً، وهناك المؤسسات التشريعية السياسية والدينية، وفوق ذلك كله فإنسان تلك المجتمعات لديه إرادة وقابلية للتغيير، والمرونة التي يتسمون بها تجعلهم قادرين على تجاوز أي خطأ يطرأ في المجتمع. أما المجتمعات المتخلفة، فإضافةً لكونها تفتقر لتلك الوسائل المهمة من إعلامٍ ناجح، ومراكز دراسات وأبحاث ومؤسسات تشريعية مؤهلة، فإن إنسان هذه المجتمعات ليس لديه قابلية مناسبة للتغيير، إذ إن الناس رغم تدمرهم من الواقع المعيش، إلا أنهم يسترسلون فيه وكأنه قدرٌ محتوم لا يُمكن تجاوزه أو تغييره.

وأكد الشيخ الصفّار أن مجتمعاتنا وللأسف بحاجة ماسة إلى دفعة قوية باتجاه التقدم، فوجود مراكز للدراسات والأبحاث لرصد الظواهر في المجتمع، وإشباعها بالبحث والتحليل أصبح حاجة ملحة، إضافةً إلى ضرورة أن يتحلى الناس بالجرأة في نقد هذه الظواهر السلبية التي بدأت تنتشر في المجتمع، مستنكراً على أولئك الذي يخشون الانتقاد بمرر ظهور معائب المجتمع للآخرين، مبيناً أن الأمر لم يعد خفياً على أحد، فما عاد العصر كالسابق.

وأوضح أن التعاليم الدينية توجّه الإنسان لبعض الممارسات التي من خلالها يدفع الله تعالى العذاب عن المجتمع، ومن أبرز تلك الممارسات (الاستغفار)، مؤكداً أن المطلوب أن يكون الاستغفار كاشفاً عن توجّه نفسي ونية صادقة، وإلا فإن مجرد التلفظ بالاستغفار لا يُحقق الهدف منه.

مستعرضاً جملةً من الآيات الكريمة والأحاديث والروايات الشريفة التي تحث على الاستغفار، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٠]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٣]. وعن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «ادفعوا أبواب البلياء بالاستغفار»^(١)، وقال ﷺ: «خير الدعاء الاستغفار»^(٢)، وقال ﷺ: «خير العبادة الاستغفار»^(٣). وقال ﷺ: «إن الله تعالى يعفو للمذنبين إلا من يريد أن لا يُغفر له»، قيل: يا رسول الله ومن الذي يريد أن لا يغفر له؟ قال ﷺ: «من لا يستغفر»^(٤). وقال ﷺ: «خير الاستغفار عند الله الإقلاع والندم»^(٥). وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «تعطروا بالاستغفار، لا تفضحنكم روايح الذنوب»^(٦).

وتأكيداً على أن الاستغفار ممارسة وسلوك وعمل، وليس مجرد ألفاظ، أورد الشيخ الصفار هذه الرواية: شكى أعرابي إلى الإمام علي شدة لحقته وضيقة في المال وكثرة العيال. فقال: عليك بالاستغفار فإن الله عز وجل يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢]. فعاد إليه: إني استغفرت الله كثيراً وما أرى فرجاً مما أنا فيه؟ قال: لعلك لا تحسن أن تستغفر؟ قال: علمني. قال: أخلص نيتك، وأطع ربك^(٧).

وأكد في ختام الخطبة أن الذي يستغفر الله تعالى وليس لديه عزيمة ونية صادقة

(١) مستدرک الوسائل. ج ٥، ص ٣١٨، حديث ٥٩٨٠.

(٢) كنز العمال. ج ١، ص ٤٧٨، حديث ٢٠٨٥.

(٣) الكافي. ج ٢، ص ٥١٧.

(٤) مستدرک الوسائل. ج ١٢، ص ١٢٢، حديث ١٣٦٨٥.

(٥) تنبيه الخاطر. ج ٢، ص ١٣٢.

(٦) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٧٠، حديث ٢١٠٠٧.

(٧) كنز العمال. ج ٢، ص ٢٥٨، حديث ٣٩٦٦.

في ترك الذنوب، فإنما يُضيف إلى ذنوبه ذنباً آخر، فقد جاء عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «الاستغفار مع الاصرار ذنوب مجددة»^(١)، وقال الإمام الرضا عليه السلام: «المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه»^(٢).

والحمد لله رب العالمين.

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٦٣.

(٢) الكافي. ج ٢، ص ٥٠٤.

استقبال شهر رمضان

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٧ شعبان ١٤٢٩ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار في آخر جمعة من شهر شعبان للتهيؤ لشهر رمضان المبارك، للاستفادة القصوى من خيراته وبركاته، مؤكداً أن ذلك يستلزم الالتفات إلى قيمة هذا الشهر وتعرّف خصائصه العظيمة، فمعرفة الإنسان بذلك تؤهله لكسب أكبر الفائدة من هذا الشهر، وأكد أن إحياء الإنسان لذاته بعظمة شهر رمضان وقدسيته ومكانته لها دورٌ كبير في تهيئة النفس لهذا الشهر الكريم. وأكد أن شهر رمضان من أهم المحطات على الصعيد الزمني الهدف، منها: أن يتذكر الإنسان البعد الذي قد يكون غائباً عن اهتماماته بالمستوى المطلوب، وهو البعد الروحي والقيمي، إذ إن انغماس إنسان هذا العصر في المصالح المادية له أثره الكبير في تقليص الاهتمام بالجانب الروحي عند الإنسان.

وأشار إلى أن النصوص الدينية تُبين الكثير من الخصائص العظيمة لشهر رمضان، وأبرزها: غفران الذنوب، والعتق من النار، ومضاعفة ثواب الأعمال. مضيفاً: إن شهر رمضان فرصة كبيرة لأن يُسلم الإنسان نفسه لله تعالى ليعود نقيّاً من كل الشوائب، وهذه من أعظم بركات هذا الشهر الفضيل.

الخطبة الأولى

بدأ سماحة الشيخ الصفار خطبة الجمعة ٢٧ شعبان ١٤٢٩هـ (٢٩ أغسطس ٢٠٠٨م) بطرح تساؤلٍ مهم، وهو: ماذا يعني ذكر الله سبحانه وتعالى بالنسبة للإنسان؟

وفي إجابته أكد أن ذكر الله تعالى يعني استحضار القيم الإلهية، واستحضار الجانب الأهم في شخصية الإنسان وهو البعد المعنوي الروحي. وأن ذكر الله يعني حضور الشعور بالمسؤولية في نفس الإنسان، بأن هناك جهة لها الأمر والنهي عليه، وأنه واجبٌ عليه إطاعتها، والخضوع لها، وأنه سيقف يوماً للحساب بين يدي هذه الجهة، أي بين يدي الله سبحانه وتعالى.

مضيفاً: ومن ينسى الله يعني أنه ينسى الجانب المعنوي القيمي الروحي في حياته. فيتعامل مع حياته باعتباره وجوداً مادياً لا أكثر من ذلك. فيسعى خلف الشهوات والملذات والمصالح المادية. ونتيجة ذلك أن يكون الإنسان غافلاً عن المسؤولية وعن الحساب والجزاء والآخرة. فيطلق العنان لنفسه فيقول ما يشاء ويفعل ما يشاء ويتصرف كما يهوى ويشاء. والله تعالى يؤكد في القرآن الكريم أن الذين نسوا الله فإن الله أنساهم أنفسهم، وبالتالي نسوا الجانب الأهم في حياتهم وهو الجانب المعنوي، لأن إنسانية الإنسان تتجلى بالجانب المعنوي، أما الجانب المادي فالإنسان شريك مع سائر الحيوانات فيها. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٩].

ويقول الإمام علي عليه السلام عن الذي ينغمس في شهواته وملذاته بأنه: «كَالْبَهِيمَةِ الْمُرْبُوطَةِ هَمُّهَا عُلْفُهَا أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا»^(١).

وحول أوضاع البشرية اليوم أكد الشيخ الصفار أن أبناء البشرية حينما انغمس أكثرهم في الأهواء والشهوات والمصالح المادية انحسر الجانب القيمي والمعنوي والروحي في حياتهم. ونتيجة ذلك ما نراه سائداً الآن في أوضاع المجتمعات البشرية: من انتشار الجرائم، والعدوان، والموبقات، والانحرافات، والمفاسد. كما أننا نرى أن بعض الناس تحولوا في حياتهم إلى وحوش مفترسة. فماذا تقول عن الذي يحرق والديه بالنار؟

(١) نهج البلاغة. خطبة ٤٥.

أو ذلك الذي يطعن أباه أو أمه حتى الموت؟ أو الذي يُعذّب بعض أبنائه وفلذات كبده حتى يهلك؟ هؤلاء بالفعل نسو أنفسهم، فتحولوا إلى وحوشٍ مفترسة، وأداةٍ للأهواء والشهوات.

لذلك يحتاج الإنسان إلى أن يتذكر هذا البعد المعنوي في شخصيته دائماً وأبداً. وقارن بين اهتمام الناس بأجسامهم وأرواحهم، ففي الجانب الأول يصرف أغلب الناس جزءاً كبيراً من الوقت بما يتعلّق بأجسامهم، فيوفّرون الطعام والشراب واللباس، ويهتمون بالنظافة والزينة، وكلها أمورٌ مرتبطة بالجسم. ولكن ماذا عن أنفسهم وأرواحهم؟

مؤكدًا كما أن الجسم يتلوّث بالغبار، وبما يُفرز من عرق ومن مواد، فيحتاج إلى تنظيف وتطيب، فكذلك الروح يتراكم عليها الغبار، والنفس يُصيّبها التلوّث، فيحتاج الإنسان إلى تطهير وتزكية نفسه وروحه. وكما أن الجسم يتعرض للأمراض والأسقام فيحتاج إلى الفحوصات والعلاج، فكذلك الروح تتعرض للأمراض والأسقام فتحتاج إلى التعهد بالفحوصات والعلاج.

فكما نهتم بأجسامنا علينا أن نهتم بأرواحنا وأنفسنا. فالإنسان بروحه وليس بجسمه فقط، ولذلك بمجرد مغادرة الروح للجسد، لا قيمة للجسد. «فأنت بالروح لا بالجسم إنسانا».

وأشار أن من نعم الله تعالى علينا أن وضع لنا محطات من أجل أن نستذكر فيها هذه الجوانب التي ترتبط بأرواحنا وأنفسنا، لكي لا نغفل عن مصالحنا الروحية، وعن تزكية وتطهير أنفسنا، وإنما تعاهدها دائماً بالتنقية والتزكية والتطهير.

مؤكدًا أن من أهم المحطات على الصعيد الزمني هي محطة شهر رمضان المبارك. فهو محطة مهمة، والهدف منها: أن يتذكر الإنسان هذا البعد الذي قد يكون غائبًا عن اهتماماته بالمستوى المطلوب، وهو البعد الروحي.

مضيفاً: شهر رمضان هو محطة للتزود الروحي، وهو محطة للتطهير والتزكية عما قد يُصيب نفس الإنسان وروحه، من قاذورات وآلام وأمراض وأسقام. لذلك على الإنسان أن يهتم بهذا الشهر الكريم على هذا الصعيد حتى يستفيد الفائدة المرجوة والمطلوبة من هذا الشهر العظيم.

الخطبة الثانية

واستفتح الشيخ الصقّار الخطبة الثانية بفقراتٍ من خطب رسول الله ﷺ قبيل شهر رمضان، فكان مما قال: «سبحان الله ماذا يستقبلكم! وماذا تستقبلون! قالها ثلاث مرات».

وفي خطبةٍ أخرى قال: «جاءكم رمضان، رمضان شهرٌ مبارك، افترض الله عليكم صيامه، تُفتح فيه أبواب الجنان، وتُغلق أبواب الجحيم، وتُغلّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرّم خيرها فقد حُرّم»^(١).

وأكد الشيخ الصقّار أن تعامل الإنسان مع الأشياء والأمور يتأثر بمقدار معرفته بها، والتفاته إليها، وهذا ينطبق على كل شيءٍ من الأشياء، فبمقدار ما يعرف الإنسان عن ذلك الشيء، وبمقدار ما يلتفت إليه، يكون تعامله معه واستفادته منه.

مضيفاً: إذا كان هناك شيء من الأشياء يجهله الإنسان، فإن من جهل شيئاً أنكره. والناس أعداء ما جهلوا. فقد تكون عطشاناً وهناك ماء لا تعرف مكانه فلا يُمكنك الاستفادة منه، وقد يكون هناك شخصٌ مفيدٌ جداً لك، لكنك تجهل هذا الشخص فلا تستفيد منه.

مؤكداً أن المعرفة درجات، فكلما كان مستوى المعرفة أكثر كانت الاستفادة أكثر. لافتاً الانتباه أنه أمامنا فرصة عظيمة وكبيرة جداً وهي شهر رمضان المبارك، فهل

(١) ابن أبي شيبه. المصنف، ج ٢، ص ٤١٩.

نعرف الخصائص التي يتميز بهذا هذا الشهر الكريم وخدماته؟ وهل نحن ملتفتون ومتوجهون إليها؟ فإن كنا كذلك نتمكن من استثمارها والاستفادة منها، وإلا فإننا سنضيع على أنفسنا فرصة هذا الشهر الكريم، وتلخص استفادتنا في حدود الصوم فقط.

مؤكدًا أن شهر رمضان فيه خدمات وخيرات وبركات لا يمكن وصفها! ويحتاج الإنسان حتى يستفيد منها أن يتعرفها وأن يتجه بقلبه وروحه نحوها.

وبالتأكيد فإنه لا يخلو أي مسلم يصوم شهر رمضان من الاستفادة من بركات هذا الشهر الفضيل، إلا أن السؤال عن مستوى الاستفادة؟

مشيرًا إلى أن الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ وعن الأئمة الطاهرين ؑ جاءت لتنبه الإنسان إلى أهمية هذا الشهر وخصائصه، حتى يستفيد منه الفائدة المرجوة.

وأضاف: ويبدو أن رسول الله ﷺ في كل سنة قبيل شهر رمضان كان يبيء أصحابه لقدوم هذا الشهر الكريم، ومما ورد عنه في بعض خطبه أنه قال: «أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة المغفرة، شهرٌ هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهرٌ دُعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعِلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب»^(١). وقال: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها»^(٢).

موضحًا أن النصوص تُشير إلى بعض الخصائص والخدمات التي ينبغي أن نتوجه إليها ونستثمرها من هذا الشهر الفضيل لنستفيد منها، ومن أهم هذه الخصائص:

■ غفران الذنوب: ويعني معالجة نقاط الخلل والثغرات في نفس الإنسان وروحه،

(١) وسائل الشريعة. ج ١٠، ص ٣١٣، حديث ١٣٤٩٤.

(٢) كنز العمال. ج ٨، ص ٤٧٨، حديث ٢٣٧١٥.

يقول ﷺ: «فإن الشقي من حُرِمَ غفران الله في هذا الشهر الكريم»^(١). وقال ﷺ: «إنما سُمِّيَ رمضان لأنه يرمض الذنوب»^(٢) ولا يتحقق ذلك إلا إذا سلّم الإنسان نفسه لله وأخلص نيّته. وقال ﷺ: «من صام رمضان وقامه إيمانًا واحتسابًا عُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه»^(٣)، وفي حديثٍ آخر: «من صامه إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٤).

■ العتق من النار: ف شهر رمضان هو شهر العتق من نار جهنّم، قال ﷺ: «إن لله في كلّ ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ من شهر رمضان ألف عتقٍ من النار، كلّهم قد استوجبوها»^(٥).

■ مضاعفة ثواب الأعمال، قال: «من أدّى فيه فرضًا كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن تلى فيه آيةً من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور»^(٦).

واختتم الشيخ الصفّار الخطبة بهذه العبارات: أيها المؤمنون أدعو نفسي وأدعوكم للتهيؤ لشهر رمضان المبارك، حتى نستفيد جميعًا من خيراته وبركاته، ويحتاج ذلك إلى إلتفاتٍ لقيمة هذا الشهر، وإلى إيجاء ذاتي بأن يوحى الإنسان إلى ذاته بأنه مقبل على شهر عظيم، وأن عليه أن يستعدّ لهذا الشهر وأن يستفيد منه الاستفادة القصوى.
والحمد لله ربّ العالمين.

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣١٣، حديث ١٣٤٩٤.

(٢) كنز العمال. ج ٨، ص ٤٦٦، حديث ٢٣٦٨٨.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٣٩٧، حديث ٨٥١٥.

(٤) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٢٤٦، حديث ١٣٣٢٧.

(٥) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٤٨٤، حديث ٨٧١٠.

(٦) بحار الأنوار. ج ٩٣، ص ٣٥٧.

رمضان والاحتساب خصال الخير

خطبة الجمعة بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢٩ هـ

دعا ساحة الشيخ حسن الصفار للتسلح بقيمة الورع لتحقيق أهداف الصيام العليا، ذلك أنه يعني الكف عن محارم الله والتحرج منها. مؤكداً أنه ينبغي أن يكون لدى الإنسان رهبة داخلية تجاه المعاصي والانحرافات بشكل عام. مشيراً أن قيمة الورع إنما تتحقق عندما تكون فرص الإقدام على تلك المعاصي متاحة. مشيراً إلى أبرز العوامل التي من شأنها أن تُعزز هذه القيمة في ذات الإنسان، وهي: الوعي، وذكر الله، والإرادة القوية.

وأكد أن هذا الشهر الفضيل من أفضل الفرص التي يُمكن للإنسان عبرها أن يعود لذاته ويكتشف نقاط الخلل فيها فيتعهد بينه وبين ربه لإصلاحها، فليس هناك أحد إلا ويحمل معه ذنوباً وأخطاءً وتقصيراً في جانب أو أكثر من جوانب حياته، لافتاً النظر إلى بعض الجوانب المهمة، كصلة الأرحام، وأداء الحقوق الشرعية، وتلاوة القرآن، وصلاة الليل. وأكد في حديثه على التفاعل مع المؤسسات واللجان الاجتماعية داعياً إلى ضرورة المساهمة في دعمها والمشاركة الفعلية فيها، ذلك لأن هذا الجانب من شأنه أن يدفع بحركة المجتمع للأمام، ويحميه من مختلف الانحرافات والأخطار المحدقة به.

الخطبة الأولى

بدأ الشيخ الصفار خطبة أول جمعة من شهر رمضان المبارك ٥ رمضان ١٤٢٩ هـ

(٩ سبتمبر ٢٠٠٨م) برواية جاء فيها: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فأجاب: «يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله»^(١).

وأكد أن ثمره الصيام وأهدافه العظيمة إنما تتجسد وتتحقق من خلال قيمة الورع. مشيرًا إلى تعريف ابن منظور في لسان العرب للورع بأنه التحرج! ويعني الكف عن المحارم والتحرج منها.

مضيفًا: إن مستويات الناس في الإقبال على الأعمال على ثلاثة:

أولًا: الإقبال على العمل بشوق واندفاع.

ثانيًا: الإقدام على العمل ضمن الحالة الاعتيادية، فسيان بين القيام به أو عدمه.

ثالثًا: أن يكون هناك تحرج في القيام بالعمل، ومثله أن يطلب من أحدهم أن يتقدم ويُلقي خطابًا في ظل وجود شخصيات مُهابة.

وأكد أنه ينبغي أن يكون لدى الإنسان رهبة داخلية تجاه المعاصي والانحرافات بشكل عام. مشيرًا أن قيمة الورع إنما تتحقق عندما تكون فرص الإقدام على تلك المعاصي متاحة، وإلا فإن إحجام الإنسان عن المعاصي في ظل عدم قدرته على الوصول إليها، فهذا يتحقق معه المثل: إن هذا العنب لحامض! ذلك لأن الوصول إليه غير متحقق.

مشيرًا أن قيمة الورع تجلّت في قصة نبي الله يوسف عليه السلام، وقد عبّر عنها الله تعالى بجلاء في كتابه الحكيم، يقول تعالى: ﴿وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٣].

وأشبع الشيخ الصقّار الحديث باستعراض عددٍ من النصوص الدينية التي تؤكد أن صيام شهر رمضان إنما يتحقق بتحقيق قيمة الورع، فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال:

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣١٥، حديث ١٣٤٩٤.

«ليس الصيام من الأكل والشرب فقط، إنما الصيام من اللغو والرّفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل إني صائم»^(١). وعنه عليه السلام: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس»^(٢)، وعنه عليه السلام: «من اغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يُؤجر على صيامه»^(٣)، وعن السيدة الزهراء عليها السلام: «ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه»^(٤). وأورد جملةً من النصوص الدينية التي يتجلى فيها الحثّ على الورع واتخاذ منهجاً في الحياة، يقول عليه السلام: «خير دينكم الورع»^(٥)، وعنه عليه السلام: «من لم يكن له ورعٌ يردّه عن معصية الله تعالى إذا خلا بها، لم يعبا الله بسائر عمله، فذلك مخافة الله في السرّ والعلانية»^(٦)، وعنه عليه السلام: «إنك لن تدع شيئاً لله إلا أبدلك الله خيراً منه»^(٧)، وعن الإمام علي عليه السلام: «الورع الوقوف عند الشبهة»^(٨)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إن أشدّ العبادة الورع»^(٩)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس منّا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أروع منه»^(١٠)، وقال عليه السلام: «لا ورع أنفع من تجنب محارم الله عزّ وجل، والكف عن أذى المؤمنين واغتيالهم»^(١١).

وحول السبيل لتحقيق هذه القيمة العليا في ذات الإنسان، أشار الشيخ الصّفّار إلى

ثلاثة عوامل مساعدة:

(١) المستدرک علی الصحیحین. ج ١، ص ٣٤١.

(٢) كنز العمال. ج ٣، ص ٨٤، حديث ٨٠١٦.

(٣) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٣٢٢، حديث ٨٢٩٣.

(٤) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٣٦٦، حديث ٨٤٣١.

(٥) كنز العمال. ج ٣، ص ٤٢٧، حديث ٧٢٨١.

(٦) المصدر نفسه. ص ٤٣٠، حديث ٧٢٩٩.

(٧) المصدر نفسه. ص ٧٩٧، حديث ٨٧٨٩.

(٨) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٩) الكافي. ج ٢، ص ٧٧.

(١٠) المصدر نفسه. ص ٧٨.

(١١) المصدر نفسه. ج ٨، ص ٢٤٤.

أولاً: الوعي، فوعي الإنسان بالذنوب والمعاصي وأثارها السلبية على نفسية الإنسان وحياته، وعلى محيطه ومجتمعه بشكلٍ عام، يحصّنه من الوقوع فيها، والورع عنها.

ثانياً: ذكر الله تعالى، ويعني أن يستحضر الإنسان دائماً وأبداً الله تعالى فيكون نصب عينيه في جميع تحركاته، مما يجعله يستذكر قدرة الله عليه، وأنه سيكون بين يدي الله تعالى في يومٍ تشخص فيه الأبصار، وبذلك يتورع عن محارم الله.

ثالثاً: قوة الإرادة، فيها يصنع الإنسان المعجزات، ومن خلالها يصل إلى قمم النجاح، وبالتأكيد عبر قوة الإرادة يصمد الإنسان أمام الشهوات والمغريات، ذلك لأن الذين سقطوا في وحل الانحرافات إنما كانت إرادتهم ضعيفة إن لم تكن خاوية.

واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على ضرورة أن يتذكر الإنسان دائماً وأبداً هذه القيمة العظيمة، وأن يستحضر الهدف الأسمى من الصيام الذي من أجله شرّعه الله تعالى، لتعزز هذه القيمة في ذاته، ويكون بذلك مستحقاً لثواب الله تعالى وجزائه الأوفى في شهره الأعظم.

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار أن شهر رمضان هو أفضل فرصة لتزكية وإصلاح الذات، داعياً نفسه وجموع المصلين إلى إعادة النظر في ذواتهم ورصد مواطن الخلل والنقص فيها، والعزم على تجاوزها وإصلاحها، مؤكداً أن الله تعالى سيوفق كل المؤمنين الذين يعتزمون نهج الصلاح وتزكية الذات.

مشيراً إلى بعض الجوانب التي قد يُقصر فيها الإنسان، ومحفزاً باتجاه البدء في هذا الشهر الكريم لتجاوز حالة التقصير، ومن تلك الجوانب:

- صلاة الأرحام، فإن كنت مقصراً في هذا البعد المهم فعليك أن تجعل لنفسك برنامجاً في هذا الشهر لصلة أرحامك، وتجعله حالة دائمة عندك في بقية الشهور.
 - أداء الحقوق الشرعية، إذ إن الله تعالى قد أوجب عليك خمس الفرائض من أموالك، فإن كنت متجاهلاً لهذا الحق الشرعي، فليكن شهر رمضان بدايةً في هذا الطريق، وتأكد أن ما تُنفقه في سبيل الله فإن الله تعالى سيُخلفه.
 - تلاوة القرآن الكريم، وهو رسالة الله تعالى إلى خلقه، ومنهجه القويم، فإن كنت ناسياً لتلاوة القرآن فيما مضى، فليكن لك برنامج يومي تلتزم فيه تلاوة القرآن الكريم، وليكن هذا الشهر الفضيل بداية الانطلاق في هذا البرنامج العبادي المهم.
 - صلاة الليل، فهي تحمل آثاراً معنوية لا حصر لها، فإن كنت غافلاً عن قيمتها فليكن شهر رمضان مدرسةً في هذا الجانب.
- وأكد الشيخ الصقار على جانب اجتماعي مهم، وهو التفاعل مع المؤسسات الخيرية والاجتماعية في المنطقة، فمجتمعنا كبقية المجتمعات لا يخلو من الثغرات التي تحتاج إلى من يتوجه نحوها لإصلاحها.
- مشيراً أن المجتمع ينعم بعدد من المؤسسات واللجان الاجتماعية التي تعني بمختلف شؤون المجتمع، وليس فقط بمساعدة الفقراء، فجميع الجمعيات الخيرية تضم إلى جانب لجنة مساعدة الفقراء العديد من اللجان: لجنة كافل اليتيم، لجنة إصلاح ذات البين، لجنة تيسير الزواج، لجنة التكافل الاجتماعي. وبعض الجمعيات بها لجان للتأهيل والتوظيف، وكذلك لجان للقرآن الكريم.
- وأكد أنه ينبغي لكل واعٍ غير متمٍّ لأيٍّ من المؤسسات واللجان الاجتماعية أن يرى في أي مجال يستطيع أن يساهم بما يخدم مجتمعه، وليكن شهر رمضان شهر الإقدام على هذا العمل الاجتماعي المهم.

وأشار الشيخ الصفار أن التفاعل الاجتماعي مع المؤسسات واللجان الاجتماعية ضعيفٌ جداً، ومعظم السيولة المادية لهذه المؤسسات تأتي من خارج المجتمع، في حين أن هذه المؤسسات تُقدِّم خدماتها للمجتمع، محذراً من أن العزوف عن التعاون مع هذه المؤسسات من شأنه أن يُفرز حالات الانحراف والإجرام في المجتمع ويزيد من حالات التفكك الاجتماعي، مما يعني ضرورة تضافر الجهود من أجل الوقوف أمام مختلف الظواهر السلبية التي يشكو منها المجتمع.

وأوصى في ختام خطبته كل واحدٍ للمبادرة في الانضمام لإحدى المؤسسات الاجتماعية والتفاعل معها، أو إنشاء مؤسسة جديدة تعنى بجانب من الجوانب المختلفة التي هي بحاجة إلى رعاية واهتمام. مؤكداً أن هذه خصلة من الخصال المهمة التي ينبغي التوجه لها، وقد حثَّ رسول الله ﷺ على هذا الأمر وأن ثوابه عظيم لا يُحصيه إلا الله تعالى، فقد ورد عنه أنه قال: «من تطوَّع فيه بخصلةٍ من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله عز وجل، ومن فريضة من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضة»^(١).

والحمد لله رب العالمين.

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٢، ص ٩٥، حديث ١٨٣١.

تجربة محاكاة الانفجار العظيم

خطبة الجمعة بتاريخه رمضان ١٤٢٩ هـ

أبدى سماحة الشيخ حسن الصفار انزعاجه الكبير من دعوات بث الأحقاد والضغائن بين المسلمين، ومعرباً عن استغرابه الشديد من انحدار بعض العلماء الكبار لهذا المستنقع القذر، وموجهاً اعتراضه على ما صدر مؤخراً من تصريحات متشنجة للشيخ القرضاوي تجاه الشيعة، مؤكداً أن ذلك يزرع الانطباعات السلبية بين المسلمين مما يُنتج الحقد والعدواة فيما بينهم.

وحول الموضوع ذاته أشار الشيخ الصفار إلى الأسباب التي تدعو الإنسان للحقد على أخيه المسلم، وأهمها: تضارب المصالح، والانطباعات السلبية. مؤكداً أن شهر رمضان فرصة للتقرب إلى الله تعالى وإزالة هذه الشوائب من النفوس. ودعا لاستثمار هذه الفرصة العظيمة، فالله تعالى يشمل جميع المسلمين برحمته وعفوه في هذا الشهر الفضيل إلا من كان في قلبه حقدٌ على أخيه المسلم.

وفي سياق آخر أثنى الشيخ الصفار على الحدث العلمي الكبير الذي أطلقه العلماء الأوروبيون بالقرب من جنيف، حيث يُجرون أكبر تجربة عرفت البشرية لمعرفة "بداية الخلق". مبدياً أسفه أن لا وجود للمسلمين في مثل هذه الإنجازات الكبيرة رغم أنهم يتلون قرآناً يأمر بالنظر والتأمل في الكون لاكتشاف أسراره وخيراته.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٢ شهر رمضان ١٤٢٩هـ (١٢ سبتمبر ٢٠٠٨م) إلى أن الله تعالى إنما خلق الخلق ليرحمهم، لا ليعذبهم أو ليشقيهم، وكما رحمته تعالى في هذه الدنيا واسعة واضحة ظاهرة، فإنها ستكون في الآخرة أكثر وضوحاً وجلاءً حيث ينشر الله تعالى رحمته على العباد، فيشرئب لها عنق إبليس، كما تُشير إلى ذلك بعض الروايات.

مضيفاً: إن المذنب العاصي الذي استحق غضب الله تعالى وعذابه، إن تاب إلى الله تعالى فإنه ينجو من العذاب، مؤكداً أننا نعيش هذه الأيام في شهر العفو والرحمة والعق من النار لمن استوجبها. داعياً لاستثمار هذه الفرصة العظيمة لنحظى بعفو الله تعالى وغفرانه.

وأشار أن الروايات تُركّز على أمرٍ في غاية الأهمية بما يتعلق بمسألة الفوز بعفو الله ورحمته في شهر رمضان، حيث تركّز الروايات أن رحمة الله تعالى تشمل جميع المسلمين، عدا فئة منهم استحکم الحقد في نفوسهم على إخوانهم المسلمين، فهؤلاء يُؤخرهم الله تعالى إلى أن يُنظفوا قلوبهم من تلك الأحقاد والضغائن التي لوثوا بها نفوسهم. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يعفر الله في كل ليلة من لسبعين ألفاً، فإذا كان في ليلة القدر غفر الله بمثل ما غفر في رجب وشعبان وشهر رمضان إلى ذلك اليوم، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء فيقول الله: أنظروا هؤلاء حتى يصلحوا»^(١)، وعنه ﷺ: «يأمر الله ملكاً يُنادي في كل يوم من شهر رمضان بأبشروا عبادي فقد وهبت لكم ذنوبكم السالفة، وشفعت بعضهم في بعض في ليلة القدر إلا من أفرط على مسكر وحقد على أخيه المسلم»^(٢).

(١) وسائل الشيعة. ج ١٠، ص ٣١٥، حديث ١٣٤٩٥.

(٢) مستدرک الوسائل. ج ٧، ص ٤٧٥، حديث ٨٦٩٤.

وأكد أن الله تعالى إذا كان رحيماً بعباده وعطوفاً عليهم، ويُريد لهم النجاة، فإنه لا يقبل منهم العداوة والحقد على الآخرين، لأن ذلك من مستوجبات غضبه واستحقاق عذابه. ولفت الانتباه إلى أن الإنسان مع أخطائه وذنوبه الكبيرة إلا أنه يطمع في عفو الله تعالى ورحمته، فما باله أمام أخطاء الآخرين عليه، لا يتنازل عن حقه في سبيل إصلاح ما بينه وبين أخيه، بل تراه يوغل في الحقد، بحق أو بدون حق.

داعياً إلى استثمار هذه الفرصة الثمينة، للفوز برضا الله تعالى في هذا الشهر، فالشقي من حُرِّمَ غفران الله تعالى فيه، كما ورد عن الرسول الأعظم ﷺ؛ وفي رواية جميلةٍ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول فيها: «الدنيا أصغر وأحقر وأنزر من أن تُطاع فيها الأحقاد»^(١).

مستنكراً على البعض الذين تأخذهم العزة بالإثم، فيصرون بجهلهم على مواقفهم التي اتخذوها بحقدهم.

وفي إجابته عن الأسباب التي تدعو الإنسان للحقد على أخيه المسلم، أكد الشيخ الصفّار على سببين:

الأول: تضارب المصالح، فقد ينظر البعض إلى أخيه بأنه سلب حقاً من حقوقه ومصالحه، فينشأ نتيجة ذلك الحقد في قلبه على أخيه.

الثاني: الانطباعات السلبية، وهو أسوأ درجات الحقد، حيث يلوّث الإنسان قلبه بحقد أخيه المسلم لمجرد انطباعٍ سلبي في نفسه، وقد يتبنى البعض هذا الموقف دون التأكد من صحّة الانطباع من عدمه، مضيئاً: وقد يكون هذا الانطباع ناتجاً عن مجرد الاختلاف في المعتقد أو التوجه، وهذا مما لا يحق لأي أحد أن يتخذ من خلاله موقفاً معادياً، فلكل حقه الطبيعي في اعتناق أي معتقد أو فكر يراه صائباً.

وأكد الشيخ الصفّار أن هذه المسألة هي المشكلة الكأداء التي يُعاني منها المسلمون

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

اليوم، حيث يُلَوِّث الكثيرون نفوسهم بأحقادٍ وضغائن تجاه إخوانهم المسلمين، لا لشيء سوى تلك الانطباعات السلبية التي أوغرت في قلوبهم.

وأبدى أسفه وانزعاجه من انحدار بعض العلماء الكبار لهذا المستنقع القذر، في حين كان مؤملاً من العلماء أن يكون لهم دورٌ في تأليف قلوب المسلمين، والدفع باتجاه الوحدة والتعايش.

وأضاف: إننا في الوقت الذي نشيد بمواقف العلماء ودورهم في إنهاض الأمة، ومن بينهم الشيخ القرضاوي، لكننا نستغرب كثيراً من صدور تلك التصريحات الجارحة التي يقول فيها بأن أكثر الشيعة يقولون بتحريف القرآن، مما يعني زرع الانطباعات السلبية في نفوس المسلمين تجاه بعضهم بعضاً، ومؤداه الأخير هو الحقد الذي سيلوِّث القلوب.

وأكد الشيخ الصفار عدم رغبته في الدخول في سجل عقيم، لكنه في الوقت ذاته يدعو الشيخ القرضاوي إلى أن يُصحح هذا الانطباع السلبي الذي أعلنه، وأن ينظر بعين العقل، فهؤلاء مراجع الشيعة وعلماءهم في كل مكان، فهل يدلنا القرضاوي على واحد منهم يقول بتحريف القرآن؟!

مضيفاً: نأمل من الشيخ القرضاوي أن يُعيد النظر فيما صدر منه، وأن لا يكون مصرّاً على ما قاله، فهذا شهر الله الأعظم، شهر العفو والرحمة، فلتكن النفوس فيه صافيةً مستجيبةً لنداء الله تعالى، بعيدةً عن موجبات الحقد وتلوّث النفوس المستوجبة لحجب المغفرة والرحمة من تعالى.

وأثنى الشيخ الصفار على جريدة الرياض التي اعتذرت عن نشر تلك التصريحات وحذفتها من طبعتها التالية، ونشرت اعتذاراً وتنوياً في صفحتها الأولى في اليوم التالي، والاعتراف بالخطأ فضيلة. وقال: إننا نقدر لرئاسة تحرير جريدة الرياض هذا الموقف الواعي والحرص على الوحدة الوطنية والإسلامية.

واختتم الخطبة بالتأكيد على ما بدأ به من ضرورة تصفية النفوس من الأحقاد،

ففي ذلك راحة للقلب، يقول الإمام علي عليه السلام: «من أطرح الحقد استراح قلبه ولبه»^(١)، ويؤكد الإمام علي عليه السلام أن الحقد ليس من طباع الأخيار، فعنه عليه السلام: «الحقد من طبائع الأشرار»^(٢).

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية أن آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو الإنسان للتفكير في أنظمة الكون، وأسرار الطبيعة، لكي يدرك عظمة الله تعالى، ولكي يكشف أسرار الكون فيسخرها لخدمته وخدمة الحياة. يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة ق، الآيتان: ٦-٧]، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ١٧-٢٠].

مؤكدًا أن هذه الآيات القرآنية وأمثالها موجهة لجميع الناس، لكل إنسان يدرك أنه بعقله يستطيع أن يكشف بعضًا من أسرار الحياة والكون.

مضيفًا: يفترض في هذه الأمة التي تحمل هذا الدستور العظيم أن تكون رائدة الأمم في اكتشاف أغوار الحياة والكون، وقد كانت كذلك حينما اتجهت إلى التأمل والتفكير في آيات الله تعالى، فكان لها السبق في تقديم نظريات اتخذها العلماء الغربيون أرضية لأبحاثهم وتجاربهم واكتشافاتهم. ولكن الأمة عندما تراجعت عن هذا المنهج القويم، واتجهت نحو اهتمامات هامشية، تراجعت قوتها وأصبحت في آخر الركب، بعد أن كانت

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

رائدة فيه.

وهذا ما حذّر منه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»^(١).

وأبدى الشيخ الصفار أسفه على أن التحذير الذي أطلقه الإمام علي هو ما حصل بالفعل، فتأخرت الأمة الإسلامية، وتقدّم علماء الحضارات الأخرى فأبدعوا باكتشافاتهم لأسرار الكون والحياة، وقدموا للبشرية أروع الإنجازات، التي نعيش اليوم في ظلّها. وأثنى الشيخ الصفار على الحدث العلمي الكبير الذي أطلقه العلماء الأوروبيون بالقرب من جنيف، حيث يُجرون أكبر تجربة عرفتّها البشرية لمعرفة «بداية الخلق»، ويسعى العلماء في مركز سيرن، المشروع الأوروبي لبحوث الذرة البالغ من العمر ٥٤ عامًا، إلى الوقوف على أسرار «المادة السوداء» و «الطاقة السوداء»، والابعاد الأخرى، وغيرها من الأمور ذات الأهمية الأساس في معرفة كيفية بدء الكون وتشكله إلى ما هو عليه الآن. ويقول روبرت إيمار المدير الفرنسي لمركز سيرن أنه «ستتغير نظرتنا إلى العالم، ومهما كانت الاكتشافات التي سنخرج بها فالخلاصة أن ذلك سيزيد إدراك البشرية بشكل كبير من فهمنا لأصول الكون ونشأته».

ويهدف المشروع لكشف أسرار المادة والكون وبداية الخلق، وذلك في إطار أكبر مشروع علمي عرفتّه البشرية واستغرق حتى الآن قرابة عشرين عامًا في محاولة لمحاكاة نظرية «الانفجار العظيم».

وبدأ علماء فيزياء دوليون في مجمع «سيرن» البالغ الاتساع الذي يقع تحت الأرض بالقرب من مدينة جنيف السويسرية في إطلاق المشروع للوقوف على الكيفية التي تشكلت وابتدأ بها الكون، وكيف تكونت الحياة في هذا الكون، بناءً على النظرية التي يعتقد معظم علماء الفيزياء في العالم أنها الأقرب، افتراضياً، إلى ما حدث بالفعل.

(١) نهج البلاغة. خطبة ٤٧.

وجرت التجربة يوم الأربعاء ١٠ ديسمبر ٢٠٠٨م على الحدود السويسرية الفرنسية حيث تم الإعداد لها على مدى سنوات، حيث تم إطلاق مئات الملايين من بروتونات الذرة وجزيئاتها في نفق دائري بطول ٢٧ كلم وعمق ١٠٠ متر تحت الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلم.

وينتج عن هذا كله ستمائة مليون تصادم بين الجزيئات في الثانية الواحدة، ويؤدي كل واحد منها إلى انشطار آلاف الأجزاء من الجزيئات التي يتم تسجيلها ورصدها تمهيداً للتعرف إليها.

وتبلغ تكلفة المعجل التصادمي ثلاثة مليارات يورو، وسيبدأ تشغيله رسمياً يوم ٢١ أكتوبر/ تشرين الأول المقبل.

وأكد الشيخ الصفار أنه في الوقت الذي نفرح بهذه التجارب والإنجازات باعتبارها مكسباً حقيقياً للبشرية، إلا أننا نحزن أن هذا الدور سبقنا إليه الآخرون، وليس لنا مساهمة فيه. في حين كان من المفترض أن تكون هذه الأمة هي السبّاقة لمثل هذه الإنجازات العظيمة.

وأعرب في ختام خطبته عن أمله بأن يُوجّه العلماء هذه الإنجازات فيما يخدم البشرية، ويُطوّر حياتها، لا أن يتّجهوا بها نحو أسلحة الدمار الشامل التي لن يجني منها العالم سوى الدمار والخراب.

وقال: إن على المسلمين أن يدعوا الله تعالى في مساجدهم وصلواتهم لإنجاح التجارب العلمية التي تخدم الإنسانية وتظهر عظمة الخالق جلّ وعلا.
والحمد لله ربّ العالمين.

مهاجمة المواقع الإلكترونية نوع من العدوان

خطبة الجمعة بتاريخ ٣ شوال ١٤٢٩ هـ

أدان سماحة الشيخ الصفار الاعتداءات المتبادلة بين المواقع الإلكترونية بين السنة والشيعة، فهي تُضَيِّع الجهود، وتشغل الأمة عن القضية الأهم. ودعا العلماء البارزين وذوي التأثير في المجتمع لإدانة هذه المعركة وإصدار فتاوى صريحة تُحَرِّم هذا العدوان بين الطرفين.

من جانب آخر أبدى الشيخ الصفار قلقه على شريحة الشباب، فهم الأكثر اهتمامًا بهذه التقنية الحديثة، وبدل أن توجّه طاقاتهم وقدراتهم وإبداعاتهم في الطريق السليم وما يخدم الأمة، ترى أن بعض الجهات توجههم للتطرف وتجعلهم وقودًا للصراعات.

وفي سياقٍ آخر هنا المصلين بعيد الفطر المجيد، مؤكدًا على ضرورة الاهتمام بجانب إشاعة البهجة والسرور في المجتمع، وخصوصًا في مناسبات الأعياد، وأن تكون في المجتمع برامج ترفيهية لإدخال السرور في النفوس، وبدرجة أكبر في نفوس الأطفال، مضيفًا أن طبيعة الحياة فيها ما يُسبب الحزن، وأن إشاعة البهجة من أهم العوامل لتجاوز هذه الحالة، إضافةً إلى الوعي بطبيعة الحياة، والثقة بالله تعالى والرضا بما كتبه للإنسان، مستحضراً قبساتٍ مشرقة من سيرة الرسول وأئمة الهدى في هذا الجانب المهم.

الخطبة الأولى

هنا الشيخ الصفار المصلين والأمة الإسلامية بعيد الفطر المجيد، وبدأ حديثه في

خطبة الجمعة ٣ شوال ١٤٢٩هـ (٣ أكتوبر ٢٠٠٨م) بالإشارة إلى أن حياة المؤمنين في الآخرة تملؤها البهجة والسرور، بعد أن أذهب الله عن قلوبهم الحزن، فلا حزن في الجنة ولا نكد. وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٤].

وأكد أن طبيعة الحياة الدنيا تسبب موجبات الحزن، فقد تُعَوِّق بعض رغبات الإنسان فيها، وقد يواجه الإنسان الكثير من العقبات التي بدورها تؤثر في نفسه، وتوجد الحزن والألم.

مشيراً أن البعض يستسلم مع حالة الحزن فيُعَوِّق بذلك مسيرته في الحياة، بينما هناك من يتجاوز هذه الحالة ليُمارس حياته بإرادة قوية، وعزيمة ثابتة. وقد ورد عن أئمة الهدى (عليهم السلام) كلمات يؤكدون فيها ذم الحزن، فعن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «الحزن شين الخلق»^(١)، وقال (عليه السلام): «الحزن يهدم الجسد»^(٢). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «الأحزان أسقام القلوب، كما أن الأمراض أسقام الأبدان»^(٣).

وعن السبيل لتجاوز حالة الحزن أكد الشيخ الصفار أنه يلزم الإنسان أن يعي ويتعرف طبيعة الحياة فهي بطبيعتها تُسبب موجبات الحزن، وقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: «الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ»^(٤). ومن ناحية ثانية على الإنسان أن يكون واثقاً من ربه راضياً بما كتب الله تعالى له، يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله بحكمه وفضله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»^(٥).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) بحار الأنوار. ج ٩٢، ص ٢٨٠.

(٤) نهج البلاغة. حكمة ٣٩٦.

(٥) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٦٨.

ومن ناحية ثالثة أن يتحصن الإنسان بالإرادة القوية، وبالصبر، والاهتمام بالمستقبل، وقد جاء من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ»^(١). وقال: «لا تشعر قلبك الهمَّ على ما فات، فيشغلك عن الاستعداد لما هو آت»^(٢).

وأشار الشيخ الصفار إلى بعض السلوكيات التي من شأنها أن تُساعد الإنسان على مواجهة الحزن، ومن تجلب له السعادة، ومنها: أن يُحيط الإنسان نفسه بمظاهر البهجة والسرور، لما لذلك من أثر في إراحة النفس، وفي كلمات أهل البيت عليهم السلام ما يُشير إلى ذلك، فعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «غسل الثياب يُذهب بالهم والحزن»^(٣)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من وجد همًّا فلا يدري ما هو فليغسل رأسه»^(٤)، وقال عليه السلام: «شكى نوح عليه السلام إلى الله تعالى الغمَّ فأوحى الله تعالى إليه أن يأكل العنب»^(٥).

وأكد أن الإنسان المؤمن يحمل حزنه في قلبه، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «المؤمنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحَزْنُهُ فِي قَلْبِهِ»^(٦).

وأضاف الشيخ الصفار أن مناسبات الفرح التي شرَّعها الإسلام، كالأعياد، فإنها بطبيعتها تُوجد الفرح والسرور في نفس الإنسان، والسرور بالتأكيد يُذهب الحزن والألم، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: السرور يبسط النفس، ويثير النشاط، والغم يقبض النفس، ويطوي الانبساط»^(٧).

مشيراً إلى أن في تراث أهل البيت عليهم السلام الكثير من الأحاديث والروايات التي تُشجِّع

(١) نهج البلاغة. خطبة ٣١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧٣، ص ٣٢٢.

(٤) المصدر نفسه. ص ٣٢٣.

(٥) جامع أحاديث الشيعة. ج ٢٣، ص ٣٩٤، حديث ١٥٥٥.

(٦) نهج البلاغة. حكمة ٣٣٣.

(٧) غرر الحكم ودرر الكلم.

على إشاعة البهجة والسرور في نفوس المؤمنين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سرَّ مؤمناً فقد سرَّني، ومن سرَّني فقد سرَّ الله»^(١)، وعنه ﷺ: «من أدخل على مؤمنٍ فرحاً فقد أدخل عليّ فرحاً»^(٢). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثل يقدمه أمامه، كلما رأى هولاً من أهوال يوم القيامة قال له: لا تجزع ولا تحزن. فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت أدخلته على أخيك المؤمن»^(٣). وأكد الشيخ الصفار على ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من إشاعة البهجة والسرور في المجتمع، وخصوصاً في مناسبات الأعياد، وأن تكون في المجتمع برامج ترفيهية لإدخال السرور في النفوس، وبدرجة أكبر في نفوس الأطفال، وقد ورد التأكيد على ذلك في أحاديث المصطفى حيث قال: «إن في الجنة داراً يُقال لها دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرح الصبيان»^(٤).

وأضاف: إن مختلف الدول ترصد ميزانيات من أجل الاهتمام بمظاهر البهجة والسرور، كالحدايق الغنّاء، والمنتزهات الترفيهية، والسينمات، مؤكداً أن مجتمعنا يحتاج إلى توفير مثل هذه الأمور، لأن ضالّة وجودها أو انعدام بعضها يُسبب الاحتقان الذي - مع الوقت - يتحول إلى مظاهر سلبية، أو في أدنى صورته إلى أمراض وعقد نفسية. واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالإشارة إلى أن رسول الله في سيرته العطرة وكذلك الأئمة كانوا يُمارسون دور إشاعة البهجة والسرور، وكان يستثمرون المواقف المناسب لذلك، كل ذلك من أجل التأكيد على هذا الجانب المهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً»^(٥). وقد سأل أحد أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام عن

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٤٩، حديث ٢١٧٣٣.

(٢) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ٤٣١.

(٣) الكافي. ج ٢، ص ١٩٠.

(٤) كنز العمال. ج ٣، ص ١٧٠، حديث ٦٠٠٩.

(٥) بحار الأنوار. ج ١٦، ص ١١٦.

المزاح، فقال: «لا بأس ما لم يكن - أي لم يُخالطه - إثم. ثم قال: «إن رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابي فيهدي له الهدية ثم يقول: أعطنا ثمن هديتنا. فيضحك رسول الله ﷺ. وكان إذا اغتم يقول: ما فعل الأعرابي ليته أتاناً»^(١). وعن يونس الشيباني قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل. قال: لا تفعلوا، فإن المداعبة من حسن الخلق، وإنك لتدخل بها السرور على أخيك، وقد كان النبي يُداعب الرجل يُريد به أن يُسرّه»^(٢).

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية على ضرورة أن يستشعر الإنسان رقابة الله تعالى عليه، وأنه سيحاسبه يوم القيامة على أفعاله. ويأتي الاعتداء على حقوق الآخرين من أهم موجبات العقاب يوم القيامة، فالله تعالى لا يُحب هذه السلوكيات، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. إضافةً لذلك فإن الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ تؤكد على سمة أساس ينبغي أن يتصف بها الإنسان المسلم، وهي أن يكون مسالماً ويسلم الناس منه، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٣)، وقال الإمام الصادق ﷺ: المسلم من سلم الناس من يده ولسانه. والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»^(٤).

وأكد الشيخ الصفار أن الأوساط الدينية من باب أولى أن تسودها العلاقات المسالمة، إلا أن الواقع في بعض صورته يكشف عكس ذلك، حيث إن بعض الأوساط الدينية يستحلون حرمت بعضهم بعضاً لمجرد أنهم يختلفون في التوجه أو الأفكار أو المذهب،

(١) الكافي. ج ٣، ص ٦٦٣.

(٢) المصدر نفسه. ج ٢، ص ٦٦٣.

(٣) المصدر نفسه. ج ٢، ص ٢٣٤.

(٤) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ٥١.

محدراً أن ذلك من موجبات عذاب الله تعالى، إضافةً إلى أن ذلك يشغل الأوساط الدينية ببعضها، مما يشغلهم عن القضايا المصيرية التي تُحيط بالامة، وبالتالي قد يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٤]. مضيفاً أن هذا الواقع يكس صورةً مشوهةً عن الأوساط الدينية.

وأشار إلى أن التطورات التكنولوجية الحديثة وسّعت من مدى حقوق الناس، فأصبح هناك مواقع إلكترونية يستفيد منها الناس لنشر نتاجهم الفكري والمعرفي على مستوى واسع من العالم، مضيفاً: كان يُفترض في هذه التقنية الحديثة أن تكون وسيلة أساسية لتبادل المعارف، والتعارف بين الأوساط الدينية، وأن تكون ساحة مفتوحة للحوار والنقاش الهادف والبناء، وأن تكون هذه التقنية وسيلة مهمة تستثمرها الأوساط الدينية في خدمة مبادئهم وقضاياهم الرئيسية، ونشر رسالتهم في الحياة.

وأبدى الشيخ الصفار استياءه من بعض مظاهر الواقع الذي أفرز حالات من العداء المتبادل باستخدام هذه التقنية الحديثة، مما غير أسلوب التفاعل معها والاستفادة منها. وأكد أن الاصطفاف الطائفي كان وراء هذه الاعتداءات، مما جعل من الشبكة العنكبوتية ساحة للحروب والمنازعات بأشكالٍ متعددة، ومن أبرز مظاهر ذلك:

أولاً: التراشق بالتهم والسباب عبر حوارات وجدليات عقيمة، في حين أن هذا الأسلوب لا يتناسب والدعوة إلى الحق، وليس من أبجديات صفات المتدينين، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ثانياً: الهجوم المتبادل على المواقع الإلكترونية، وهو لونٌ من ألوان الصراع الحديث، بين الأوساط الدينية.

وأضاف: وقد قامت بعض العناصر المتطرفة من الأوساط السنية بالهجوم على عدد كبير من المواقع الشيعية والسيطرة عليها، حوالي (٣٠٠) موقع، وفي المقابل وكرد فعل

قامت بعض الجماعات الشيعية بالرد على هذا الاعتداء باعتداء مثله، حيث شنوا هجوماً على (٩٠٠) موقع سني وسيطروا عليها.

وأكد الشيخ الصفار إدانته لهذه المعركة بين الطرفين، فهي تُضَيِّع الجهود، وتشغل الأمة عن القضية الأهم. مشيراً أن هذه النزاعات لا تقتصر على الجهات المعادية فيما بينها، وإنما تطال الأبرياء ومن ليسوا ضمن دائرة الصراع، وهذا ما نُحذِرنا منه آيات القرآن الحكيم، يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

ودعا الشيخ الصفار العلماء البارزين وذوي التأثير في المجتمع لإدانة هذه المعركة وإصدار فتاوى صريحة تُحَرِّم هذا العدوان بين الطرفين.

وأكد أن هذه الحالة هي نتيجة لحالة التعبئة التي يُمارسها بعض الجهات، مبدئياً قلقة على شريحة الشباب الذين يرون أن بعضاً من كبار العلماء ومن يُعوَّل عليهم لإنهاض الجيل الشاب ينزلقون في مستنقع التعبئة والفتنة. مؤكداً أن الجيل الشاب هو الضحية حيث إن هذه الممارسات يقوم بها شباب فهم الأكثر اهتماماً بهذه التقنية الحديثة، وبدل أن توجه طاقاتهم وقدراتهم وإبداعاتهم في الطريق السليم وما يخدم الأمة، ترى أن بعض الجهات تستغل ذلك من أجل تحقيق مصالح زائفة، وتوجه الشباب للتطرف ليكونوا وقوداً للصراعات.

ودعا الشيخ الصفار في ختام خطبته للعودة إلى الله تعالى، وإلى نبع الإسلام الأصيل، مؤكداً مسؤولية المجتمع أمام الله تعالى لما يجري على ساحة المواقع الإلكترونية، ويأتي دور العلماء والمتصدين للشأن العام في المرتبة الأولى، مؤكداً أن على الجميع أن يتقوا الله في الشباب والجيل الناشئ، وأن يأخذوا بأيديهم لطريق الهدى وخدمة القضايا المصيرية، لا أن ينزلقوا بهم في وحل المهاترات.

والحمد لله رب العالمين.

رقابة المواطن على المؤسسات العامة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

الخطبة الأولى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار في خطبة الجمعة ٢ ذو القعدة ١٤٢٩ (٣١ أكتوبر ٢٠٠٨م) أن من الظواهر الطبيعية الصحية في حياة الإنسان ارتباطه بمجموعة من الأصدقاء والأقران وهو ما يطلق عليه بـ(الثلة).

وأوضح أن من عادة الإنسان رغبته في أن يكون ضمن مجموعة، وأن يكون حوله عدد من الأصدقاء والأصدقاء، وخاصة في مرحلة الشباب، وهذه الرغبة تكون ظاهرة في مرحلة الشباب أكثر منها في المراحل الأخرى، مبيناً أنها حالة صحية لأن تعايش الإنسان ضمن مجموعة تنمي عنده مهارة العلاقة مع الآخرين، والقدرة على التعامل مع الآخرين، وأشار إلى أثر ذلك في الصحة النفسية؛ لأن حالة الوحدة تصيب الإنسان بالكآبة، وخاصة حينما تصيبه ظروف صعبة، أو تحل به أزمة أو مشكلة، فإذا كان عنده ثلة أصدقاء يساعدونه على مواجهة المشاكل، ويرفعون معنوياته النفسية، ويكسبونه مهارة العلاقة مع الآخرين، والتعامل معهم، وهي حالة إيجابية وفي مرحلة الشباب تشتد حاجة الإنسان لهذه الأمور.

وأشار أن على الإنسان أن يختار الثلة التي يكون في وسطها، والمجموعة التي ينضم

إليها، وقد يرى الإنسان نفسه بشكل عفوي مع مجموعة من الناس، إما لأنهم من أقربائه، أو من أبناء حارته، أو من زملائه في المدرسة أو العمل، فيصبحوا ثلته وأصدقائه، وقد يكونون صالحين أو غير صالحين، ويبيّن أن الحالة العفوية ليست سيئة في بعض الأحيان، موضحاً تأثير الإنسان بالمجموعة التي يعيش في وسطها من ناحية بناء الشخصية، وبناء الأفكار والسلوك، مؤكداً على أهمية دور العائلة في توجيه الولد والبت في اختيار المحيط الذي يعيش وسطه، والمساعدة على الانضمام للمجموعات الصالحة والمفيدة، وسلط الضوء على خطورة غياب دور العائلة عن توجيه مما له كبير الأثر على تكوين شخصية الإنسان.

وأشار إلى تقسيمات الثلاثة التي يكون الإنسان في وسطها:

ثلاثة سيئة فاسدة

وهذا يضع الإنسان على خط الفساد والانحراف، نتيجة اقترابه من هذه المجموع الفاسدة، وكثير من الناس انحرفوا ووقعوا في المهالك لمصاحبتهم أشخاص سيئين، وتناول القرآن الكريم هذه الحالة التي تورث الندم يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾ [سورة الفرقان، الآيتان: ٢٨-٢٩].

وفي آية أخرى يتمنى عدم معرفته لهؤلاء الأشخاص الذين قادوه إلى الانحراف في حياته ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٣٨]. ومن الطبيعي أن الإنسان يتأثر إذا عاش في وسط موبوء وفساد.

وعن درجات الفساد والانحراف قال الشيخ: إذا كان الفساد والانحراف في درجاته الأولى يقود إلى التساهل وهو يؤدي إلى ما هو أكبر منه، إلا إذا كان الإنسان قوي الشخصية، يؤثر عليهم، ويأخذهم باتجاه الصلاح، وإذا كان لا يضمن التأثير بهم فيجب عليه الابتعاد عنهم.

ثلة العلاقات العاطفية:

هي مجرد علاقات عاطفية كالاتحاد للأكل والشرب والتنزه، وهي أفضل من الحالة السابقة، إلا أنها سبب في تضييع الوقت.

الثلة البناءة

وهي ثلة هادفة وصالحة لديهم شيء من الوعي والفهم، والالتزام الديني، والاهتمام بقضايا المجتمع والنجاح الدنيوي، وإذا تصادق إنسان مع شباب طامحين ناجحين جادين في عملهم، بغض النظر عن الجوانب الأخرى، مثل إذا كان ليس لديهم اهتمام بالمجتمع، لكنهم ناجحون يكتسب منهم، ويأخذ الصفات الإيجابية منهم، وعلى الإنسان أن يسعى أن يكون ضمن مجموعة من هذا القبيل، وأن تساعد العائلة أبناءها ذكوراً وإناثاً أن يكون لهم محيط من الأصدقاء والأقران، محيط صالح يستفيدون منه وينمون من خلاله.

واستعرض عدداً من الآيات والأحاديث تتحدث ضمن هذا السياق:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

لأن الإنسان إذا اتقى الله وكان بمفرده، هذه التقوى قد تضعف عنده، وتهتز في نفسه، وإذا كان في مجتمع صالح تترسخ عنده حالة التقوى، وتكون أمامه فرصة لنقلها للآخرين.

عن رسول الله ﷺ: «أسعد الناس من خالط كرام الناس»^(١).

وعنه ﷺ: «من لم تنتفع بدينه ودنياه فلا خير لك في مجالسته»^(٢)، أي من عنده نجاح في أمور الدنيا وتجلس معه وتكسب منه أمراً جيداً، ولكن إذا لم يكن ناجحاً في دينه ودنياه فالجلوس معه مضيعة للوقت.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «خير إخوانك من سارع إلى الخير وجذبك إليه وأمرك

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٨٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٥٥.

بالبر وأعانك عليه»^(١). فأجل الأصدقاء من يجذبك إلى عمل الخير .
وعنه عليه السلام: «المعين على الطاعة خير الأصحاب»^(٢).
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «خير الإخوان أعونهم على الخير، وأعملهم بالبر، وأرفقهم بالمصاحب»^(٣).

ويبين تفعيل دور الإنسان والجماعات الصالحة في المجتمع من خلال ثلاث نقاط:
أولاً: على الإنسان أن يبحث عن الجماعات التي تخدم الدين المجتمع لا سيما وأن في مجتمعاتنا جمعيات ومؤسسات وأنشطة ومجاميع تقوم بأعمال الخير وخدمة المجتمع
ثانياً: على المجاميع الصالحة أن تستقطب وألا تكون مغلقة، وأن تفتح صدرها وتبسط ذراعها لأبناء المجتمع وتستقطب وتجذب .

ثالثاً: تشجيع تكوين المجاميع، علينا أن نشجع تكوين مجموعات بالمجتمع، كإنشاء هيئة أو مؤسسة أو فريق أو جمعية، أن نشجع أكبر قدر ممكن من وجود المؤسسات والهيئات والأنشطة في المجتمع.

الخطبة الثانية

واستخلص سماحته في الخطبة الثانية مسؤولية أفراد الناس في إقامة الحق والخير فيما بينهم من خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: « مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

يُعَانَ عَلَيْهِ»^(١).

وعن الأفراد الذين يكونون في المواقع القيادية في المجتمع وعلاقة الناس بهم، أكد سياحته أن من واجب الناس تجاه هذه المواقع أن يكونوا في موقع المراقبة والنصيحة والإعانة، مبيِّناً أن هذه المشكلة تعاني منها الدول المتخلفة.

وأشار إلى الأجهزة والمؤسسات الرسمية التي تدير وتصرف شؤون الناس، من تعليم وصحة وخدمات بلدية وأجهزة أمنية، واجب عليها أن تدير شؤون الناس على الوجه الأكمل، إلا أنهم بشر قد يكون فيهم الصالح والطالح، وفيهم من لا تكون له كفاءة في إدارة هذا المنصب، وقد يكون منحرفاً وفساداً، وبناء على أصالة الصحة وحسن الظن بالناس فالأصل أنهم صالحون، ويبيِّن بعض الأسباب التي يمكن أن تدفع بعض الموظفين للفساد:

- قد يكون هو فاسد أو يحدث له فساد من خلال موقعه.
- وقد يكون غافلاً أو قليل الكفاءة وضعيف الإدارة.
- وقد يعتريه الكسل والتقصير.
- وقد يكون في جهازه عناصر سيئة.

وحتى لا تصبح الدوائر الحكومية بؤرة للفساد، أكد على أهمية تحمل الدولة لمسئولية الرقابة والمتابعة لأعمال أجهزتها وموظفيها، ومحاسبتهم وتفتيشهم إدارياً، باعتباره موجوداً حتى في صدر الإسلام، والتجسس الذي تمنعه الآية الكريمة ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ مشروع في هذا الموضوع.

وأضاف: إن على المواطنين أن يتحملوا المسؤولية، وأن يراقبوا، وأن لا يسكتوا على أي خطأ أو تقصير، تجاه أي وضع متردٍ في أي مؤسسة من مؤسسات الدولة، حتى لا يستشري الفساد وتضيع مصالح المواطنين وثروات الوطن.

(١) نهج البلاغة. خطبة ٢١٦.

وأشار إلى نقاط مسؤولية المواطنين، منها:

١. على المواطن أن يرفع هذا التقصير إلى المستويات العليا في الدولة، وأن يستفيد من المؤسسات التي مهمتها أن تراقب مؤسسات الدولة.
٢. استثمار الإعلام في توصيل صوتهم عبر الطرح المتواصل، حتى تعالج المشكلة في مختلف الجهات. وأكد أنه ما ضاع حق وراءه مطالب، وإن الله يحب الإنسان الذي يدافع عن حقه في قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٨]. ومن يرفض المطالبة بحقه ويسكت عنه يكون آثمًا، وهذا يزيد من فساد الموظفين وتسلطهم وانحرافهم.
٣. تعاون الناس فيما بينهم لأداء دورهم وتحمل مسؤوليتهم في الرقابة على المؤسسات العامة.

والحمد لله رب العالمين.

انتخاب أوباما رسالة ضد التمييز

خطبة الجمعة بتاريخ ٩ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

تعقيباً على نتائج الانتخابات الأمريكية التي أسفرت عن فوز مرشح الحزب الديمقراطي «باراك أوباما» أشار الشيخ حسن الصفار في خطبة الجمعة الأولى ٩ / ١١ / ١٤٢٩هـ الموافق ٧ / ١١ / ٢٠٠٨م إلى أهمية الاستفادة من هذا الحدث المهم والمفصلي في تاريخ الحركة السياسية والاجتماعية الأمريكية الحديثة، وذلك من خلال إتاحة الفرص المتكافئة وتعزيز قيمتي: العدالة الاجتماعية والمواطنة في مجتمعاتنا العربية، للرفي بالحالة الإنسانية فيها، منبهاً إلى أن هذه القيم تلتقي وما نادى به الرسالات الإلهية، وما كانت تسعى إلى تحقيقه حركة النبوات ودعواتها التوحيدية، وكذلك ما تعيشه حركة التقدم البشري والإنساني اليوم من إلغاء لكافة أنواع الفصل والتمييز العنصري.

وفي خطبته الثانية تحدث عن صفة الغرور الإنساني بمستوياتها الفردية والاجتماعية والأمية، ممثلاً بحالة الغرور التي كانت تعيشها الحكومات الأمريكية على بقية الأمم، من خلال ممارستها للهيمنة على شتى المفاصل الحياتية فيها، وذلك لما كانت تراه لديها من قوة عسكرية واقتصادية وعلمية متقدمة، وهي الحال التي ما لبثت أن تقوّضت بفعل مقاومة الشعوب المظلومة، وما أصابها من أزمات مالية واقتصادية مباغته.

الخطبة الأولى

الإنسان واحد، مصدرًا وخلقًا

يقول الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

مصدر الإنسانية رجل واحد وامرأة واحدة، خلقها الله من قبضة تراب ممزوجة بالماء، يقول تعالى في ذلك: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٧]، لتكون هذه الأسرة المكوّنة من أبينا آدم، وأمنا حواء أساس النسل البشري، الذي انتشر في بقاع الأرض ونواحيها المختلفة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

وقد منح الله الإنسان قدرة التكيف مع الطبيعة التي يسكن فيها، ذلك أن الإنسان لم يبق في أرض وطبيعة واحدة، وإنما انتشر في شتى البقاع والمناطق، وقد أدى اختلاف هذه البيئات في مناخاتها وتضاريسها وأجوائها إلى اختلاف الإنسان في شكله وطبيعة عيشه، وكذلك في لغته التي يتخاطب بها.

ولكن هذا يبقى اختلافًا في المظهر والشكل الخارجي، ولا علاقة له بطبيعة الإنسان وأصل خلقته، إذ يظل الإنسان ذا طبيعة واحدة مشتركة لدى جميع البشر، ولا أثر للعرق أو اللون في قدراته وإمكاناته الفكرية والذهنية والعاطفية والإبداعية.

ولكن الإنسان كما يتكيف مع متغيرات الطبيعة ويألفها يتكيف كذلك مع الجوّ الاجتماعي الذي ينشأ ويتربى فيه، فمن يعيش في بيئة اجتماعية منفتحة تكون فرص التقدم لديه أوسع وأفضل ممن يعيش في مجتمعات يغلب عليها قمع الحرّيات، وممارسة الظلم الاجتماعي والتخلف، من يعيش في هذه المجتمعات تنحسر لديه مثل تلك الفرص

التي تتاح لدى أفراد المجتمعات الأخرى المتحضرة.

وهذا أمر أثبتته التجارب الإنسانية المتعاقبة، التي نَفَتْ أن يكون للعرق والمنطقة الجغرافية أثر في عقلية الإنسان ومستواه الفكري، وهي النظرة التي سادت في بعض المجتمعات لفترات زمنية طويلة، ومما يؤسف عليه أن يكون هناك من المفكرين مَنْ يؤسِّس لثقافة التمييز العنصري بين الفئات والقوميات البشرية، فقد ظهرت نظريات لمفكرين غربيين تُفاضل بين القوميات البشرية، فصنّفوا الناس إلى دماء زرقاء نقية وأخرى سوداء دونية، هناك من صنّف الناس إلى العرق الأبيض والعرق الأسود وفاضل بينهما، كما ظهرت في الهند من المجتمعات الشرقية نظريات تصنّف الناس إلى طبقات متفاوتة في القيمة والقدر.

وقد ثبتَ بالدليل والتجربة خطأ وفشل هذه النظريات، وهي النتيجة التي تلتقي والرؤية القرآنية التي تنظر للإنسان نظرة واحدة، فهو من أصل وتركيب واحدة.

ومن طريف ما ينقل بهذا الخصوص ما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أتت له امرأة قرشية مع جاريتها لها أعتقتها منذ وقتٍ قريب تطلب العطاء، فساوى أمير المؤمنين بينها وبين جاريتها السابقة في العطاء، وهو الأمر الذي أغضبها، فاحتجّت على أمير المؤمنين في ذلك، طالبةً منه تفضيلها على جاريتها لأنها امرأة قرشية، في حال أن الجارية تظلّ جارية، وإذا بأمير المؤمنين يأخذ قبضة من التراب، ويقول لها بأنه لا يرى فرقاً بين حبات هذا التراب، فكيف يكون للإنسان فضل على أخيه الإنسان في القيمة والمنزلة لمجرد النسب والأصل العائلي.

اندماج المجتمعات

وخير مثال على ما نحن بصدده ما نراه اليوم من اندماج كبير بين شعوب مختلفة في الدول والمجتمعات الغربية، حيث تهاجر إليها مختلف الجنسيات والأعراق، يشكّلون فيما بعد نسيجاً اجتماعياً واحداً، يحصلون فيه كأفراد على فرص متكافئة ومستوى متوازٍ في

التعليم، ومساواة بينهم في الحقوق والواجبات، فنرى الجميع منهم يشارك في تقدّم هذه المجتمعات وتطوّرها العلمي والتقني والحضاري.

وهذا هو المبدأ الإنساني الذي أراد إرساءه الأنبياء والرسل، حيث أمرهم الله تعالى بإقامة العدل والقسط بين الناس، إعماراً للأرض بما ينفع الناس ويحقّق لهم السعادة والعيش الكريم.

التجربة الأمريكية

وها نحن اليوم أمام تجربة رائعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي الدولة التي كانت تعيش تمييزاً عنصرياً حاداً ضدّ طبقة الأفارقة السود، فكانت هذه الطبقة محرومة من التعليم ومن كثير من الوظائف، وتعامل بدونية، وما كان يزيد الأمر سوءاً أن هذه الحال كانت ضمن القانون الرسمي المعمول به في البلاد.

ولكنّ السود لم يرضخوا لوجود مثل هذه المعاملة الظالمة من قبل الدولة والمجتمع، فبرزت لديهم قيادات سياسية واجتماعية تطالب بنيلهم للحقوق المستلبة، وكانت هذه القيادات تلقى الدعم الاجتماعي والجماهيري الواسع من هذه الطبقة، فبدلوا من أجل ذلك تضحيات كبيرة، من خلال العديد من المظاهرات والاعتصامات والإضرابات وشتى أنواع التعبير المتاح لهم، الذي عبروا من خلاله عن رفضهم المطلق لما يعانونه من ظلم واضطهاد بسبب التفرقة العنصرية.

ومما ساعد على نيلهم حقوقهم ظهور قيادات في الطرف الآخر (البيض) يطالبون كذلك بنيل هذه الشريحة الاجتماعية حقوقها الإنسانية المستلبة، إلى أن تحققت لديهم العدالة الاجتماعية بشكل قانوني ملزم، حيث لم يبقَ من تلك الحقبة إلاّ بعض مظاهر التعصّب والعنصرية التي تمارسها مجموعات محدودة في المجتمع الأمريكي.

وهي حالة شهدناها في هذه الانتخابات الأخيرة، حيث ظهرت بعض الأصوات العنصرية التي رفضت أن يستلم قيادة البلاد شخص من الطبقة السوداء، ولكنها ظلّت

أصواتًا نشازًا، ضمن الحالة الإنسانية العامّة في أمريكا، التي ترفض أي شكل من أشكال التمييز والفرز العنصري.

ولا أدلّ على ذلك من وصول السيناتور الأمريكي الذي يعود إلى أصول إفريقية من كينيا إلى سدّة الرئاسة الأمريكية، حيث سبق له قبل ذلك أن كان نائبًا في الكونغرس الأمريكي، لينال بعدها ثقة أعضاء حزبه (الحزب الديمقراطي) ليكون مرشح الحزب للرئاسة في مقابل السيناتور هيلاري كلينتون، ويفوز بغالبية مطلقة في سباق البيت الأبيض في مقابل مرشح الحزب الجمهوري جون ماكين.

ما يعيننا من الانتخابات الأمريكية

تابع عالمنا العربي كما بقية العالم أحداث الانتخابات الأمريكية، ففرح البعض منهم لفوز السيناتور أوباما على منافسه الجمهوري جون ماكين، أملًا منهم في أن يغير من السياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، وذلك بسبب ما عانتها المنطقة من سياسات بوش المنحازة إلى إسرائيل، وكذلك من حروبه وبطشه وتسلّطه وتفردّه بقيادة العالم، وهذه الأمانى مجرد أوهام لا واقع عمليًا لها، ذلك أن السياسة الأمريكية لا تحدّها إرادة شخصية متمثّلة في الرئيس، بقدر ما هي محكومة بالمؤسسات السياسية والشركات المالية وإمبراطوريات الإعلام، في الولايات المتّحدة.

كما أنه من المعيب على مجتمعاتنا أن تترقّب دائمًا التغيير من الخارج، وأن تنتظر دومًا من يأتي ويحلّصها من مشكلاتها، وألا تراهن على نفسها وقدراتها الذاتية في حل هذه المشكلات والأزمات.

وهنا أحبّ أن أركّز على نقطة مهمّة بخصوص هذه الانتخابات، ذلك أنها مثّلت تجربة أنموذجية لكثير من المجتمعات الإنسانية، وعبرّت عن رسالة واضحة ضدّ أي شكل من أشكال التمييز، سواء العرقي أو المذهبي أو المناطقي، فهي أثبتت للعالم أجمع أن المسيرة الإنسانية اليوم ترفض أي نوعٍ من أنواع التخلف الاجتماعي فيما يخصّ أشكال

التمييز والفرز بين أبناء البشر.

ما شهدناه في هذه الانتخابات يجعلنا نركّز على ثلاث قيم أساسية مهمّة يجب أن تسود مجتمعاتنا، وهي:

- تعزيز قيمة المواطنة بين أبناء الدولة والوطن الواحد، ورفض ما يقابلها من سياسات التمييز بين المواطنين على حساب اللّحمة الوطنية الجامعة.
- تعزيز حالة تكافؤ الفرص للجميع، وهي الحالة التي من شأنها اكتشاف القدرات والإمكانات الكامنة لدى كل أمة وشعب ومجتمع.
- تعزيز قيمة العدالة الاجتماعية داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فالمجتمع الذي ينمو فيه أبنائه سواسية أمام القانون، ولا يشعر فيه الفرد بأي نوع من الظلم الاجتماعي، في هذا المجتمع يستشعر بأهميته وبانتمائه الحقيقي له، وسيعمل من أجله ما وسعه ذلك، وتتفجّر فيه طاقاته وإمكاناته المودعة.

هذه العناصر مجتمعة هي أهم رسالة يجب أن تتلقفها مجتمعاتنا ونخبها الحية والفاعلة، إذ من غير المقبول أن ترزح مجتمعاتنا إلى اليوم تحت ذلك التمييز العرقي والمذهبي والمناطقي، وهي الحال التي من المفترض أن نتجاوزها كما تجاوزتها العديد من مجتمعات العالم الأخرى، فالمواطن في مجتمعاتنا كما يطالب بالعديد من الواجبات، يجب أن توفّر له كذلك ما له من حقوق، ومن أهمها حق تكافؤ الفرص.

الخطبة الثانية

ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «كفى بالاغترار جهلاً»^(١). يتحدث أمير المؤمنين في هذا الحديث عن صفة إنسانية سلبية، وهي الاغترار، وهي الحالة التي يصاب بها الإنسان عندما يمتلك نقطة قوّة ما أو أكثر يمارس بسببها البطش

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

والاعتداء على الآخرين، ظناً منه أن هذه القوة دائمة وباقية له.

وهذه حالة تتملك الإنسان الجاهل غير الواعي، ذلك أن الواعي يدرك أن الحياة من حوله صراع إرادات ومواقع، فحينها يصاب الإنسان بهذه الحالة، مستعملاً قواه وإمكاناته في الإضرار بالآخرين من أجل مصلحته الشخصية أو الفتوية، لا بد أن تكون للطرف الآخر ردات فعله التي قد تفقده ما لديه من نفوذ وقدرة، يقول الإمام الصادق في وصف هذه الحالة: «لا يُلقَى العاقل مغروراً»، إذ العاقل لا يصاب بهذه الحالة الحمقاء.

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٥]، حيث يبشّر الله المستضعفين بأنه سيأتي ذلك اليوم الذي يمكنهم فيه من استعادة حقوقهم وتحول القوة إليهم، وليس بالضرورة أن يكون ذلك بتدخل إلهي مباشر، ففي حال اجتمع هؤلاء المستضعفون وأجمعوا قوتهم وإرادتهم إلى بعضهم بعضاً، سيتمكنون حتماً من القضاء على ممارسي الظلم والجور، لتكون لهم السلطة والغلبة حينها.

الغرور مستويات

وصفة الغرور لا تكون على مستوى واحد، بل تتعدّد إلى مستويات:

- فتكون على المستوى الفردي، وهو ما قد نشهده في العلاقات الأسرية، فيصاب الزوج بهذه الحالة ضدّ زوجته وأبنائه، حيث يتنكّر لحقوقهم بسبب ما يراه من قوّة يتمتّع بها ويمارسها عليهم، وكم نواجه اليوم من مشكلات أسرية بسبب غرور الزوج أو الزوجة فيما بينهما.
- وقد تكون على مستوى العلاقات الاجتماعية، فيصاب البعض بهذه الحالة، لما يراه في نفسه من مكانة علمية أو اجتماعية أو منصب رسمي، فتكون هذه القدرة مصدر اغتراره وتكبره وتجبره على الآخرين.
- وقد تكون هذه الصفة على مستوى الجماعات، وبخاصّة من قبل الأكثرية ضدّ

الأقليات، بما تراه في نفسها من قوّة ونفوذ لا تملكه تلك الأقليات التي تعيش في وسطها، وكم تسببت هذه الحالة من ردّات فعل عنيفة من قبل الأقليات ضدّ محيطها الغالب الظالم والمعتدي عليها.

■ وفي مستوى رابع قد تكون حالة الغرور أممية، تمارسها أمة على بقية الأمم والشعوب، وهذا ما رأيناه جلياً في سيطرة الدول العظمى على الشعوب الفقيرة والمستضعفة، ولعلّ الإدارة الأمريكية غير المأسوف على رحيلها بقيادة جورج بوش كانت مثلاً بارزاً في هذه الحالة، حيث أصابها الغرور بما تملكه من إمكانيات عسكرية واقتصادية وعلمية ضخمة، لا تجارياً فيها أي دولة في العالم، وإذا بالأزمة الاقتصادية الأخيرة إلى جانب أزمات تورطها في العراق وأفغانستان تكسر جزءاً كبيراً من غرورها وكبريائها على العالم وتقرّدها به، وهي الأزمات التي ساعدت كثيراً على صعود نجم السيناتور باراك أوباما، الذي انتخبه الشعب الأمريكي رغبة منه في التغيير المنهجي في السلوك الأمريكي حيال أزمات العالم.

بالطبع، فإن لإرادة الممانعة والمقاومة عند الشعوب وخاصة الإسلامية دوراً أساساً في إفشال توجهات الإدارة الأمريكية الطائشة، ولو لم تكن هذه الممانعة والمقاومة، لاستطاعت الإدارة الأمريكية أن تتمتع بالنصر والهيمنة.

وذلك ما يثبت قدرة الشعوب إمكانية تحدي إرادة الاستكبار والظلم.

النجف الأشرف دعوة للوحدة والتقريب

خطبة الجمعة بتاريخ ١٦ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

تناول القرآن الكريم في العديد من آياته مسألة الاختلافات الدينية، وكيف ينبغي أن يتعامل البشر المختلفون في الدين فيما بينهم، ذلك أن الدين هو في الأساس توجه فطري، حيث إننا نجد أن كل إنسان في حالة سوية يبحث عن دين يتدينُ به، لأن هناك أسئلةً كبرى تطرح نفسها على الإنسان، من قبيل: كيف وجدتُ؟ ومن أوجدني؟ وإلى أين يكون المصير؟ ومن هو الموجد لهذا الكون؟ وما هي العلاقة بيني وبين هذا الموجدِ والخالق؟ وغيرها من الأسئلة التي ترتبط بمبدأ الإنسان والكون ومَعَادِهِمَا.

كل هذه أسئلة تتصب أمام فكر وعقل أي إنسان سوي يبحث عن إجابة لها، وما يُشكّل الإجابة عن هذه التساؤلات يطلق عليه «دين»، وقد تعدّدت الإجابات في فكر الإنسان البدائي، فمنها الصواب والخطأ.

ولكي لا يظللّ الناس تائهين حائرين، بعث الله للناس أنبياء يقدمون لهم الإجابات الصحيحة عن هذه التساؤلات ويهدونهم إلى سواء السبيل في العلاقة مع خالقهم وموجدهم، وهذه هي مهمة الأنبياء والرسول، ولكن العقل البشري لم يكن لينضج دفعة واحدة، فكانت الشرائع وما تحمله من أحكام ومبادئ وقيم تتناسب والتطور البشري في علومه ومعارفه والمستوى العقلي، لذلك أتت الرسالات الإلهية متعاقبة في أزمنة مختلفة، تتحد في دعوتها إلى التوحيد، وتختلف في بعض الشرائع والبرامج التفصيلية، التي كانت

تناسب وتطور الحياة لدى الإنسان.

وقد انقسم الناس تجاه الأنبياء إلى قسمين، فمنهم من آمن بهذه الدعوات الإلهية، ومنهم من أنكر وحارب وواجه رسالات الأنبياء.

كما أن أتباع الديانات الإلهية، منهم من بقي على ديانته السابقة، ومنهم من آمن بما تلاها من ديانات، وكانت هذه هي منشأ الاختلاف بين أتباع الأديان السماوية.

وهناك اختلاف ثالث في المجال الديني داخل كل دين من الأديان، إذ تختلف الآراء في فهم أتباع الدين لدينهم الذي ينتمون إليه، ما يولّد نمطاً آخر من التنوع والاختلاف الفكري والأيدولوجي داخل المجتمعات البشرية.

إذاً نحن أمام تنوعات وأنماط متعددة من التوجّهات الدينية، التي أخذت طريقها داخل التجمّعات الإنسانية فيما يرتبط بالشأن الديني، فالخلافات الدينية أمر طبيعي موجود في المجتمع البشري، ولكن ما يجب إثارته هنا هو: كيف يتعامل البشر مع هذه الاختلافات الدينية؟ هل يُستغلّ الدين في الصراع؟ بمعنى: هل يصبح الدين سبباً للصراع والحروب والنزاعات؟ وما هي النظرة الدينية فيما يرتبط بالاختلاف الفكري والأيدولوجي بين الناس؟

إننا حينما نستحضر الوقائع التاريخية، نجد أن الاختلاف الديني، كان سبباً في كثير من الصراعات والحروب، ولكننا عندما ندقق النظر، نجد أن الدين رُفِع في هذه الصراعات كإفظة إعلانية، واستُغِل لتأجيج الجماعات ضد بعضها، بدوافع مصلحة شخصية وفتوية، وفي كثير من الأحيان سياسية، وإلا فإن الدين في مبادئه وقيمه لا يأمر أتباعه بأن يجاربوا ويقاتلوا الآخرين باسمه ومن أجله.

وقد تكون الصراعات الدينية، ناشئة عن أمراض أخلاقية، من أبرزها مرض التعصب والاستبداد الفكري وفرض الرأي على الآخرين، فيرى البعض أن ما يعتقد به من معتقدات هي الأصح، ويرى من واجبه الديني فرضها على الآخرين، وهذا سلوك

إنساني يتعارض والقيم التي حملتها الرسالات الإلهية، التي كانت تدعو الناس إلى دين الله بالإقناع والدعوة الحسنة، فلم يجعل الله تعالى لأحد حق الفرض في الدين حتى من قبل الأنبياء، يقول سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ٢١ و ٢٢]، وفي آية أخرى يقول جل شأنه: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٤].

الرؤية القرآنية في معالجة الاختلاف

القرآن الكريم في آيات كثيرة يقدم رؤية حول التعامل عند الاختلاف الديني، سواء كان في أصل الدين أم داخل المعتقد الديني نفسه، وهذه الرؤية تنطلق في اتجاهين:

الاتجاه الأول: إثارة العقل للتفكير في المسائل الدينية

وردت آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن أجواء الدعوات النبوية الهادية، فكان بعضها على لسان الأنبياء، والبعض الآخر كان نداءً إلهياً للإنسان يخاطب فيه عقله وضميره وتفكيره، فكانت معظمها تدور حول فكرة مهمة، وهي المطالبة بالدليل والبرهان على ما يدعيه الطرف المقابل، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١١]، وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٨]، وفي آيات أخرى ترد التعبيرات التالية: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، و﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، و﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

إنها تطلب إثارة العقل والفكر وتطلب الدليل والبرهان، ذلك أن الأديان حينما تكون مختلفة، والمذاهب متعددة والآراء متنوعة، لا بدَّ وأن بينها صواباً وخطأً، إذ لا يمكن أن يكون الرأيان المتناقضان كلاهما حق في كل المجالات. نعم، قد تكون نسبة الصحة متفاوتة، لكن هذا لا يُعفي الإنسان من أن يبحث عن الرأي الصواب، وفي هذه الحال سيكون طريق الفكر والعقل هو السبيل للتمييز بين الحق والباطل، بين الصواب

والخطأ، في جميع هذه الاتجاهات الفكرية والأيدولوجية.

الاتجاه الثاني: الاحترام المتبادل

حينما يطرح أي صاحب دين أو مذهب أو اتجاه فكري رأيه ومعتقداته، معضداً إياها بالأدلة والبراهين، ولا يقبل الطرف الآخر هذه المعتقدات والأفكار إما لقصور في الأدلة أو لقصور في فهم الطرف الآخر، فهذا ليس مبرراً لأي طرفٍ منهما أن يتعصب ضد الآخر أو ينزع عنه ما له من حق الاحترام والكرامة الإنسانية، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩]، فهو من يتحمل مسؤولية كفره، ومسؤولية اختياره المذهبي والفكري، فالله خلق الناس أحراراً في دنياهم، وما يعتقدون فيما من معتقدات، ولكن على الجميع أن يتعايشوا فيها بينهم في هذه الحياة على أساس الاحترام المتبادل، ولكلٍّ منهم ما اختار من دين، كما يقول الله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون، الآية: ٦]، بحيث يعيش كل طرف يحترم الآخر، وهذه هي رؤية القرآن التي تمثل الرؤية الإسلامية.

التعصب الفكري

هناك قسم من الناس يبقون منشغلين بالجدل والخلاف الديني بين أتباع الأديان والمذاهب، فتجدهم يعيشون على مثل هذه الملفات التي لا تُغلق ويطوى قيدها، كلٌّ منهم ينادي بأحقية دينه ومذهبه ومعتقده، وهو جدال ونقاش عقيم، لن يؤدي إلى نتيجة، فليعتقد كلُّ بما يعتقد به، ذلك أن الانشغال بمثل هذه الأمور يعطل ويعرقل مسيرة الحياة، ويلهينا بأمور تفصيلية صغيرة عن الأمور والقضايا الكبرى، التي من شأنها أن ترقى بمجتمعاتنا وشعوبنا، وتجعل لنا دوراً في الحضارة الإنسانية المعاصرة.

ما تدعو إليه الآيات في مثل هذه المواقف هو أن يأتي كلُّ بأدلته، ليكون هناك نقاش علمي هادئ وموضوعي، وفي حال لم يقتنع أحد الطرفين بهذه الأدلة، فليقبل كل منهما

الأخر كما هو، وليشتركا سويًا في إعمار هذه الأرض، بدلًا من الصراعات والعصبيات المذهبية التي تشغل كلاً من الطرفين في إظهار مثالب وعيوب الطرف الآخر. كما أن القرآن يطالب في الحوار أن يكون حوارًا يحترم كل طرفٍ فيه الآخر، بحيث يدعو بالأسلوب والطريقة الأحسن، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [سورة الحج، الآية: ٦٨]، إذ المنسك يعني طريقة العبادة، بمعنى أن لكل أمة طريقته في العبادة لله، ولا يعني هذا صحّة جميع هذه الطرائق، وليس هذا ما تتحدّث عنه الآية، بل هي بصدد الحديث عن الحالة الطبيعية لكل أمة وشعب من الشعوب، حيث تشير إلى أن لكلٍّ منها طريقته العبادية التي تتعبّد بها لله سبحانه وترتبط فيها بالغيب الذي تعتقد به.

ثمّ توجه خطابها إلى الرسول محمد ﷺ، إذ يقول تعالى: ﴿فَلَا يُتَارَعَتُكَ فِي الْأَمْرِ﴾، وهو أمر وإرشاد إلهي للرسول ﷺ، بالألا يشغل نفسه كثيرًا في الجدال والنزاع الفكري مع الطرف الآخر، فإن قبلوا، فالمطلوب هو هدايتهم، وإن أعرضوا فلا سلطان للرسول ﷺ عليهم.

ثم يقول سبحانه: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾، إن الله سبحانه يقول في هذا المقطع لرسوله محمد ﷺ: كن مستمرًّا في دعوتك فأنت على طريق الهداية، وعلى الطريق المستقيم، وإن دعوك للجدال والحوار العقيم لا تستجب لهم، بل واصل طريقك، ولا تكن مثل هذه الأمور شاغلة لك عمّا هو أهم.

الإعلام ومسألة الجدل المذهبي

وهذه المقاطع القرآنية هي موجّهة للرسول ﷺ، ولكنها عامّة لجميع المسلمين، فلنكن حذرين في الدخول في بعض النزاعات الفكرية التي تُبثّ على الفضائيات، فهي لا تختلف

في مضمونها ودوافعها عمّا تنهى عنه هذه الآية الكريمة. فبعض الناس ينساق في الجدل المذهبي تحت مبرر الدفاع عن معتقده المذهبي، الذي يريد أن ينتصر له، وهذا خطأ، فالقرآن الكريم يعدُّ هذا انشغالاً عمّا هو أهم وأولى. فالنقاش والحوار العلمي مطلوب في حال وجدت الظروف الموضوعية، أما إذا كانت المسألة مجرد تسجيل نقاط، وذكر مطاعن ومثالب الطرف الآخر، فهذا أمر مرفوض، لهذا يقول تعالى في الآية التالية: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، بمعنى: إن أصر البعض منهم على جدالك، فاقطع الطريق عليه، وقل له: إن الله أعلم بتوجهاتكم، ولا تطلّ معه الحديث، لذلك يقول سبحانه في آية أخرى: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٥]، حيث تشير إلى نقطة مهمّة، وهي أن الحسم والفصل بين الآراء الدينية لا يتحقق في هذه الدنيا، وستبقى التوجهات مختلفة، إلى أن يجتمع البشر بين يدي خالقهم، فيحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

البيانات التحريضية

إن هؤلاء الذين يصدرون كل يوم بياناً ويجمعون عليه التوقيعات، وأولئك الذين يطرحون في كل يوم إثارة ويفتحون هذه الملفات، هم في الواقع إما من الذين لم يستوعبوا الرؤية القرآنية، أو أن هناك أغراضاً ومقاصد تدفعهم بهذا الاتجاه، كما أن احتمال تأثرهم بجهات خارجية تدفعهم نحو إثارة الفتن والنعرات الطائفية في بلدان العالم الإسلامي وارد، سواء كان هؤلاء من السنة أو الشيعة، أو من المسلمين أو من غير المسلمين، علينا أن نتجاوز هذه الحالة وأن نتعايش مع اختلاف أدياننا ومذاهبنا.

حوار الأديان وحوار المذاهب

وفي هذا الخصوص أردت أن أشير إلى حدثين مهمّين مرّاً بنا خلال هذا الأسبوع، أخذ أحدهما حقّه من الإعلام والإعلان، بينما عتّم على الآخر، الأول منها كانت قمّة

حوار الأديان في نيويورك، وهي قمة كان من المفترض أن تكون بين الجهات والمؤسسات الدينية على مستوى العالم، ولكنها أخذت المنحى السياسي، حيث عقدت تحت مظلة الأمم المتحدة، وحضرها رؤساء وزعماء الدول السياسيين، ونحن هنا مع أي مبادرة إيجابية على هذا الصعيد الإنساني.

وكان عقده تحت هذه المظلة الأمية، وحضور هذا العدد من الزعماء السياسيين، سبباً في أن يأخذ حقه ونصيبه من الإعلام، وتغطيته من قبل وسائل الإعلام العالمية والمحلية. لكن هناك مؤتمراً آخر أعتقد أنه كان أشد ضرورةً والتصاقاً بحاجات الأمة، وهو المؤتمر الذي حصل في النجف الأشرف بين علماء السنة والشيعة يوم الاثنين الماضي الموافق ١٢ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ - ١٠ نوفمبر ٢٠٠٨ م، ومما يؤسف عليه أن هذا المؤتمر قد عُتم عليه، فلم تتحدث عنه وسائل الإعلام ولم تسلط الأضواء عليه، مع أن هذه الوسائل ترى البعض منها تتهافت على التقاط أي خبر في العراق، وبخاصة تلك الأحداث الفتوية والمذهبية.

لكنها تتجاهل مؤتمراً يحضره ألف عالم تقريباً من السنة والشيعة في العراق الذي عانى من صراع وتناحر أعطي له طابع الصراع المذهبي، وانشغلت وسائل الإعلام بتلك الأحداث طويلاً، وكان لهذه التغطية الإعلامية السلبية دور كبير في تأجيج النعرات على مستوى العالم الإسلامي، بينما تمر على مثل هذا المؤتمر الايجابي دون إعطائه حقه من الاهتمام.

إننا عندما نتجاوز مسألة التجاهل الإعلامي الذي قد يكون مقصوداً في بعض مواقعه، نرى أن علماء العراق والحمد لله قد استطاعوا أن يتداركوا الموقف، وأن يصلوا إلى تشكيل تجمع مشترك بين علماء السنة والشيعة، بعد أحداث دامية شديدة العنف، طالت العديد من مدن وقرى العراق ومواقعه الدينية، ومما يدعو إلى التفاؤل أن هذا الملتقى هو الثاني من نوعه، حيث عقد المؤتمر الأول في السنة الماضية، ونتمنى أن تتواصل

هذه الجهود والمبادرات الطيبة المؤثرة على مستوى العراق والأمة الإسلامية عموماً. وفي هذه السنة لم يكن المؤتمر مقتصرًا على علماء السنة والشيعة من العراق فقط، بل شمل علماء من خارج العراق، كما حضر وفد من منظمة المؤتمر الإسلامي، ومندوبون عن المراجع الدينية، وقد صدر عن هذا المؤتمر بيان ختامي عبّر عن مجمل آراء المؤتمرين. إن هذا المؤتمر يأتي في ظروف حسّاسة بالغّة الأهمية، فقد شهدت الساحة الإسلامية خلال الشهور الماضية تصعيداً في إثارة القلق تجاه العلاقات السنوية الشيعية، وتشكيكاً في جدوى التقريب بين المذاهب ومساعي الوحدة عبر العديد من الخطابات والبيانات والتصريحات، وهي الحالة التي تقذف في قلوب أبناء الأمة مزيداً من عوامل الإحباط، ونزعة الفرقة والتباعد بين أطرافها وتوجهاتها، وكان من ذلك البيان الذي وقّع عليه ١٩٠ من إخواننا من أهل السنة معظمهم ضمن توجه المدرسة السلفية، بعنوان التضامن مع الشيخ القرضاوي.

بعد كل هذه المحاولات يأتي مؤتمر النجف الأشرف، ويجمع علماء من السنة والشيعة في البلد التي تتضافر فيها العوامل والأسباب للنزاع الطائفي، ولكن هؤلاء الواعين بعد أن جرّبوا ويلات النزاع والاحتراب ودفَعوا الثمن باهظاً من نفوس ومصالح شعبهم، رأوا أن هذا الخلاف لا يخدم أحداً، لا السنة ولا الشيعة، إنما يخدم الأعداء.

وانعقاد هذا المؤتمر في النجف هو أفضل جواب ورد على تلك البيانات المحرّضة والمتشائمة، لأننا لا نؤيد سياسة البيان في مقابل البيان، ولا أسلوب التصريح في مقابل التصريح المضادّ، لأن هذا يصبُّ الزيت على نار الفتنة، وإنما ندعو بدلاً من ذلك إلى أن تتضافر الجهود الإيجابية العملية المثمرة، فهذا العمل الإيجابي الذي تمّ في النجف الأشرف هو أفضل رد على مثل هذه البيانات والخطابات المتشنّجة التي ظهرت في الآونة الأخيرة.

إننا في الوقت الذي نعتب فيه على وسائل الإعلام التي لم تسلط الضوء على مثل هذه

الفعالية والحدّث المهم، نهيب بكل مخلص وكل واعٍ أن يهتم بهذا الموضوع، وأن يجعله سبباً في إثارة الأمل والتفاؤل، والدفع باتجاه الوحدة والتقارب بين أبناء الأمة، فخطاب المرجعيات الدينية المشاركة، والكلمات التي ألقيت في المؤتمر كانت تحمل العديد من نقاط الضوء والأمل للنفوس، وقد توجّهنا حديث المرجع الأعلى السيد السيستاني حفظه الله أمام وفد علماء السنة والشيعة الذين التقوه بعد المؤتمر، حيث كان بالفعل يعطي الكثير من الأمل والتفاؤل، وأنا أنقل هنا مقتطفات من كلام سباحته؛ لتروا كيف أن المرجعية تحمل هذا التوجه وهذا النهج، ذلك أن مشكلتنا في مجتمعنا أن هناك من يرى أن الكلام عن الوحدة والحوار والتقارب ضرباً من العبث، وتنازلاً وتمييعاً للولاء المذهبي. لكل رأي، لكننا نرى أن هذا هو ما تدل عليه آيات القرآن الكريم، وهذا ما تأمر به روايات أهل البيت (عليهم السلام)، وها نحن نرى أنه ما تدعو إليه المرجعية العليا، لذلك علينا أن نعرف أن التوجه نحو التقارب والحوار ليس توجّهاً سياسياً مصلحياً عند بعض الفئات وبعض الشخصيات، أو هو نوع من إبداء التنازل تجاه الطرف الآخر، أو لهاث خلف الظهور والبروز وتحصيل المواقع، إنما هو منهج ديني رسالي، بدليل ما نراه من مواقف القيادات الدينية وما توصينا به تعاليمنا الشرعية.

مقتطفات من حديث السيد السيستاني أمام وفد المؤتمر:

- «أتمنى لكم التوفيق في هذا اللقاء وأدعوكم إلى الوحدة، إذ من المفيد أن تلتقوا وتتوحدوا، وأنا أفتخر أن أكون خادماً لجميع العراقيين».
- «أنا سعيد بما أسمع من خطاب وحدوي لدى علماء السنة، ويعزّ عليّ أن أسمع أحياناً الكلمات المثيرة للفرقة».
- «الاختلاف في الفكر والاجتهاد لا يجوز أن يكون سبباً للتفرقة، بل (اختلاف أمتي رحمة)».
- «نرحب بمجيئكم للنجف واجتماعكم هذا، وندعوكم إلى أن تكونوا متحدين،

- وما وقع من اختلافات كان مؤلماً لقلبي». ■
- «عليكم التركيز على بيان المشتركات، ولا داعي للتعرض إلى المسائل الخلافية». ■
- «أنا أجزم أن إرادة التفرقة جاءت من الخارج». ■
- «بعد التعرض لمرقد الإمامين العسكريين (عليهما السلام) دعوت الشيعة كلهم إلى الهدوء وعدم الردّ، وقلت إن ما حدث لم يقيم به أهل السنة». ■
- «لو راجعتم كلامي خلال جميع لقاءاتي، فإني أدعو باستمرار إلى الوحدة، ولم أتكلم بكلمة واحدة مخالفة لهذا التوجه». ■
- «درست عند الشيخ أحمد الراوي، وهو من علماء السنة في سامراء، ولم يكن يخطر ببالي أنه على غير مذهبي». ■
- «كما أننا كنا نراجع بعض الأطباء وهم من أهل السنة، ولكوني من طلبة العلوم الدينية، لم يكونوا يأخذوا منا أجوراً، ولم يفكروا أننا من السنة أو الشيعة، وهذا هو أنموذج التعايش الوجدوي في العراق». ■
- «لا يجوز أن نساهم حتى بشطر كلمة من شأنها أن تؤدي إلى التفرقة، ويجب الابتعاد عن الخطاب المتشنج». ■
- هذه هي توجيهات مراجعنا العظام، البعض من الخطباء من الشيعة والسنة يعدها بطولة عندما يعرض عقيدته بخطاب متشنج ومتعصب تجاه الطرف الآخر، وهذه ليس بطولة، هذه مخالفة شرعية حينما تكون سبباً لإثارة الفتنة.
- وعلينا ألا نغفل دورنا الإعلامي والثقافي في التفاعل مع أحداث كهذه، لذلك على الواعين من أبناء المجتمع أن يوجهوا الأنظار إلى مثل هذه الأنشطة، خدمة لواقع أمتنا ومجتمعاتنا.
- لم تقم بالمؤتمر أي جهة حكومية، وإنما كان نشاطاً أهلياً مستقلاً، ضمن الجو العلمي، وبمبادرة من الواعين والمخلصين من القيادات الإسلامية الواعية، التي تحفل بها مجتمعاتنا،

ولكنها قد لا ترتفع أصواتها كثيرًا.

نرجو أن تتواصل مثل هذه اللقاءات والمؤتمرات ونرجو أن تكون الساحة العراقية مصدرًا ودافعًا لتعزيز التوجهات التقريبية وباعثًا لوحدة الشعب العراقي، ليتغلب على الظروف العصيبة التي مر بها، بقيادة هؤلاء العلماء الواعين الذين يقدمون أنموذجًا للوحدة والتعاون بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة.

الحجيج ومعاناة الزيارة في المدينة المنورة

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار المسلمين للتحلي بالوعي تجنباً للوقوع في فتن طائفية، مؤكداً أن الساحة الإسلامية محمومة ومهيئة لذلك. موجهاً نداءً للمتمين للمدرسة السلفية بأن يتعاملوا مع بقية المسلمين بأفق أوسع، وأن يتقبلوا الاختلاف، لا أن يُحوّله إلى صراع لا يخدم أي جهة إسلامية إنما يصب في خندق الأعداء والمتربصين بالمسلمين الدوائر. داعياً في الوقت نفسه القادمين لزيارة رسول الله ﷺ من داخل وخارج المملكة أن يكونوا حذرين من الوقوع في فخ الإثارات، وألا تكون الأعمال المستحبة على حساب القضايا الكبرى كالوحدة والانسجام مع جميع المسلمين. مضيفاً: إن صورة الإسلام والمسلمين أمام العالم يتحمل مسؤوليتها الجميع.

وبمناسبة اليوم العالمي للطفل الذي يُصادف (٢٠ نوفمبر) تحدث الشيخ الصفار عن حقوق الطفل، والدور المطلوب القيام به من قبل الوالدين والأسرة بدرجة أولى، والمجتمع بدرجة ثانية، مؤكداً أن الأطفال أمانة ومسؤولية شرعية والاهتمام بتربيتهم وأداء حقوقهم ضرورة أسرية واجتماعية.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٤٢٩هـ (٢١ نوفمبر ٢٠٠٨م) إلى المكانة العظيمة التي تحتلها مكة المكرمة في قلوب المسلمين جميعاً، فهي

المكان الذي اختاره الله تعالى لبيته الحرام، وفيها قبلة المسلمين، ويحج إليها المسلمون كل عام، وفيها ولد أفضل الخلق أجمعين وسيد المرسلين نبينا محمد ﷺ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «والله إنك لخير أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أخرجت منك لما خرجت»^(١).

ورأى الشيخ الصفار أن موسم الحج لهذا العام يأتي وسط ظروف خاصة تمر بها الأمة الإسلامية، مشددًا على ضرورة أن يتحلى الحجيج بمزيد من الوعي أثناء أدائهم لمناسك الحج. مؤكدًا أن الدولة تتحمل جزءًا كبيرًا من المسؤولية، إلا أن الناس أنفسهم عليهم أن يظهروا بالمظهر اللائق أثناء هذه الفريضة المقدسة.

وفي عرضه لرواية عن الإمام الباقر ﷺ حيث يقول: «ما يُعبؤ من يسلك هذا الطريق إذا لم يكن فيه ثلاث خصال: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وحلمٌ يملك به غضبه، وحسن الصحبة لمن صحبه»^(٢) أكد الشيخ الصفار أن فريضة الحج تتميز عن غيرها من الفرائض باجتماع المسلمين من مختلف البقاع والأعراق والبيئات والطباع مما يولد نسبة كبيرة من الاحتكاك والتماس فيما بينهم، ونتيجة لذلك قد تستبد بالبعض حالة الغضب والانفعالات، وهذا لا يتناسب والمكان المقدس الذي يجتمع فيه المسلمون، ولذا ينبغي للحجيج أن يتحلوا بالهدوء والطمأنينة التي من شأنها أن تخلق أجواء الألفة والاحترام المتبادل فيما بينهم، ليُقدم المسلمون من خلال موسم الحج صورةً مشرقة عن الإسلام والمسلمين، وليكونوا يدًا على عدوهم الذي يتربص بهم الدوائر، مؤكدًا أن غفلة المسلمين عن هذا الجانب قد تجعل الساحة مفتوحة للمغرضين والحاquدين والمتربصين بأن ينفذوا إلى الأوساط فيثيروا الفتنة ويُحققوا أهدافهم البغيضة بحق الإسلام والمسلمين. لافتًا الانتباه إلى أن هذا التصرف ليس بالضرورة أن يصدر من خارج الأمة الإسلامية، فربما هناك

(١) أسد الغابة. ج ٣، ص ٢٢٥.

(٢) الكافي. ج ٤، ص ١٨٥.

من المسلمين من تأخذهم العزة بالإثم ليُمارسوا دورًا متخلفًا بحق الإسلام والمسلمين، مؤكداً أن هؤلاء أخطر على الإسلام والمسلمين من العدو الخارجي.

وأبدى الشيخ الصفار انزعاجه وتألمه لما يقوم به البعض من أتباع المدرسة السلفية عند استقبالهم لزوار رسول الله ﷺ وأئمة البقيع ﷺ والصحابة الأخيار وأمهات المؤمنين، حيث يتوافد الكثير من المسلمين إلى مدينة رسول الله بقصد الزيارة والتبرك والتوسل إلى الله تعالى، مفتتحين مناسك حجهم بهذه الأجواء الروحية، إلا أنهم يواجهون بمنطق متعصب يُمارسه البعض من المنتمين للمدرسة السلفية، حيث يرون أن زيارة المدينة المنورة بقصد الزيارة والتبرك بدعة، ولا تقف المسألة عند حدود الاعتقاد فقط، وإنما تتجاوزها إلى الحد الذي يُساء فيه لبقية المسلمين في اعتقاداتهم وتوجهاتهم العبادية، ويرى الشيخ الصفار أن هذا التصرف يُنافي الشرع بل ويقدم فيه، ويُعطي صورة سلبية لهذا البلد الذي يحتضن الحرمين الشريفين.

وأكد الشيخ الصفار أنه يتوجب على هؤلاء أن يحتفظوا بأرائهم حول زيارة النبي وأئمة البقيع وأن يتركوا للمسلمين حريتهم الدينية، فليس هناك وصاية لأحد على أحد في الدين، ومنتهى الأمر عليهم أن يُقدّموا النصيحة والدعوة لما يؤمنون به، وذلك بشرط التزام التعاليم الإسلامية الحقة من احترام الناس، والتعامل الحسن وحسن الظن.

وأشار الشيخ الصفار إلى أن الأمة الإسلامية اليوم في مواجهة ضاغطة مع تيارات الفتنة والتعصب، وهذا يجعل الساحة مفتوحة على مختلف الاحتمالات، مما يعني ضرورة أخذ الحيطة والحذر خصوصاً في موسم الحج مع التجمع الجماهيري للمسلمين.

ودعا الشيخ الصفار المؤمنين إلى التسلح بالوعي، وأن لا يكون التزامهم ببعض الشعائر المستحبة على حساب القضايا الكبيرة كالوحدة والانسجام مع جميع المسلمين، وإذا كانت هناك بعض الأعمال التي من شأنها أن تُثير الأطراف الأخرى فينبغي النظر فيها وتقليصها حفاظاً على الصورة العامة للإسلام والمسلمين، ولكي تُسد كل الثغرات

التي يُمكن للأعداء من خارج الأمة أو المغرضين من داخلها النفوذ منها. مشيرًا إلى أن المملكة في هذه المرحلة تعيش أصداء المبادرة التي أطلقها الملك عبد الله لحوار الأديان والتي أقيمت في نيويورك، وحيث أثرت حول هذه المبادرة الكثير من الشكوك والانتقادات، فإن الممارسات غير الإيجابية في موسم الحج ستعكس الصورة السلبية للبلد مما يقوّي تلك الانتقادات والشكوك بشأن هذه المبادرة. واختتم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أن الوعي وإدراك خطورة المرحلة هما السبيل للخروج بموسم الحج بصورة مشرقة، وإلا فإن تجاهل ذلك من شأنه أن يخلق أجواء طائفية مشحونة يتضرر بسببها المسلمون جميعًا.

الخطبة الثانية

بمناسبة اليوم العالمي للطفل الذي يُصادف (٢٠ نوفمبر) تحدث الشيخ الصفار عن حقوق الطفل، وأنه أمانة عند والديه بدرجة أولى، وعند المجتمع بدرجة ثانية. وأن الطفل كائنٌ صغير لا يعرف حقوقه فضلًا عن أنه غير قادرٍ على الدفاع عنها. مشيرًا إلى أن شخصية الطفل تتبلور من خلال المعاملة التي يتلقاها في أسرته، وهو سيكون رجل الغد (ذكرًا أو أنثى) فكان من الضروري الاهتمام برعايته وتربيته، خصوصًا في هذا العصر الذي زادت فيه انشغالات الناس وتحدياتهم واهتماماتهم، فبات طفل هذا العصر لا يلقي الرعاية التي كان يلقاها الطفل في الماضي، حيث كان محاطًا بعاطفة كبيرة من الأسرة، وكان الوالدان قرييين من أولادهم بل وملتصقين بهم.

وأكد على ضرورة التفكير في نصيب الأطفال من الوالدين بالجلوس معهم ومؤانستهم والترفيه عنهم، يقول ﷺ: «جلوس المرء مع عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»^(١). ومرةً خرج رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون ومعه

(١) تنبيه الخواطر. ج ٢، ص ١٢٢.

صبيُّ له صغير يلثمه، فقال: «ابنك هذا؟ قال: نعم. قال: أتجبه يا عثمان؟ قال: إني يا رسول الله أحبه! قال: أفلا أزيدك له حبًّا؟ قال: بلى فذاك أبي وأمي! قال: إنه من يُرضي صبيًّا صغيرًا من نسله حتى يرضى ترصّاه الله يوم القيامة حتى يرضى»^(١). وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده»^(٢). وعنه عليه السلام: «من قبل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن دعي بالأبوين فيكسيان حلتين يُضيء من نورهما وجوه أهل الجنة»^(٣). وعنه عليه السلام: «من كان عنده صبي فليتصاب له»^(٤).

وأشار الشيخ الصفار إلى أن إنسان هذا العصر بسبب الضغوط المختلفة التي تواجهه سواءً الاقتصادية منها أو النفسية جعلت البعض يُقصر في واجباته تجاه أولاده، والبعض الآخر أصبح يُمارس عنفًا تجاه أسرته تنفيسًا عما بداخله، فأصبح هناك حديث واسع عن العنف الأسري، وباتت مظاهره واضحة جلية. وهذا يُخالف التعاليم الإسلامية التي تدعو للرحمة بالطفل، فعن الإمام الصادق عليه السلام يقول: قال نبي الله موسى عليه السلام: يا رب أي الأعمال أفضل عندك؟ قال: حب الأطفال. فإني فطرتهم على توحيدني، فإن أمّتهم أدخلتهم جنتي برحمتي^(٥).

وأضاف الشيخ الصفار أن البعض يُلقي باللائمة على الطرف الآخر في الحياة الأسرية، فالزوج يُلقي باللائمة على زوجته، والزوجة كذلك، في حين أن كلاً منهما يتحمل مسؤولية تجاه الأسرة، ولا يُمكن للبناء الأسري أن يتكامل إلا بإرادة واعية من قبل الزوجين لذلك، وأن حدوث المشاكل بينهما من شأنها أن تفكك الكيان الأسري

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ٥٨٦.

(٢) الكافي. ج ٦، ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه. ص ٤٩.

(٤) من لا يحضره الفقيه. ج ٣، ص ٤٨٤.

(٥) مستدرک الوسائل. ج ١٥، ص ١١٤.

والضحية بكل تأكيد هم الأطفال.

وأكد الشيخ الصفار في ختام الخطبة أن المجتمع ينبغي أن يتحمل مسؤولية كبيرة تجاه الأطفال بإنشاء المؤسسات التعليمية والترفيهية التي تعني بالأطفال ليأخذوا نصيبهم من الاهتمام، ولكي يُغطي المجتمع النقص الذي قد يتسبب فيه الوالدان تجاه أطفالهم. وحتى تتكامل الجهود بين داخل الأسرة والمحيط الاجتماعي.

والحمد لله رب العالمين.

حين تتخلى الأمة عن حمل الرسالة

خطبة الجمعة بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار حاجة الأمة لإعادة النظر في فهمها لرسالة الإسلام، حيث ساد الأوساط الإسلامية فهم مغلوط للكثير من تعاليم الإسلام، وحاول الكثير من المسلمين أن يلبسوا الرسالة الإلهية أوضاع الواقع المزري الذي يعيشونه، مبررين بذلك التصرف الشنيع واقعهم المتخلف. مضيئاً أن المشكلة الكبرى التي وقعت فيها الأمة هي تجاهلها للرسالة في مجال التطبيق والعمل مسلطاً الضوء على مناسك الحج وما ترمز إليه من مفاهيم وقيم سامية، تتجسد في مشهد إيماني ليس له نظير في واقع العالم كله، مشيراً إلى بعض الأمثلة التي تغيب عن واقع الأمة الإسلامية المعاصرة، كتجسيد المساواة والعدل، والتأكيد على السلم والسلام والدعوة للعلم والمعرفة.

وفي سياقٍ آخر أكد حاجة الإنسان الماسّة إلى رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة. مبيناً أن طريق الرحمة الإلهية يتحقق من خلال الإحسان للآخرين، ومستعرضاً جملة من النصوص الدينية التي تُعزز هذا الجانب.

الخطبة الأولى

أشار الشيخ الصفار في بداية خطبة الجمعة ١٤ ذو الحجة ١٤٢٩هـ (١٢ ديسمبر ٢٠٠٨م) أن الرسائل الإلهية تبدأ كمشروع تغيير ومنهج تقدم في مجتمع متخلف، ثم ما تلبث أن تتحول إلى مجرد عنوان للانتماء خالٍ من المضمون، وقد قدّم القرآن الكريم

تشبيهاً بليغاً لهذه الحالة، يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٥]. مبيناً أن الأسفار: جمع سفر، والسفر هو الكتاب، وسمي بذلك لأنه يحمل في طياته العلم والمعرفة، فهو يسفر عن الحقائق أي يظهرها.

مضيفاً: إن الأمم السابقة كاليهود والنصارى التي كانت تحمل رسالتي التوراة والإنجيل قد انحرفت عن مسار تلك الرسلتين المقدستين بصريح القرآن الكريم. والسؤال المهم الإجابة عنه، هو: هل أن الأمة الإسلامية، وهي صاحبة أعظم رسالة في تاريخ البشرية، وهي رسالة الإسلام التي جاء بها أعظم الخلق وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، بعيدة عن هذا التشبيه القرآني، أم أنه يشملها أيضاً؟

وفي معرض إجابته أكد الشيخ الصفار أن واقع الأمة الإسلامية كفيل بالإجابة عن هذا التساؤل الخطير، فقد حمل الله تعالى هذه الأمة مسؤولية عظيمة ورسالة خالدة وهي القرآن الكريم، فهل التزم المسلمون بتعاليم القرآن وطبقوا أحكامه وشرائعه وهدية، وبذلك يستحقون أن يكونوا: ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠]، أم أنهم انحرفوا بهذه الرسالة الخالدة فيتحقق بذلك المثل القرآني عليهم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كما تحقق على الأمم السابقة.

وأشار أن مشكلة الأمم تجاه الرسالات الإلهية تكمن في جانبين:

الأول: سوء الفهم للرسالة، وهو ينبع من الجهل ومن تفسير الرسالة وفقاً للمصالح والأغراض الشخصية، فتنحرم الأمة عن الرسالة الحققة، يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣].

وأكد أن الأمة الإسلامية وقعت في هذا الأمر حيث ساد الأوساط الإسلامية فهم مغلوط للكثير من تعاليم الإسلام، وحاول الكثير من المسلمين أن يلبسوا الرسالة الإلهية

أوضاع الواقع المزري الذي يعيشونه، مبررين بذلك التصرف الشنيع واقعهم المتخلف. مضيئاً: إن الرسالة الإلهية تحتاج إلى فهم صحيح، والتزام عملي بأن تُصبح منهج حياة، لا أن تتحول إلى مجرد شعار وعنوان كما هو حال الكثير من المسلمين اليوم. الآخر: تجاهل الرسالة في مجال التطبيق والعمل، وهي المشكلة الكبرى التي وقع فيها المسلمون في الكثير من أبعاد ومجالات الحياة، وواقعهم المعاصر خير شاهدٍ على ذلك. وسلط الضوء على مناسك الحج وما ترمز إليه من مفاهيم وقيم سامية، تتجسد في مشهدٍ إيماني ليس له نظير في واقع العالم كله. مشيراً إلى بعض تلك المعالم:

أولاً: الحج تجسيد للمساواة والعدل، إذ يعيش الحجيج من مختلف البقاع والأصقاع واللغات، حالة المساواة بلباسٍ واحد ونسكٍ واحد وفي مكانٍ واحد، لا فرق بينهم، وكلهم في ذلك سواء. إنه مشهد عظيم لو يُترجم إلى واقع فعلي يعيشه المسلمون في حياتهم بشكلٍ عام، إلا أن ذلك لم يتحقق مع شديد الأسف، حيث يعيش المسلمون في أغلب مناطقهم وبلدانهم حياة التمييز والفرقة بمختلف عناوينها الدينية والمذهبية والعرقية والقبلية. بعكس الواقع الذي يعيشه الآخرون من غير المسلمين حيث تراهم يحترمون الإنسان في مجتمعاتهم بما هو إنسان بغض النظر عن الدين أو المذهب أو العرق.

ثانياً: الحج رسالة سلم وسلام، حيث إن حرمة الإنسان في تلك البقاع الطاهرة مصونة، حتى المجرم الذي يستحق العقوبة إذا لجأ للبيت الحرام فإنه يأمن من تنفيذ الحكم عليه حتى يخرج من البلد الحرام. بينما يعيش المسلمون في واقعهم أجواء الظلم وانتهاك الحقوق حيث تحصل ممارسة العنف بأشع صورته فيما بينهم وكذلك ضد الآخرين، وباسم الإسلام، وتفجيرات بومباي الأخيرة إحدى الشواهد المفجعة.

ثالثاً: الحج دعوة للعلم والمعرفة، حيث يجتمع المسلمون في المشاعر المقدسة يتفكرون ويتأملون ويتضرعون، مستجيبين لنداء الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٤]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٢١]. وأما واقع المسلمين فهو أبعد ما يكون عن التقدم

العلمي والتكنولوجي، ويكتفي الكثير من المسلمين عندما يبتكر الغرب أو يخترعون اختراعاً علمياً أو تكنولوجياً، يتفرغ هؤلاء بالبحث في ثنايا القرآن الكريم لعلهم يجدون ما يشير إلى ذلك التقدم العلمي، ليتغنوا فيما بعد بذلك بأن الرسالة الإلهية الخالدة تحدثت عن ذلك من قبل مئات السنين تحت عنوان الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، والحال أن المسلمين يقبعون في واقع متخلف مزرٍ.

وأشار إلى وجود حالة من الازدواجية عند المسلمين فيما يتعلق بالعلم والمعرفة والتطبيق، فيؤمنون بأفضل الرسالات، ويُقدّمون أفضل الأفكار، إلا أن الواقع الفعلي يحكي عكس النظرية، وهذه مصيبة كبرى، تحذّر النصوص الدينية من الوقوع فيها، يقول الرسول الأكرم ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع»^(١)، ويقول ﷺ: «من ازداد علماً ولم يزد هدًى لم يزد من الله إلا بعداً»^(٢)، وقال الإمام علي ﷺ: «لَا تُجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا وَ يَقِينَكُمْ شَكًّا إِذَا عَلِمْتُمْ فَأَعْمَلُوا وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا»^(٣)، وقال ﷺ: «كفى بالعالم جهلاً أن يُنَافِي عِلْمَهُ عَمَلَهُ»^(٤)، وقال ﷺ: «الْعَالِمُ الْعَامِلُ بغيرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْخَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيحُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحُسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ»^(٥).

وختم الشيخ الصفار الخطبة بالتأكيد على أنه لا بد للإنسان أن يلتزم الأفكار التي يطرحها، وبالقيم التي يؤمن بها، وإلا فإن ذلك مدعاة لهلاكه، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رأيت ليلة أسري بي على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت لجبرئيل: من هؤلاء؟ قال: خطباء أها الدنيا من كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون

(١) بحار الأنوار. ج ٢، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه. ج ٢، ص ٣٧.

(٣) نهج البلاغة. حكمة ٢٧٤.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٥) نهج البلاغة. خطبة ١١٠.

أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون»^(١).

الخطبة الثانية

أكد الشيخ الصفار في الخطبة الثانية حاجة الإنسان الماسّة إلى رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فإن استمرار النعم على الإنسان، ودفع النقم والبلاء، وحمايته مما يواجهه من أزمات وصعوبات في الحياة، مما لا يستطيع الإنسان بنفسه الابتعاد عنها، كل ذلك يجعل الإنسان في حاجة إلى رحمة الله وعطفه وامتنانه.

مؤكدًا أن الإنسان في هذه الحياة وإن وفرّ لنفسه مسببات المناعة الكاملة، فإنه يظل معرضًا للأخطار والصعوبات والمشاكل، إن لم يكن من نفسه فمن الآخرين من حوله، فكثير من الأمراض تنتقل عبر العدوى، وكثير من حوادث الطريق تحصل وإن كان هذا الإنسان ملتزمًا بالقوانين والأنظمة المرورية، إلا أنه قد يتعرض له من لا يُعير لتلك الأنظمة حسابًا. إضافةً إلى الكوارث الطبيعية التي تحصل، والتي لا يستطيع الإنسان تجاوزها إلا برحمة الله تعالى.

وأما في الآخرة فإن الحاجة للرحمة الإلهية هناك أجلى وأوضح، حيث لا يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله تعالى، ولم يستثن رسول الله ﷺ أحدًا من ذلك حتى نفسه، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «لن يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله»، قالوا: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله»^(٢).

وأكد الشيخ الصفار أنه لا أحد يجزم بأن جميع ملفاته في الدنيا مرتبة لتكون أوضاعه في الآخرة على أكمل وجه، فمهما عمل الإنسان من أعمال البر والصلاح فإنه لن يتجاوز حد شكر بعض النعمة التي أنعم الله بها عليه، ولذلك لا غنى للإنسان عن رحمة الله

(١) كنز العمال. ج ١٠، ص ٢٠٩.

(٢) كنز العمال. ج ٤، ص ٢٥٤، حديث ١٠٤٠٧.

تعالى وعفوه.

وأشار إلى كيفية التوفيق لرحمة الله تعالى، حيث أبان الله تعالى ذلك في كتابه المجيد حيث يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٦]، فطريق الرحمة الإلهية هو الإحسان، والإحسان يعني: فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسناً به، كإطعام الجائع. مؤكداً أن طريق الإحسان في الدنيا هو السبيل لتوفيق الله تعالى للإنسان في حياته، وخلاصه من عذاب الله تعالى يوم القيامة، والفوز برضوانه تعالى والجنة.

ولذلك وردت نصوص كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكد هذا الجانب المهم أن يتحقق في شخصية الإنسان، فعنه عليه السلام أنه قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١). وقال عليه السلام: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»^(٢)، وقال الإمام علي عليه السلام: «أحسن يُحسن إليك، ارحم تُرحم»^(٣)، وقال عليه السلام: «عجبت لمن يرجو رحمة من فوقه، كيف لا يرحم من دونه»^(٤)، وقال عليه السلام: «من لا يرحم الناس منعه الله رحمته»^(٥). وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بيننا رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له»^(٦)، وعن حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تلقت الملائكة روح ممن كان قبلك، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا. قالوا: تذكّر. قال: كنت أداين الناس، فأمر فتياي أن يُنظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر. قال الله عز وجل: تجوزوا عنه»^(٧).

(١) كنز العمال. ج ٣، ص ١٦٣، حديث ٥٩٦٩.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٦٤، حديث ٥٩٧٢.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ١٠٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) صحيح البخاري. ج ١، ص ١٦٠.

(٧) صحيح مسلم. ج ٨، ص ٣٢.

وأشار الشيخ الصفار أن حاجات الناس في المجتمع كثيرة، وأبواب الإحسان مفتحة، وما على الإنسان إلا أن يتوجه إلى هذا الطريق، فيسعى لأن يكون وجوده فاعلاً ومؤثراً في مجتمعه ومحيطه بحيث يشعر الناس بأهمية وجوده.

مؤكدًا في ختام الخطبة أن الإحسان ينبغي أن يكون بدءًا من الدائرة الصغيرة، الوالدان، والزوجة والأولاد، وقد تباهى رسول الله ﷺ بهذه الخصلة حيث قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(١). وبعد ذلك على الإنسان أن يتوسع في دائرة الإحسان لتشمل الأقارب والجيران، ثم المجتمع والوطن حتى يصل للإنسانية جمعاء، وبعدها لجميع المخلوقات على وجه البسيطة، فكلما كانت دائرة الإحسان بالنسبة للإنسان أكبر فإنه يحظى بتوفيق الله تعالى وبرحمته بشكل أكبر.

والحمد لله رب العالمين.

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٣، ص ٥٥٥.

کتابیات |

تقديم لكتاب المرجان في أحكام الحيتان^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.
لا شك أن للعلم جاذبية كبيرة في قلوب عاشقيه، تجعلهم مستغرقين في رحابه،
متجهين بكل طاقاتهم واهتمامهم نحو ميادينه، يصرفون وقتهم وجهدهم في كسب المزيد
منه.

والعلم لو ارده مثل ماء البحر لا يزيد شاربه إلا ظمًا، وكذلك هم عشاق العلم كلما
اغترفوا منه عظم تعلقهم به، واشتد اندفاعهم نحوه.

فالشراء العلمي ينتج الشعور بالفقر إلى العلم، لأن الإنسان كلما تقدم علمه اتسعت
رقعة المجهول أمامه، وأدرك حقيقة قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وهذا
ما يدفعه لطلب المزيد من العلم، فيصبح شعاره وتطلعه هو ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. ويكون
ذلك هو نهج حياته.

وهذا ما يفسر استغراق العلماء وتفرغهم لطلب العلم، ودراسته وبحثه بكل
وجودهم وعمرهم، واضعين نصب أعينهم مقولة: أعطه كلك يعطك بعضه.

(١) الشيخ أبو القاسم محمد بن الحسن فندم، المرجان في أحكام الحيتان، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ (بيروت:
دار المحجة البيضاء).

وحين نقرأ في سير العلماء انقطاعهم عن كل ما ينشغل به الناس من جمع المال، وممارسة الملذات، والمخالطة مع الأقوام، وتوفير كل لحظة من حياتهم لحضور درس، أو مطالعة كتاب، أو بحث مسألة، أو تدريس طالب، أو تأليف كتاب، فإننا نعجب من مقاومتهم لإغراءات مختلف الرغبات والشهوات التي يتسابق إليها غيرهم.

أتراهم لا يمتلكون غرائز البشر، أو قدرات الاستمتاع؟

بلى، إنهم كسائر البشر في غرائزهم ورغباتهم المادية، لكنهم وقعوا في عشق العلم والمعرفة، فسيطر عليهم غرام البحث العلمي، ولذة الكسب المعرفي. ولا يمتلك الإنسان العاقل إلا إكبار هذه الذات المنصرفة للعلم، والعاشقة للمعرفة، والمتجهة بكلها إلى البحث والنظر والتحقيق.

لكن هناك إشكالية ينبغي تسليط الأضواء عليها، وخاصة فيما يرتبط بالبحث في ميادين العلوم الشرعية، وعلى الخصوص مجال البحث الفقهي الذي يرتبط بمعرفة الأحكام التكليفية للإنسان المسلم في مختلف مجالات الحياة. وتكمن هذه الإشكالية في تشخيص الموضوعات الخارجية، لمعرفة انطباق الأحكام الشرعية عليها.

فإن استغراق الحالة العلمية الفقهية في البحث النظري، دون اطلاع مباشر على موضوعات الأحكام، ودون معرفة واضحة للأشياء، وبعيداً عن الواقع المعيش للمكلفين، ودون رصد ومتابعة لتطورات الحياة وأوضاع المجتمع، قد ينتج إشكاليات في مجال تطبيق الأحكام الشرعية، ومعرفة مواردها ومصاديقها الخارجية.

ولتلافي هذا الإشكال لا بدّ من تطوير أجواء وبرامج الحوزات العلمية، بما يوفر فرص المباشرة للقضايا والأشياء، التي هي مورد انطباق للأحكام، وأن تتوفر المعلومات الكافية أمام الفقيه وطالب العلم الشرعي حول الموضوعات الخارجية، عبر وسائل المعرفة المتاحة، وبالانفتاح على الواقع المعيش، والمعايشة للمجتمعات المعاصرة على

صعيد أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إن طرح المسائل الشرعية الفقهية بلغة تجريدية عامة، وعلى شكل افتراضات، إذا كان كذا فالحكم كذا، يجعل أكثر المكلفين في موقف الحيرة، وعدم معرفة التكليف، وبالتالي عدم القدرة على الالتزام أو صعوبته.

فمع تقدم العلم والتكنولوجيا تربي إنسان هذا العصر على لغة الوضوح والتبيين، وتيسير الوصول إلى الفكرة وتطبيقاتها، وذلك في مختلف المجالات.

فإذا رأى نفسه أمام وضع آخر، في مجال معرفة الحكم الشرعي في قضايا المعيشية الحياتية، يجعله في حالة التردد والارتباك، بسبب عدم الوضوح والتشخيص الدقيق للموضوعات الخارجية، فإن ذلك لا يشجعه على الالتزام بالأحكام الشرعية والأخذ بها.

من هنا تظهر أهمية توجه بعض المشتغلين بالعلوم الشرعية إلى مباشرة الاطلاع، والتعامل مع الأشياء والأمور التي هي موارد لانطباق الحكم الشرعي.

فإن هذا التوجه يوفر أمام المجتمع تشخيصاً دقيقاً لموضوعات الأحكام، يسهل عليهم مهمة الالتزام بالتكليف الشرعي، ويمنع وقوعهم في الأخطاء والمخالفات، الناتجة من الخلل في التشخيص والتطبيق.

وبين يدي القارئ الكريم تجربة طيبة قيمة، فهذا الكتاب، الذي يسعدني التقديم له، هو نتاج بحث علمي وخبرة عملية، ومعرفة مباشرة، في موضوع هو محل ابتلاء وحاجة للناس.

فالأسماك مادة غذائية رئيسية، وخاصة في مجتمعاتنا الخليجية، حيث تشكل مورداً اقتصادياً مهماً، وهي ثروة كبيرة لم تستفد منها بلادنا، مع الأسف الشديد، بالمستوى المطلوب.

فبلادنا تقع على ضفة أهم مورد بحري للثروة السمكية في العالم، لكنها تستورد أكثر

من نصف استهلاكها من الأسماك، في الوقت الذي تمتلك فيه أغنى مجرى مائي بالثروة السمكية في العالم، والذي يكتنز فيه أندر الأنواع وأثمنها.

وكان يجب أن تكون بلادنا مصدرة للأسماك لا مستوردة لها.

وكما يقول الخبراء، فإن السعودية أقل الدول استثماراً للخيرات الكثيرة التي تتوفر في

البحر الأحمر والخليج العربي.

لقد بلغ إجمالي الإنتاج من الثروة السمكية في السعودية لعام ٢٠٠٥م ٧٤٣٧٥ طنًا

مترياً. بينما استوردت في نفس العام ما يبلغ ١٤١٢٩٧ طنًا مترياً بقيمة ٧٦٦ مليون ريال

تقريباً، وأهم الدول التي تستورد السعودية منها المنتجات السمكية هي على الترتيب:

اليمن، سلطنة عمان، قطر، مصر، البحرين.

ولسنا الآن بصدد الحديث عن أسباب ضمور وضعف حركة اقتصاديات الأسماك

في بلادنا، وهو موضوع يستحق الاهتمام منا جميعاً، في ظل ما تشكو منه مجاميع من أبنائنا

من البطالة، وعدم توفر فرص الدخل المناسب، وفي ظل التضخم الاقتصادي وغلاء

المعيشة.

إن هناك أسباباً تتعلق بالأنظمة والقوانين، وأخرى ترتبط بتقصير رجال المال

والأعمال، وثالثة ترتبط بضعف الفاعلية والنشاط لدى شباب الجيل.

أما هذا الكتاب فهو بحث جميل واسع، أمضى فيه مؤلفه زمناً طويلاً من الإعداد

والمراجعة، والأهم من ذلك، هو خبرة المؤلف العملية في موضوع البحث، حيث إن

المؤلف، ومع اشتغاله بطلب العلم منذ سنوات في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف وقم

المقدسة، ثم مواصلته للدراسة في الحوزة العلمية ببلده القطيف، إلا أنه من هواة ركوب

البحر لممارسة الصيد، في أوقات التعطيل الدراسي والإجازات، مما أكسبه خبرة ومعرفة في

هذا الموضوع، إلى جانب دراسته واهتمامه بالقراءة والمطالعة، في النصوص الواردة حول

الأسماك، من الأحاديث والروايات وآراء الفقهاء وفتاواهم.

ولا بد لي أن أشيد بما رأيت من المؤلف من انكباب على مطالعة الكتب المختصة بهذا الشأن، حيث يشرفنا في غالب الأيام بالمجيء إلى المكتبة التي أنشأناها في مكتبتنا بالقطيف، لتكون مفتوحة للباحثين والقراء، ويظل مستمرًا في المطالعة والكتابة إلى انتهاء دوام المكتبة كل صباح يأتي فيه.

ولخبرته العملية أصبح مرجعًا لدى المشرعين في مجتمعه في تشخيص كثير من الموضوعات التي تتعلق بها الأحكام في مجال الصيد، ومعرفة نوعية الأسماك، مما يجوز أكله وما لا يجوز.

إنني أبارك للأخ الكريم فضيلة الشيخ محمد فندم هذا الإنجاز المبارك، وأرجو أن يأخذ الكتاب موقعه في ساحة العلم والمعرفة، وأن يكون نموذجًا لمقاربة العلماء للموضوعات الخارجية وبحثها على ضوء الخبرة والتجربة.

وأرجو للشيخ المؤلف المزيد من التوفيق في مسيرته العلمية، وفي عطائه المعرفي، وفيما منحه الله تعالى من صفاء النفس وحسن الأخلاق وطيب المعاشرة. آملاً أن لا ينساني من صالح دعواته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

٢٦ صفر ١٤٢٩ هـ

٤ مارس ٢٠٠٨ م

تقديم كتاب «مولد أمل» للأستاذ علي بن أحمد القبعة^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. كنت في حوالي العاشرة من العمر، حينما كان أبي رحمه الله، يأخذني معه في بعض ليالي شهر رمضان المبارك، إلى مسجد الشيخ رضي المحروس في الشويكة، للاستماع للخطيب الملا علي الطويل، أطال الله عمره، وكنت أجد في خطابته نكهة خاصة يمتاز بها عن بقية الخطباء الذين أحضر مجالسهم مع والدي.

كان في غالب كلامه يلتزم العربية الفصحى، ويتقيد بقواعد اللغة نحوًا وصرافًا. وقتها كنت متفاعلاً مع مواد اللغة العربية التي أتلقاها في الصف الرابع والخامس من المرحلة الابتدائية، لكنني أشعر بحالة الانفصال بين ما أتلقاه في المدرسة من مواد اللغة العربية وآدابها، وبين اللغة السائدة في المجتمع، وهي اللغة الدارجة شعبية، التي أصبحت في الغالب أيضًا لغة الخطباء على منابرهم، لأن أكثرهم آنذاك لم يدرس قواعد اللغة، وبعض من درس منهم يفضل استخدام اللغة الدارجة نزولاً إلى مستوى الجمهور. أما خطابة الملا علي الطويل فقد وجدت فيها ما كنت أحبه وأعشقه من فصاحة

(١) علي أحمد القبعة. مولد أمل، القطيف ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

اللغة، وسلامة أداء كلماتها، والحرص على حسن التعبير وتركيب الجمل. والأمر الآخر الذي شدني إلى أبي حسن، كان حسن استقباله وإبدائه الاهتمام والتقدير، فقد كان يمسك بيدي طويلاً حين أضافه، ويفاكهني، ويذكر لي علاقته بجدي لأبي الشيخ رضي الصفار، وجدي لأمي الملا محمد الشيخ عبدالله آل سيف، أحد أساتذته في الخطابة، وكذلك كان يحكي لي عن علاقته مع والدي، وهو أحد تلامذته في الخطابة لمدة من الزمن.

فكنت أنتظر لحظات مصافحة أبي حسن بشوق، وأرغب الذهاب إلى مجلس خطابته كل ليلة.

ثم تعرفت إليه أكثر، وانجذبت إليه أكثر، فصرت أحضر مجلسه بعض الأيام في منزله الصغير المتواضع في القلعة، وكانت جدران الغرفة الصغيرة كلها مغطاة برغوف الكتب، وكانت الجلسة تبدأ في وقت مبكر بعد الظهر، وتستمر إلى المغرب، ويواظب على الحضور فيها عدد من الشباب المهتمين بالثقافة والأدب، وكان الشاي الذي يقدم للزائرين مميزاً، حيث يعتني أبو حسن شخصياً بإعداده بطريقة خاصة، تمنحه مذاقاً خاصاً، وكان أبو حسن يتناول الشاي باستذواق والتذاذ فريد من نوعه.

كان أبو حسن يعرف موقع كل كتاب في مكتبته، مع أنه كفيف البصر، وكان يستثمر حضور الشباب لديه، ليقروا عليه، وفي ذلك المجلس يهيم مادة خطابته، ومما لفت نظري أنه كان يفيد من يقرأ عليه، بتصحيح نطقه بالكلمات، لتلافي مخالفة قواعد النحو والصرف، وعند الاستشكال في أي لفظة، يطلب أبو حسن الرجوع إلى مصدر لغوي لكسان العرب أو مجمع البحرين، أو المغني وأمثالها من كتب اللغة والنحو.

فكان مجلسه مدرسة أدبية ومنتدى اجتماعياً تتداول فيه الأفكار وأخبار المجتمع. وهكذا استمرت علاقتي وتواصلتي مع أبي حسن، ولقيت منه التشجيع والتوجيه حين بدأت ممارسة الخطابة، وحين غادرت البلاد لظروف العمل السياسي، وأقيمت في

سورية لسنوات، كان أبو حسن يطلّ علينا في بعضها أيام الصيف، فيسعدني بزيارته لمنزلي كل مساء مع زوجته الطيبة المرحومة أم حسن، فكانت تلك الزيارات والجلسات منبع سعادة وسرور وفائدة، حيث كنت أقرأ عليه بعض مطبوعاتنا في الخارج التي لا تصله داخل البلاد، فكان يأنس بها يسمع، ويتفاعل، ويثري بعض المواضيع بما لديه من معلومات وشواهد.

ولا زلت أجد في أبي حسن ناصحاً صادقاً وموجهاً مخلصاً، أزوره بعض الأحيان مساءً بعد مجلسه العام، طالباً منه الحديث عن بعض الجوانب من تاريخ المجتمع، فيحدثني عن قصص وحوادث تتعلق بدور بعض العلماء وشخصيات البلد، وبمسار الحالة الدينية والاجتماعية، إنه أحد كنوز الذاكرة الوطنية، وكم أتمنى تسجيل ما تحفل به ذاكرته من أحداث، وما في نفسه من انطباعات.

أسأل الله تعالى له طول العمر وموفور الصحة والسلامة.

كما أني أراه نموذجاً رائعاً وقدوة حسنة في أكثر من جهة وجانب، أستعرض منها ما

يلي:

أولاً: التثقيف الذاتي وعشق المعرفة

لم يمنعه فقد البصر عن طلب العلم، ولا قلة اليد عن اقتناء الكتاب، فللكتاب في نفسه معزة كبيرة، إنه يضع قطعاً من القماش أعلى الكتب في الرفوف حتى لا يصيبها الغبار، ويتناول الكتاب من الرف بعناية، وينزعج ممن يفتح الكتاب أو يضعه أو يتعامل معه بدون عناية.

إنه حريص على الاطلاع على أي كتاب يقع في يده، ويصغي بانتباه شديد لمن يقرأ عليه، ويحاول أن يفصل نفسه عن الأحاديث الأخرى التي تدور بين الحاضرين، حتى لا تؤثر على تركيزه، ويطلب من القارئ أن يعيد قراءة بعض السطور والجمل.

كما أنه يهتم باستماع المحاضرات عبر أجهزة التسجيل والمذياع، ويركز في استماعه، وترى التفاعل باديًا على محيّا تأييدًا أو اعتراضًا، كما وييدي رأيه حول الموضوع المطروح.

وبالنسبة لي شخصيًا، تلقيت منه بعض الاتصالات، ليناقشني في بعض ما قرأ من كتاباتي، أو سمع من خطاباتي عبر المذياع، وهو موضوعي في نقاشه، فقد يقبل وجهة نظرك أو يخالفك الرأي فيها.

ثانيًا: احترام المنبر

المنبر الحسيني في وعي أبي الحسن ليس مجرد مهنة أو حرفة، وليس مجرد مصدر رزق، بل هو مسؤولية ورسالة، لذلك تراه يستعد لخطابته، فلا يقرأ دون تحضير وإعداد، ويحفظ النصوص بإتقان، ويلقيها على المستمع بعناية وذوق، وهو من الخطباء القلائل الذين يتفاعلون مع النصوص الدينية والأدبية التي ينقلونها للجمهور، فهو يعشق النص الذي يختاره ويتذوقه، ويسعى لنقل هذا الإعجاب والتذوق للمستمع، وخاصة حين يقرأ روائع الشعر في مدح النبي ﷺ وآله، في مناسبات ذكريات مواليدهم، إنه يطرب لتلك الصور الأدبية، والمعاني الجميلة، ويريد منك أن تطرب معه، فيعيد المقطع، ويشرح ألفاظه، ويوضح معانيه، ويتفاعل بقسمات وجهه وحركات يده.

وهو يحرص في خطابته على استخدام اللغة العربية الفصحى، ويلتزم قواعد النحو والصرف، ويختار الكلمات الرصينة، والجمل الواضحة البليغة.

من ناحية أخرى، فإنه يرفض كثرة المجالس، فلا يقرأ عددًا من المجالس في المناسبات، إنه يقتصر على مجلسين أو ثلاثة في كل موسم، عدا بعض السنوات القليلة التي تجاوز فيها هذا النهج. ولا احترامه المنبر قرر لنفسه التقاعد قبل سنوات، حيث قلّص التزامه الخطابي، مقتصرًا على مجلس واحد في موسم المحرم، في حسينية البيات، بضغط شديد

من أصحاب المجلس والمستمعين. وقبل ثلاث سنوات اعتذر حتى عن هذا المجلس الوحيد، مبرراً تقاعده بأنه قد كُبر وتعب، واحترامه للمنبر لا يسمح له بأن يقرأ دون أن يجد في نفسه القدرة والحيوية الكافية.

ثالثاً: حب الناس وحسن المعاشرة

إنه في غاية الشعبية والبساطة، يستقبل زائريه بحفاوة واحترام، ويشد على يد مصافحيه، ويسأل من لم يعرفه عن اسمه وعائلته وبلده. ويدعو الناس لزيارته، ويبادل كل أحد الفكاهة والظرافة، ويتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم. وحين عقدت في مجلسي لقاءً أسبوعياً كل ليلة سبت للعلماء والخطباء وطلاب العلوم الدينية، كان الملا علي الطويل من المواظبين على الحضور أسبوعياً لمدة ثمان سنوات، إلا ما ندر.

وفي بعض الأسابيع كان بعض المشايخ يستضيف اللقاء في مجلسه، كالشيخ عبدالمجيد أبو المكارم رحمه الله في سيهات، والشيخ حسن الخويلدي في صفوى، والسيد علي السيد ناصر السلطان في الدمام، فكان أبو حسن يبدي رغبته في الذهاب معنا والحضور في المجلس، تشجيعاً منه لهذه البادرة الطيبة، وتفاعلاً مع أبناء صنفه وطبقته. يرفض الدخول في الصراعات والخلافات، ويبدي الاحترام لكل المراجع والعلماء، واختلافه مع أحد في الرأي لا يدفعه لمقاطعته أو الإساءة إليه، وقد يناقشه في رأيه، لكن بأدب واحترام.

وهذا خلق رفيع وخاصة في الوسط الديني، الذي يعاني من كثرة الخلافات والصراعات، بسبب تعدد الانتماءات المرجعية، واختلاف الآراء والتوجهات، التي تدفع ببعض عناصر هذا الوسط إلى إظهار العداء لمن يخالفه الرأي، وقد تصل إلى حد التجاوز على الحدود والحقوق، بانتهاك حرمان الآخرين، والسعي لإسقاط شخصياتهم، وتشويه

سمعتهم، والدعوة إلى مقاطعتهم، لا لشيء إلا الاختلاف في التوجه والرأي. لقد عافى الله أبا حسن من هذا المرض الأخلاقي الوييل الذي يسخط الرب، ويثقل النفس بالأحقاد، ويسيء إلى العلاقات الاجتماعية.

لهذه الصفات الطيبة وأمثالها، أجد في شخصية الخطيب الملا علي الطويل نموذجاً للاحتذاء، وقدوة للتأسي، لذلك اقترحت على الأخ الكريم الأستاذ علي بن أحمد القبعة حفظه الله، وهو من رواد مجلس أبي حسن، ومن تلامذة مدرسته الأدبية الأخلاقية، أن يكتب سيرته، وتجارب حياته، وسماته الطيبة الكريمة. وفاءً لحقه على المجتمع، وحفظاً لهذه الصفحة من التاريخ الاجتماعي.

فشكراً للأستاذ القبعة على استجابته لهذا الاقتراح، وعلى الجهود التي بذلها لإخراج هذا البحث الجميل، والذي يضاف إلى جهده السابق في نشر ديوان جده الشاعر محمد بن سلطان القطيفي بعنوان (ودائع السلطان)، وفي انتظار المزيد من عطاء المؤلف وإنتاجه في خدمة الثقافة وتاريخ الوطن، حيّاه الله وكثر في أبناء البلاد أمثاله، وجزاه الله خير الجزاء على وفائه وتقديره لرجال العلم والأدب. وحفظ الله أبا حسن بخير وعافية.

والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٠ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ

١٦ أبريل ٢٠٠٨ م

الشيخ سعد نموذج أخلاقي^(١)

تستحق أخلاق فقيدنا الغالي الشيخ سعد أبو السعود (١٣٨٥هـ - ١٤٢٨هـ)، ونحن نعيش الذكرى السنوية لرحيله المؤلم، أن تكون عنواناً لشخصيته، رغم وجود عناوين أخرى في شخصيته الكريمة رحمه الله.

ذلك أن أخلاق الإنسان في تعامله مع الناس في حياته هي التي تشكل الانطباع الأساس عنه في نفوس الآخرين، فمهما امتلك الإنسان في شخصيته من نقاط قوة ومقومات كالحسب والنسب، أو العلم والمعرفة، أو المنصب والجاه، أو المال والثروة، فإن جذب القلوب لن يتحقق بأي من تلك المواصفات كما يتحقق بأخلاق المعاشرة والتعامل.

لقد كان رسول الله ﷺ حائزاً على أرفع درجات الفضائل والمكارم، وفي طليعتها اختيار الله تعالى له بالنبوة والرسالة، واثمناه على آخر كلمة ومقطع من الوحي الإلهي،

(١) كلمة تأبينية للشيخ سعد أبو السعود، الذي توفي بتاريخ ٨ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ يونيو

لكن الصفة الأبرز والوسام الأرفع الذي منحه الله تعالى له هو عنوان الأخلاق في شخصيته العظيمة ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، مع علم الله تعالى بأنه ﷺ على وحي عظيم، وعلى علم عظيم، وعلى جمال عظيم، وعلى نسب عظيم، وعلى عبادة عظيمة، وشجاعة عظيمة... إلى آخر الفضائل التي يقف ﷺ على سنامها الأعلى. وفي مورد آخر، يؤكد القرآن الكريم بلغة واضحة حاسمة، أن كل نقاط القوة والعظمة في شخصية رسول الله ﷺ، لم تكن كفيلة بجذب الناس إليه وكسبهم إلى جانب رسالته لو كانت أخلاقه فظة سيئة، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

كما أننا نجد في النصوص الدينية ما يؤكد على أولوية الأخلاق، وتقديمها على سائر الملكات والصفات.

إن رسول الله ﷺ يعرّف الإسلام بأنه حسن الخلق، حيث ورد عنه ﷺ أنه قال: «الإسلام حسن الخلق». ويلخص وظيفة بعثته ورسالته بما روي عنه ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

كما ورد في أحاديث وروايات كثيرة أن أهم ما يرفع مقام الإنسان في الآخرة هو حسن خلقه، كالحديث المروي عنه ﷺ أنه قال: «ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيام أفضل من حسن الخلق».

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقهم».

من هذا المنطلق يطيب لي عنوانه شخصية الفقيه الغالي بهذا العنوان، لقد كان رحمه الله حسن الأخلاق في تعامله ومعاشرته مع الآخرين، لم يكن يثقل نفسه ولا يلوث قلبه بالأحقاد والأضغان، ولم يكن يسمح للسانه بأن يخوض في أعراض الآخرين أو ينال منهم، ولم يكن يرضى بمغادرة البشاشة لمحيّاه أمام الآخرين.

كان يحتفظ بأرائه وقناعاته ويدافع عنها، وربما خالف هذا وذاك في هذا الرأي أو ذلك الموقف، دون أن يعني ذلك الخصومة أو القطيعة مع الطرف الآخر.

إنه نموذج وقدوة على هذا الصعيد يحتاج إليه وسطنا الديني الذي تشوبه حالات من التشنج على أساس الاختلاف في الرأي أو تضارب المصلحة، وتفصل بين أطرافه حواجز من الحساسيات التي لا داعي لها.

والأدهى والأمر أن يُعطى لحالات الخصام والعداوة وانتهاك حقوق الآخرين المخالفين في الرأي صبغة دينية، وكأننا نتقرب إلى الله تعالى بمعاداة بعضنا بعضاً.

لقد حذر الإمام الصادق عليه السلام من حدوث مثل هذه الحالة بين أتباعه من المؤمنين قائلاً: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات».

رحمك الله يا شيخ سعد، كنت تعي توجيهات أئمتك، وكنت كريماً في أخلاقك، وستكون سعيداً بها في الآخرة إن شاء الله.

بحق إنك نموذج أخلاقي.

حسن موسى الصفار

الخميس ٣ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

٨ مايو ٢٠٠٨ م

تقديم كتاب شاخصة الأبصار لذوي الاختيار^(١)

قد يجد الإنسان نفسه عند اتخاذ قرار أنه في حالة حيرة وتردد، وأنه أمام أكثر من خيار، فهل يقدم على الأمر أو يحجم عنه؟ وهل ينجزه بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى. ورغم أنه لا يكاد يسلم إنسان من الوقوع في حالة الحيرة والتردد عند اتخاذ بعض القرارات، إلا أن مستوى هذه الحالة تختلف من شخص لآخر، من حيث ندرة أو تكرار حصولها، ومن حيث أسلوب التعامل معها. فأكثر الناس تعثرهم حالة التردد حينما يجدون أنفسهم أمام حدث مفاجئ، أو قضية خطيرة ذات أثر بالغ على حياتهم ومصالحهم، وهذا أمر طبيعي. لكن هناك من تلازمه حالة التردد في مختلف الأمور والمواقف، وهذا حال غير طبيعي.

إن للحيرة والتردد في اتخاذ القرار أسباباً، من أهمها ما يلي:
أولاً: قصور إحاطة الإنسان بجوانب موضوع القرار، مما يجعله غير واثق من القدرة

(١) الشيخ أبو القاسم محمد بن الحسن فندم، شاخصة الأبصار لذوي الاختيار، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ (بيروت: دار المحجة البيضاء).

على إنجازها، أو غير مطمئن لسلامة نتائجه، أو لعدم اتضاح أفضل سبل وأساليب تحقيقه.

ثانياً: تزامم الرغبات والمصالح في نفس الإنسان، فهو يرغب في شيء، لكنه يخشى أن تفوته به رغبة أخرى، ويطمح لمكسب معين، لكن ذلك قد يكلفه ثمناً لا يريد دفعه.

إنه يضطر حينئذٍ لتقديم مصلحة على أخرى، ولتحمل بعض الخسائر من أجل بعض المكاسب، مما يوقعه في دوامة الحيرة والتردد.

ثالثاً: ضعف الثقة والعزيمة، فهناك علاقة وثيقة بين حالة التردد عند الإنسان وبين مستوى ثقته بنفسه، ومستوى عزمته وإرادته. فأصحاب الثقة العالية بالنفس، والمتوفرون على قوة العزيمة، تقل عندهم موارد الحيرة والتردد في اتخاذ القرار، بينما يكون ضعفاء العزيمة والثقة بأنفسهم فريسة لتلك الحالة غير السوية من كثرة التردد والاضطراب في اتخاذ القرار.

وللعادة والممارسة أكبر الأثر على هذا الصعيد، حيث يتمكن الإنسان من تعزيز ثقته بنفسه، وتقوية عزمته، حين يعتمد التفكير ويأمرس الحزم، ولا يستجيب لحالة التردد.

العقل وإدارة الحياة

من أوضح الأدلة على وجود الله تعالى وعظمته حاكمية النظام على الكون والحياة، فليس هناك عبث ولا فوضى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].

إن كل ذرة في الكون وجدت له هدف محدد، وغاية مرسومة، وهي تسير وتتحرك ضمن نظام دقيق ومعادلة ثابتة، يقول تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر، الآية: ٤٩]. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٣]. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

[سورة الرعد، الآية: ٨].

وحين سخر الله تعالى الكون لخدمة الإنسان، فإنه تعالى منح الإنسان قدرة يعرف بها ويفهم من خلالها السنن الحاكمة على الكون والحياة، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣١] وتلك القدرة هي العقل العظيم.

فبالعقل يكتشف الإنسان سنن الحياة وأنظمة الكون، ليستطيع الاستفادة من الكائنات والخيرات التي سخرها الله تعالى له، وليتمكن من إدارة حياته وتسيير شؤونه. وبمقدار ما يتجه الإنسان لعقله، ويعمل تفكيره، تتقدم معرفته، وتزداد إمكانيات تأثيره، وتتطور حياته.

لذلك فإن الإنسان مدعو للالتفات إلى هذا الكنز العظيم العقل، والثقة به، واستثمار قدراته الهائلة، والاستضاءة بنوره الكاشف في دروب الحياة.

إن على الإنسان أن يرجع لعقله عند أي مشكلة تواجهه، وللإجابة عن أي سؤال ينتصب أمامه، وحين يريد اتخاذ أي قرار، أو سلوك أي طريق، أو القيام بأي عمل. وأخطر شيء على الإنسان، وأسوأ ما قد يقع فيه، هو إعراضه عن عقله، وغفلته عن الاحتكام إليه، والاهتداء بنوره، وحينئذ يكون فريسة الجهل والخرافة، وأسير الشهوة والهوى.

وبمقدار غفلته عن عقله يفقد من مستوى تميزه الإنساني، حتى ينحط إلى مستوى البهائم. كما يقول الله تعالى في صفة الغافلين عن عقولهم: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٩].

ولأن الإنسان معرض للوقوع في هذا الخطر العظيم، خطر الغفلة عن العقل، فقد بعث الله تعالى الأنبياء والرسل لتحذير الإنسان من الغفلة عن عقله، ولإرشاده لأفضل طرق الاستفادة من العقل، بعيداً عن الحواجز والحجب والمؤثرات المشوشة على التفكير.

لذلك نرى تركيز القرآن الكريم على مسألة العقل والتعقل، وما يرتبط به من مناهج التفكير والعلم والنظر والتدبر، حيث وردت لفظة العقل والتعقل في آيات القرآن الكريم تسعا وأربعين مرة، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ التي وردت ثلاث عشرة مرة. وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ التي وردت سبع مرات.

أما الفكر والتفكير فقد ورد في ثمانية عشر موضعاً من القرآن الكريم، وجاءت لفظة الفقه والتفقه في عشرين مورداً.

أما لفظة العلم والتعلم فقد وردت في مئات الآيات. إضافة إلى الآيات التي تتحدث عن التدبر والتذكر والنظر. كما جاء في السنة الشريفة عدد كبير من الأحاديث والروايات التي تؤكد على مرجعية العقل ومحوريتها في حياة الإنسان، بشكل مطلق.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما يدرك الخير كله بالعقل»^(١).
وعنه ﷺ: «استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا»^(٢).
وعنه ﷺ: «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته، فإن كان خيراً فأَمْضِهِ، وإن كان شراً فانتَه»^(٣).
ويقول الإمام علي عليه السلام: «العقل صلاح كل أمر»^(٤).
وعنه ﷺ: «لا يستعان على الدهر إلا بالعقل»^(٥).
وعنه ﷺ: «ولا يَغْشُ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ»^(٦).
وعنه ﷺ: «بالفكر تنجلي غياهب الأمور».

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه. ج ١، ص ٩٦.

(٣) كنز العمال. ج ٣، ص ٩٩، حديث ٢١٠٥٧، ومثله في الكافي. ج ٨، ص ١٣١، حديث ١٣٠.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٥) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٧.

(٦) بحار الأنوار. ج ١، ص ٩٥.

هذه النصوص الدينية وأمثالها، تؤكد على مرجعية العقل، وأن على الإنسان أن يعود إلى عقله، وأن يُعمل فكره لمواجهة أي مشكل في حياته، فيتخذ قراره بناءً على ما يهديه إليه عقله، ويقوده تفكيره، مع التزام منهجية التفكير السليم.

وما حققه الإنسان من إنجازات علمية وعملية ضخمة في مختلف مجالات الحياة هو أكبر شاهد على عظمة العقل، وقدرته على تجاوز الصعاب ومواجهة التحديات.

إن من أسباب تردد الإنسان في اتخاذ القرار ضعف ثقته بعقله، وعدم اجتهاده في ممارسة التفكير، مما يؤدي إلى ضمور نشاطه الفكري، وقد لا يلتفت الإنسان إلى ضوابط التفكير السليم، فتلتبس عليه الأمور، ويصاب بالحيرة والتردد.

الاستنارة بعقول الآخرين

قد يفكر الإنسان في موضوع تنقصه الإحاطة ببعض جوانبه، وقد تتعارض الانشادات والميول داخل نفسه، وقد يعيش أجواء ضاغطة تدفعه نحو خيار أو آخر، فيجد نفسه عاجزاً عن اتخاذ القرار، وأسيراً لحالة التردد والحيرة.

وهنا عليه أن يلجأ إلى العقل مرة أخرى، عبر الاستنارة بعقول الآخرين ممن يثق بمنهجيتهم السليمة في التفكير، ويطمئن إلى صدقهم وخبرتهم في ذات الموضوع، فيستشيرهم ويستعين بعقولهم، ليشاركوه في التفكير وإعمال النظر، وليتجاوز نقاط الضعف التي سببت له الحيرة والتردد.

ويشير حديث مروي عن رسول الله ﷺ إلى أن استشارة أصحاب الرأي تساعد الإنسان على الوصول إلى حالة الحزم والحسم، وتجاوز الحيرة والتردد، يقول ﷺ: «الحزم أن تستشير ذا الرأي»^(١).

وفي حديث آخر عنه ﷺ: «ما من رجل يشاور أحداً إلا هدي إلى الرشد»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٠٥.

(٢) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ٥٧.

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول»^(١).
وعنه عليه السلام: «إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقتد برأي عاقل يزيل ما أنكرته»^(٢).
وعنه عليه السلام: «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء»^(٣).
ويشير الإمام علي عليه السلام إلى أن من أهم مميزات الاستشارة كون الآخر الذي تستشير به خارج تأثيرات الضغوط التي تسبب للإنسان التردد، يقول عليه السلام: «إنها حُصَّ على المشاورة لأن المشير صرف، ورأي المستشار مشوب بالهوى»^(٤).
وعنه عليه السلام: «من شاور ذوي الألباب دلَّ على الصواب»^(٥).
بالطبع، فإن على الإنسان أن يشاور ذوي الاستقامة وأصحاب الخبرة والتجربة، يقول علي عليه السلام: «شاور في أمورك الذين يخشون الله ترشد»^(٦).
وعنه عليه السلام: «خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم»^(٧).
وعن معلى بن خنيس قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ما يمنع أحدكم إذا ورد عليه ما لا قبل له به أن يستشير رجلاً عاقلاً له دين وورع. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: أما إنه إذا فعل ذلك لم يخذله الله»^(٨).

دور الاستشارة

من أجل أن يتكامل الإنسان، ويستفيد من الطاقات التي أودعها الله تعالى في كيانه،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ٨٦٣٤.

(٢) المصدر نفسه. ٥٧٥٤.

(٣) المصدر نفسه. ٤٩٢٠.

(٤) المصدر نفسه. ٣٩٠٨.

(٥) بحار الأنوار. ج ٧٤، ص ٤٢٠.

(٦) غرر الحكم ودرر الكلم. ٥٧٥٦.

(٧) المصدر نفسه. ٤٩٩٠.

(٨) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ١٠٢.

ومن أجل أن تتبلور إرادته وتنصلق شخصيته، منح الله تعالى حرية التفكير والحركة، فهو يفكر ويقرر، ويعمل ويتحرك، ضمن سنن الكون وأنظمة الحياة، ومن ثم يتحمل مسؤولية قراره وعمله.

ومن لطف الله تعالى بالإنسان، أرشده عبر رسله وأنبيائه إلى المنهج السليم للتفكير، والطريق الصحيح لاتخاذ القرار، والاتجاه الأفضل للحركة والعمل. وذلك بإرشاد الإنسان إلى عقله، وتحذيره من الخضوع لأهوائه وشهوته، أو التأثر بعوامل التشويش والضلال.

فالعقل هو مرجعية الإنسان في إدارة حياته، كما تؤكد نصوص الشرع، ويؤيده واقع التقدم الذي حققه الإنسان في تطوير الحياة عبر العصور.

لكن مشكلة الإنسان تكمن في مدى استفادته من عقله، والتزامه منهجية التفكير السليم، وفي مستوى إرادته لمواجهة مختلف ضغوط الإضلال والانحراف، وعوامل الضعف والخطأ.

وحين يواجه الإنسان قضية تهمّه، وتتعدد أمامه الخيارات، فإنه بحاجة إلى درجة عالية من صفاء النفس، وثبات الفكر، وسلامة النظر، ليتخذ تجاهها القرار الموضوعي الصائب.

وهنا يلجأ الإنسان إلى ربه طالباً منه التوفيق والسداد، مستلهماً منه الطمأنينة والثقة، لكي يهتدي إلى أصوب قرار وأفضل رأي.

هذا الإقبال على الله، والتوجه إليه لتجاوز حالة التردد والخيرة في اتخاذ القرار، ولنيل توفيقه تعالى وتسديده، هو ما يطلق عليه في النصوص الدينية مصطلح الاستخارة.

والاستخارة معناها طلب الخير في الشيء، وهذا هو المعنى اللغوي، خار الشيء على غيره وانتقاه. اللهم خرنلي: أي اختر لي أصلح الأمرين، واجعل الخيرة فيه، وعندما يقال: خار الله لك، أي أعطاك ما هو خير لك.

وقال الراغب الأصفهاني (توفي ٥٠٢ هـ): «استخار الله العبد فخار له، أي طلب منه الخير فأولاه».

وقال ابن إدريس: «الاستخارة في كلام العرب الدعاء». فالمعنى الحقيقي للاستخارة هو الدعاء وطلب الخير من الله تعالى، واستخار الله طلب الخير منه.

والنصوص التي تُرغّب الإنسان في الاستخارة، وتحذر من الإقدام على عمل قبلها، إنها تقصد الاستخارة بهذا المعنى، أي الدعاء وطلب الخير من الله تعالى. وتوجه بعض النصوص إلى التقرب إلى الله تعالى بصلاة ركعتين، وقراءة سور أو آيات من القرآن الكريم، ومناجاة الله تعالى ببعض الأدعية المروية عن النبي ﷺ والأئمة الأطهار (عليهم السلام).

وهناك فهم آخر ونوع آخر من الاستخارة بمعنى المشورة مع الله تعالى، لكي يرشد الإنسان إلى القرار الصائب عبر بعض الطرق والأساليب الكاشفة، كالاستخارة بالقرآن الكريم، أو المسبحة أو الرقاع أو البنادق. وفي بعض أوساط الإيرانيين يستعملون الخيرة بالديوان المنسوب للإمام علي، أو ديوان حافظ الشيرازي.

وبين يدي القارئ الكريم كتاب جمع شتات المواضيع المتعلقة بالاستخارة، بذل فيه مؤلفه الفاضل الجليل المهذب فضيلة الشيخ محمد فندم حفظه الله جهداً كبيراً، حيث اطلع على معظم ما كتب حول موضوع الاستخارة، من القديم والجديد، مضيفاً إلى ذلك بعض قصصه وتجاربه الشخصية، كما اجتهد في الإجابة عن التساؤلات المثارة تجاه الاستخارة وأنواعها وطرق التعامل معها.

ويمكن القول: إن المؤلف الكريم قد اختصر الطريق للباحثين بتقديم مادة ثرية حول موضوع الاستخارة، توفر الجهد على أي باحث بحيث لا يحتاج إلى سائر المصادر.

إنني أقدر لفضيلة الشيخ المؤلف اهتمامه المعرفي، واجتهاده في أن يقدم شيئاً لخدمة

الدين والمجتمع، شكر الله سعيه، وزاده توفيقاً ونشاطاً، وكثر في أوساطنا العلمية الدينية أمثاله.

وحينما قدم لي الشيخ المؤلف كتابه، كنت قد تحدثت في خطاب جماهيري ليلة التاسع من محرم الحرام لهذا العام ١٤٢٩ هـ حول الاستخارة، انتقدت فيه المبالغة عند بعض الناس في الاستخارة بالمصحف الكريم والمسبحة، اعتقاداً منهم أنها تكشف عن رأي الله تعالى في الموضوع الذي يستخرون فيه.

وترتب على هذه المبالغة تجميدهم لعقولهم، فلا يبذلون جهداً في التفكير وإعمال النظر، ولا يتجهون لاستشارة ذوي الرأي والتجربة، وإنما يبادرون للاستخارة في أي قضية وعند أبسط مشكلة.

كما أن البعض يستعمل الاستخارة في غير موضعها، كالطلاب الذين يستخرون قرب الامتحانات على فصول المقررات التي يجب أن يركزوا عليها في المذاكرة والمراجعة. وكبعض الآباء الذين عطّلوا زواج بناتهم حتى فاتهم قطار الزواج، لأنهم يستخرون عندما يأتيهم خاطب كفو.

والسائد في أوساط كثير من المتدينين أن نتيجة الاستخارة بالمصحف أو المسبحة تكشف عن الخير والصواب، لذا على الإنسان أن يلتزم تلك النتيجة. وربما دار في أذهان بعضهم وجوب الالتزام بنتيجة الخيرة، وأن مخالفتها حرام أو سبب للخطر.

صحيح أن هناك روايات واردة عن الاستخارة بالمصحف والمسبحة لكنها ليست بدرجة الصحة والاعتبار.

وإذا كان العمل بها بناءً على قاعدة التسامح في أدلة السنن، وثقة بالتجارب المتناقلة حولها، ولكونها متداولة عند المشرعة، فإن ذلك لا يبرر الإفراط والمبالغة في استعمالها وغض الطرف عن السلبيات المترتبة على ذلك.

وقد أثار حديثي عن الاستخارة نائراً بعض العلماء والخطباء وطلبة العلوم الدينية،

حيث عدّوه تشكيكاً في المعتقدات، وخرجاً على المسلمات، وطعنًا في عمل المشرعة من المراجع والعلماء.

وفاجأني أن أكثرهم لم يكلف نفسه عناء البحث العلمي في الموضوع، وأن قسمًا منهم لا يعلم أن هناك رأيًا آخر في الوسط العلمي يستشكل في الاستخارة بالمصحف والمسبحة وأمثالها، كالمقدس الاردبيلي الذي يحتمل حرمة الاستخارة بمثل هذه الطرق، ويرأها شبيهة بالاستقسام بالأزلام.

وقد أشار السيد اليزدي في العروة الوثقى إلى هذا الرأي بقوله في كتاب الحج في آداب سفر الحج ما نصه: «الاستخارة بمعنى طلب الخير من ربه، ومسألة تقديره له، عند التردد في أصل السفر، أو في طريقه، أو مطلقًا، والأمر بها للسفر وكل أمر خطير أو مورد خطر مستفيض، ولا سيما عند الحيرة والاختلاف في المشورة، وهي الدعاء لأن يكون خيره فيما يستقبل أمره، وهذا النوع من الاستخارة (أي الدعاء) هو الأصل فيها، بل أنكر بعض العلماء ما عداها مما يشتمل على التفلّول والمشاورة بالرقاع والحصى والسبحة والبندقية وغيرها، لضعف غالب أخبارها، وإن كان العمل بها للتسامح في مثلها لا بأس به أيضًا، بخلاف هذا النوع (الاستخارة بالدعاء) لورود أخبار كثيرة بها».

ومؤسف أن يطرح بعضهم أن نقد الاستخارة هو تشكيك في العقيدة، ومخالفة للمسلمات، مع تصريح مراجع بارزين بعدم ثبوت استحبابها. حيث أجاب السيد السيستاني حفظه الله عن سؤال: هل الاستخارة المتبعة عندنا الآن محبذة شرعًا أو واردة؟ بقوله: «يؤتى بها رجاءً عند الحيرة، وعدم ترجح أحد الاحتمالات بعد التأمل والاستشارة»^(١).

كما أجاب الشيخ التبريزي رحمه الله عن سؤال: ما هو الثابت استحبابه من أقسام

(١) السيد علي الحسيني السيستاني، الفقه للمغتربين، مسألة ٥٩٨، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، (البحرين: دار كميل)، ص ٣٤٤.

الاستخارة؟ بقوله: «لم يثبت استحباب الاستخارة، ولكن بها رواية وهي مجربة»^(١).
وأخيراً، فإني أتفق مع العلامة الطباطبائي فيما ذهب إليه من أن وظيفة الاستخارة
حسم حالة التردد عند الإنسان فقط، دون أن يعني ذلك أن نتيجتها كاشفة عن مصلحة
أو خير، تماماً كما هو الحال لو حسم الإنسان تردده عبر تفكيره أو استشارته لأحد.
يقول السيد الطباطبائي في الميزان: «إذ لا شأن لهذا العمل (الاستخارة) إلا تعيين
الفعل أو الترك، من غير إيجاب ولا تحريم، ولا أي حكم تكليفي آخر، ولا كشف عما
وراء حجب الغيب من خير أو شر، إلا أن خير المستخير في أن يعمل أو يترك فيخرج عن
الحيرة والتذبذب.

وأما ما يستقبل الفعل أو الترك من الحوادث فربما كان فيه خير، وربما كان فيه شر،
على حد ما لو فعله أو تركه عن فكر أو استشارة، فهو كالتفكير والاستشارة، طريق لقطع
الحيرة والتردد في مقام العمل، ويترتب على الفعل الموافق له ما كان يترتب عليه لو فعله
عن فكر أو مشورة»^(٢).

وأترك القارئ مع فصول هذا الكتاب ليقراه قراءة واعٍ منفتح الذهن، شاكرًا للمؤلف
الكريم جهده، راجياً له وللقارئ كل خير وتوفيق، والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

١٧ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ

٢٢ مايو ٢٠٠٨ م

(١) أبو القاسم الموسوي الخوئي. صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، ج ١، مسألة ١٥٣٤، الطبعة الثانية
١٤١٦ هـ، (الكويت: مكتبة الفقيه)، ص ٥٥٣.

(٢) محمد حسين الطباطبائي. الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، (بيروت: مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات)، ص ١١٨.

الشيخ الصفار: لا علاقة لي بأي من المواقع الالكترونية^(١)

دأبت بعض المواقع السلفية المتطرفة، على أن تنسب لسماحة الشيخ حسن الصفار كل ما ينشر على بعض المواقع الشيعية المحلية واعتباره مسؤولاً عنها أو مشرفاً عليها، واتخاذ ذلك مبرراً للتحريض ضد سماحته، كما أن بعض المواقع الشيعية المتشددة أخذت تنهج نفس النهج بتحميل سماحة الشيخ الصفار مسؤولية ما لا يعجبها من المقالات المنشورة في المواقع المنافسة لها.

وردًا على هذه التجنيات صرح سماحة الشيخ حسن الصفار بما يلي:

«ليس من عادتي الردّ على مثل هذه الادعاءات، فالمواقع الالكترونية ساحة مفتوحة بلا حدود للأخذ والردّ، والنزاعات الطائفية، والخصومات الفتوية، وتصفية الحسابات الشخصية، لكنني أؤكد هنا من منطلق التوضيح، وليس من موقع ردّ التهمة، أن لا علاقة لي بأي موقع الكتروني غير موقعي المعروف باسمي شخصياً، لا موقع شبكة راصد الإخبارية ولا غيره.

وإذا كان في شبكة راصد الإخبارية محررون وكتّاب ومعلقون من أصدقائي، فإن

(١) نشر بموقع سماحة الشيخ حسن الصفار بتاريخ ٣ شعبان ١٤٢٩ هـ الموافق ٤ أغسطس ٢٠٠٧ م.

فيهم أيضًا من لا معرفة لي به، وليس من حقي ممارسة الوصاية على أحد في أفكاره ونشاطه.

ويجد المتابع على صفحات الشبكة المذكورة كثيرًا من المقالات والتعليقات المخالفة لنهجي الفكري والسياسي الواضح، بل والتي تنال مني وتتهجم عليّ.

إنني ومع تقديري للدور الإيجابي الذي تقوم به راصد وسائر المواقع الإلكترونية، من تكريس حرية التعبير عن الرأي، وتشجيع الحركة الفكرية في المجتمع، وتفعيل التواصل المعلوماتي بين الناس، إلا أنني أرفض توظيف هذه المواقع واستغلالها في الصراعات الطائفية والفئوية واستهداف الأشخاص.

إنني أدين وأرفض كل مقال أو تعليق في شبكة راصد وغيرها، يتجه للتعبيّة الطائفية، أو للتشهير بهذه الفئة أو تلك، أو للنيل من أشخاص وشخصيات ذات مقام ديني كالمراجع والعلماء، أو ذات دور اجتماعي.

إن مناقشة الآراء والأفكار أمر مشروع، لكن التهجم على الأشخاص والتشهير بهم أمر محرّم لا يليق بأي شبكة تحترم نفسها وتحترم مجتمعتها.

كما أن الكتابة للنيل من الآخرين بأسماء مستعارة هو أسلوب جبان رخيص، أمل أن ترفض شبكة راصد وأمثالها نشر أي مقال لا يتحمل كاتبه مسؤوليته باسمه الصريح، لأن مثل هذه المقالات تثير الفتن والحساسيات، وتنشر الكراهية والبغضاء بين فئات المجتمع.

وقد سبق لي أن أصدرت أكثر من تصريح موجه لشبكة راصد الإخبارية وغيرها أعترض فيه على مثل هذا الأسلوب، وهي منشورة على موقعي.

ولا أجد نفسي معنيًا بالردّ على أي مقال أخالفه في هذه الشبكة أو تلك، كما يطالبني بذلك البعض، فأنا لست وصيًا على الآخرين، ولم ينصّبني أحد رقيبًا على هذا الموقع أو ذلك.

حمى الله بلادنا ومجتمعنا من الفتن ومن كل مكروه، وأعانا الله على أنفسنا وأخذ
بأيدينا جميعا إلى ما فيه الخير والصلاح».
والحمد لله رب العالمين.

٣ شعبان ١٤٢٩ هـ

٤ أغسطس ٢٠٠٨ م

كلمة الشيخ الصفار لمشروع تيسير الزواج بالقطيف^(١)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. يوماً بعد آخر ترتفع وتيرة التحديات التي يواجهها مجتمعنا على صعيد الأمن الأخلاقي والاجتماعي، فوسائل الإغواء والإغراء تمثل طوفاناً جارفاً يهدد كل القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية، ومشاكل الحياة المعاصرة تخلق العديد من الأزمات أمام أبناء هذا الجيل، كل ذلك يوفر الأرضية لحدوث بعض ما يواجهه المجتمع من انحرافات سلوكية وممارسات مخلة بالأمن الاجتماعي.

ولا يجدي أمام هذه التحديات إبداء الغضب والرفض، ولا تكرار المواعظ والإرشادات، وإن كان ذلك مطلوباً، لكن الأمر بحاجة إلى رفع مستوى الاهتمام والتصدي الاجتماعي، عبر المؤسسات المهتمة بقضايا الحياة، التي تقدم المعالجات للمشاكل الاجتماعية.

إن الشباب بحاجة إلى مؤسسات تحضنهم لتوفر لهم أجواء الوعي والصلاح، ولتساعدهم على مواجهة المصاعب والأزمات.

(١) ٨ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٨م.

وفي طليعة ما يحتاجه الشباب مساعدة المحتاجين منهم لتكوين حياة أسرية عائلية، توفر لهم الاستقرار النفسي، وتحميهم من انزلاقات الأهواء والشهوات. من هنا تستحق لجنة تيسير الزواج في مدينة القطيف واللجان النظيرة لها في مختلف المناطق تستحق كل إشادة وتقدير، للجهود التي تبذلها على هذا الصعيد. والمأمول من رجال الخير في المجتمع دعمها ورفدها بالعطاء والبذل لتستطيع مواصلة جهودها، وتطوير عملها، خاصة ونحن نجد في سائر مناطق الوطن دعمًا كبيرًا مثل هذه اللجان، حيث تبلغ ميزانية بعضها عشرات الملايين، ونأمل أن لا يكون مجتمعنا في المنطقة أقل اهتمامًا بأبنائه وحماية قيمه وأمنه من المجتمعات الأخرى. مع تسجيل عميق الشكر والتقدير للإخوة الأعضاء العاملين في لجنة تيسير الزواج زاد الله توفيقهم وضاعف ثوابهم وأجرى الخير للناس على أيديهم. والحمد لله رب العالمين.

حسن موسى الصفار

٨ رمضان ١٤٢٩ هـ

إجازة رواية للفاضل الدكتور السيد سلمان هادي آل طعمة^(١)

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام، ومنّ علينا بأن جعلنا من أمة أفضل رسله وخاتم أنبيائه العظام، وهدانا لولاية أهل البيت الطاهرين الكرام، على نبينا محمد وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وبعد:

فإن من مظاهر عناية الأمة بتراثها الديني وبالنصوص الواردة عن النبي الأعظم ﷺ وعن الأئمة الهداة ﷺ اهتمام علماء الإسلام بأسانيد الرواية والنقل، لحفظ ذلك التراث القيم من الضياع والدس والتحريف، ولضمان وصوله إلى الأجيال اللاحقة من أبناء الأمة.

لذلك تعارف العلماء والمحدثون في مختلف القرون، على تحصيل إجازات الرواية عن المشايخ والرواة، لينتظموا في سلكهم، وليتبركوا بالاتصال بهم. وكان من فضل الله تعالى عليّ أن أكرمني بثقة عدد من مراجع الدين وأعلام الأمة،

(١) ١١ ذو القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٩ نوفمبر ٢٠٠٨م

فأجازوني بالرواية عنهم، ما صحت لهم روايته، من الكتب المعتمدة بالأسانيد الشريفة. وحيث قد استجازني فضيلة الأديب العارف الدكتور السيد سلمان نجل السيد هادي آل طعمة حفظه الله، الذي هو من مفاخر هذا الزمان، وممن حباه الله بطهارة النفس وحسن الخلق، وعمق الإخلاص والولاء، وقد أثرى المكتبة العلمية والأدبية بمؤلفاته الرائعة القيمة، زاده الله توفيقاً ونجاحاً، لذلك فقد أجزته أن يروي عني كل ما أجازني مشايخي وأساتذتي العظام روايته، موصياً له بما أوصوني به من التزام التقوى ورعاية الاحتياط، والتفاني في خدمة العلم والدين، راجياً أن لا ينساني من صالح دعواته تحت قبة سيد الشهداء عليه السلام وفي مظان إجابة الدعاء، كما لا أنساه إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

حسن بن موسى بن الشيخ رضي الصفار
القطيف

١١ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ

٩ نوفمبر ٢٠٠٨ م

العلامة العسكري وهم الوحدة الإسلامية^(١)

هناك من يقرأ العلامة السيد مرتضى العسكري (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ) قراءة مذهبية ضيقة، دون أفق الاهتمامات الإسلامية الكبرى، والتطلع لوحدة الأمة. وتستند هذه القراءة السطحية إلى عناوين كتبه، ونوعية المواضيع التي تناولتها بحوثه، وربما اعتبره بعض الشيعة المشككين في جدوى السعي للوحدة والتقريب، أنموذجاً للعالم الشيعي المدافع عن المذهب والطائفة، والذي لا يضيع جهده لاهتاً خلف سراب الوحدة والتقريب.

كما أن بعض السنة المتشددین ينظرون إليه كشخصية خطيرة، خدمت ما يطلقون عليه التبشير المذهبي الشيعي، وأثرت بعمق في مجال اختراق الاوساط السنّية. لذلك يجذّرون أتباعهم من قراءة كتاباته وبحوثه، ويجاربون انتشارها.

لكن من يقرأ العلامة العسكري، في سيرته وأفكاره، قراءة موضوعية شاملة، ومن يقترب إلى شخصيته، ويدرس توجهاته، يرى بوضوح عمق التزامه بقضية وحدة الأمة

(١) الورقة التي قدمها سماحة الشيخ حسن الصفار في مؤتمر تكريم العلامة العسكري الذي أقيم في جامعة طهران بتاريخ ٥ شوال ١٤٢٩هـ الموافق ٥ أكتوبر ٢٠٠٨م.

الإسلامية، وشديد اهتمامه بالتقارب بين أبنائها سنة وشيعة. ويمكننا أن نشير إلى بعض المنطلقات والعوامل التي أسهمت في صنع توجه الواحدوي، واهتمامه بقضية التقارب بين المذاهب الإسلامية. أولاً: ظروف البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها، فهو ولد رحمه الله سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١١م في مدينة سامراء حيث مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، وسكانها من أهل السنة، أقامت فيها بعض العوائل الشيعية، واتخذها المرجع الميرزا محمد حسن الشيرازي رحمه الله صاحب ثورة التباك المشهورة، مقراً لإقامته وحوزته العلمية بضع سنوات.

وكان وضع المدينة يفرض جواً من التعايش المذهبي، الذي قد تتخلله بعض المشاحنات والاحتكاكات القليلة المحدودة، فمقام الإمامين العسكريين عليهما السلام مصدر خير وبركة لأهالي المدينة من أبناء السنة، حيث يقصده الزوار الشيعة من مختلف أنحاء العالم ومناطق العراق طوال العام، مما يشكل لهم مورد دخل اقتصادي، وانفتاح اجتماعي ثقافي. وكان سدنة المقام وقراء الزيارة للزائرين الشيعة هم من أبناء المدينة من أهل السنة.

ومن يتواجد في سامراء من علماء الشيعة كان حريصاً على التواصل مع أهاليها، والإحسان إليهم، واحترام شخصياتهم وزعمائهم، والبر بفقرائهم وضعفائهم. وكان المقيمون الشيعة في سامراء يمارسون شعائرهم المذهبية بحرية تامة، وفي جوٍّ من الانسجام والوثام.

وقد عاش العلامة العسكري في هذه الأجواء قرابة أربعة عقود من حياته. ثم انتقل إلى بغداد عاصمة الدولة العراقية، وعاش ضمن مجتمعها المتنوع دينياً ومذهبياً، مما أتاح له فرصة التواصل مع علماء السنة وزعاماتهم، وخاصة حينما أصبح ممثلاً للمرجعية الدينية الإمام الحكيم رحمه الله في بغداد، وكان جسر اتصال بين المرجعية

وبين القيادات الدينية والسياسية.

هذا التواصل والانفتاح الاجتماعي الذي عاشه السيد العسكري لأكثر من نصف قرن في حياته، كان له الأثر البالغ في صنع مشاعره الوحدوية، وتعميق روح الإخوة الإسلامية في نفسه، وتعزيز منحى التقارب في فكره وثقافته. وقد أشار رحمه الله في مقابلة له مع نشرية علوم الحديث إلى أنه من خلال وجوده في سامراء، وبفعل معايشة الشيعة للسنة فيها، جعلته يرغب في كتابة سيرة للنبي، مستخلصة من الأحاديث الصحيحة من مصادر المدرستين، ليجعلها سبباً وعاملاً لتقوية أواصر الوحدة الإسلامية هناك.

ثانياً: طبيعة الوعي الحركي الرسالي الذي توفر عليه، فهو لم يكن عالم دين تقليدياً، تنحصر اهتماماته في الأدوار المألوفة للعلماء آنذاك، بل كان يحمل وعياً سياسياً حضارياً، أدرك به بؤس واقع الأمة بشكل عام، وواقع الشعب العراقي بشكل خاص، وامتلك إرادة العمل والتحرك من أجل الإصلاح والتغيير، متطلعاً إلى إقامة حكم الإسلام المنقذ، فكان من أوائل العلماء الداعين والعاملين من أجل إقامة الحكومة الإسلامية في العراق، وأسس بمعية علماء آخرين حزب الدعوة الإسلامية لتحقيق هذا الغرض.

إن طبيعة هذا الوعي الحركي الرسالي يرتقي بصاحبه من همّ الطائفة إلى هموم الأمة، ومن قضية المذهب إلى قضايا الإسلام الكبرى، وخاصة لمن انتهل من مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فذلك هو جوهر مذهبهم، وألوية حياتهم، ومحور سيرتهم.

وهذا ما نراه جلياً واضحاً في فكر السيد العسكري وسيرته، فمن أوائل المشاريع العلمية التي فكر فيها، مشروع كان عنوانه «لواء الوحدة الإسلامية»، يقول عنه: «عندما كنت أدرس الفقه الاستدلالي بمسقط رأسي سامراء، بلد العسكري، لاحظت أن الأدلة في بحوثنا الفقهية هي روايات الأحاديث، ولا يستدل بسير الرسول (صلى الله عليه وآله) في استنباط المسائل الفقهية، ودفعني ذلك للقيام بتأليف كتاب في سيرة الرسول

الأكرم ﷺ يستدل بها في استنباط الأحكام إلى جنب روايات الحديث. وفي هذا الصدد عازمت على جمع روايات السيرة من كتب عامة المسلمين، لأن الخلاف وقع بعد عصر الرسول الأكرم ﷺ، ونويت أن أسمي بحوثي (لواء الوحدة الإسلامية)، ثم بدأ لي أن أتوسع في البحث وأكتب عصور الإسلام، كالآتي:

١. الإسلام في مكة (من البعثة إلى الهجرة).
٢. الإسلام في المدينة (من هجرة الرسول ﷺ إليها إلى هجرة الإمام علي ﷺ عنها).
٣. الإسلام في العراق (مدّة حكم الإمام علي ﷺ في الكوفة، وهكذا إلى عصر العباسيين).

وبدأت بالتفتيش، وكان أسلوبني في الرجوع إلى المصادر أخذ الرواية من الأقدم زماناً فالأقدم. وكنت أرى أن الرواية - مثلاً - في مسند الطيالسي (المتوفى: ٢٠٤هـ) أقرب إلى الصحة من الرواية في مسند أحمد (المتوفى: ٢٤١هـ)، والرواية فيهما - إن اختلفت الألفاظ - وما في مسند أحمد، أصح مما في سنن الدارمي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، وكذلك الأمر في غيرها.

ثالثاً: الانفتاح العلمي والثقافي، خلافاً للسائد في الحوزات العلمية، من اقتصار طالب العلم على دراسة علوم اللغة والمنطق والفقه والأصول، وعدم الاهتمام بدراسة التفسير والتاريخ والثقافة العامة. فإن السيد العسكري اهتم باكراً بدراسة معارف الإسلام في مختلف الأبعاد، وهو يذكر في جزء من مذكراته، أنه حينما قصد الحوزة العلمية في قم بين عام ١٣٥٠هـ إلى ١٣٥٣هـ، ورأى أن الدراسة فيها مقتصرة على الفقه والأصول، تحرك لتشكيل درس في التفسير على يد الميرزا خليل كمره أي، في المدرسة الفيضية، ضمن أيام الدراسة الحوزوية، لا في أيام التعطيل، وكان من المشاركين معه في حضور الدرس آية الله السيد محمود الطالقاني، وآية الله الشهيد الصدوقي، والسيد عبد الرضا الصدر، حيث وصل مجموع المشاركين إلى تسعة أو عشرة طلاب، وسط استغراب من بقية الطلبة،

واعترض من إدارة المدرسة أدى فيما بعد إلى توقف الدرس. ومن يقرأ مؤلفات السيد العسكري يرى سعة اطلاعه على كتب الحديث ومصادره الإسلامية عند السنة والشيعة، بل يرى قدرته العلمية النافذة في معرفة رجال الحديث، وسير المحدثين، وكذلك سعة أفقه العلمي في مجال التاريخ، فهو مجتهد صاحب رأي، ومحقق بارع في اقتناص الحقائق، وتسليط الأضواء على الثغرات. كما أنه اهتم بدراسة العهدين (التوراة والانجيل)، واستشهد ببعض الفقرات منها في بحوثه، إضافة إلى مواكبته الثقافية الفكرية، للأبحاث والكتابات المعاصرة، فقد استوعب أدبيات الحركات الإسلامية، كحزب التحرير والإخوان المسلمين، وقرأ مؤلفات المودودي والندوي، وناقش الدكتور علي الوردى والدكتور علي شريعتي في بعض آرائهما وافكارهما.

هذا الانفتاح العلمي الثقافي زوده برؤية موضوعية، وقدرة على تقويم الآراء والأفكار، وإدراك لمواقع الخلاف وأسباب الاختلاف بين مذاهب الأمة وأبنائها، مما دفعه لتبني قضية الوحدة والتقارب، عبر منهجية علمية سليمة تتجاوز الشعارات والمجاملات.

التعريف بالمذهب وردّ الشبهات يخدم الوحدة

حين يدعو القرآن الكريم أبناء المجتمعات البشرية على اختلاف انتماءاتهم إلى التعارف بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣] إنما يهدف إلى توفير أرضية التقارب والتعايش فيما بينهم، لأن جهل كل طرف بالآخر، يتيح المجال لسوء الظنون، وللانطباعات والتصورات المغلوطة. «فالناس أعداء ما جهلوا»، كما يقول الإمام علي عليه السلام.

ويمكن القول بجزم ويقين أن نسبة كبيرة من مشاكل الاختلاف والنزاع بين أتباع

المذاهب الإسلامية، ناشئة من التباعد والقطيعة، وعدم معرفة كل طرف للآخر على حقيقته، وعدم الاطلاع على دلائله ومستنداته في آرائه ومواقفه. وقد أصاب الإمام شرف الدين رحمه الله كبد الحقيقة حينما قال: المسلمون إذا تعارفوا تآلفوا.

فهناك تراث مليء بالألغام والمتفجرات عند السنة والشيعة، وخلفهم تاريخ حافل بالصراع والجدل، وأمامهم عدو خطر يريد إشغالهم بأنفسهم لمنعهم من التوحيد لمواجهته، وفي أوساطهم مغفلون وحمقى يضرون بدينهم وأمتهم، بدعوى الانتصار لمذاهبهم وطوائفهم، كمن يسعى لإغراق السفينة التي يركبها مع آخرين، انتقاماً منهم. في هذه الأجواء الخطيرة الصاخبة تظهر أهمية التعارف بين المذاهب الإسلامية، بأن يعرف كل طرف مذهبه ومسلكه بمنهجية علمية، وطرح موضوعي، ولغة هادئة مؤدبة.

وهذا ما تصدى له العلامة العسكري وبرع فيه، رأى بأن ألغاماً خطيرة زرعت في تراث هذه الأمة، لا تزال تحدث انفجارات متوالية من الخلاف والتمزق، فاتجه لتفكيك تلك الألغام وتعطيل مفعولها، لوضع حدٍّ لأجواء التضليل والتزوير، حتى يرى المسلمون بعضهم بعضاً رؤية صحيحة دون غبار أو تشويش.

وكان من أوائل وأخطر تلك الألغام التي اكتشفها العلامة العسكري بثاقب نظره ونور بصيرته، هي ذلك الاتهام الظالم البشع الذي ألصق بمذهب الشيعة، بنسبة إنشائه وتأسيسه لشخصية قالوا إنها من أصل يهودي، وأطلقوا عليها اسم عبد الله بن سبأ. ولا شك أن هذا الاتهام الخطير يتوجه لنسف أصل المذهب، والتشكيك في شرعيته وأصالته. ولأن بذور هذا الاتهام قد غرست في عمق التاريخ الإسلامي، ومنذ أوائل القرن الثاني للهجرة، على يد وضّاع مفترٍ، هو سيف بن عمر التميمي، في كتابيه «الفتوح والردة» و«الجملة ومسير عائشة وعلي»، ثم أخذ عنه كبار المؤرخين كالطبري، ومنه أخذ

ابن الأثير، ثم ابن عساكر، ثم ابن كثير، وغيرهم. فقد نمت تلك البذرة المسمومة، وأصبح لذلك الاتهام الظالم مستند في مهمات مصادر التاريخ الإسلامي.

ورغم أن علماء الشيعة واجهوا تلك التهمة وفندوها، بالتبروء من ابن سبأ، وإنكار صلة المذهب به، إلا أنهم لم يتوجهوا لاقتلاع تلك البذرة، ونزع ذلك اللغم الخطير من تراث المسلمين.

بل إن في مصادر الشيعة وكتبهم ما استفاد منه المناوئون في الإبقاء على بذرة ذلك الاتهام الخطير، حيث توجد فيها روايات تؤكد وجود عبد الله بن سبأ، ودوره في تأسيس الغلو والتأليه للإمام علي .

وكأن تلك المهمة كانت مدخرة لفارس البحث والتحقيق العلامة العسكري، الذي قادته فطنته لتتبع أصل تلك الفرية ومنبعها، فاكشف ان سيف بن عمر التميمي هو الذي انفرد بالحديث عن عبد الله بن سبأ، ودوره المزعوم، مما دفعه لتسليط الأضواء على حقيقة هذا الراوي وطبيعة توجهاته، ليتضح أنه وضَّاع مفترٍ بشهادة أعلام الحديث من أهل السنة، حيث قال فيه يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ): «ضعيف الحديث فلس خير منه» وقال النسائي (ت ٣٠٣هـ): «ضعيف متروك الحديث ليس بثقة ولا مأمون».

وقال أبو داود (ت ٣١٦هـ): «ليس بشيء كذاب»، وقال الحاكم (ت ٤٠٥هـ): «متروك اتهم بالزندقة».

وبمزيد من البحث والتتبع توفرت للسيد العسكري قناعة راسخة بأن عبد الله بن سبأ شخصية موهومة مختلقة، لا وجود لها في واقع الحياة والتاريخ، وأصدر نتائج بحثه الذي اعتبر إبداعاً في منهجية البحث التاريخي، ودراسة الرواة، بعنوان «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى» سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م. وأثار موجة من الاهتمام وترك أصداءً كبيرة في ساحة البحث الإسلامي.

ثم أتبعه بدراسة قيمة أخرى تثبت أن ابن سبأ لم يكن المولود الوحيد لخيال سيف بن عمر، وإنما هناك أكثر من اسم مئة وخمسين صحابياً لا وجود لهم في واقع الحياة والتاريخ، وطبعت تلك الدراسة تحت عنوان «مائة وخمسون صحابيٍ مختلِقٍ». وتوالت بحوث العلامة العسكري، وفي طليعتها «معالم المدرستين» و«القرآن وروايات المدرستين» و«عقائد الإسلام في القرآن الكريم» لتشكل مشروعاً علمياً هو من أعمق وأكمل مشاريع البحوث حول القضية المذهبية في الأمة.

مواجهة اخطار الفتنة الطائفية

لم تعد الفتنة الطائفية مجرد مخاوف محتملة الوقوع، وليست خطراً محدوداً يمكن تحمّل خسائره وأضراره، ومحاصرته ضمن رقعة معينة. بل أصبحت الطائفية بلاءً محدقاً بكل بلاد المسلمين، وجحيماً مفتوحاً على مختلف المجتمعات الإسلامية.

إن قوى الاستكبار العالمي والصهاينة المعتدين يجدون في هذه الفتنة خير كابح لنهضة الأمة، وتسارع حركة شعوبها نحو الحرية والاستقلال والتقدم. لذلك يوقدون نارها ويؤججون أوارها.

كما أن الإرادات السياسية المشبوهة داخل الأمة تستفيد من الفتنة الطائفية لإطالة عمر أنظمة الاستبداد والجور.

ومع الأسف الشديد، فإن قسماً من علماء الأمة وفئاتها الدينية تصب الزيت على نار هذه الفتنة بدافع الغفلة أو التعصب المذهبي، أو الارتباط المصلحي بمخططات الأعداء.

وإذ نحتفي اليوم بذكرى العلامة العسكري كأحد رواد الحركة الإسلامية ونهضة الأمة، يهمني التأكيد على النقاط التالية:

أولاً: ضرورة نشر الوعي بأخطار الفتنة الطائفية، حتى لا تنخدع جماهير الأمة بأوهام الانتصارات المذهبية، فقد قال الإمام علي (عليه السلام): «ما ظفر من ظفر الإثم به» وقال: «إنه لم يصب أحد بفرقة خيراً»، وقبل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٦].

إننا بحاجة إلى الكثير من الحكمة وضبط الأعصاب، حتى لا نقع في ردات الفعل الغاضبة غير المدروسة على هذا التصريح أو ذاك، وعلى هذه الممارسة أو تلك، فذلك هو ما يريده الاعداء، ويسعى إليه الحمقى والمغفلون والمشبهون في داخل الأمة. إنهم يريدون إيقاع الهزيمة واليأس في نفوس دعاة الوحدة والتقريب، ليتخلوا عن هذا الهدف المقدس، وليترجعوا عن القيام بهذه الوظيفة الشرعية العظيمة.

ثانياً: تكثيف التواصل والتعارف بين أبناء المذاهب، وخاصة العلماء والمثقفين، ومتابعة جهود العلامة العسكري في التعريف بمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وعرض مذهبهم ومنهجهم بطريقة علمية، بعيدة عن الإثارة والتجريح والسب والشتم.

ثالثاً: تعميق وتطوير الدراسات العقدية والتاريخية، لتجديد أبحاثها، والخروج بها من إطار الجدليات القديمة، والبحث بدقة وشجاعة في التراث الإسلامي، لاكتشاف نقاط الضعف، ومواقع التزوير والدس، ومنابع إثارة الفتنة والخلاف في كتب ومصادر جميع المذاهب، بعيداً عن التزكية المطلقة للذات، والدفاع التبريري عن كل ما في التراث. رحم الله العلامة العسكري ورفع مقامه، وحمي الله الأمة من شر الفتن، وكيد الاعداء، وأثاب الجهة المنظمة لهذا المؤتمر خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

متابعات | _____

الشيخ الصفار لا يتبنى صداماً مع الدولة ويؤكد على الإصلاح الاجتماعي والانفتاح المذهبي

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار عدم تبنيه لخيار التصادم مع الدولة، موضحاً أن مشروعه السياسي والاجتماعي يركز على أسس ثلاثة، هي: ترتيب الوضع الداخلي للشريعة، والانفتاح على المحيط السني، والتواصل مع الدولة، وأن جميع مبادراته وخطواته تنطلق من هذه الأسس العامة.

وقد جاء حديثه هذا في الحوار المفتوح الذي عقده في مكتبه بالقطيف حول موسم عاشوراء لهذا العام، وما طرح فيه من أطروحات أثار بعضها جدلاً في المجتمع، وذلك مساء يوم الخميس ليلة الجمعة الموافق لـ ١٥ / ١ / ١٤٢٩ هـ - ٢٤ / ١ / ٢٠٠٨ م.

وقد افتتح الحوار بعرض موجز لأهم فعاليات موسم هذا العام ألقاه الأستاذ حسين الشيخ، تلا ذلك كلمة ألقاها سماحة الشيخ عن أهم الأسس التي ينطلق منها في محاضراته العاشورائية، حيث حددها في ثلاثة محاور، هي: تطوير الخطاب المنبري ليسمعه الجميع على المستوى الوطني والإسلامي، واختيار الموضوعات التي تلامس الواقع الاجتماعي والوطني والإسلامي العام، واعتماد نهج إثارة التفكير بدل التقرير والتلقين.

ليعقب ذلك أسئلة الجمهور، حيث بدأت بالتساؤل حول الإثارة التي ذكرها سباحة الشيخ في موسم عاشوراء حول الخيرة، والأيام الكوامل، فاستشهد الشيخ بما يذكره العلماء حول عدم وجود أحاديث معتبرة حول كيفية الخيرة المتداولة بالقرآن أو السبحة، مشددًا على أن ذلك لا يعني نفي أصل الاستخارة، وهو طلب الخير من الله عبر الصلاة والدعاء، الثابت بالنصوص الشرعية، وإنما الكلام حول نمط الاستخارة المتبع، وحول المبالغة في اللجوء إلى الخيرة.

ثم كانت بعض التساؤلات حول التركيز على تحميل المسؤولية للمجتمع، في معالجة المشاكل الاجتماعية وعدم الإشارة إلى مسؤولية الدولة في كل الأمور، فأجاب بأنه ليس في وارد التصادم مع الدولة، وهذا أمر ينطلق من صميم المشروع الذي يبتني على أسس ثلاثة: ترتيب الوضع الاجتماعي، والانفتاح على المحيط السني، والتواصل مع الدولة، مؤكّدًا أنه ليس وصيًا على أحد في تبني مثل هذه الخيارات، وللجميع الحرية في الاقتناع بها أو رفضها، وأنه في محاضراته العاشورائية عند معالجته للهمم الاجتماعية يحاول استنهاض أبناء المجتمع للقيام بما يستطيعون لتحسين أوضاعهم.

وكانت هناك مداخلة حول ما طرحه سباحة الشيخ في موضوع القلق من الآخر من نقد للخطاب الإسلامي الذي يعتمد التعبئة ضد الغرب، فأجاب الشيخ: بأن التعبئة ضد الحكومات الغربية المناوئة لمصالح الأمة كالإدارة الأمريكية أمر مطلوب، لكن الغرب لا ينحصر في حكوماته فهناك تيارات سياسية معارضة للحكومات، ومؤسسات للمجتمع المدني، وهناك شعوب تتجاوب وتتفاعل مع المطالب العادلة، والمظاهرات التي خرجت ضد الحرب في العراق لم تكن قليلة.

وقد شارك في الحضور جمع من أهالي البحرين، ومن بينهم بعض من أهالي مدينة الدراز، أشاروا إلى قصة أوردتها الشيخ في محاضرة ليلة السابع من المحرم حول ما أصاب الشيخ درويش بسبب مناقشاته للشيخ حسين العصفور، وقالوا إنها قصة غير ثابتة،

وذكرها يجرح مشاعر أهالي الدراز. فأجابهم سماحته بأنه يعتذر عن أي إساءة أو جرح للمشاعر، مشيراً إلى أن ذكر حادثة فردية من قبل أحد من أهالي أي بلدة لا يعني اتهام كل أهلها طوال التاريخ، فحين نتحدث عن غدر أهالي العراق أو الكوفة بالإمام الحسين عليه السلام لا يعني ذلك إدانة أهالي العراق والكوفة المعاصرين.

وكان من بين الحضور سماحة الشيخ محمد صالح القشعمي من علماء وخطباء البحرين، الذي جاء ليقدم شكره إلى سماحة الشيخ على الجهد والعطاء الذي بذله في محاضرات هذا العام، داعياً الجمهور في المنطقة إلى الاستفادة من الطروحات المتقدمة التي يطرحها سماحة الشيخ الصفار في محاضراته العاشورائية، وهي الطروحات التي لقيت ترحيباً ومتابعة لدى شريحة واسعة في العالمين العربي والإسلامي، وعدم التركيز على القضايا غير الجوهرية في هذه المحاضرات.

كما أثنى المهندس عيسى المزعل عضو المجلس البلدي بمحافظة القطيف على محاضرات موسم عاشوراء لهذا العام، وشكر مبادرة الشيخ الصفار بعقد جلسة حوارية حولها، وبخاصة مع الروح المفتحة التي سادت أجواءها. لكنه اقترح أن يعطي الشيخ فرصة أكبر للتعزية والنعي بنفسه وليس الاستعانة بخطيب مساعد.

وكان من المداخلين الدكتور عصام عباس من دمشق، مدير موقع النجمة المحمدية، الذي بعث برسالة أثنى فيها على الخطاب المتقدم الذي ساد معظم محاضرات هذا العام، مذكراً بأنها كانت تعالج ما تعانيه أمتنا العربية والإسلامية اليوم من مشاكل وعقبات، وذلك من خلال استنطاق السيرة الحسينية الكربلائية بما يخدم واقعنا المعاصر. ومما جاء في مداخلته: وقد أسهمت يا سماحة الشيخ بمحاضراتك الثلاث عشرة في توضيح الغاية السامية التي نهض من أجلها الإمام الحسين، فعالجت واقعاً مريراً تمر به شعوب أمتنا العربية الإسلامية، وقد حرص موقع بيت النجمة المحمدية - السيدة زينب عليها السلام على متابعة ونشر هذه المحاضرات جميعها؛ لأنها غاية في الأهمية أن تستمع لها الأمة شعوباً

وحكومات، وكانت هذه المحاضرات فاتحة برنامج موقعنا هذا العام في دمشق الذي نرفع فيه شعار ثقافة أهل البيت في عاصمة الثقافة العربية.

كما شارك الأستاذ خالد النزر كاتب ومؤرخ من الاحساء بمداخلة طالب فيها بمناقشة القضايا الجوهرية التي طرحها سماحة الشيخ الصفار مما يخدم حركة التغيير والإصلاح في المجتمع، ويعزز الانتماء والمشاركة الوطنية والانفتاح الإسلامي، بدل الاهتمام بمناقشة قضايا جانبية.

وقد كانت هناك بعض المشاركات والمدخلات النسائية، لوجود قاعة مخصصة للأخوات، وذلك وسط حضور كبير.

الشيخ الصفار يشارك في تكريم أمين عام مجمع الفقه الإسلامي بجدة^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في حفل تكريم الشيخ محمد الحبيب بن الخوجة أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ومفتي تونس الأسبق في اثنيينية الشيخ عبدالمقصود خوجة بجدة مساء يوم الاثنين ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٨ / ١ / ٢٠٠٨ م.

ألقى الشيخ الصفار كلمته بعد الكلمة الافتتاحية التي ألقاها الشيخ عبدالمقصود خوجة، ثم تحدث الضيف المكرم الشيخ بن الخوجة، كما أجاب عن المداخلات والأسئلة التي أعقبت كلمته.

وقد أشاد الشيخ الصفار في كلمته بمبادرات الاثنيينية لتكريم رجالات العلم والفضل، كما تحدث عن شخصية الشيخ الحبيب بن الخوجة مركزًا على انتمائه للمدرسة المقاصدية، فهو تلميذ للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (توفي ١٩٧٣ م) الفقيه

(١) أقيم الحفل بمدينة جدة في منزل الشيخ عبدالمقصود خوجة بتاريخ ١٩ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٨ يناير ٢٠٠٨ م.

الأصولي المفسر، الذي تولى منصب القضاء والإفتاء في تونس، وجدد طرح (مقاصد الشريعة الإسلامية) بكتابه القيم تحت هذا العنوان، وكذا في تفسيره الرائع (التحرير والتنوير) وكتابه المختلفة.

فالشيخ ابن عاشور هو مجدد المدرسة المقاصدية في هذا العصر بعد الدور التأسيسي الذي قام به الإمام أبو إسحاق الشاطبي (توفي ٧٩٠هـ)، في كتابه المعروف (الموافقات). وتحدث الشيخ الصفار عن أهمية الفكر المقاصدي وضرورة تطويره واعتماده إطاراً لاستنباط الأحكام الشرعية وفهم مسائل الفقه، فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق أهداف ومقاصد تخدم مصلحة الإنسان والحياة.

وحين تغيب تلك المقاصد الأساس عن نظر الفقيه ويتعامل مع الأحكام باجتزاء وابتسار تكون النتيجة فقهاً جامداً قشياً يصطدم وروح الشريعة وأهداف الإسلام العليا.

ودعا الشيخ الصفار إلى إحياء المدرسة المقاصدية في المشرق الإسلامي، فهي قد نمت وتطورت في بلاد المغرب، وكانت الأثر الأهم لحضارة الإسلام في الأندلس الضائعة، التي انحدر منها الإمام الشاطبي وأسرته الشيخ ابن عاشور والزعيم علال الفاسي. وأشار إلى الأثر الواضح للمدرسة المقاصدية على أبحاث الشيخ الحبيب بن الخوجة وآرائه، وعلى مواقفه واهتماماته، فهو من رواد حركة التقريب المعاصرة بين المذاهب الإسلامية، ويرأس الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب في طهران.

من جانب آخر، تحدث الشيخ الصفار عن دور مجمع الفقه الإسلامي الدولي في الساحة الإسلامية، فهو من أنجح منظمات المؤتمر الإسلامي، ويُعدُّ آلية جادة لتوحيد آراء علماء الأمة وتوجيهها للتحديات الكبيرة التي تواجه الأمة في هذا العصر بدل الانشغال بقضايا التاريخ ومسائل التراث الغابر. مشيداً بدور الشيخ ابن الخوجة في تفعيل حركة المجمع والارتقاء به عن التأثيرات السياسية والصراعات المذهبية.

وقد حضر الحفل عدد من قناصل وممثلي الدول الإسلامية في المنظمة، وحشد كبير من العلماء والمثقفين والأكاديميين والإعلاميين. وكان برفقة الشيخ الصفار الدكتور توفيق السيف وسماحة الشيخ حسين الراضي والأستاذ مهدي ياسين الرمضان والسيد محمد الصنّاع والأستاذ ميثم الفردان.

وفي مساء الثلاثاء ٢٠ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٢٩/١/٢٠٠٨م أقام معالي الشيخ عبدالمقصود خوجة مآدبة عشاء على شرف الشيخ الصفار والوفد المرافق حضرها عدد من رجال الأعمال والثقافة والإعلام، منهم:

١. معالي الدكتور رضا عبيد - مدير جامعة الملك عبدالعزيز سابقًا وعضو مجلس الشورى.

٢. الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين - رئيس النادي الأدبي بجدة سابقًا.

٣. الدكتور عبدالعزيز قاسم - صحفي.

٤. الأديب عبدالمحسن حليت - شاعر وصحفي.

٥. محمد سعيد طيب.

٦. الأستاذ جمال خاشقجي - رئيس تحرير صحيفة الوطن السعودية.

٧. الدكتور عبدالله مناع - صحفي.

٨. الشيخ محمد صالح الدحيم - قاضي سابق بمحكمة الليث بمكة المكرمة.

٩. الأستاذ محمد مختار.

١٠. الدكتورة خديجة الصبّان.

١١. الأستاذ مشعل السديري.

١٢. الدكتورة أميرة كشغري.

١٣. الدكتور عاصم حمدان - صحفي.

١٤. الأستاذ عبدالله فراج الشريف.

وكان اللقاء فرصة لتبادل وجهات النظر حول القضايا الوطنية والإسلامية. وقد التقى الشيخ الصفار أثناء زيارته لعدة عددًا من الشخصيات العلمية والاجتماعية، حيث استقبل في مقر إقامته معالي الشيخ عبدالمقصود خوجة، والدكتور محمد علي البار مستشار قسم الطب الإسلامي بمركز الملك فهد للبحوث الطبية، والدكتور الشيخ محمود المظفر أستاذ القانون في جامعة الملك عبدالعزيز، والكاتب الإسلامي السيد عبدالله فراج الشريف، والشيخ محمد صالح الدحيم القاضي في محكمة الليث بمنطقة مكة سابقًا، والدكتور صلاح الدين ادلبي الباحث في مركز خدمة علوم القرآن والسنة النبوية التابع لمؤسسة اقرأ الخيرية، والمستشار عبدالله يوسف رمضاني مدير المركز، والشيخ محمد العطية، والأستاذ عباس بن عبدالعزيز القين، كما قام الشيخ الصفار بزيارة معالي الشيخ صالح كامل والدكتور الشيخ عمر كامل، والسيد إبراهيم الوزير، ومركز التجديد الثقافي.

الصفار: أكبر إساءة للإسلام أن يصبح عنواناً للإرهاب^(١)

«عبد الله الداني - جدة»

قال الشيخ حسن الصفار: إنه ليس هناك إساءة للإسلام أكبر من أن يصبح عنواناً للإرهاب وقتل الأبرياء وتخريب المنشآت. وأضاف في تصريح خاص لـ (الدين والحياة) إن هذه الفتاوى والبيانات والخطابات التي تدعو إلى الإرهاب باسم الجهاد، وتستشهد بنصوص من القرآن والسنة، وفق تفسيرات خاطئة، إنما تقدم أفضل وثيقة لإدانة الإسلام والمسلمين من قبل الجهات المعادية. وارتكاب جرائم الخطف والقتل والتفجيرات تحت شعارات إسلامية، إنما هو أكبر مصداق للصد عن سبيل الله، وتغيير العالم من الإسلام. ولا خدمة للإسلام في الوقت الحاضر أهم من تطهير ساحة الأمة من هذه التوجهات المتطرفة.

وأدان الشيخ حسن الصفار الإرهاب الفكري بكل مظاهره وأشكاله، مؤكداً أن التعاليم الدينية تفتح الأفق أمام الفكر للانطلاق وأن لا يقف عند حدود ثابتة، وآيات القرآن وما جاء في السنة تصدح بذلك بكل جلاء لفتح باب الاجتهاد ولثقة الدين بعقل

(١) جريدة عكاظ العدد ٢٤٢٦ بتاريخ الخميس ٢٩ محرم ١٤٢٩ هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠٠٨ م.

الانسان، وأشار إلى العوائق التي تجعل الانسان لا يستخدم عقله، فمنها ما هو ذاتي ومنها ما هو خارجي. مركزاً حديثه على بعض المظاهر التي يبرز فيها الإرهاب الفكري وتعاني منها مجتمعاتنا الإسلامية.

الشيخ الصفار مؤبنا د. آل إبراهيم^(١) :

العلم لخدمة الوطن الدائرة الأكبر من القبيلة والطائفة والمنطقة

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار على أن العلم هو الذي يحمي الأوطان، وأن أكبر استثمار يصنعه الإنسان الثري هو أن يخرج من أولاده علماء، وأن الاحتفاء بالعلماء يصنع حافزاً اجتماعياً للعلم والمعرفة، كما أكد على أن يكون العلم للعلم، وأن يكون لخدمة الوطن الدائرة الأكبر من القبيلة والطائفة والمنطقة.

جاء ذلك في الكلمة التي شارك بها سماحته في الحفل التأييني المقام بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الدكتور باسم آل إبراهيم رحمه الله وذلك مساء الخميس ١٤ صفر ١٤٢٩هـ الموافق ٢٢ فبراير ٢٠٠٨م في قاعة الملك عبدالله بالقطيف.

وقد افتتح كلمته بقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لكميل بن زياد: «الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ

(١) الدكتور باسم بن أحمد بن علي آل إبراهيم، عضو مجلس الشورى، وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٧٨م وعضو مجلس كلية علوم الأغذية والزراعة، وعضو الهيئة الاستشارية للمجلس الاقتصادي الأعلى منذ عام ١٤٢٢هـ ورأس تحرير مجلة (دراسات اقتصادية).

المَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَ الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينَ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ وَ الْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ الْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ يَا كَمِيلُ هَلَكَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءُ وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ وَ أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ...».

ثم أوضح انطباق هذه الكلمات على مجتمع اليوم قائلاً: لكأن علي بن أبي طالب في هذه المقارنة والمقاربة، بين المال والعلم يتوجه إلى شعوبنا العربية وخاصة الشعوب والأوطان التي تمتلك الثروات المالية الهائلة لكي يقول لها: لا تنخدعي ولا تغتري بالثروة المالية فإنها لا قيمة لها إن لم تنتج عقولاً وعلماً وإنساناً متحضراً يستثمر هذه الثروة.

«الْعِلْمُ حَاكِمٌ وَ الْمَالُ مُحْكُومٌ عَلَيْهِ»، وهذا ما نراه جلياً في عالم اليوم، فأصحاب العلم هم الذين يتحكمون في مصير العالم وفي أوضاعه، هم أصحاب الفعل والتأثير، وأصحاب الثروات منفعلون متأثرون.

و«الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ»، ما قيمة ثروة لا نستطيع أن ندافع عنها عند أقل خطر؟ العلم هو الذي يمكننا من الدفاع عن ثرواتنا.

و«المَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَ الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ»، كلما أنفق الإنسان من علمه، وكلما فعل المجتمع حركته العلمية، ازدادت معرفته عمقاً وإنجازاً.

وأخيراً «وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ»، لو خيرنا بين أن نقدم لشعوب مالا أو علماً ومعرفة فإن المال الذي نقدمه للشعوب الأخرى يزول بزواله، لكننا حينما نقدم لهم العلم والمعرفة فإن أجيالهم سيصبحون في موقع التلمذة على معارفنا وعلومنا، كما نرى الآن الدول المتقدمة تربي الأجيال من أبناء الشعوب الأخرى فتمارس حضورها ونفوذها عن طريق ما تقدم من علم ومعرفة.

وطالب ساحة الشيخ الحاضرین الذي يجتمعون ليؤبنوا ويستحضروا شخصية

عالم من علماء المجتمع، أن يقفوا مع لفظه عالم، فعادة تطلق هذه الكلمة في المجتمعات المتدينة فيتبادر الذهن إلى علماء الشريعة والدين، ولذلك فكل الأحاديث التي تتحدث عن فضل العالم تصرف وكأنها تقدر علماء الشريعة فقط، وهذا مظهر من مظاهر تحلف الأمة، فالإسلام حينما كرم العلم والعلماء ورفع مكانتهم ومقامهم لم يحصر ذلك التكريم في علماء الشريعة، وإنما قدم علماء الحياة، وجعلهم هم الأقرب إلى خشية الله سبحانه وتعالى، تأملوا معي الآيات الكريمة، الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر، الآيتان: ٢٧-٢٨]، أغلب المفسرين يفصلون بين الفقرة الأخيرة وسياق الآية، فحينما يفسرون الفقرات السابقة لها، يتحدثون عن إشارتها لسنن الكون، ومظاهر الطبيعة، لأنها تتحدث عن السماء والماء الذي ينزل منها، والجبال والثمار، وكل ما في الحياة من ثروات، وحينما يأتون لهذه الفقرة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ يقولون المقصود بذلك علماء الدين، وإن كنت كواحد من طلاب العلم الشرعي يفترض أن يفرحني هذا التفسير، إلا أن سياق الآيات ليس بهذا الاتجاه، فهي لم تتحدث عن قواعد الأصول والفقه، ولم تتحدث عن الأحكام الفقهية والعبادية، وإنما تتحدث عن الطبيعة والكون، والبيئة والثروات الطبيعية، نحن نجد في آيات أخرى يستنتج المفسرون من السياق مدلول فقرات الآية ولكنهم هنا لا يستخدمون السياق، فيصرفون هذه الفقرة إلى خارج سياقها، أعتقد أن من تجليات المقصود بالعلماء هنا هم علماء الطبيعة والحياة، وكما ورد عن علي عليه السلام قوله: «العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان»^(١)، بمعنى ما يتعلق بالجانب المعنوي القيمي وما يتعلق بالجانب المادي الطبيعي.

(١) بحار الأنوار. ج ١، ص ٢٢٠.

وتوقف سماحة الشيخ الصفار عند شخصية الراحل داعياً إلى جعل هذا الحفل حافزاً لأبنائنا ولمجتمعنا في الاهتمام بتربية وتنمية العلم والمعرفة في المجتمع، مؤكداً: أنه لا ينقص بلادنا شيء، فعندنا ثروات هائلة، وبلادنا تتبوأ مكانة إستراتيجية في العالم، إن ما نحتاج إليه بعد وضوح الرؤية، ومشروع التنمية الذي يضعه الخبراء، إننا نحتاج إلى العلماء في شتى مجالاتهم ومتنوع تخصصاتهم، بلادنا تحتاج إلى الكفاءة العلمية، فهذا التنافس في المال والثروات بمختلف أشكالها، نحتاج في المقابل أن يتحول قسم منه إلى التنافس على العلم والمعرفة، كما هو الحال في المجتمعات الأخرى، فالأب الذي يفكر في بناء بيت فخم عليه أن يعرف أن الإنجاز الأفضل له في الحياة أن يخرج من أولاده علماء، وعقولاً معرفية، فهو أولى وأحرى وأحیی لذكره من بيت فخم، وهكذا في مختلف المجالات.

ثم تحدث سماحة الشيخ عن نقطتين مهمتين، هما:

أولاً: العلم مسؤولية، فرواياتنا تنهى أن يستأكل العالم بعلمه، أي يوظف العلم لتحصيل المنصب والوظيفة، والثروة فقط، لكن الإنسان الذي يعرف قيمة العلم يدرك أن العلم مسؤولية يطلب من أجل أن ينشر، ومن أجل أن تتابع مسيرة العلم في البشرية والمجتمع، لذلك نحن بحاجة إلى علماء في مختلف التخصصات يوظفون علمهم في خدمة أوطانهم ومجتمعاتهم، المشكل الأكبر عندنا أن الأبناء حينما يدرسون في المدرسة غالباً ما تكون الشهادة والوظيفة هي الهدف، وهذا هو الذي يجعل دراستنا بمنهجها وأساليبها أقرب إلى حالة العقم من إنتاج عقول مفكرة عالمة واعية، ينبغي أن نحفز أجواءنا لمعرفة العلم كقيمة ذاتية يقصد من أجله ولقيمته، وليس من أجل الوثيقة التي أصبحت اليوم تباع وتشرى.

ثانياً: الفقيد الراحل كان يمثل نموذجاً للإنسان الحامل للهمة الوطني العام، وذلك في مقابل بعض الناس الذين يحملون هم أنفسهم، فهو يريد أن يخدم مستقبله، وأن يكون له موقع، وثروة ومكانة، وآخرون يترقون عن ذلك قليلاً فيحملون هم منطقتهم أو

قبيلتهم أو طائفتهم، والفقيد الراحل عكس كل ذلك، فهو من النماذج التي نحتاج لها في أوطاننا، هذه الأوطان التي تعاني من وجود دوائر تتضخم على حساب الدائرة الأساس، وهي دائرة الوطن.

ثم تساءل سباحته: ما قيمة الطائفة أو القبيلة أو المنطقة إذا كان الوطن كله يعاني من الوهن والضعف؟

على الجميع أن يتكاتفوا من أجل عزة الوطن، وتقدمه، حيث إنه لا يمكن حل مشكلة طائفة أو قبيلة أو منطقة إلا من خلال الحلول الوطنية العامة، ومن خلال الإصلاح الوطني العام، قد تكون هناك أوضاع وحالات تريد لنا أن نسير في هذه التوجهات، وتدفع البعض منا حتى يفكر في هموم قبيلته أو طائفته أو منطقته، ولكننا لو تبصرنا وتأملنا في الأوضاع التي تحيط بنا في المناطق المختلفة لرأينا كيف أن هذا التفكير التجزيئي، إلى أين أوصل تلك الأوطان؟، بعضها لم تقم له قائمة، كما رأينا في الصومال، فالصراع القبلي الذي نتج عن بحث أبناء كل قبيلة في حقوقهم وهيمتهم وسيطرتهم، أصبح وضع الصومال كما نرى ونسمع، حيث لم تقم للدولة فيه قائمة، وكذلك ما يحدث في العراق وأفغانستان وغيرها، يجب أن يكون عبرة لنا، يجب أن يكون الهم الوطني العام هو الذي يسكن نفوسنا وقلوبنا أولاً، ومن خلال المعالجة الوطنية العامة معالجة مختلف الهموم المشاكل، لا ينكر أن هناك همومًا ومشاكل ضمن خصوصية معينة لمنطقة أو قبيلة أو طائفة، لكن الوعي لرؤى الدين ومبادئه هو الذي يتجاوز بتفكيره واستهدافه هذه الدوائر الضيقة.

كان الفقيد الراحل نموذجًا لمن يحمل هم الوطن، وكما سمعته في أكثر من لقاء، يقول: بلادنا تواجه تحديات كبيرة، وأن هناك مشكلات كبيرة، ينبغي أن يتعاون أبناء الوطن وكفاءاته في معالجتها، وإيجاد الحلول المناسبة لها، وقد كرس حياته وذنه من أجل هذا الهم الوطني العام، إنه نموذج للإنسان الذي انطلق من مدينة صغيرة، وقد نشأ في بيئة

كان يمكن أن تُوَطر تفكيره باتجاه ما، لكنه تسامى على كل ذلك، وأصبح فكره منشغلاً بالهم الوطني العام، إنه رسالة لنا بأن من يمتلك الكفاءة والإخلاص فسوف يحتل موقعه على المستوى الوطني العام، وهذا ما يجب أن يتحقق ويحصل، حتى تتنافس كل الكفاءات والطاقات، في خدمة الوطن.

وختم ساحة الشيخ حديثه بالدعاء للفقيد وشكر كل من تجشم عناء السفر لحضور هذا الحفل الذي أثبت أبناء الوطن من خلاله صدق مشاعرهم تجاه بعضهم بعضاً، وحرارة علاقتهم ومثانتها.

هذا، وقد شارك في الحفل عضواً مجلس الشورى الدكتور محمد القنيبط والدكتور إحسان بوحليقة، والدكتور محمد الشخص الأستاذ بجامعة الملك سعود بقصيدة، وعضو الهيئة الاستشارية للمجلس الاقتصادي الأعلى الدكتور إبراهيم المديميغ، ونائب رئيس المجلس البلدي بمحافظة القطيف المهندس نبيه آل إبراهيم، والقادم من جدة الوجيه المحامي الأستاذ محمد سعيد الطيب، ورئيس نادي الصفا الأستاذ سمير الناصر وآخرون.

جدير بالذكر أن الدكتور باسم بن أحمد بن علي آل إبراهيم انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ٣/١/١٤٢٩هـ وذلك إثر تعرضه لأزمة قلبية، والفقيد من مواليد مدينة صفوى بالمنطقة الشرقية عام ١٩٥٦م ولديه خمسة أولاد، وقد تم تعيينه عضواً في مجلس الشورى منذ بداية الدورة الرابعة للمجلس التي بدأت بتاريخ ٣/٣/١٤٢٦هـ وهو عضو في لجنة الشؤون الاقتصادية والطاقة في المجلس.

ويذكر أنه (رحمه الله) كان عضواً في هيئة تدريس بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٧٨م وعضو مجلس كلية علوم الأغذية والزراعة، وعضو الهيئة الاستشارية للمجلس الاقتصادي الأعلى منذ عام ١٤٢٢هـ ورأس تحرير مجلة (دراسات اقتصادية) وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات وله أكثر من ثلاثين بحثاً في مجال اقتصاديات الزراعة

والموارد الطبيعية والسياحة البيئية والصناعات الغذائية ورأس الفريق البحثي الذي أنهى دراسة الآثار المتوقعة لانضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية لصالح وزارة الزراعة، كما رأس الفريق البحثي الذي شارف على الانتهاء من دراسة الخطة المستقبلية للزراعة في المملكة لصالح وزارة الزراعة.

الشيخ الصفار يستقبل وفد جمعية المرسم الحسيني^(١)

نشرت جريدة الوسط الصادرة في مملكة البحرين في العدد ٢٠٠١ الخميس ٢٨ فبراير ٢٠٠٨ الموافق ٢١ صفر ١٤٢٩ هـ خبراً بعنوان: (تزامناً مع ذكرى الأربعين المرسم الحسيني ينقل تجربته للمنطقة الشرقية)، أشارت فيه إلى زيارة وفد من جمعية المرسم الحسيني للفنون الإسلامية مساء الثلاثاء لمنطقة القطيف بالمملكة العربية السعودية. وذكرت الصحيفة أن زيارة الوفد المكوّن من ثلاثة أعضاء بمجلس إدارة الجمعية، وخمسة فنّانين، جاءت للمشاركة في الإعلان عن مولد جمعية جديدة إلى جانب ثمانية فنّانين سعوديين، وذلك تزامناً مع ذكرى الأربعين.

كما أشارت الصحيفة إلى زيارة الوفد لساحة الشيخ الصفار في مقر إقامته. وقد رحّب الشيخ الصفار بالوفد، وأشار إلى متابعتة لأخبار ونشاطات المرسم، وأعرب عن أمنيته بزيارة الجمعية في أقرب فرصة للاطلاع المباشر على برامجها، داعياً إلى تطوير العمل وعدم التركيز على جانب المأساة بل التوسع في طرح مفاهيم كربلاء الإنسانية، من عطاء وتسامح وقيم الحب والخير.

(١) جريدة الوسط البحرينية العدد ٢٠٠١، الخميس ٢٨ فبراير ٢٠٠٨م، الموافق ٢١ صفر ١٤٢٩ هـ.

وأشاد الصفار بتاريخ البحرين الثقافي، وريادتها في مجال العلم والأدب والشعر والفقهاء، حيث خرّجت الكثير من الفقهاء والعلماء والأدباء، مسجلاً في الوقت ذاته تراجعاً في هذا المجال، حيث لم يبرز في الآونة الأخيرة غير أسماء قليلة من قبيل: محمد جابر الأنصاري، والشاعر الراحل إبراهيم العريّض.

وفي ختام اللقاء، أهدى الوفد البحريني الشيخ الصفار لوحة من رسم الفنان إسماعيل نوروز.

كما شارك الوفد الزائر بعض أفراد المرسم الحسيني القطيفي يتقدمهم الفنان عبدالعظيم الضامن، وبرفقته الفنانين التشكيليين: عبد الخالق إسماعيل، وعقيل حكروه، وسعيد الجيراني وعبد الله عمران.

الشيخ الصفار: على النخبة الواعية أن تبشر بقيم الحوار في أوساط تياراتها^(١)

عن سؤال: ما جدوى الحوارات الوطنية.. ما لم تخرج من الغرف المغلقة والقاعات
المكيفة.. والباردة.. إلى الهواء الطلق إلى المجتمع وحرارة الواقع؟
الذي طرحته جريدة عكاظ في عددها رقم ٢٠٠٨ الصادر بتاريخ السبت
٢٥ / ١١ / ١٤٢٧ هـ الموافق ١٦ / ديسمبر / ٢٠٠٦.
جاء جواب سماحة الشيخ حسن الصفار:

«لا شك في أن اللقاء الوطني جاء تكريسًا لمسيرة الحوار وتدشينًا لفعاليات مركز
الملك عبدالعزيز للحوار الوطني وأعطى مؤشرًا إيجابيًا لمدى الجدوية والمصداقية في نمو
وتطوير مسيرة الحوار من خلال ما تميز به عن اللقاء الاول».

ويضيف: على النخبة الواعية التي مثلت أطرافها في الحوار الوطني أن تأخذ على
عاتقها مهمة التبشير بالقيم والتوجهات التي تمخضت عن اللقاء والحوار في أوساط

(١) جريدة عكاظ العدد رقم ٢٠٠٨ الصادر بتاريخ السبت ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٧ هـ الموافق ١٦ ديسمبر
٢٠٠٦ م.

تياراتها. ويضيء الصفار مسألة تتعلق بالآراء الأخرى قائلاً: فليس مقبولاً أن يتحدث البعض منا في جلسات الحوار بلغة الوحدة الوطنية وأن يظهر الاحترام للرأي الآخر فإذا ما عاد إلى وسط جمهوره وتياره خضع للأجواء السائدة من تجاهل الآخر والدعوة إلى إلغاء واستخدام لغة التشدد ضد الآخر. إن تياراتنا تعيش آثار ثقافة التعبئة ضد الآخر وعلينا أن نواجهها بنشر ثقافة التسامح.

تلك هي رؤية فكرية عميقة متسامحة من الشيخ حسن الصفار لمفهوم الحوار وكيف ينبغي أن يكون مشدداً على أهمية الابتعاد عن «تجاهل الآخر» القريب والبعيد.

الشيخ الصفار: مواكب العزاء ضمان لاستقامة الشباب^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الجمعة (٢٨ / ٢ / ١٤٢٩ هـ) في موكب الإمام الحسن عليه السلام بالشويكة لإحياء مناسبة وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بكلمة جاء فيها، بعد أن شكر القائمين على الموكب وعزّاهم بمصاب فقد رسول الله:

أيها الشباب، أيها الأحبة الذين اجتمعتم هذا اليوم لتواسوا آل رسول الله بمصابهم الأليم، إنكم تجتمعون اليوم لتواسوا الحسن والحسين.

أيها الأحبة: أنتم تجتمعون اليوم في موكب العزاء في وقتٍ يعيش فيه الحسنان أشد الآلام والحسرات وهما يودعان جدهما رسول الله.

أيها الشباب الأعزة: الذين هفت قلوبكم لرسول الله، وانشدّت مشاعركم وعواطفكم ولم تمنعكم القرون المتراكمة من أن تفيض قلوبكم وجوانحككم بالحب والولاء لرسول الله، أنتم تتألمون لوفاة رسول الله بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة، لكن ما حال الحسينين وهما يعيشان اليوم الألم في أشده وأبلغه وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يحاول تنحيتهما عن جدهما رسول الله وهما يصران على احتضانه ودموعهما تسيل، وبكاؤهما

(١) أُلقيت الكلمة في موكب الإمام الحسين بالشويكة بتاريخ ٢٨ صفر ١٤٢٩ هـ.

شديد، وخلفها أمهما الزهراء التي تعيش اليوم الألم والحسرة وهي ترى رسول الله ﷺ ترى هذا القلب العطوف والحييب، تراه مسجى على فراش الموت أو على المغتسل، وترى المسلمين يشيعونه، لقد اشتد بكاؤها سلام الله عليها عندما عاد المسلمون من تشيع رسول الله ﷺ فسألتهم بكل حسرة: كيف طابت نفوسكم أن تحثوا التراب على رسول الله؟

إنها ساعة الألم الشديد، وأنتم الآن، أيها الشباب الغيارى المؤمنون إذ تجتمعون لتنقلوا للحسين ولفاطمة الزهراء ولعلي أمير المؤمنين ولأهل البيت ﷺ العزاء وتعظمون لهم الأجر، فلا شك أن هذه المواكب، وهذا الزحف منكم من أجل إعلان العزاء لرسول الله ﷺ لا شك أنه دلالة على طيب أصلكم، وحسن تربيتكم، حيث تربيتهم في أحضان الولاء والإيمان، لذلك دفعتم نفوسكم بأن تجتمعوا في هذه المواكب لكي تؤكدوا حبكم لرسول الله، وعزاءكم لأهل بيت رسول الله، فهنيئاً لكم هذه المشاعر الولائية وهذا الجهد الذي تبذلونه لكي تؤكدوا ولاءكم وإيمانكم.

أيها الأحبة: منذ بداية عاشوراء وأنتم هنا في هذا الموكب كما أمثالكم في مواكب أخرى تحيون ذكرى وأمر أهل البيت ﷺ، فأنتم مشمولون بدعاء الإمام الرضا ﷺ حينما قال: رحم الله من أحيا أمرنا.

أيها الشباب الذين حملتم لواء حب أهل البيت والولاء لهم وعزمتهم على إحياء أمرهم وذكرهم، هنيئاً لكم هذه الأجواء الولائية الإيمانية التي تعيشونها.

ثم تحدث سماحة الشيخ عن الإساءات الموجهة في الغرب إلى شخص رسول الله ﷺ، حيث قال سباحته: إن الغرب اليوم يقود حملة سخرية على رسول الله ﷺ، هؤلاء الحاقدون المناوئون للإسلام يسخرون من رسول الله، ويرسمون الكاريكاتيرات التي يستهزئون بها على أهم شخصية عرفها التاريخ البشري، ويكتبون الكتب، ويصنعون الأفلام، ليوجهوا فيها الإهانات لرسول الله ﷺ، لكنكم اليوم في موكبكم وفي اجتماعكم

تقولون للعالم أجمع لن تستطيعوا فصلنا عن رسول الله، ولن تستطيعوا الإقلال من شأن رسول الله، هؤلاء أبناء رسول الله وأحبته والمؤمنون به رغم كل المحاولات يتمسكون بنهجه.

هنيئاً لكم أيها الأحبة هذا الجهد الكبير الذي تبذلونه، إنكم الطليعة التي نعول عليها، ونأمل منها كل خير، رسول الله ﷺ إنما انتصر وتقدم برسالته ودعوته بشباب أمثالكم، مثل علي رضي الله عنه، وعمار بن ياسر، ومصعب بن عمير، وأمثالهم من الذين كانوا في مثل عمركم الآن، وكما ورد عنه ﷺ أنه قال: «عليكم بالشباب فإنهم أرق أفئدة وأسرع إلى كل خير. إن الله بعثني بالحق نبياً فحالفني الشباب وخذلني الشيوخ»، أنتم حلفاء رسول الله، أنتم الذين اعتمدت عليكم الرسالة.

حينما بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة كان في مثل أعماركم، كان عمره ثماني عشرة سنة، وهو الذي مهّد لدولة الإسلام في المدينة المنورة، وهو الذي هيا الأجرء لهجرة رسول الله ﷺ، كان شاباً في مثل أعماركم لكن نفسه كانت مليئة بالإيمان، إرادته كانت صلبة، لم تنجح معه الإغراءات ولا الضغوط المختلفة، وأصرّ على التمسك بنهج رسول الله ﷺ، أنتم كل واحد منكم اليوم يمثل دور مصعب بن عمير، إننا نريد من كل واحد منكم أن يحمل مشعل الإيمان في مجتمعه، في هذا الوطن الذي تكالبت عليه الأعداء والتحديات الداخلية والخارجية، لتصرف أبناءه وشبابه عن نهج الإيمان والتمسك، لكي يقعوا منزلقين في مهاوي الفساد والانحراف، ولكنكم أنتم أيها الشباب الأعداء، أيها المحتشدون في هذا الموكب وأمثاله من المواقب.. أنتم الضمانة لاستقامة هذا الجيل، وعليكم الموعول في محاربة دعوات الفساد، وتيارات الانحلال والانحراف، اجتماعكم في هذا الموكب يوفر لكم أهم ميزة تحتاجونها وهي الأجرء الطيبة، والأقران الصلحاء، إن الخطر الشديد على أي شاب في هذا العصر هو أن يسقط في مهاوي الأقران والشلل الفاسدة المنحرفة التي تقوده إلى الانحراف والفساد، ولكن هذه المواقب هي

التي تحفظ أبناءنا وشبابنا، إذ توفر لهم أجواء الخير والفضيلة والصلاح، وتجمعهم مع قرائهم الصالحاء الذين يدفعونهم إلى خط الهدى والاستقامة وتحمل مسؤولية الرسالة، إننا نأمل من هذا الموكب وأمثاله من المواكب الخير الكثير، ولكن هذا لا يتحقق إلا بتعاون المجتمع معها، وتفاعل الشباب داخل المواكب.

ثم توجه ساحته للشباب ليحثهم على النجاح والعمل:

أيها الشباب: عليكم أن تتفاعلوا مع برامجكم، وأن تكونوا ناجحين في حياتكم، نريد منكم أن تكونوا نماذج صالحة، جادين في دراستكم، ملتزمين بالمواظبة على الصلاة، وحضور المساجد، عاملين من أجل محاربة المنكر، ونشر المعروف، هذه المواكب هي مدارس نستلهم منها القيم الفاضلة.

وختم سماحة الشيخ كلمته بالدعاء لهم: جزاكم الله خير الجزاء، ووفقكم لإنجاز تطلعاتكم، وكأني بهذا المشهد العظيم المبارك وهو يتكرر في يوم القيامة حول رسول الله ﷺ إن شاء الله سنكون في المحشر كما نحن مجتمعون اليوم في هذا الموكب، سنجتمع في ظل رسول الله ﷺ، وستكونون من المحظوظين بشفاعته وشفاعة أهل بيته ﷺ ما دمننا سائرین على خطه ونهجه، أسأل الله لكم دوام التوفيق، وأسأله لكم عظيم الثواب وأرجو أن تعرفوا موقعيتكم عندنا وفي مجتمعكم، أنتم الطليعة التي نفتخر بها، أنتم الجبهة التي نعتز بصمودها في وجه الانحراف والفساد، أنتم الأمل الذي نتوخي منه نشر أجواء الوعي والفضيلة، زادكم الله توفيقاً وزادكم اجتماعاً وزادكم الله تمسكاً بنهج أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم، وأسأل الله لكم ولكل المواكب كل الخير والثواب، ووفقنا الله وإياكم على الالتزام بنهجه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ الصفار: الوجاهة نعمة وشكرها خدمة المجتمع^(١)

عن العلاقات وأهميتها في المجتمع تحدث سماحة الشيخ حسن الصفار في كلمة بعنوان «العلاقات وأهميتها في المجتمع» في حفل تأبين الحاج حجي بن حبيب السلطان رحمه الله (١٣٣٠ - ١٤٢٩ هـ) الذي أقيم في قاعة القلعة طريق الهفوف الجفر، يوم الخميس (٢٠/٢/١٤٢٩ هـ) وحضره حشد كبير من شخصيات المنطقة - الأحساء والقطيف والدمام والخبر -، ولفيف من الأدباء والشعراء والمهتمين بالتراث والثقافة، مستعيناً بسيرة حياة الحاج السلطان رحمه الله، التي امتدت مع كل ألوان المجتمع وأطيافه مدة قرن من الزمن، واعتبره النموذج القدوة الذي يجب أن يحتذى بسيرة حياته، وأسلوبه في التعامل مع مجتمعه.

وقد تحدث سماحته: عن الوجاهة ودورهم في المجتمع مستنيراً بأية كريمة يصف الله سبحانه فيها نبياً من أعظم أنبيائه، وأحد الأنبياء أولي العزم المسيح عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام بأنه وجيه فيقول سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٥] يصفه الله سبحانه بأنه وجيه في الدنيا والآخرة.

(١) أقيم الحفل في قاعة القلعة بالجفر بتاريخ ٢٠ صفر ١٤٢٩ هـ.

نحن نجتمع اليوم لنؤين وجيهاً من الوجهاء الكرام، الذين وظفوا وجاهتهم لخدمة المجتمع، ولتحقيق التواصل بين فئاته وشرائحه.

الوجيه: صفة مشتقة من الوجه، الذي يعني إما المقدم في القوم وأولهم؛ لأن العرب كانوا يطلقون الوجه على أول الشيء من باب الاستعارة، كما قال تعالى يحكي قول اليهود: ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧٢] بمعنى أول النهار، وإنما أطلق على الوجيه صفة الوجاهة اشتقاق من الوجه، باعتباره أفضل أعضاء الإنسان بروزاً، وبه يستقبل الناس، الشخص البارز في المجتمع هو بمثابة الوجه في جسد الإنسان، بمعنى أن هذا المجتمع يستقبل المجتمعات الأخرى من خلال هذا الشخص البارز، وفي كل مجتمع من المجتمعات هناك وجهاء، وشخصيات بارزة، لكن قيم البروز، ومواصفات الوجاهة تختلف من مجتمع إلى آخر، وفي الغالب تتمحور حول صفتين أساسيتين:

الصفة الأولى: امتلاك كفاءة أو قدرة، فالشخص البارز في المجتمع إنما يكون في مقام الوجاهة والبروز لأنه يمتلك كفاءة ما، إما قدرة مالية، أو كفاءة علمية، أو كفاءة إدارية أو ما أشبه.

الصفة الثانية: الاهتمام بالشأن العام، وذلك بأن يبذل من نفسه من أجل المصلحة العامة، من أجل مصلحة الناس الذين يعيشون من حوله.

وتساءل سماحة الشيخ: ماذا يستفيد الناس من شخص لديه كفاءة وقدرة لكنه منطوٍ على نفسه، ويعيش لذاته؟

هذا الإنسان بالتأكيد لا يكون وجيهاً ولا بارزاً في المجتمع، لأن المجتمع لا يستفيد منه شيئاً، لكنه إذا تصدى للشأن العام، ولخدمة المجتمع هنا يصبح في مقام الوجاهة، هنا يكون وجهاً للمجتمع، فالمجتمعات لا تفخر بعدد أفرادها، وإنما تفخر بالشخصيات التي تمتلك الكفاءة، وتتصدى للشأن العام، كلما كان في المجتمع عدد أكبر من المهتمين بشؤونه

يكون أقوى وأفضل، أما المجتمع الذي يهتم أفراده بأنفسهم وذواتهم ومصالحهم لا شك أنه سيصبح مجتمعاً ضعيفاً لا يُنظر إليه باحترام؛ لأن وجود الوجهاء في المجتمع عامل مهم، فهو يرفع معنوياته، ويوثق العلاقة بين أبنائه؛ لأن الوجيه يصبح محوراً يلتفت حوله الناس، ولأن الوجهاء يمثلون جسوراً للعلاقة مع المجتمعات المحيطة، كما أن الوجاهة تحمل الوجيه مسؤولية تجاه مجتمعه، ولذلك ورد في حديث عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ليسأل العبد في جاهه كما يسأل في ماله، فيقول: يا عبدي رزقتك جاهاً فهل أعنت به مظلوماً، أو أغثت به ملهوفاً»^(١)، على الوجهاء في المجتمع أن يعلموا أن الناس عندما يطلبون منهم التصدي لأموالهم وقضاياهم فإن ذلك من واجبهم، ومن مسؤوليتهم، ويعتبر مظهرًا من مظاهر الشكر لله على نعمته، إن الله أنعم عليك وجعلك في مقام الوجاهة والبروز، فأنت مطالب بأن تشكر هذه النعمة، وشكرها يكون بتوظيف الجاه، والمكانة في خدمة المجتمع، سواء على المستوى الداخلي بمساعدة أبناء المجتمع، وحل مشاكلهم، وإصلاح ذات البين، ويتفقد الفقراء والمحتاجين، ويجاوب أن يعالج المشاكل القائمة في المجتمع.

وتساءل ساحة الشيخ: ما قيمة ما عنده من مال؟ والمال يزول، وما قيمة ما عنده من منصب؟ والمنصب يزول، وما قيمة العلم الذي لا ينتفع منه؟ لقد جاء في الدعاء الاستعاذة من هذا العلم «وأعوذ بك من علم لا ينفع»، ما الفائدة من عالم ينغلق على نفسه ولا ينفع الناس؟

وأضاف ساحة الشيخ: إذا لم توظف الكفاءات في مصلحة الناس تصبح سبباً للوم والعتاب والتوبيخ على صاحبها من الناس ومن الله سبحانه وتعالى، إذًا مطلوبٌ من الوجهاء أن يكون لهم دور داخل المجتمع، وأن يكون لهم أيضًا دور خارج المجتمع، وذلك بأن يشكلوا جسورًا بين مجتمعاتهم وبين الآخرين، لأن أسوأ ما يعيشه مجتمع

(١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٤١١.

من المجتمعات هي حالة الانكفاء والانطواء، لا يتداخلون مع الآخرين، ولا يتداخل الآخرون معهم.

إن حالة الانكفاء والانطواء ضارة، وذلك لأنها تتيح الفرصة لرسم صورة مشوهة عن المجتمع، إذا كان الناس لا يعرفون المجتمع ولا يدرون بحقيقة أوضاعه، ووجد مغرضون من صالحهم أن تسوء العلاقات بين شرائح المجتمع يقومون بنقل صور مشوهة عن هذا المجتمع للآخرين، نحن نعيش اليوم تحديات كبيرة فيما يرتبط بالمحافظة على وحدتنا في أوطاننا عرباً ومسلمين، نحن نعرف أن البلاد العربية والإسلامية يوجد بها تنوع قبلي، وعرقي، ومذهبي، وهناك جهود تبذل لكي لا تكون العلاقة بين هذه الشرائح في المجتمع علاقة سلبية إيجابية، وإنما يستطيع الأعداء فعل ذلك إذا وجدوا أرضاً خصبة لذلك، ومن مظاهر هذه الأرضية المناسبة هو الانكفاء والقطيعة.

إذا تقطعت طرق التواصل بين هذه الشريحة وتلك فإن الفرصة تكون مناسبة ومتاحة لتشويه الصورة، ولنقل المعلومات الخاطئة، لذلك فإن رجالات المجتمع ووجهائه يتحملون مسؤولية كبيرة من أجل تحقيق التواصل بين شرائح المجتمع في الوطن الواحد، ومع الجهات المسؤولة، لا بد للوجهاء من أن يقوموا بدور من أجل توضيح الصورة، ومن أجل أن تكون هناك ثقة متبادلة، وتعاون في خدمة المصالح العامة، إننا في وطننا هذا، ولله الحمد، نعم بنعمة الوحدة، كشعب واحد في بلد واحد بعد أن كانت هذه البلاد مجزأة أصبحت كياناً واحداً، وبلداً في ظل دولة واحدة، لكن هذه الوحدة تحتاج إلى حماية، وصيانة لنحافظ عليها، نحن لا نعيش في صحراء خالية من التأثيرات، فهناك عوامل عالمية وإقليمية وداخلية لا تريد لأوطان المسلمين أن تستقر، ولا تريد للوحدة أن تتم، ودونك ما حصل في الصومال، والسودان ويحصل في العراق وأفغانستان ولبنان، إن هذه الأحداث يجب أن تدق جرس الإنذار لكل الشعوب والمجتمعات حتى تتمسك بوحدتها، وتحافظ على تماسكها، وإلا فالأعداء لا يريدون بنا خيراً، وإن عوامل الجهل

والانحراف والفساد، والتعصب المقيت موجودة في كل مجتمع وفي كل بلد، ولا يجب أن نترك الساحة خالية لهم، من هنا فإن الوجيهاء في المجتمع سواء كانوا من علماء الدين أو من رجال المال والأعمال، أو من الكفاءات وذوي المناصب، عليهم تحمل مسؤوليتهم في صنع حالة من التواصل، والانفتاح.

وأبان سماحته أن وجود مشاكل في المجتمعات ينبغي أن يكون دافعاً للانفتاح وليس للانغلاق، وذلك للسيطرة عليها ولكي لا تتفاقم وتزداد، يجب ألا تكون هذه المشاكل مبرراً للقطيعة.

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار عن الفقيه والفائدة التي يجب أن نأخذها من سيرته رحمه الله، قال: لقد سمعت عنه رحمه الله أنه كان يولي العلاقات اهتماماً كبيراً، حيث كان على صلة بالمسؤولين في البلاد، وبالوجيهاء والشخصيات البارزة في مختلف مناطق الوطن، بل كان يُسرُّ أيما سرور عندما يستضيف أحداً، وأتذكر أنني رأيت في مجلس العلامة الأستاذ السيد علي السيد ناصر حفظه الله في الدمام، فكان يصر إصراراً عجبياً على دعوتي لزيارته، ثم أخبرني سماحة السيد وآخرون أن هذا الرجل سعاده في أن يستضيف الآخرين، وأن يتواصل معهم، ولقد سمعت عنه الكثير من الأحاديث الطيبة وبالخصوص على صعيد التواصل ومد جسور العلاقة مع أفراد وشرائح المجتمع.

وختم سماحة الشيخ الصفار حديثه بالطلب من الجميع أن يواصلوا هذا النهج، فالانغلاق والانطواء يضرنا جميعاً، فنحن بحاجة للانفتاح والتواصل، حتى نفوت الفرصة على الجهلاء من داخلنا، والأعداء من الخارج.

كما دعا أبناءه أن يواصلوا هذه المسيرة، وتواصل العلاقة مع جميع الشرائح. وقد شارك في الحفل الدكتور محمد الهرفي والشاعر جاسم الصحيح بالإضافة إلى متحدثين من عائلة الفقيه.

الشيخ الصفار يزور المعرض الحسيني الثالث بالجارودية

بدعوة من الفنانة التشكيلية ليلي مرزوق نصر الله قام سماحة الشيخ حسن الصفار بزيارة المعرض الحسيني الثالث في قرية الجارودية بمحافظة القطيف، وذلك عصر يوم الجمعة ٢٨/٢/١٤٢٩هـ، وقد كان في استقبال سماحة الشيخ الصفار الأستاذ عبداللّٰه شهاب، الذي قام بمرافقة سماحته وتعريفه بمحتويات المعرض المكون من لوحات لرسامات محترفات، ولرسامين (أولاد وبنات) من المراحل الدراسية الابتدائية والمتوسطة، ثم ألقى سماحة الشيخ الصفار حديثاً موجهاً للفنانات المنظمات للمعرض جاء فيه ما يلي:

نحن اليوم نعيش في ذكرى وفاة رسول الله ﷺ، ونحن نعلم أنه نقل المرأة من واقع سيئ كانت تعيشه حيث كانت مهمشة، وكان يُتنكر لإنسانيتها، ولا يكاد يعترف بمكانتها في المجتمع البشري، فنقلها إلى تاريخ ووضع جديد، حيث أخذت فيه مكانتها ودورها من خلال تعاليم وسيرة رسول الله ﷺ.

إننا اليوم نتذكر كيف كانت فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها تحظى من أبيها ﷺ بشيء كبير من الاحترام والتقدير والمحبة، ولأول مرة يشهد الناس ويشاهد

العرب أباً يتعامل مع ابنته بذلك التقدير والاحترام، فقد ورد أنه إذا أقبلت فاطمة عليها السلام يقوم رسول الله ﷺ إجلالاً لها، وفي بعض الروايات قبّل يدها، وفي بعضها قبّل رأسها، وفي روايات أخرى قال ﷺ: فذاك أبوك، أو فداها أبوها، كما أنه ﷺ أعلن أمام جمهور الصحابة: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»، صحيح أن هذه السيرة والأحاديث تكشف عن مكانة فاطمة الزهراء عليها السلام ولكنها أيضاً رسالة موجهة للناس جميعاً بأن يهتموا بالمرأة كإنسانة تحتزن الكفاءات والقدرات والمواهب، وبإمكانها أن تصنع المعاجز في حياة البشر، وذلك بإيمانها وإرادتها ومواقفها، وعندما نعتز بسيرة السيدة الزهراء عليها السلام وكذلك السيدة زينب عليها السلام إنما نريد أن نقول للعالم إن حضارتنا لم تقم على أكتاف الرجال فقط، حضارتنا ورسالتنا قامت على أكتاف النساء إلى جانب الرجال، وكانت المرأة هي أول من آمن بالرسالة والرسول وهي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، فالتاريخ ينقل أنها أول من لقي رسول الله ﷺ بعد نزوله من غار حراء وبادرت دون أي توقف أو تردد إلى الإيمان به، ووقفت إلى جانبه، ولولا وقفها لما قام للدين كيان، وكذلك دور ابنتها فاطمة الزهراء وحفيدتها زينب عليها السلام، لذلك ليس غريباً أن نرى أن بناتنا وأخواتنا في هذا الوقت وهذا العصر ينتزعن أدوارهن، صحيح أن التقاليد والأعراف وكذلك القوانين السائدة في مجتمعنا لا تتيح للمرأة أن تمارس دورها الاجتماعي بمقدار كفاءتها وطاقاتها، لكننا نراهن على وجود نساء وأخوات يدركن ما يختزن من طاقات وقدرات، ويعملن على انتزاع دورهن، هذا كفيل بأن يشق الطريق أمام المرأة لكي تقوم بواجبها ومسؤوليتها في المجتمع.

أنا أشكر الأخت القائمة على هذا المرسوم والأخوات المشاركات معها، وأشكر لهن هذا الجهد، بأن يقمن بهذا الدور ويفتحن هذا المرسوم، وبالتالي ينمّين الطاقات، ويعطين الفرصة لفتياتنا أن يعشن في أجواء صالحة تنمو فيها طاقتهن وكفاءتهن، ويعبرن عن مشاعرهن الولائية والإيمانية.

أخواتي: أشكر لكن هذا الجهد، وأتمنى لكن دوام التوفيق، وأعلن أنني بقدر استطاعتي أقف معكن وأدعم هذا النشاط، فهذا واجبنا ومسؤوليتنا، وأنتن تقفن في نفس الخندق الذي نقف فيه جميعاً من حماية القيم ونشر الفضيلة، ومواجهة الانحراف والفساد. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا وقد حضر الزيارة كل من فضيلة الشيخ صالح الشهاب والخطيب الملا حسن شهاب الذي أثنى في كلمة أعقبت كلمة الشيخ الصفار على مبادرة ساحة الشيخ الصفار وشكره على جهوده وأدواره الفعّالة في خدمة المجتمع وحضوره لتشجيع الفتيات، كما قُدمتْ لوحة تذكارية لساحة الشيخ الصفار من أعمال الفنانة ليلي نصر الله.

الشيخ الصفار يفتح مسجد الإمام القائم في الأوجام

افتتح سماحة الشيخ الصفار مساء يوم الخميس ٥/٣/١٤٢٩ هـ مسجد الإمام القائم عليه السلام المعروف سابقاً باسم (المسجد الشرقي) في قرية الأوجام، الذي أعيد بناءه وتوسعته، حيث تقدم الجموع للصلاة بطلب من إمام جماعة المسجد فضيلة الشيخ شاعر الناصر، ثم ألقى في الحضور كلمة، بدأها بتقديم التهنية للأهالي جميعاً بهذا المسجد، سائلاً الله أن يكون منبر هدى وتقوى ومنار علم.

ثم تحدث سماحته عن عمّار المساجد وكيف وصفهم القرآن الكريم بصفات يحسن التوقف عندها والتأمل فيها، فالقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٨] فالذين يعمرون المساجد يؤمنون بالله وبالقيامة، وذلك لأنهم يعملون لوجه الله وابتغاء الآخرة، ويقىمون الصلاة، وإقامة الصلاة تختلف عن أداء الصلاة، فالإنسان يمكن أن يؤدي صلاته في بيته وحده، لكن القرآن يريد من الإنسان أن يقيم الصلاة بمعنى أن يعمل على إقامتها في الحياة الاجتماعية.

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار عن صفة مهمة في الذي يعمر المسجد، وهي ﴿وَلَمْ

يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴿١﴾ فالذي يتصدى لإعمار المسجد بالهدى يجب أن يكون جريئاً في بيان الحكم الشرعي والآداب الشرعية لا يخاف أحداً، ولا يخشى إلا الله، ولا تأخذه في الحق لومة لائم.

ثم أثنى سماحة الشيخ الصفار على إمام المسجد الشيخ شاعر الناصر ووصفه بالمعروف عند الجميع بسيرته الحسنة وسلوكه القويم، ومستواه العلمي، فأخلاق العالم واتزانه واستقامته تجعله يتحمل المسؤولية دون أن تستخفه الأشياء أو الناس.

ثم بين سماحة الشيخ فضل الصلاة في المسجد مستشهداً بالنصوص كقوله ﷺ: «من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة». وقال ﷺ في حديث: ثلاثة يشكون إلى الله: وذكر منها (ومسجد معطل)، أي إنه مهجور لا يصلى فيه.

وعن الإمام علي ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد إلا أن يكون له عذر أو به علة. فستل من جار المسجد؟ قال: من سمع النداء»^(١).

هكذا تتحدث الأحاديث والروايات عن فضل الحضور في المسجد، وهكذا تصف ثواب الصلاة فيه.

ولفت الشيخ الصفار نظر الحضور إلى أن الصلاة في المسجد ليست مهمة كأهمية الصلاة جماعة، وتساءل: لماذا يزهد الناس في صلاة الجماعة والروايات تحث وتبين فضلها؟

قال الإمام الصادق ﷺ: «الصلاة في جماعة تفضل على كل صلاة الفرد بأربعة وعشرين»^(٢). وفي بعض الروايات بسبع وعشرين.

للأسف الشديد لا يوجد لدينا إقبال ومواظبة على صلاة الجماعة، لماذا؟

(١) مستدرک الوسائل، ج ٣، ص ٣٥٦، حديث ٣٧٦٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٧٥، حديث ١٠٩٠.

كما طالب سباحته أئمة الجماعة بالمحافظة على الحضور في الصلاة في كل الأوقات ومنها صلاة الفجر، ولو لم يحضر أحد فالحجة قائمة على الناس.

وتوجه للناس قائلاً: ربوا أولادكم على ارتياد المساجد والمشاركة في صلاة الجماعة فإن هذه الأجواء والأماكن تحصنهم عن الانحراف وتحميهم من صحبة السوء.

كما اقترح سماحة الشيخ المبادرة إلى إقامة صلاة الجمعة، وطالب بفتح المجال للنساء للحضور للصلاة وللتعلم، كما طالب بإنشاء مكتبة في المسجد، وصندوق للمسجد، تغذيه التبرعات والصدقات بالخصوص صدقة الجمعة، وإقامة دروس دينية يستفيد منها الأبناء والبنات.

في احتفالية ثقافية سعودية خليجية بمنزل الصفار^(١)

احتفى مساء الثلاثاء الماضي الشيخ حسن الصفار بالقطيف بنخبة ثقافية سعودية وخليجية ضمت أطياً مذهبية عديدة تكريماً للوجيه البارز الشيخ عبد المقصود خوجة. ومن مستقبلي المحتفى به المهندس جعفر الشائب رئيس المجلس البلدي بالقطيف. اللقاء الذي جمع نحو ٢٠٠ شخصية دينية و مثقفة من الحجاز والشرقية والبحرين والكويت، حيث كشف أبرز المشاركين فيه عن مشاعر مفعمة بالإخاء والوطنية وأهمية التنوع الفكري والتعددية المذهبية في البلاد.

ووصف الشيخ الصفار اللقاء الذي أداره شخصياً بأنه «يأتي تكريماً لشخصية كبيرة خدمت الثقافة الوطنية بكل تنوعها عبر إثنينه الأسبوعية الشهيرة على مدى ٢٥ عاماً». مضيفاً بأن «التواصل بين أطيا الوطن بتعدديته الفكرية وتنوعه المذهبي يكرس المشتركات ويقطع الطريق على المتصيدين في المياه العكرة». كما تحدث عضو مجلس الشورى محمد رضا نصر الله بكلمة ترحيبية ضمنها قصيدة مؤثرة لفقيد القطيف الراحل عبد الله الجشي. ومن جهة أخرى شارك الشاعر الشاب محمد مهدي الحمادي عبر ثلاث قصائد

(١) جريدة البلاد.

مهدة للضيف والحضور والوطن هز فيها المشاعر وقاطعه خلالها الجمهور بالتصفيق مراراً... تقدمها بكلمة ترحيبية للمحتفى به قائلاً: «رجل بحجم مساحة الوطن الكبير يطوف خرائط المجد المخلد ينقش خطوة أولى على الدرب الطويل».

من جهته قال ضيف اللقاء الأبرز الشيخ عبد المقصود خوجة: «نعيش زمن التقريب بين الثقافات والأديان فضلاً عن المذاهب وعلينا تفهم متغيرات العصر». داعياً إلى استلهام النموذج الأوروبي والتجربة المسيحية في تجاوز زمن النزاعات الدينية والدموية. وذكر في ذات السياق «بأننا نعمل وفق إجماع الأمة.. وقد أجمعت دول العالم الإسلامي في مؤتمر مكة الاستثنائي على الاعتراف بالمذاهب الإسلامية الثمانية». وأضاف: «قبل ذلك نحن مجبورون على اتباع قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مستعيراً المقولة الشهيرة «الدين لله والوطن للجميع». وحرص خوجة على تقديم واجب العزاء في الشاعر الراحل عبد الله الجشي الذي وصفه بـ «القامة الشاخمة والقيمة العليا». العلامة في شعره وأدبه». وبعجاب لافت تنبأ للشاعر الحمادي بأن يصبح «الجشي الثاني».

مداخلات

وفي مداخلته على هامش التكريم شدد الكاتب عبد الله فراج الشريف على مبدأ الأخوة الإسلامية الذي يجمع السنة والشيعه. وتحدث السيد عبد الله فدعق قائلاً: «يبقى أن يحمل كل منا المودة والمحبة للآخر حتى لا نعطي أيًا كان فرصة للوقعة بيننا.. هذا التسامح هو ما يحفظ للوطن أمنه ووحدته». كما أشار المهندس سامي عنقاوي في مداخلته إلى حاجة المجتمع السعودي للإيمان بمبدأي الوحدة والتنوع.. لافتاً إلى أن أوج تألق الحضارة الإسلامية ارتبط بالانفتاح على التنوع فيما ارتبط الانحطاط بزمن الاستبداد والانغلاق. وقال القاضي السابق بالمحكمة الشرعية بمنطقة الليث الشيخ محمد الدحيم: «أعتبر التعدد الفكري والمذهبي في الساحة السعودية مصدرًا للقوة والنشاط على حد

وصفه. مضيفاً «ينبغي أن ندرك متغيرات العصر وتحولاته المتسارعة، وذلك ما يستوجب منا روحاً أخرى تتجاوز الكثير مما كنا عليه أو فرض علينا فرضاً.. ولدينا القدرة وقد أنجزنا الكثير». وضمن مداخلة السيد عبد الله فدعق أكد على أن غايات سياسية بالدرجة الأساس تقف خلف تأجيج الخلاف السني الشيعي وأن هناك من يؤجج هذا الخلاف بتصويره على أنه حرب مذهبية. ووجه العتاب لإخوانه السنة على «تقصيرهم الكبير» في الاطلاع على المذهب الشيعي.

مشيراً إلى أن «التشيع مذهب فقهي وأن الشيعة مسلمون.. هكذا علمنا أساتذتنا وعلمائنا بجوار البيت الحرام». وأردف يقول: نجتمع مع الشيعة على أساسيات الدين ونختلف في بعض الجزئيات، نؤمن بالتعددية والتنوع. الجفاء والقطيعة أضرا بنا جميعاً. وقد شهدت الأمسية حضوراً حاشداً، وقال عضو مجلس الشورى الدكتور عبد الله صادق دحلان: «لا ولن نقبل بأي تفرقة في هذا الوطن وأي تجاوز من أي كان فلا يمثل إلا نفسه». وأبدى دحلان فخره بأداء أبناء الشيعة في مختلف الميادين في «الشورى» وفي أرامكو ومختلف قطاعات العمل. مضيفاً بأن «تاريخ القطيف والمنطقة لن يمحي مهما قيل من قبل الحاقدين». ودعا للانفتاح على أطراف الوطن بالقول «دعنا نضع أيدينا بأيدي بعض، لن نقبل التجزئة ولا الاختراق، لا تقبعوا في أماكنكم». من جهته طالب العميد السابق بكلية الطب في أبها الدكتور زهير السباعي باحترام حالة الاختلاف مطالباً بضرورة الاستفادة من الاختلافات الفقهية لمزيد من القوة بوجه الأعداء. فيما شارك عميد كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الدكتور جميل مغربي بمداخلة متميزة أضفت على اللقاء جواً من الطرافة وأثارت ضحك وتصفيق الحضور. وضمن مغربي مداخلة مواقف ضاحكة عكست جانباً من التسامح في العلاقة السنية الشيعية. وأكد الوزير الكويتي السابق الدكتور عبد الهادي الصالح الذي أشار في مداخلة إلى تطلع أبناء الخليج لتجربة التقارب التي يقودها رموز الشيعة والسنة في السعودية. مشيراً إلى

أن نجاح هذه التجربة هو بالتأكيد نجاح لنا جميعاً لما لها من انعكاس على كامل دول المنطقة.

هذا وألقى الكاتب المعروف خليل الفزيع كلمة مكتوبة أشاد فيها باللقاء وأشار إلى أهمية الوقوف بوجه التيارات المتطرفة التي أضرت بالوطن على حدّ تعبيره. الحمادي ألهب الحضور بقصائده المميزة. الوجيه القطيفي البارز من قرية عنك سطاتم الخالدي من جهته أشاد بتجربة التعايش السلمي الذي مضى عليه أبناء السنة والشيعه في محافظة القطيف منذ مئات السنين. وأضاف «طوال تاريخ المنطقة لم نشعر بأي نوع من الفروق المذهبية التي تتحدثون عنها». ولاطف السادة المتحدثين بلهجة دارجة «كبرتوها شوي يا جماعة». وفي مداخلة مقتضبة للدكتور توفيق السيف طالب خلالها بترجمة الآراء والأقوال التي وصفها بـ «الرومانسية» إلى أفعال تلامس هموم الناس الحقيقية من قبيل التمييز المذهبي وتفاوت معدلات التنمية والمستوى المعيشي. وكان مسك الختام تواشيع نبوية ألقاها على مسامع الحضور المنشد الشاب علي الشايب أعقبها مأدبة عشاء على شرف الضيف والوفد الحجازي الزائر.

اللقاء الذي شكل مناسبة وطنية بامتياز «التقى فيها الماء بالماء» في إشارة للبحر الأحمر والخليج وفقاً للدكتور مغربي حضره نخبة واسعة من المهتمين بالشأن العام من أنحاء المملكة والخليج. ومن الشخصيات المشاركة قاضي المحكمة الجعفرية بالأحساء الشيخ حسن بوخسين على رأس وفد أحسائي، وقاضي التدقيق بالمحكمة الجعفرية بالقطيف الشيخ علي المحسن، وأعضاء من المجلس البلدي بالقطيف، وأعضاء بغرفة التجارة بالمنطقة الشرقية. كما شارك في اللقاء مدير تعليم المنطقة الشرقية الدكتور عبد الرحمن المديرس. ومن البحرين شارك وفد علمائي رأسه الشيخ البارز أحمد العصفور، فيما كان الوزير الكويتي السابق عبد الهادي الصالح والوجيه كاظم عبد الحسين على رأس وفد كويتي.

الصفار في تكريم خوجة: التواصل يقطع الطريق أمام المتصيدين في الماء العكر^(١)

«سعيد الباحص»

كرّم الشيخ حسن الصفار عبر احتفالية جمعت لفيماً من أبرز المثقفين والمفكرين من داخل المملكة وخارجها الشيخ عبدالمقصود خوجة عضو مؤسسة الفكر العربي وصاحب أشهر منتدى ثقافي بالمملكة. بدأ التكريم بكلمة للشيخ حسن الصفار أكد فيها أن هذا التكريم جاء لشخصية وطنية كبيرة خدمت الفكر والثقافة بكل تنوعاتها عبر إثنينته على مدى ٢٥ عاماً مشيراً إلى أن التواصل بين أطراف الوطن وتعدداته الفكرية وتنوعاته يكرس مبدأ المشتركات ويقطع الطريق أمام المتصيدين في المياه العكرة، وأضاف: «إننا بحاجة لرؤية تتجاوز الماضي وتأخذ بنا للمستقبل». بدوره أكد الشيخ عبد المقصود خوجة في كلمته «أننا نعيش زمن التقارب بين الثقافات والاديان وعلينا تفهم متغيرات العصر» داعياً إلى استلهام النموذج الأوروبي في تجاوز النزاعات الدينية والدموية.

(١) جريدة عكاظ. العدد ٢٤٦٢ الصادر بتاريخ ٦ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ١٤ مارس ٢٠٠٨م.

الصفار يحمل أصحاب الإرهاب الفكري مسؤولية عدم التقارب داخل الأمة^(١)

«منير النمر»

دعا الشيخ حسن الصفار إلى ضرورة وأد «الإرهاب الفكري» الذي يجرد العقل المسلم سمة الانفتاح على الآخر، معتبراً أن الانفتاح وظيفية شرعية تنبع من الذات المسلمة.

وأشار في ندوة أقيمت مساء أمس الأول إلى وجوب محاسبة الذين يقفون ضد تحقق وحدة المسلمين أو ضد الفكر المنفتح.

وتطرق الصفار في الندوة التي حضرها مثقفون من محافظة القطيف وخارجها في «منتدى العوامية» إلى ثلاثة محاور وصفها بـ «الأساسية»، منها أن الانفتاح هو الأصل في النفس البشرية، وأن العقل يدعو إلى تجسيد هذه العناوين لأنها تبني النفس على الصلاح كما يستفيد منها الوطن والعقيدة، متطرقاً إلى أن المناخ الهادئ الذي تسوده أجواء الانفتاح بقوله: «يمكن للإنسان أن يقدم ما يعتقد به في الأجواء الهادئة التي تبتعد عن التشنجات،

(١) جريدة الرياض. العدد ١٤٥٣١ الصادر بتاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٦ أبريل ٢٠٠٨ م.

فالبينة التي تعيش في سلام ووثام تنتج التنوع والتعايش، وهو عكس الخصام والقطيعة التي تعزز الانقسام والحقْد.

وعلى رغم قصر محاضرة الصفار الذي فضل فتح المجال للمداخلات، إلا أنه حمل أصحاب «الإرهاب الفكري» مسؤولية عدم التقارب داخل الأمة الإسلامية التي تعيش ظروفاً صعبة، وقال: «إن عرفنا أن أمتنا الإسلامية تعيش مخاطر تحدق بها كالانقسامات الطائفية وإثارة الفتن والقتل ندرك أن الوحدة ضرورة للجميع».

وأضاف «إن التطرف مرفوض، إذ لا يصح أن يمارس الإرهاب الفكري» معتبراً أن هذا خروج عن حدود القيم التي أمر بها الدين، وعرف ما يقصده بالإرهاب الفكري، وهو التشكيك في دين ومذهب الآخر. إلى ذلك احتفل حضور المنتدى بإصدارات شهدتها الساحة الثقافية أخيراً، منها الجزء الأول من كتاب «الرياض» للباحث الأكاديمي أسعد النمر الذي حمل عنوان «العقل والجسد»، إذ اعتبر الحضور أن طباعة الصحيفة له تنم عن وعي كبير في اختيار الكتب التي تطبع على نفقتها منتظرين جزءه الثاني الذي سيصدر قريباً عن الصحيفة، كما استعرضوا «وجه المرآة» وهو شعر للشاعر سعود الفرج، ورواية «الهارب» التي طبعتها دار الانتشار العربي في بيروت، إضافة لذلك تكريم الناشط الاجتماعي جعفر الثويمر.

الشيخ الصفار يناقش الممانعة للنقد الذاتي على الصعيد الثقافي والاجتماعي^(١)

استضاف المنتدى الشهري الثقافي الذي يعقد في منزل المهندس حسن مرزوق النخلي بالرياض سماحة الشيخ حسن الصفار وذلك مساء الثلاثاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ٦ ابريل ٢٠٠٨، متحدثاً حول «النقد الذاتي بين الفرد والمجتمع» وأدار الندوة المهندس حسن مرزوق، وحضر الندوة نخبة متنوعة من مثقفين وإعلاميين وأكاديميين. من بينهم الدكتور عثمان بن عبد العزيز المنيع عضو مجلس هيئة حقوق الإنسان، والدكتور عبد الخالق عبد الحي عضو مجلس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان، والدكتور علي المستنير والأديب حسين علي حسين، والأستاذ محمد بن صالح الصالح، والدكتور السيد علي الحاجي الأستاذ في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض، الدكتور حسن مطير (استشاري جراح)، الدكتور رزق الله عسيري استشاري أطفال في المستشفى العسكري بالرياض، الدكتور سهل الهاجوج طبيب في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، الدكتور علي الشيخ محمد علي العمري طبيب في مستشفى الحرس

(١) موقع الشيخ الصفار www.saffar.org

الوطني بالرياض.

بدأ الشيخ الصفار حديثه منطلقاً من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ

حَسَنًا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨].

بعد ذلك أعطى سماحة الشيخ حسن الصفار لمحة مختصرة عن معنى الآية وقال إن كل إنسان معرض أن يصدر منه الخطأ وذلك إما بسبب الجهل، أو بسبب الغفلة، أو بسبب دوافع الأهواء والشهوات، وهذا أمر طبيعي، لكن غير الطبيعي أن ينظر الإنسان إلى عمله السيئ على أنه حسن، فقد يكون العمل حينها ينظر إليه الإنسان بموضوعية وتجرد واضح السوء، لكن هناك ظروفاً وأسباباً تجعل الإنسان ينظر نظرة غير موضوعية فلا يرى السوء في عمله، بل يرى أن ذلك العمل حسن.

وأشار سماحته في حديثه إلى أن هذه الآية تنطبق انطباقاً كبيراً على مايمكن تسميته

بالممانعة من النقد الذاتي.

بعد ذلك تحدث المحاضر عن المجتمعات المتقدمة وآلية النقد عندهم، وقال في معرض الحديث عنهم بأنهم يراجعون أفكارهم وممارساتهم على مختلف الصعد، وذكر أن هناك على المستوى السياسي مؤسسات في تلك المجتمعات عملها قائم على المراجعة والمناقشة والمراقبة، وذكر مثلاً لذلك البرلمانات، والقضاء المستقل، والإعلام الحر، وقال إن كل ذلك من أجل أن تتاح الفرصة لتسليط الأضواء على الخطأ ولتصحيح الخطأ.

وأضاف الشيخ الصفار: في كل المؤسسات الآن في العالم سواء الاقتصادية أو الشركات أو الجامعات ورش عمل ومؤتمرات ومنهجية للمحاسبة وللمراجعة، حتى تحولت في بعض المجتمعات إلى عادة دارجة، حيث أغلب المؤسسات تضع صندوقاً للمقترحات والشكاوي وللملاحظات، وفي المجتمعات المتقدمة أصبحت مسألة المراجعة والنقد مسألة طبيعية، لكن في المجتمعات التي لا تسير في طريق التقدم فإن هناك ممانعة للنقد.

وحول نظرة المسلمين للنقد قال: إننا كمسلمين نتلو آيات في القرآن الكريم مفادها التربية على النقد كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٥٣]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [سورة النجم، الآية: ٣٢]، وآيات كثيرة في القرآن، وكذلك أصل عملية الاستغفار من الذنب وكأن الله يريد من الإنسان المسلم أن يجعل نفسه دائماً أمام المرآة لإمكان وجود خطأ أو ذنب عنده. والاستغفار ليست مجرد لفظة يقولها الإنسان، وإنما هي قناعة في داخل الإنسان، مفادها أن حياته وتصرفاته معرضة للخطأ، وأن عليه استدراك ذلك الخطأ.

ومع وجود مثل هذه المفاهيم في الإسلام، إلا أن الإنسان المسلم الذي يؤمن نظرياً بأنه معرض للخطأ، وأن عليه أن يعرض نفسه للمراجعة والمساءلة. لكن عملياً لو تناقشت معه حول عقيدة يعتقدونها، أو فكرة يرتئونها، أو سلوك يسلكه، أو نهج يسير عليه، لكان من الصعوبة بمكان أن تقنعه بأنه على خطأ، وكأنه يعتقد العصمة في نفسه. فلذلك تجد ممانعة للنقد على مختلف المستويات، سواء الديني منها أو السياسي أو الثقافي أو غير ذلك.

ومما ذكره فضيلته من الممانعة على المستوى الديني قوله: إن كل عالم من علماء الدين وكل فقيه من الفقهاء نظرياً يقول بأن باب الاجتهاد مفتوح، والإنسان يجتهد وقد يصيب وقد يخطئ، والمصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد، لكن حينما تأتي على المستوى العملي تجد هناك تشبهاً بالآراء، وهناك ممانعة من النقد وإعادة النظر، وكأن هناك عصمة لهذه الآراء.

وقال سماحته: إن حالة الممانعة من النقد إذا استحكمت في مجتمع فإنها تعزز وجود الأخطاء، وتمنع من التصحيح والتطلع نحو الأفضل، ولا تجعل المجتمع قادراً على مواجهة التحديات والصدمات.

ومن الجوانب التي ركز عليها الصنفار وقال إن النقد فيها أكثر حساسية هو جانب

التراث ومما ذكره حول هذه النقطة قوله: «إنه ليس المطلوب منا أن نتجاهل هذا التراث ففيه الكثير من نقاط القوة وفيه الكثير مما يستفاد منه، لكن ليس صحيحاً أن نجد أنفسنا أسارى لكل ما في هذا التراث علينا أن نغربل هذا التراث، ونرى جانب الصحة والخطأ فيه».

وقال بالنص: «عدد كبير من مشاكل الأمة في تصوّري آتٍ من التشبث بكل ما في التراث على مختلف الصعد، ولو أن الأمة استطاعت أن تعالج هذه المشكلة مع تراثها بموضوعية وتفكر، بتعقل وجرأة، لاستطاعت أن تتجاوز الكثير من الإشكالات والمشكلات. ومن مظاهر هذه المشكلات ما نراه في علاقة الأمة بين مذاهبها وطوائفها، هذه العلاقات التي أصبحت في بعض جوانبها متشنجة ومتوترة إنما لها جذور في التراث، فهناك نقول ونصوص وقضايا تاريخية هي التي تؤصل وتعزز مثل هذه التوجهات، ومثل هذه المواقف، ينبغي أن تكون هناك وقفة شجاعة. وقال إنه يعتقد أننا في هذا العصر ومع هذه التحديات الكبيرة التي تواجهنا إذا لم نمتلك الجرأة لكي نغربل تراثنا فإننا نحكم على أنفسنا بالمزيد من التخلف والمزيد من التدهور.

والمصلحون على الصعيد الفكري والثقافي عانوا ولا زالوا يعانون الكثير في ساحة الأمة، لأنهم يطرحون آراء وأفكاراً جريئة، ولأنهم يمارسون عملية النقد، وافترض ساحتهم أن تكون المراهنة على ارتفاع مستوى وعي الناس، مشيراً إلى أن المجتمع ارتفع مستوى الوعي فيه، والناس أصبحوا متعلمين، وأن هناك انفتاحاً عالمياً، وما عاد الإنسان كما كان في الماضي يقبل بتجميد عقله، ويعتقد أن ما يسمعه من ذلك الشيخ أو ذلك العالم هو حق مطلق. فكان الناس في مجتمعاتنا سابقاً يقولون (قلدها عالم واطلع منها سالم) لكن الناس الآن يفترض أنهم تجاوزوا هذه المرحلة، ولا يصح بهم أن يكونوا ألباً على المصلحين. لكن المؤسف أن كثيراً من الواعين والمتقنين ييخلون بأصواتهم في معركة التجديد والإصلاح، فيسلمون المصلحين والمجددين لثورة العوام، ويتخلون عنهم،

وبالتالي الخسارة لن تكون على أشخاص المصلحين، وإنما ستكون على الأمة بشكل عام، وعلى مستقبل الإسلام».

وتفاعل الجمهور مع محاضرة الشيخ الصفار، مما نتج عن ذلك الكثير من الأسئلة والمداخلات، وكانت إجابات سماحته وافية، وفي نهاية اللقاء قام المحاور بتقديم الشكر لساحة الشيخ الصفار على تجشمه عناء السفر، وعلى محاضراته القيمة التي غلبت عليها الشفافية والجرأة في الطرح.

الشيخ الصفار في منتدى الوسطية

العالم الواعي يكون أباً لكل أفراد المجتمع بمختلف توجهاتهم^(١)

بحضور متنوع شارك فيه كل من الشيخ يوسف المهدي والشيخ حسين صويلح والأستاذ ميرزا الخويلدي وضمن فعاليات أسبوعه الثاني استضاف «منتدى الوسطية» في مدينة صفوى سماحة الشيخ/ حسن الصفار في ندوة بعنوان «دور عالم الدين في المجتمع المعاصر»، وذلك يوم الاثنين ليلة الثلاثاء ١ / ٤ / ١٤٢٩ هـ.

قام الشيخ الصفار خلال ما يقارب الأربعين دقيقة بتقديم ورقته التي بين من خلالها حاجة المجتمع إلى نزعة العصرية و التجدد في النخب ذات التأثير الاجتماعي سواء كانت على صعيد السلطة أو الثقافة أو الدين توازياً مع الضرورة التي يحتمها التطور المستمر في شرائح المجتمع المعاصر. فالانفتاح الذي يعيشه المجتمع يحتمل النخب - وعلى رأسها الدينية - مسؤولية الضابط الذي لا بد أن يعي متطلبات عصره، فالدور والأدوات

(١) جريدة البلاد. الثلاثاء ١ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ.

التقليدية لم تعد متماشية مع متطلبات الواقع المعيش. كما طالب سماحته المجتمع بتولي مسؤوليته في ممارسة النقد للمظاهر التي لا يراها ذات طابع إيجابي أو عصري في عالم الدين، وإخراجه من ديكوريته - ان وجدت في البعض - ليتخذ موقعه المناسب في الريادة الاجتماعية.

العصرنة من وجهة نظر الشيخ الصفار تفرض على النخبة الدينية الانسياب في أبعاد ثلاثة للقيام بالدور الفاعل والمطلوب:

فأولاً: البناء المعرفي والأخلاقي

تحدث الشيخ الصفار عن أولوية البناء المعرفي والأخلاقي في دور عالم الدين في المجتمع، فعالم اليوم يعج بالأفكار وأنماط الثقافات، فلا بد من إنتاج فكري ثقافي يحصن المجتمع من التأثيرات السلبية للعملة الثقافية الإعلامية. ويشجع على الإبداع وتقدم المعرفة، ويكبح جماح طوفان التوجيهات المادية لإثارة الغرائز والشهوات.

ثانياً: الدور الأبوي

فمجمعاتنا المتدينة هي بحاجة إلى حواضن تملأها بالعطف والحنان الأبوي - الحقيقي - وليس من خلال الوصاية والأسر اللذين ربما يكون لهما طابع تنفيري أكثر من حاضني. فعالم الدين يجب أن يتسع صدره، ويفيض عطفه على كل أبناء المجتمع بمختلف توجهاتهم كما كانت سيرة النبي ﷺ والأئمة.

ثالثاً: استثمار قوة التأثير

فالنخب الدينية ذات تأثير مباشر في المجتمع باعتبارها أكثر النخب التصاقاً وتواصلاً بعامّة الناس، ولذا عليهم استثمار قوة تأثيرهم باستنهاض المجتمع في مواجهة التحديات و الأخطار المعاصرة بتجاوزهم الجزئية إلى الطرفية في التصدي لتلك التحديات واتخاذ دور ريادي لسد الخلل الواقع و تحمّل المسؤولية للارتقاء بالمجتمع.

وعلى عجلة لترك المجال لأسئلة الحضور و مداخلاتهم قام سماحته بسر دبقية المحاور

التي تمثلت في آليات وأدوات التغيير التي ينبغي للنخبة الدينية الأخذ بها، وهي:

■ المواكبة المعرفية.

■ الحالة المؤسساتية.

■ روح المسؤولية.

وختم سماحة الورقة بالدور المطلوب من المجتمع للموازنة مع الدور المطلوب من

النخبة الدينية من خلال:

■ التحفيز وعدم القناعة بالدور التقليدي لعالم الدين.

■ الدعم والمؤازرة.

الشيخ الصفار في مجلس الشيخ حسين الخليفة :

الاعتداء على الآخر المختلف بعيد عن روح الإسلام، وأخلاقه^(١)

دعا ساحة الشيخ حسن الصفار إلى الوقوف عند أهم صفة من صفات النبي ﷺ وهي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأن نقرأ هذه الصفة قراءة واعية، وأن نسقطها على واقعنا وعلى تعاملنا مع بعضنا ومع الآخرين.

كان ذلك في الكلمة التي ألقاها ساحة الشيخ الصفار في الحفل المقام بمناسبة ذكرى مولد النبي ﷺ في مجلس الشيخ حسين الخليفة بالدمام وذلك يوم الخميس ليلة الجمعة ١٩/٣/١٤٢٩هـ.

جاء في كلمة سباحته: إن الله سبحانه وتعالى تحدث في القرآن الكريم عن صفة هي واحدة من أهم صفات النبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وإن كان له صفات كثيرة، بل إن صفاته كلها هي الفضل والخير، لكن يبدو للمتأمل أن لهذه الصفة خصوصية متميزة مما دعى الله سبحانه لإبرازها في كتابه الكريم، وجعلها عنواناً لشخصيته.

(١) ألقى المحاضرة في مجلس الشيخ حسين الخليفة بالدمام يوم الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق ٢٧ مارس ٢٠٠٨م. تغطية عبدالباري الدخيل.

وأضاف سباحته: إن الله لم يصف رسوله بالعلم، ولا بالشجاعة، والقوة ولا أي صفة من الصفات التي هي متحققة فيه بأعلى درجاتها، بل ذكر هذه الصفة، وهذا يدل على صدارة وأهمية هذه الصفة على بقية الصفات، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وذلك لأن الإنسان إذا امتلك مختلف صفات الفضل، لكنه افتقد الأخلاق فلا قيمة لكل صفاته، لو كان أعلم العلماء، وأشجع الشجعان، وأثرى الأثرياء، وأجمل الموجودين، ولو كان يمتلك أي صفة تمر بالذهن لكنه لا يمتلك مكارم الأخلاق فإن كل صفاته تلك لا قيمة لها عند الله وعند الناس.

وتساءل سباحته: ماذا تصنع بأعلم العلماء إذا كان يسيء لك؟ ولا يحترمك، أو يسيء التعامل معك ويتعالى عليك، أو يصب جام غضبه عليك لأقل القليل؟ ماذا تفعل مع أشجع الشجعان إذا كان معتدياً ظالماً لا يراعي حقوق الآخرين؟ وهكذا يجري الكلام في باقي الصفات، ولهذا ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلمة حكيمة ما أروعها من كلمة وكل كلامه عليه السلام رائع وحكيم، قال: «رب عزيز أذله خلقه، وذليل أعزه خلقه» وهذا يعني: رب شخص يفترض فيه أن يكون عزيزاً فهو يمتلك المقومات التي تجعله عزيزاً، لكن عندما تحذله أخلاقه فإنه يصبح ذليلاً، والآخر الذي لا يمتلك مقومات العزة والمكانة، لكنه بتسامي أخلاقه وعظمتها تكون له عزة ومكانة.

وقال سباحته: إن الأخلاق لها أولوية وهي في الصدارة بالنسبة لباقي الصفات والملكات التي يمكن أن يتحلى بها الإنسان، من هنا نفهم جيداً معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً»، ومرة سأل أصحابه: أتدرون أيكم أقرب مني موقفاً يوم القيامة؟ قال: أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً.

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار عن النبي صلى الله عليه وسلم كقدوة وكقيمة عليا في مكارم الأخلاق كما وصفه الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، مخصّصاً حديثه عن تعامل الرسول مع المخالفين له والمختلفين معه، معللاً ذلك بأن: الفخر أن تحسن التعامل مع المخالفين

لك، أما الموافقون لك والمتفقون معك فإنك وبشكل طبيعي تنساق للتعامل الحسن معهم، ولا فخر في ذلك، وإنما الفخر مستوى التعامل مع المختلف معك، فهذا هو المقياس والامتحان، وهنا يتضح هل الأخلاق التي عندك سجية دائمة أم هي مستعارة؟ وأضاف سباحته: السؤال المهم: كيف تتعامل مع المختلف معك، سواء المختلف معك في الدين أو المذهب أو التيار أو المصلحة؟ هل تفشل في هذا الامتحان كما الكثير من الناس وللأسف الشديد.

ثم دعا الشيخ الصفار المؤمنين ليقتدوا بسيرة رسول الله ﷺ الذي يقدم للبشرية كافة وليس للمسلمين فقط المثل الأعلى، والقذوة الحسنة على هذا الصعيد، فقد حاربه بعض قومه وناوؤه وآذوه، لكنه كان ملتزماً معهم بأعلى درجات الأخلاق وحسن المعاملة، كان لرسول الله ﷺ يهودي يؤذيه، ويضع القاذورات أمام داره، وظل يفعل هذا كثيراً، ورسول الله ﷺ يتحمل أذاه، ولكن هذا اليهودي توقف عن فعل هذه الأشياء لأيام، فسأل عنه الرسول ﷺ أصحابه: ما لجاننا؟ فأخبروه أنه مريض، فذهب الرسول ليزوره في بيته. إن لنا في رسول الله أسوة حسنة، وهذا التصرف مصداق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.. فجاره لم يكن مسلماً.. بل كان مخالفاً وبالإضافة إلى ذلك كان يؤذيه.. ومع ذلك لم يرد الرسول ﷺ على الإساءة إلا بالإحسان..

هذه هي أخلاق الإسلام، رسول الله لم يرض من أحد أصحابه أن يقول كلمة فيها فحش على إنسان كافر، ففي الرواية الواردة في السيرة النبوية، أن النبي سخط على أحد أصحابه المجاهدين، لأنه تلفظ بكلام جارح لأحد المشركين، ردًا على استهزائه برسول الله. وذلك في الطريق إلى بدر أولى معارك الإسلام الفاصلة، لقي المسلمون رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلم على رسول الله ﷺ، قال: أوفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسلم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه.

قال له سلمة بن سلامة بن وقش: لا تسأل رسول الله، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك، نزوت عليها، ففي بطنها منك سخلة، فقال رسول الله: «مه، أفحشت على الرجل، ثم أعرض عن سلمة»^(١).

ثم انتقل سماحة الشيخ الصفار للحديث عن المخالفين من داخل المجتمع، قال: من المعلوم أن المجتمع الإسلامي كان فيه من يخالف رسول الله ﷺ، ومن أطلق عليهم القرآن مصطلح (المنافقين) وهم الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام وفي أعماق نفوسهم غير معتقدين به ولا مخلصين له، هؤلاء كانوا يربكون حركة الرسالة وكانوا يؤذون رسول الله ﷺ بشكل متكرر، بل حاولوا اغتياله واتهموه في نزاهته، «جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين. وفي ثوب بلال فضة. ورسول الله ﷺ يقبض منها، يعطي الناس. فقال يا محمد اعدل!! قال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبتُ وخسرتُ إن لم أكن اعدل».

فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق.

فقال: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي..»^(٢).

وجاء عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ، من اليمن، بذهبية في أديم مقروظ. فقسمها بين أربعة نفر، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني؟ وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» قال: فقام رجل غائر العينين. مشرف الوجنتين. ناشز الجبهة. كث اللحية. مخلوق الرأس. مشمر الإزار. فقال: يا رسول الله اتق الله. فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» قال: ثم ولى الرجل. فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال: «لا. لعله أن يكون يصلي». قال خالد: وكم

(١) السيرة النبوية لابن هشام. ج ٢، ص ٤٤٦.

(٢) صحيح مسلم. ص ٥٣١، حديث ١٠٦٣.

من مصلِّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسول الله: «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم»^(١).

وجاء في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه قبل غزوة بدر: إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا - مع المشركين - كرهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبدالمطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرهاً.

فقال أبو حذيفة بن عتبة وهو من المسلمين المهاجرين، لما بلغه قول رسول الله ﷺ ذلك: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا، ونترك العباس، والله لئن لقيته لأحمنه السيف!!

قال: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص أیضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟

فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه - أي أبا حذيفة - بالسيف، فوالله لقد نافق^(٢). فرفض رسول الله ﷺ ذلك، ولم يسمح بأن يمسّ أبو حذيفة بأي أذى. وجاء في سنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: أتى رسول الله ﷺ بهال فقسمه فانتهيت إلى رجلين جالسين وهما يقولان: والله ما أراد محمد بقسمته التي قسمها وجه الله ولا الدار الآخرة، فتشبت حين سمعتها فأتيت رسول الله ﷺ وأخبرته، فاحمر وجهه وقال: دعني عنك فقد أؤذي موسى بأكثر من هذا فصبر^(٣).

رغم ذلك فإنه ﷺ لم يتخذ أي إجراء عقابي ضد أحد منهم، إذ لم يسجن أو يجلد أو

(١) صحيح البخاري. ج ٣، ص ١٠٧، حديث ٤٣٥١.

(٢) تاريخ الإسلام. ج ٢، ص ١٢٠.

(٣) سنن الترمذي ج ٥، ص ٣٧٠، حديث ٣٩٨٦.

يعاقب أحداً منهم، بل وأوصى حذيفة بن اليمان ألا يكشف أسماء المنافقين الذين أرادوا اغتياله بعد أن أخبره بأسائهم يوم العقبة. ولم يتخذ أي إجراء لإسقاطهم ومحاصرتهم اجتماعياً، حيث لم يمنعهم من دخول المسجد أو الدخول عليه في مجلسه، ولم يمنعهم العطاء من بيت المال، ولم يمنعهم من الخروج معه في المعارك والغزوات.

كان يحسن إلى هؤلاء المخالفين، والقصة المشهورة عن رأس المنافقين عبد الله بن أبي، تقول الرواية: لما بلغ ابنه ما كان من أمر أبيه أتى رسول فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرفني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»^(١)، بهذه الأخلاق الرفيعة، والسيرة الطيبة نال رسول الله ﷺ هذا الوسام الرباني ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وللاستفادة من سيرة رسول الله ﷺ في الواقع المعاصر تطرق ساحة الشيخ الصفار إلى موضوع تعامل بعض المسلمين اليوم مع المختلف معهم، والمخالف لهم، وكيف أنه بعيد كل البعد عن منهج الإسلام وسيرة الرسول ﷺ، بل وأظهرت الإسلام بأنه دموي عنفي، وهذا واضح في التعامل مع غير المسلمين ومع المسلمين المختلفين في المذهب فهو بعيد عن روح الإسلام، وأخلاقه، وفيه مخالفة واضحة لمنطق العقل وحقوق الإنسان، وتكون الإساءات المتبادلة بين الأطراف.

وتساءل ساحتها عن التوجهات والتيارات الموجودة داخل كل مذهب، التي قد تختلف الآراء فيه، وقد تتباين الاجتهادات، كيف يتعامل الناس فيما بينهم إذا اختلفت مدارسهم، واجتهاداتهم ومرجعياتهم؟

(١) السيرة النبوية لابن هشام. ج ٣، ص ٧٦١.

فقال: للأسف الشديد في بعض الأحيان تنتهك الحقوق، والحرمان، كل ذلك بسبب اختلاف في الرأي، فالبعض يميز لنفسه لمجرد الاختلاف في الرأي أن يتعدى على العالم الآخر ويسقط شخصيته، ويتهمه بالضلال والبدعة، وكأن الذي يحدث ليس رأياً مقابل رأي، وأن المطلوب في هذا المقام هو الرد العلمي، والمناقشة الجادة المحترمة.

للأسف الشديد البعض اليوم يتهم الآخر بأن آراءه بدع، فهل يملك أي أحد القطع بأنه رأيه هو الحق المحض؟ وأن رأي الآخر ضلال وبدعة؟ كيف تقطع بهذا والأمر لا يتعدى كونه آراء ظنية اجتهادية؟

وإذا قبلنا أن الاختلاف في الرأي مصداق للابتداع، فهذا يعني أن نقبل ممن يخالفونا في المذهب إذا اتهمونا بأننا مبتدعة، هذا لا يجوز فأنت عالم وهو عالم، وأنت لك رأي وهو له رأيه، وعلى فرض أنك أصبت وأن رأيه بدعة، فما هو الموقف الشرعي من ذلك؟

رسول الله ﷺ يشرح لنا ذلك وينير لنا الطريق، يقول: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه» هذا يعني أن على العالم أن يعطي رأيه ويوضح أدلته وبراهينه، وليس على العالم أن يظهر شتمه، ويسقط الآخرين، فهذا خلاف لأمر الله وأمر رسول الله.

وختم الشيخ الصفار كلمته بالدعوة للوقوف عند أهم صفة من صفات النبي ﷺ وهي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وأن نقرأ هذه الصفة قراءة واعية، وأن نسقطها على واقعنا وعلى تعاملنا مع بعضنا ومع الآخرين، فهذا هو الاحتفال الصحيح وليس المظاهر، فالمظاهر وإن كانت مطلوبة إلا أننا مطالبون بالعمل بالجواهر، فالاحتفاء الصحيح برسول الله ﷺ لا يكون إلا بالافتداء به وبسيرته العطرة.

الصفار يطلق مبادرة غير مسبوقة لاحتواء الشباب المهمشين^(١)

- البطالة والتعبئة الطائفية واحتقار رجال الدين وتجاهل رجال الأعمال كانت محاور أثارها الشباب.
- أكثر من ٧٠ بالمئة من المجموعة الشبابية المعنية عاطلون عن العمل.

أطلق الشيخ حسن الصفار بادرة غير مسبوقة لاحتواء الشباب المهمشين الذين تحملهم بعض الأوساط مسؤولية العديد من الظواهر السلبية على صعيد الأمن الاجتماعي في محافظة القطيف.

وفي لقاء عقد بإحدى مزارع القطيف مساء الاثنين ١٤ / ٤ / ٢٠٠٨م وحضره ما يقرب من ١٠٠ شاب ممثلين عن مجموعات شبابية تضم مئات من الشباب من راكبي الدراجات النارية فتح الشيخ الصفار حواراً شفافاً حول أبرز همومهم وسبل معالجة مشاكلهم.

الصفار خاطب الشباب في كلمته بأنهم عصب هذا المجتمع وأن مكانهم الطبيعي أن يكونوا جزءاً من الحل لمشاكل المنطقة لا مصدرًا لتلك المشاكل.

(١) شبكة راصد الإخبارية . إعداد: مصطفى الشعلة، نشر بتاريخ ١٦ / ٤ / ٢٠٠٨م.

وتحمل العديد من الأوساط هذه الفئة المهمشة مسؤولية الإزعاج والمضايقات من خلال إقامة حلقات «التفحيط» ومضايقة الأهالي بتسيير مجموعات الدرجات النارية في الأحياء.

إلى جانب تحميل العديد منهم مسؤولية السرقات وإطلاق الأعيرة النارية في المناسبات العامة.

من جهتهم حمل بعض الشباب مسؤولية الوضع القائم على عدة جهات، منها الحكومة ورجال الدين وأصحاب رؤوس الأموال وبعض الدعاة المتشددین الذين يلقنون الشباب السنّة في القطيف مزيداً من التطرف.

فعلى صعيد الحكومة اشتكى الشباب من تجاهل الدولة لهم تماماً وتركهم طعمة للبطالة والفقر والفراغ ما يدفع لارتكاب الأعمال التخريبية والانحرافات بنظرهم. فيما اشتكوا بالمقابل من احتقار بعض رجال الدين لهم حتى عند دخولهم للصلاة في المساجد نتيجة ظهروهم بقصة شعر جديدة أو لباس مغاير للساند.

كما ألقوا قسطاً وافراً من المسؤولية على رجال الأعمال في المنطقة «لأنهم لم يفعلوا ما يكفي» لاستيعاب واستثمار الطاقات الشبابية.

أما على صعيد التشنج الطائفي في محافظة القطيف فقد حمل الشباب مسؤولية ذلك لبعض الدعاة المتشددین في المناطق السنّية «الذين يلقنون الشباب مزيداً من التطرف». مستدلين على ذلك بالاستهداف الطائفي المستمر لسيارات المارة في تلك المناطق مما يؤدي لردود فعل معاكسة.

حلول مقترحة

وضمن إطار الحلول اقترح الشباب على الشيخ الصفار أن يصار إلى التواصل مع أئمة الجماعة السنة للتركيز على مبدأ التعايش المشترك ونبد الفرقة والتأجيج الطائفي.

إلى جانب تفعيل اللقاءات الشبابية بين شباب السنة والشيعة في القطيف. وللقضاء على ظاهرة إطلاق النار في المناسبات العامة اقترحوا بأن يجري تأسيس شرطة اجتماعية من أبناء المنطقة مدعومة من الدولة لمنع هذه الظاهرة عن طريق التوعية والإرشاد بالتعاون مع الجهات المختصة.

هذا إلى جانب المطلب الأهم والمتعلق بالتوظيف خصوصاً وأن أكثر من ٧٠ بالمئة من هذه المجموعة عاطلون عن العمل.

وتعد مبادرة الصغار هذه الأولى من نوعها التي تقف فيها شخصية دينية بارزة إلى جانب مجموعة شبابية تعاني حسب وصفها من التهميش والإقصاء الاجتماعي. وتهدف المبادرة إلى تجسير الهوة بين هذه الفئة الشبابية ومحيطها الاجتماعي من خلال استيعابها في مجالات العمل الوظيفي والمشاركة الاجتماعية الإيجابية.

الشيخ الصفار: الجشي ورفاقه اشتغلوا بقضية «التممية السياسية» والواجب تكريمهم^(١)

وسط حضور أدبي وثقافي من علماء وشعراء ومثقفين من مختلف مناطق المملكة والبحرين أقيم في القطيف في حسينية السنان حفل تأبين للشاعر عبدالله الجشي (أبو قطيف) بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته، وذلك مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٨ م وقد شارك سماحة الشيخ الصفار بكلمة جاءت بعنوان: (الجشي مناضلاً) تحدث فيها سماحته عن الأبعاد والجوانب الكثيرة التي في حياة الجشي، والتي تحتاج إلى دراسة وتأمل لأخذ الدروس والعبر.

وعدّد سماحة الشيخ الأبعاد التي يمكن الحديث عنها وهي: البعد الأدبي، فهو رحمه الله قمة في الأدب والشعر، وقد تحدث عنه الشعراء وقوموا شعره وأعطوه شيئاً من حقه، والبعد الإنساني الأخلاقي حيث كان نبيلاً في أخلاقه، وقد تحدث رفاقه عن بعض ما عايشوه معه من صفاته النبيلة.

(١) أقيم الحفل في حسينية السنان بالقطيف مساء يوم الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٣ أبريل ٢٠٠٨ م.

الجانب النضالي

وعن الجانب النضالي قال ساحة الشيخ الصفار: فقيدنا كان مناضلاً وطنياً، سلك هذا الطريق الذي يتهيئه كثيرون، إن أكثر الناس لا يجدون أنفسهم معنيين بالشأن العام، إما لأنهم لا يمتلكون الوعي بما يحيط بهم، أو لأنهم يرون أنفسهم أقل من الاهتمام بالشأن العام الذي له شيوخه الأخص به، وإما لأن الاهتمام بالشأن العام يكلف تضحيات، ويتطلب دفع ثمن باهظ لا قبل لهم بأدائه وتقديمه، ولذلك سادت ثقافة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية تنفر من الاهتمام بالشأن العام، بل قد يصل الأمر إلى أن يعتبر مثل الجرم أو العيب.

وأوضح ساحتته أن هذه الثقافة نجد آثارها في كلمات بعض العلماء والأدباء كرد فعل للظروف السياسية العصبية التي عاشتها الأمة في عصورها الطويلة البعيدة، نجد عالماً وإماماً كالشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يقول: أعوذ بالله من السياسية ومن لفظ السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس.

أنيميا سياسية

مستشهداً ساحتته بما ذكره الدكتور محمد جابر الأنصاري في كتابه (العرب والسياسة أين الخلل) صفحة ٧، حيث يقول الدكتور: «على الرغم من التألق الروحي والعقلي والعمراني للحضارة العربية والإسلامية، فإن تاريخها السياسي ظل أضعف عناصرها على الإطلاق، وأشدّها عتمة.

فهي حضارة جميلة ورائعة لكنها ظلت تعاني غالباً من «فقر دم سياسي» ومن «أنيميا سياسية» من حيث الواقع العملي على صعيد التطبيق والنظم والممارسة، وذلك منذ التآزم المبكر للخلافة الراشدة، إلى.. الإجهاض السياسي المريع لمشروعات "النهوض" العربي، في هذا العصر».

الاهتمام بالشأن العام

وأضاف ساحة الشيخ: إن المتجربين على سلوك طريق النضال الوطني السياسي قلة في كل مجتمع من مجتمعاتنا العربية والإسلامية وعلى تفاوت من بلد إلى آخر. فقيدنا الغالي كان من تلك القلة في هذا الوطن، وفي هذه المنطقة، رأى نفسه معنيًا بالشأن العام، إذ لا يوجد وطن من الأوطان يخلو واقعه السياسي من بعض الثغرات ونقاط الضعف، ليست هناك سلطة تدعي الكمال في سياساتها، ولا يمكن أن يدعى لها ذلك، وكل مجتمع من المجتمعات له تطلعاته حتى يجيب في وطنه عزيزًا كريبًا يتمتع بخيرات وطنه، ومن أجل معالجة ثغرات الواقع السياسي، ومن أجل تلمس الطريق إلى تحقيق التطلعات عند أبناء أي وطن لا بد من مناضلين سياسيين، مناضلين ينشرون الوعي السياسي في أوساط الناس، حضارتنا غنية بالأدب، ولأننا في مقام تكريم شخص هو في طليعة أدياء عصره، لا نستطيع أن نغض من جانب الأدب، ولكن الإنسان قد يرى أن الاهتمام بالأدب في حياتنا العربية، قد يكون على حساب بقية جوانبها، أو لنقل أكثر من الاهتمام ببقية الجوانب.

فقيدنا رأى نفسه معنيًا بالشأن العام في وطنه، ووطن نفسه على أن يسلك هذا الطريق، متلمسًا نواقص الواقع السياسي، مطالبًا بإصلاحها وسدّ ثغراتها، مثيرًا للتطلعات التي تريد أن يعيش الوطن في أفضل وضع، وأن يعيش المواطنون متمتعين بحقوق المواطنة، سلك هذا الطريق ووطن نفسه على دفع الثمن، ومن يقرأ سيرته وحياته وإن كانت هذه الأمور لا تكتب مع الأسف الشديد، حتى في سيرته الذاتية تكون الإشارة إلى هذه المحطة المهمة في حياته إشارة خجولة وعابرة، لقد كان في السجن معتقلًا لسنوات، وتحمل فيها ما تحمل، وقد عاش في الغربة ثلاثًا وعشرين سنة، وعانى آلام الغربة وفراق الوطن، ضمن نضاله السياسي.

رد الاعتبار للمناضلين الوطنيين

وعن المطلوب عمله ونحن نعيش تكريم هذه الشخصية قال الشيخ الصفار:
 الأمر الأول: لا بد من إعادة الاعتبار للمناضلين الوطنيين في مجتمعنا وبلادنا، تلك
 حقبة قد مضت، والوطن الآن يعيش وضعًا جديدًا، الذين ناضلوا في الماضي خدموا
 الوطن بنضالهم، قد تكون هناك أخطاء في تجربتهم، وهذا أمر طبيعي في كل تجربة بشرية،
 ولكنهم هم الذين شقوا الطريق أمام التطلعات لهذا الشعب ولهذا الوطن، وأسهموا في
 تحفيز المسؤولين في الوطن وتحفيز أبنائه لمعالجة الثغرات ونقاط الضعف، لا ينبغي أن
 يبقى الحديث عن حقبة ماضية قبل ثلاثة عقود أو أربعة عقود من الزمن محاطًا بالهيبه
 والخوف، إنها صفحة من صفحات تاريخنا الوطني ينبغي أن ننفض عنها الغبار، وأن
 نتحدث عنها بصراحة وجلاء، ويمكننا أن نعتبر التكريم الذي حصل لفقيدنا الغالي
 في مهرجان الجنادرية إشارة على هذا الصعيد، إن من كرمه يعرف تاريخه ويعرف دوره
 الوطني، وإنه كرم لكل هذه الأبعاد في حياته، وإن كان الأدب هو العنوان البارز.

كتابة تاريخ النضال

الأمر الثاني: ينبغي بعث تاريخ تلك الحركة الوطنية النضالية بمختلف فصائلها،
 ولا يزال بعض أبناء تلك الحركات الوطنية النضالية والحمد لله موجودًا على قيد الحياة،
 إن من حق الأجيال عليهم أن يكتبوا تجربتهم وتاريخهم، ويمكنهم الآن أن ينظروا إلى
 تلك التجربة بموضوعية، فيتحدثون عن نقاط القوة وعن موارد الضعف، لتستفيد منها
 الأجيال اللاحقة الصاعدة، وهنا لا بد من الإشادة بفقيد القطيف النبيل السيد على السيد
 باقر العوامي رحمة الله عليه، فقد علمت أنه كتب مذكراته، وكتب تاريخ الحركة الوطنية في
 هذه المنطقة وكتابه يقع في جزأين كبيرين، في أكثر من ستمائة صفحة، مثل هذه المذكرات
 ينبغي أن تنشر، وأن يعرف الناس واقع حياتهم في الماضي، حتى يروا مدى التغير والتطور
 الذي حصل في هذا الوطن.

التنمية السياسية

الأمر الثالث: ينبغي أن يواصل المجتمع مسيرة التنمية السياسية، ففي المجتمع فقهاء وعلماء وشعراء وأدباء ورجال أعمال، لكن الوطن بحاجة لمن يهتم بالشأن العام، ويمتلك الوعي والمستوى السياسي، فإن الدولة والوطن في حاجة إلى عناصر ذات كفاءة، وهذا لا يتم إلا بالاهتمام والممارسة، التنمية السياسية أصبحت اليوم مصطلحاً إلى جانب التنمية الاقتصادية والتنمية العلمية وتعني: اهتمام الناس بواقعهم السياسي وفاعليتهم في ذلك الوضع، وبحمد الله وطننا الآن يعيش انفراجات، ويعيش حالة متقدمة على العقود الماضية، هامش الحرية قد اتسع، بل تكونت بعض القنوات التي يمكن للمواطنين من خلالها أن يتحدثوا عن مشاكلهم وعن تطلعاتهم، صحيح أن الناس يتوقعون الأكثر ولكنها البداية، وهذه البداية تحتاج إلى تفاعل من الناس حتى تتسع رقعة الوعي السياسي وحتى تتواصل مسيرة التنمية السياسية.

خدمة الشأن العام

وطالب سماحة الشيخ جميع المواطنين دخول العهد الجديد حيث يتجاوزون الصدام والفوضى والخلافات والانشقاقات الداخلية، ليكون هناك انفتاح وتعاون بين السلطات وبين النخب السياسية في المجتمع من أجل خدمة الوطن وخدمة الشأن العام، أوطاننا في حاجة للتطوير والتغيير، وهذا ما يقوله الجميع حكام ومحكومون، وهناك قوى خارجية تريد أن تتدخل في شؤوننا الداخلية بحجة الركود والجمود السياسي، ولا بد من تفويت الفرصة عليها بحراك ذاتي داخلي، يتمثل في انفتاح السلطات على تطلعات الناس، وفي تعاون الناس مع توجهات السلطات الاصلاحية.

خاتماً كلمته بتأكيد دعوته بأن يستجيب من بقي من ذلك الرعيل لهذه الدعوة برفد الأجيال بذكرياتهم وتجاربهم.

الشيخ الصفار يستقبل مجموعة (قطيف فريندز)^(١)

استقبل ساحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء الأحد (٢٠/٥/١٤٢٩ هـ الموافق ٢٥/٥/٢٠٠٨ م) مجموعة (قطيف فريندز) يقدمهم المشرف العام على اللجنة السيد فاضل الشعلة ومسؤول العلاقات الأستاذ سعيد آل عمير، والمخرج الأستاذ موسى جعفر آل اثنيان.

هذه الزيارة تأتي على خلفية فوز فيلم (بقايا طعام) بمسابقة الأفلام الروائية في (مسابقة أفلام السعودية)، التي نظمتها جمعية الثقافة والفنون بالدمام ونادي المنطقة الشرقية الأدبي، وحصوله على النخلة الذهبية.

وبالجائزة الأولى لأفضل فيلم متكامل في ملتقى الأفلام القصيرة الأول بالأحساء والمنظّم من قِبَل لجنة الفنون المسرحية التابعة للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون التي امتدّت ما بين ٩-١٤/٥/١٤٢٩ هـ.

وتحقّقه جائزة أفضل فيلم خليجي روائي في مهرجان (أفلام من الإمارات) في أبوظبي في ٢٠٠٨ م.

(١)عبدالباري أحمد الدخيل.

وقد بدأ سماحة الشيخ حديثه شاكرًا لهم هذه الجهودات ومباركًا لهم الإنجازات راجيًا من الله سبحانه لهم التطور ودوام التوفيق، معبرًا عن سعاته لتميزهم ونجاحهم. ودعا سماحته بالاهتمام بالجانب الفني، الذي اعتبره: أفقًا رحبًا لتفجير الطاقات والكفاءات وأنه مجال لخدمة القيم والمبادئ التي يؤمن بها المجتمع ومن أجل خدمة قضاياه.

وأشاد سماحته بالأفلام التي أنتجتها المجموعة، كفلم (ربّ ارجعون) وفلم (بقايا طعام)، التي تستثير في الإنسان قيم الخير وتدفعه نحو الفضيلة وتحذره من الانحرافات. ودعا الشيخ الصفار المجموعة لاغتنام فرصة التواجد في الوسط الفني لمد جسور التعارف والتواصل مع شرائح المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي، من أجل عكس صورة مشرقة ومشرقة عن المجتمع.

وختم سماحة الشيخ كلمته بدعوة المجموعة للتفكير الجدي في مأسسة نشاطهم ضمن مشروع وطني طموح.

ثم تحدث مسؤول العلاقات الأستاذ سعيد آل عمير مقدمًا شكره لسماحة الشيخ الصفار لدعمه المتواصل للمجموعة.

مؤكدًا أن: هذا ليس مستغربًا من سماحة الشيخ الصفار لما نعرفه عنه من تشجيع لكل النشاطات.

وقال: نريد من هذه الزيارة يا سماحة الشيخ أن نقدم شيئًا من الوفاء لسماحتكم لما تقدمونه من رعاية، سائلين الله سبحانه أن يراكم ويحفظكم.

هذا وقد حضر من المجموعة كل من: مراد أبو السعود، وفايز الخنيزي، وصادق آل عفيريت، وموسى إبراهيم آل اثنيان (كاتب قصة فلم بقايا طعام)، وأحمد الجارودي.

جدير بالذكر أن فلم (بقايا طعام) قد عرض في مكتب سماحة الشيخ الصفار إبان زيارة الشيخ عبدالمقصود خوجة ومرافقيه وقد حاز على إعجابهم.

الشيخ الصفار في حفل توقيع اتفاق صندوق المثوية: على أبنائنا أن يتطلعوا ليكونوا رجال أعمال^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل الذي أقيم مساء يوم الثلاثاء (٢٢/٥/١٤٢٩ هـ الموافق ٢٧/٥/٢٠٠٨ م) في مقر نادي الترجي في القطيف لتوقيع اتفاقية فرع صندوق المثوية، حيث مثل أهالي محافظة القطيف الأستاذ سلمان الجشي ومثل الصندوق مدير عام صندوق المثوية الأستاذ هشام طاشكندي.

وجاء في كلمة سماحة الشيخ الصفار التي ألقاها نيابة عن الداعمين للمشروع: هذا المشروع هو أحد المشاريع التي ينبغي أن نراهن عليها من أجل أن نرتقي بمجتمعنا إلى مستوى المجتمعات الفاعلة.

وقد بدأ سماحته الحديث بالترحيب بمدير عام صندوق المثوية الأستاذ هشام طاشكندي الذي يصرف الكثير من وقته وجهده من أجل خدمة الوطن والمواطن منطلقاً من هذا المشروع الفاعل.

ثم تحدث عن أهم تحديين يواجهان المجتمع اليوم، وهما التحدي القيمي، والتحدي

(١) عبدالباري أحمد الدخيل.

المعيشي (الاقتصادي).

وقال سماحته عن التحدي القيمي: نلاحظ في مجتمعنا المحافظ صدور بعض المشاكل الأخلاقية التي تحول بعضها للأسف الشديد إلى ظواهر تخيف المجتمع وتقلق راحته، هذه الظواهر لها أسباب، ومن أهم أسبابها الفراغ الذي يعيشه الشباب والبطالة التي يعاني منها أبناء المجتمع.

وأضاف سماحته: المواعظ رغم أهميتها إلا أنها لا تكفي لمحاربة هذه المشاكل، والتذمر في المجالس لا يحل المشكلة، لا بد من معالجة الجذور المؤسسة لهذه الظواهر، وإشعال الأمل في نفوس الأبناء.

وعن التحدي المعيشي (الاقتصادي) قال سماحته: هذا التحدي الذي يطال قوت الإنسان، ويعيش معه كل لحظاته، وبالخصوص في هذه الأيام التي تشهد ارتفاعاً في الأسعار.

وأشار سماحة الشيخ إلى أن: الوظيفة ليست الخيار الوحيد والأفضل، والتوجيهات التي يحصل عليها الشباب نحو الوظيفة توجيهات خاطئة، يجب أن تتغير مخرجات التعليم، علينا أن نوجه أبناءنا نحو تأسيس المصانع والمشاريع الكبيرة فهي التي تصنع المجتمع وتبعده عن الرتابة، فكل العمالقة الاقتصاديين اليوم بدؤوا بمشاريع صغيرة لكن طموحاتهم كانت كبيرة، ورؤاهم كانت عالية.

وطالب الشيخ الصفار رجال الأعمال في الوطن أن يشاركوا الشباب بتوجيههم وعرض خبراتهم ليضيئوا لهم درب المستقبل.

وأشار سماحته إلى المحاولات التي بذلت من أجل إنشاء هذا المشروع حيث عقدت أكثر من جلسة في مناطق المحافظة لتوضيح المشروع، والتعرف إليه، ولكنها للأسف الشديد لاقت تجاوباً ضعيفاً من قبل رجال الأعمال والمهتمين.

وختم الشيخ الصفار كلمته بشكر الأستاذ سلمان الجشي الذي «لولا مبادرته واهتمامه

وتبنيه للفكرة لما رأت النور في منطقتنا الآن، وليس ذلك غريباً عليه وهو ابن اسرة خدمت الوطن في مختلف المجالات، وهو من رجال الأعمال الناشطين في خدمة المجتمع فجزاه الله خير الجزاء»، كما تمنى سماحته للمشروع التقدم وأن يكون التفاعل معه أكبر. جدير بالذكر أن مشروع صندوق المثوية الذي يرفع شعار (برأسك مشروع؟) هو مؤسسة غير هادفة للربح أنشئت في المملكة العربية السعودية بأمر ملكي في تاريخ (٢٠ / ٥ / ١٤٢٥ هـ) بهدف مساعدة الشباب السعوديين من الذكور والإناث على تحقيق استقلال اقتصادي من خلال إقامة مشاريع خاصة تكفل توظيف أنفسهم وغيرهم من المواطنين السعوديين.

وأهدافه:

١. المساعدة في إيجاد فرص عمل.
٢. مساعدة الاقتصاد المحلي على النمو من خلال إقامة مشاريع منتجة.
٣. زيادة فرص نجاح المشاريع من خلال آلية التمويل والتدريب والإرشاد.
٤. تنمية ودعم الأفكار الخلاقة في محيط الأعمال.

إما خدماته الرئيسية فهي:

١. التمويل الكلي أو الجزئي للمشروع: حيث يقدم الصندوق لأصحاب المشاريع قروضاً حسنة تتراوح بين ٥٠ ألف و ٢٠٠ ألف ريال سعودي، يبدأ صاحب المشروع وبعد حصوله على القرض الذي يسلم له حوالات مصرفية أو في شيكات مصرفية تقدم للمستفيد ومن خلال دفعات مالية حسب احتياج المشروع في إجراءات تأسيس مشروعه والحصول على التراخيص اللازمة وتقدم الهيئة العامة للاستثمار جميع الخدمات اللازمة للحصول على التراخيص لمشاريع الصندوق من خلال مراكز الخدمة الشاملة وتتعامل مع أصحاب المشاريع في الصندوق كما لو كانوا رجال أعمال كباراً، وفي هذه المرحلة يتم تحديد مرشد لكل مشروع.

٢. خدمات الإرشاد: ما يميز صندوق المئوية عن المشاريع المشابهة هو تقديم الصندوق لخدمات إرشادية لصاحب المشروع تمتد حتى ثلاث سنوات من بداية المشروع، ومهام المرشد تفوق قيمة القرض أهمية، فقد أثبتت الدراسات أن الإرشاد يمثل ٧٠ في المائة من الدعم الذي يتلقاه صاحب المشروع حتى ينجح مشروعه في حين يمثل القرض ٣٠ في المائة فقط، ودور المرشد رغم أهميته للمشروع إلا أنه بعيد عن التعقيد ويركز على دعم صاحب المشروع وتنمية قدراته ومهاراته وليس على المشروع بشكل مباشر.

٣. تسهيل الإجراءات الحكومية المختلفة: إذ يحصل صاحب المشروع على التسهيلات اللازمة للقيام بإجراءات التأسيس (سجل، تراخيص،.. إلخ) من خلال اتفاقية التعاون الموقعة بين الصندوق وبين الهيئة العامة للاستثمار.

الشيخ الصفار يشارك في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار^(١)

بدعوة من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وعضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار الذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ٣٠/٥-٢/٦/١٤٢٩هـ الموافق ٤-٦/٦/٢٠٠٨م، برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود. الذي افتتح بكلمته المؤتمر، كما شارك في الافتتاح الرئيس الإيراني الأسبق الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني وألقى كلمة حول أهمية الحوار داخل الأمة ومع الخارج.

وقد حضر المؤتمر ما يقرب من ٥٠٠ شخصية إسلامية من مختلف أنحاء العالم، يمثلون مختلف المذاهب والتوجهات.

وقدمت الدعوة لعدد من المرجعيات والشخصيات الشيعية كمرجعية السيد السيستاني ومرجعية السيد الخامني، ومرجعية السيد فضل الله، وسماحة السيد حسن

(١) انعقد المؤتمر في مكة المكرمة في الفترة من ٣٠/٥-٢/٦/١٤٢٩هـ الموافق ٤-٦/٦/٢٠٠٨م.

نصر الله الأمين العامل لحزب الله، والرئيس الإيراني السابق السيد محمد خاتمي - حسبما ورد في قائمة أسماء المشاركين.

وقد حضر مع الشيخ الرفسنجاني عدد من العلماء والمستشارين والإعلاميين. كما شارك آية الله الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذهب الإسلامية، وقدم ورقة بحث، وأدار الجلسة الثانية للمؤتمر، وشارك الشيخ جواد الخالصي من العراق بورقة بحث في الجلسة الأولى، وحضر ساحة السيد علي فضل الله ممثلاً لوالده، ومن القطيف حضر المؤتمر الشيخ محمد عطية المقيم في جدة، والشيخ محمد الصفار، والأستاذ محمد رضا نصر الله عضو مجلس الشورى.

وعلى هامش المؤتمر كان لساحة الشيخ حسن الصفار مشاركة إعلامية ضمن ندوة حوارية على قناة الإخبارية أذيعت يوم الخميس ١ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ، الساعة ٩:٣٠ ليلة الجمعة.

وكان له مشاركة أخرى على قناة LBC اللبنانية مساء يوم الأربعاء بعد نشرة الأخبار في الساعة ١٢ منتصف ليلة الخميس، إضافة إلى عدد من المقابلات والتصريحات الصحفية.

وكان المؤتمر فرصة لعدد كبير من اللقاءات مع الشخصيات الإسلامية المشاركة. «وفي حديث تناول بعض ما دار في مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي أكد الشيخ حسن موسى الصفار أن مد جسور التواصل خيار الأمة الوحيد لإزالة ترسبات الماضي، مثنياً على مبادرة خادم الحرمين الشريفين لعقد مؤتمر مكة، الذي كشف عن وجود صورة مشوشة لدى كل طرف من الأطراف الإسلامية عن الآخر، مما يؤكد أهمية وضرورة التلاقي والحوار.

وعلى صعيد التعريف بالذات الجمعية قال الصفار: إننا غالباً ما نُحمّل الآخرين مسؤولية التعرف إلينا، في حين أن مسؤولية تعريف الآخر بالهوية الذاتية هي مسؤولية

ذاتية قبل أن تكون مسؤولية ملقاة على الطرف الآخر. وأشار إلى أن الحوار يُمثل حلاً أساسياً تجاه الواقع الذي تعيشه المذاهب الإسلامية من حالة القطيعة وعدم وضوح صورة الطرف المخالف، مبيّناً استنكاره لحالة الصراع والصدام مؤكداً أنها خيارٌ يضر الجميع، وقد كانت التجارب السابقة خير دليل على سوء هذا الخيار.

وبالنسبة لمن يستعجل النتائج يؤكد الشيخ الصّفار لهم بأن القطيعة والتعبئة المضادة المتبادلة لأكثر من (١٤) قرناً من الزمن ليس من السهل إزالتها بين عشية وضحاها، إنها بحاجة لبذل الجهد المكثّف حتى تتقلّص شيئاً فشيئاً، مؤكداً أن الأحداث والوقائع التي تجري تؤكد أن آثار الحقب الماضية لا زالت شديدة، وستترك مضاعفات سلبية كبيرة إذا لم تتجه الأمة باتجاه الحوار والتلاقي لتوضيح الصورة للأطراف الأخرى.

ونوّه إلى أن هذا التوجه بطبيعته سيواجه باستنكارٍ وستوضع أمامه العراقيل، مؤكداً أن البيان الذي أصدره (٢٢) من المشايخ في المملكة هو نموذج من نماذج المواجهة السلبية تجاه هذا التوجه الإيجابي، مؤكداً أن الأمل معقودٌ على إرادة المجتمعين والمتحاورين، بأن يصمدوا أمام مختلف الضغوطات، وأن يُثبتوا للأمة التزامهم بهذا المنهج، وأنه السبيل الوحيد لإنقاذ الأمة وإعطائها الصورة المشرقة للعالم^(١).

(١) جريدة الرياض. العدد ١٤٥٩٦، الصادر بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ، الموافق ١٠ يوليو ٢٠٠٨م.

السيد الشيرازي وموقفه من الحراك الفكري والسياسي^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلس التأبين الذي نظمته الحسينية الحيدرية في سيهات بمحافظة القطيف مساء الثلاثاء ٦/٦/١٤٢٩هـ تأبيناً للفقير الراحل آية الله السيد محمد رضا الشيرازي، وذلك بمشاركة عدد من أبرز علماء الدين ووجهاء المنطقة، وحشد من المؤمنين.

وقد تناول الشيخ الصفار في الكلمة الضافية التي ألقاها سيرة الفقيد الشيرازي الاجتماعية والفكرية والتي عايشها عن قرب طيلة أكثر من ثلاثة عقود من الزمن. ورأى سماحته: أن سيرة الراحل جسدت سيرة أجداده الأئمة الأطهار عليهم السلام في التعامل مع الرأي الآخر.

مضيفاً بأن السيد الشيرازي كان يحترم آراء مخالفيه ويتعاطى معهم بانفتاح اجتماعي لا يشوبه التحفظ، «لأنه كان يؤمن بحرية الرأي والاختلاف وهذا ما جعله يكتسب الاحترام والتقدير من قبل الجميع».

(١) كلمة ألقيت في تأبين السيد محمد رضا الشيرازي في مجلس التأبين الذي نظمته الحسينية الحيدرية في سيهات يوم الثلاثاء ٦/٦/١٤٢٩هـ.

وهذا نص الكلمة:

حينما نجتمع لنؤبن رجلاً من رجال العلم والفضيلة والتقوى، فإن مجلس التأبين لا ينبغي أن يقتصر على مشاعر الحزن والأسى، وإن كان من حق هذه المشاعر أن تعبر عن ذاتها، لكننا إلى جانب ذلك ينبغي أن نجعل مجلس التأبين دافعاً وحافزاً للاقتداء وللتأسي بمكارم أخلاق هذا الفقيه الغالي.

تنطوي شخصية الفقيه آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (رضوان الله تعالى عليه) على الكثير من الفضائل، والمكارم، والأبعاد التي تستحق الوقوف والتأمل، لأخذ دروس التأسي والاقتداء، ولكنني سأقتصر في هذا اللقاء على الحديث عن جانب واحد. ذلك الجانب هو موقفه من الحراك الفكري والسياسي في الساحة الإسلامية.

كان صاحب رأي وانتماء

عاش السيد الراحل في مرحلة كانت الساحة فيها تتموج بالأحداث، وتتصارع فيها التيارات، وتتعدد فيها الانتماءات، ولم يكن في موقع المتفرج على الساحة، فهو صاحب رأي، وشريك في صناعة واقع النهضة والصحو التي تعيشها المنطقة الإسلامية، كما أنه جزء من تيار يعتبر من أهم التيارات المؤثرة والفاعلة في الساحة الإسلامية في هذا العصر، فأبوه الإمام الشيرازي الراحل (رضوان الله تعالى عليه) صاحب مدرسة، ومؤسس تيار، وقائد نهضة فكرية وسياسية غطت بقاع مناطق كثيرة، وأنجبت تلامذة وعمالقة لهم دورهم في العمل الفكري والسياسي والاجتماعي في هذا العصر، إذ السيد الراحل لم يكن في موقع المتفرج، ولا كان بعيداً عن هذا الحراك، لكننا نستطيع أن نجد تميزاً في موقعه وموقفه، هذا التميز ينبغي تسليط الأضواء عليه ليكون محل تأسس واقتداء.

التعاطي مع الأفكار

سأتحدث عن هذا الجانب من خلال نقطتين:

النقطة الأولى: التعاطي الفكري، من الطبيعي أن الأمة وخاصة حينما تكون في مرحلة نهوض، وفي حالة حراك، تتعدد في ساحتها الآراء والأفكار، وذلك لأن طبيعة الحراك والنهوض ينتج حالة من تعدد الآراء والأساليب والبرامج، وهذه حالة طبيعية، لكننا نجد أن هناك لونين من التعاطي الفكري، الأول يأخذ طابع الهدية، وآخر يأخذ طابع الحكمة واللين.

من حق كل إنسان أن يكون له رأي، ومن حق كل جهة أن يكون لها فكر، ومن حق الجميع أن يطرح فكره، وأن يبشر برأيه، البعض لديه توجس من تعدد الأفكار وتغايرها، ولذلك يتمنى لو أن الساحة تنقاد لفكر واحد، ورأي واحد، وتوجه واحد، لكن هذا المطلب غير ممكن لسببين:

أولاً: إن من طبيعة المجتمع البشري أن تحصل فيه حالة من التعدد في الآراء والأفكار، كما أن طبيعة الفكر الإسلامي، وما أعطى من مجال للاجتهاد، ينتج تعدد الآراء، فبما أن حق الاجتهاد موجود، وهناك شرعية للاختلاف في الرأي، فمن الطبيعي أن تتعدد الآراء والأفكار، قسم من الناس يزعمهم ذلك، لذا نجدهم يرفضون طرح رأي آخر، أو فكرة أخرى، ويبررون للرفض والانزعاج، بأن وجود رأي آخر يثير ويسبب عدم ارتياح، حيث تصبح ساحتنا مجالاً للأخذ والرد، فهذا يطرح رأياً وذاك يرد عليه، هذا يوافق وذاك يخالف، نقول لهؤلاء المتخوفين: وماذا في ذلك؟ لي طرح الرأي، وليوافق ويخالف من شاء، لماذا الخوف من وجود آراء متنوعة ومتعددة، هذا لا خوف فيه، إنما الخوف من سوء إدارة الصراع الفكري والثقافي في المجتمع، أما تعدد الآراء والأفكار فهو أمر طبيعي لا يمكن منعه.

ثانياً: ليس صحيحاً أن يمنع الرأي الآخر، وليس صحيحاً أن يهيمن رأي أو فكر واحد على الساحة فيحتكرها، فهذا خلاف حق الاجتهاد، وخلاف إثراء المعرفة والعلم، فإن تعدد الآراء هو الذي يثري الساحة، من قال أن هذا الرأي السائد هو الرأي

الصحيح؟ إذا لم يفسح المجال للآراء الأخرى فقد يسود الساحة في وقت ما رأي ليس هو الأصح والأصوب، إذا فمن الطبيعي أن تتعدد الآراء والأفكار، والسؤال هنا: كيف يكون التعاطي مع هذا التعدد؟

طريق التعامل مع الآراء المختلفة

الطريقة الأولى: بعض الناس إذا كان له رأي أو فكرة فإنه يطرحها بحدية وبقوة، بطريقة يخون بها الرأي الآخر، ويرفع منها أي احتمال لصوابه، ويسلبه حقه في الطرح، ويعبئ الساحة ويجرضها ضده، هذا طرح حاد، وليس سليماً ولا صحيحاً.

الطريقة الثانية: هي الطرح الحكيم، وذلك بطرح الرأي من خلال الدليل والبرهان، ومحاولة إقناع الآخرين، ومناقشة الرأي الآخر وتبيين ثغراته، وهذا أمر جيد من أجل أن تتبين نقاط الضعف في أي رأي من الآراء.

نحن نجد هذين اللونين بوضوح في ساحة التعاطي الفكري، وأعتقد أن الفارق يكمن في طبيعة الموقف من الحالة الفكرية، البعض من الناس يتعامل مع فكرته من خلال مسؤولية التبليغ، إذ يرى أنه مسؤول عن تبليغ هذه الفكرة التي يعتقد أنها حق، وهذا أمر طبيعي، فالذي يرى أن فكرته صحيحة، ورأيه حق، يتحمل مسؤولية تبليغ هذا الرأي للآخرين، ولكن التبليغ له حدود، يقول تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور، الآية: ٥٤] هذا حدود عمله، المطلوب من صاحب الرأي أن يبلغ رأيه بلاغاً مبيناً، بمعنى أن يجتهد في توضيح رأيه وإقناع الآخرين به، هذا هو المطلوب وليس أكثر من ذلك، يقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [سورة الغاشية، الآيتان: ٢١-٢٢]، الإنسان الذي يتعامل مع الفكر الذي يراه حقاً من خلال مسؤولية التبليغ يعرف حدوده، أنا واجبي الشرعي أن أبين الفكرة، وأسعى لإقناع الآخرين بها، إما فرضها على الناس فليس مطلوباً ولا صحيحاً، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴿سورة البقرة، الآية: ٢٧٢﴾ وهنا يأتي نوع آخر من الطرح وهو توظيف الفكرة للانتصار للذات، ولتحصيل مكاسب لها، وهذا هو الفرق بين تعامل الأنبياء والرسل والأئمة، وبين تعامل غيرهم، فالأنبياء والرسل والأئمة ﷺ يطرحون الفكرة من خلال تحمل مسؤولية التبليغ، بينما بعض الناس تتحول الفكرة لديهم إلى أداة من أجل تمكين الذات، فالبعض يحاول تثبيت الفكرة من أجل أن يبرز، وأن يكسب، ويحصل على أتباع، ويصل إلى مواقع من خلالها، هنا المسألة لم تعد مسؤولية تبليغ، بل تحولت إلى توظيف مصلحي للفكرة، وهذا ما عبر عنه أئمتنا من أهل البيت ﷺ بقولهم: «ومستأكلُ بنا الناس».

وهذا جزء من رواية، عن الإمام الصادق ﷺ قال: «الشيعة ثلاثة: محب واد، فهو منا، ومترزين بنا، ونحن زين لمن تزين بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن استأكل بنا افتقر»^(١).
قسم يفتخر أنه ينتمي لهذه المدرسة ومن حقه أن يفتخر، وقسم يوظف الحق والفكر الصحيح من أجل أن يحصل على موقع ومكسب، هذا استأكل واسترزق بالفكرة.
أعتقد أن التباين الذي نراه في كثير من الأحيان ناشئ من هذا الفارق، فالإنسان من حقه أن تكون له فكرته الخاصة، ويكون له توجهه الخاص، ومن حقه أن يبشر بفكرته لأنه يراها حق، لكن يجب أن تكون من خلال وظيفة الأنبياء والرسل ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، حتى النبي ﷺ عندما كان يجهد نفسه أكثر من اللازم في التعاطي مع الدعوة والرسالة، فإن الله سبحانه تعالى يخبر نبيه أن هذا ليس المطلوب منه، ﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿سورة طه: الآيتان ١-٢﴾، وفي آية أخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: الآية ٣]، هذه الآيات تعلمنا أن لكل منا حدوداً لطرح آرائه وأفكاره، وهو الاجتهاد في تبين الفكرة، فمن قبل كان بها، ومن رفض فله رأيه.

(١) الخصال. ص ١٠٣.

الهدوء في طرح الأفكار

من أهم الميزات التي رأيتها في الفقيه الراحل، أنه كان يطرح آراءه بهدوء، ولعل من تابع محاضراته يرى هذه الميزة واضحة، حتى الأفكار التي هي محل خلاف وجدل وإثارة، نجده يتحدث حولها، ولكن في غاية الهدوء، وبموضوعية.

أتذكر أنني عام ١٤١٧هـ وفقت لحضور دروس السيد في الكويت حيث كنت أذهب أسبوعياً عصر الجمعة وأعود عصر الأربعاء، وكانت من الفرص الجميلة التي أتيت لي للتزود من علمه وبخبرته، وكثير من الأحيان كان يحصل حوار أو نقاش حول بعض الأفكار، فوجدت أنه يحمل قناعة يعبر عنها بقوله: علينا أن نبين الرأي الذي نعتقد أنه صحيح بالطريقة اللينة المرنة، والباقي على الله، وهذا يوضح لنا أن السيد الراحل كان صاحب رأي وله فكر، وكان مقتنعاً بآراءه، وكان يشعر بمسؤولية تجاه هذه الآراء التي يقتنع بها، وكان يطرحها لكن ضمن إطار مسؤولية التبليغ، وأخلاقيات الأنبياء والرسول والأئمة عليهم السلام متمثلاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ وَمَا يَنْفَعُكُمْ مِنْهَا شَيْءٌ وَلَا يَضُرُّكُمْ مِنْهَا شَيْءٌ وَأَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ﴾ [سورة سبأ، الآية: ٤٦]، تاركاً للآخر أن يتفكر بينه وبين نفسه، هل ما سمعه صواب أم خطأ؟.

التعاطي الاجتماعي

النقطة الثانية: التعاطي الاجتماعي، وقد أوضحنا قبل قليل أن من حق أي إنسان أن يكون له رأي وموقف، لكن ما هي الطريقة التي يجب أن أتبعها في التعامل مع المختلف معي في الرأي والموقف؟

ينقسم الناس في هذه المسألة إلى قسمين:

القسم الأول: يتشجعون تجاه من يخالفهم الرأي، وكأنه أجرم حينما كان له رأي آخر، فيمارس ضده شتى أصناف الإقصاء والتعدي، يغتابه ويقاطعه، ويسقط حقوقه،

ويؤلب ضده.

القسم الآخر: عكس ذلك، إذ يتعامل مع الآخر بالاحترام، ويحفظ حقوق الإسلام والإيمان، وهذا نجده واضحاً في كلام أهل البيت عليهم السلام، ففي باب درجات الإيمان وحقائمه، من كتاب بحار الأنوار^(١)، يروى أن خادماً للإمام الصادق عليه السلام اسمه سراج قال: ذكر قوم، فقلت: جعلت فداك، إنا نبرأ منهم إنهم لا يقولون ما نقول، فقال عليه السلام: «يتولونا ولا يقولون ما تقولون تبرؤون منهم؟ قال: قلت نعم، قال عليه السلام: فهو ذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم؟ قال: قلت: لا جعلت فداك، قال: وهو ذا عند الله ما ليس عندنا؟ أفرأه أطرحنا؟ قال: قلت: لا والله جعلت فداك، ما نفعل، قال: فتولوهم ولا تبرؤوا منهم».

وعنه عليه السلام قال: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض وهي الدرجات»^(٢).

المشكلة عند بعض الأفراد تكمن في تشنّجهم تجاه المخالفين لهم بأرائهم، وفقدنا الغالي آية الله السيد محمد رضا الشيرازي كان على العكس من ذلك تماماً، حيث كان يحترم المختلفين معه في الرأي، كما كان يحترم الموافقين له، وكما أشرت سابقاً فهو كان في قلب الأحداث والتموجات والصراعات، وكان والده يقود مدرسة وتياراً، وهناك صراع بمختلف العناوين، ولسنا الآن في مجال فتح تلك الملفات، حيث الساحة تجاوزت - ولله الحمد - الكثير من تلك المشكلات، لكن السيد الراحل مع أنه ابن صاحب المدرسة، وهو في موقعة التأثير والتوجيه والنفوذ، وفي بعض الأحيان كان يقود ساحات العمل، كما كان لعدة سنوات في الكويت، وبالتالي كان له مجال للتحرك والعمل أكثر

(١) بحار الأنوار. ج ٦٦، ص ١٦١، حديث ٢.

(٢) بحار الأنوار. ج ٦٦، ص ١٦٨، حديث ٧.

مما لدى الآخرين من بقية رواد هذه المدرسة، الذين كانوا يعيشون في مناطق أخرى، لكن الجميع يشهد له بتوازنه، واعتداله، وحكمته، حيث إنه لم يهاجم أو يقاطع أو يعيب ضد أحد، وأتذكر كما يتذكر بعض من جلس معه، ويكون الحديث عن بعض الأمور المناوئة لوالده (رحمة الله عليه) وما كان يحصل له، فكان في غاية الهدوء والتعقل، وكان يقول: «هذه مشاكل طبيعية وإن شاء الله تنتهي ونتجاوزها»، وهو ابن المرجع، وفي قلب المعاناة، ويتحسس الآلام الموجودة، ولكنه عندما نلتقيه ويأخذنا الحماس فنخبره ببعض الأحداث، ونسأل: كيف يكون كذا؟ ولماذا يحدث ذلك؟.

وكان من المفترض في هذا الشخص أن يجدها فرصة لتعبئة الأتباع المتحمسين، فهذه فرصة للتحميد، لكن السيد الراحل رحمته الله كان على العكس من ذلك تمامًا، حيث يأتي له المنفعلون والمتحمسون من أتباع مدرسة والده رحمته الله، ويبدون تألمهم لبعض الأحداث، ولبعض الممارسات المناوئة، لكنه يهدئهم، ويطلب منهم عدم القلق، كان يقول: لا تهتموا، فهذه المسائل تنتهي، ثم يستدل على ذلك بروايات وقصص، بعيدًا عن أسلوب التعبئة والتحميد، وهذا شيء مشهود له.

هذا الأمر موقعه وموقفه من الحراك السياسي والفكري، يجب أن نتدبره ونتأمل فيه، فنحن نرى الآن أن أكثر المشكلات التي عاصرها رحمته الله وعاصرها ذهبت وانتهت، وحينما يجلس أحدنا ليقراً تفاصيل المرحلة الماضية، يجد أن الجميع يجب هذا السيد الجليل رحمته الله، ويعشقه ويترحم عليه، وذلك لأنه لم يسئ إلى أحد.

قصة وعبرة

أتذكر أن أحد الخطباء الكبار جاء إلى الكويت، وكان له موقف سلبي من والده الإمام الشيرازي رحمته الله، فقال السيد الراحل لجماعته: قوموا نذهب لزيارته، فقال بعضهم: سيدنا كيف تذهب له؟ هذا من المناوئين لوالدكم، قال كذا وعمل كذا!!! فقال السيد رحمته الله:

لا بأس إنه من خدام أهل البيت عليهم السلام، ولعل له رأياً، ولعله مشتبه فيما يفعل، دعونا نذهب لزيارته قربة لله تعالى، وأصر أن يذهب، وبالفعل ذهب رحمه الله لزيارة الخطيب، وقد رأيت الخطيب فيما بعد، فسألته: هل زارك فلان؟، فقال: والله لقد أخجلني بتواضعه، وبهرني بعلمه، لم أكن أتصور أن الرجل بهذا المستوى من العلم والمعرفة، وبهذا الخلق العظيم، وأشاد به في أكثر من مجلس.

وسؤالي: هذا الفعل أحسن، أم أن السيد عليه السلام يقاطعه؟ ويقول: بما أنه ضد والدي وعنده موقف مضاد، فدعه، العقل والقرآن يقول إن هذا الموقف أحسن، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٤]، هذه بعض نقاط التأسّي والاعتداء التي أحببت الإشارة إليها لعلها تكون موعظة لي ولكم.

رحم الله الفقيد الغالي وحشره مع أجداده الطاهرين.. والحمد لله رب العالمين.

الشيخ الصفار يُشيد بإنجازات فريق نادي مضر ويتطلع لتفعيل الدور الثقافي والاجتماعي للنادي

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بإنجازات فريق نادي مضر بالقديح وهنأه بالفوز الكبير الذي حققه بإحرازه كأس النخبة ودرع بطولة التنس للدرجة الأولى، معتبراً أن هذا الفوز تتويجاً للمجتمع ككل، مقدماً أعمق التهاني للفريق، ومعرّباً عن سعادته الغامرة بهذا الفوز الكبير، متطلعاً لدورٍ بارزٍ على الصعيد الثقافي والاجتماعي للنادي تحقيقاً للشعار الذي رسمه كل نادٍ رياضي بأنه نادٍ رياضي ثقافي اجتماعي. ودافعاً باتجاه تفعيل دور النادي في العطلة الصيفية لاستقطاب شرائح الشباب ملء وقت فراغهم وتفجير طاقاتهم الكامنة، مضيفاً: إن النادي بإمكانه أن يقوم بدورٍ قد تعجز المساجد والحسينيات القيام بمثله، ومؤكداً أن دعم الأندية الرياضية من مصاديق صرف الحقوق الشرعية.

التقى سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلسه مساء الأحد ١١ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ (١٥ يوليو ٢٠٠٨م)، بإدارة وأعضاء نادي مضر الرياضي بالقديح احتفاءً بالفوز الكبير الذي حققه نادي مضر حيث أحرز كأس النخبة في كرة اليد، ودرع الدرجة الأولى لبطولة التنس مما أهله لصعود الدوري الممتاز.

وبدأ اللقاء بكلمة شكرٍ وتقديرٍ وعرّفان ألقاها ساحة السيد طاهر الشميمي والذي ترأس وفد نادي مضر في زيارته التقديرية للشيخ الصفار، وقد أشاد السيد الشميمي بالدعم المتواصل من قبل الشيخ الصفار لنادي مضر، مقدمًا له الشكر الجزيل والثناء الجميل على جهوده الطيبة، مؤكدًا أن أيادي الشيخ الصفار جليّة وواضحة على مختلف الصُّعد الاجتماعية. وأهدى الفوز الساحق الذي حققه نادي مضر للشيخ الصفار تقديرًا وعرّفانًا من إدارة وأعضاء النادي للتشجيع المستمر الذي يحظى به النادي من قبل الشيخ الصفار.

ثم ألقى رئيس النادي الدكتور سامي اليتيم كلمة عبّر فيها عن سروره بلقاء ساحة الشيخ الصفار. معتبرًا أن هذا الفوز هو في حقيقته فوزٌ للقطيف بأكملها. مشيدًا بعزيمة أعضاء النادي وصمودهم رغم تواضع الإمكانيات، إلا أنهم أثبتوا أن حبّ النادي والمجتمع قبل كل الاعتبارات، فأحرزوا فوزًا ساحقًا أمام كبريات الأندية. وأهدى للشيخ الصفار كأس البطولة والدرع تعبيرًا عن وفاء نادي مضر لإدارة وأعضاء للدعم الذي لمسوا ثماره بتحقيقهم هذا الإنجاز الكبير.

ثم ألقى الشيخ الصفار كلمته حيث رحّب فيها بإدارة نادي مضر وأعضائه اللاعبين الفائزين وبمن حضر معهم، مهنئًا إياهم بهذا الفوز الكبير، مؤكدًا أن الفخر والاعتزاز يغمر القلوب بإنجازٍ عظيم يُسجله أبناء المجتمع.

وأشار في كلمته إلى فكرة مهمة وهي: أن أي إنسانٍ وأي مجتمعٍ إنما يأخذ موقعه في الحياة من خلال الكفاءة والعمل والإنجاز، والقرآن الكريم يُؤكد هذه الحقيقة، يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٢]، مضيفًا: قد يتصور البعض أن اتجاه الإنسان الديني والعقدي والفكري هو الذي يبنى مكانته، وهذا تصورٌ ليس دقيقًا ذلك أن العقيدة والدين شأن قلبي، ترتبط بعلاقة الإنسان مع ربه.

وأكد أن اتباع الإنسان لعقيدة سليمة صحيحة ينبغي أن ينعكس إيجابًا على سلوكه،

وإلا فإنه يُسيء إلى العقيدة التي ينتمي إليها بمخالفته نهجها أو إظهاره لها بصورة خاطئة، فالناس عقولهم في عيونهم.

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٥]، وأنها تحمل معنى عميقاً التفت إليه بعض المفسرين دون غيرهم، حيث يرى أغلبية المفسرين أن الآية تعني: أن لا نكون مفتونين بالذين كفروا فنحيد عن طريق الحق بسببهم، إلا أن الأرجح في نظر البعض، وهو الرأي الذي يرححه الشيخ الصفّار أن الآية تعني: أن لا نكون سبباً لإعطاء الذين كفروا صورة سلبية عن الدين فنكون نحن فتنّة لهم بسلوكنا فنحرمهم من اتباع الحق.

وكرر تأكيده على أن مكانة المجتمع في هذه الحياة لا تتحدد من خلال إيمانه بعقيدة ما أو فكرة ما فقط، وإنما من خلال عطاءه وإنجازاته على أرض الواقع، وطالما أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في آياته المحكمات، حيث يقرون الإيـان بالعمل الصالح ولا يقتصر على ذكر الإيمان، يقول تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وتابع الشيخ الصفّار يقول: إننا بحاجة إلى أن نبني مجتمعنا ليس من خلال الشعارات، ولا من خلال التغمي بتمجيد المعتقدات فقط، فكل أتباع دين أو مذهب يعتقدون بأن ديانتهم ومذهبهم هو الحق والصواب، ولذا علينا أن نُحدد موقعيتنا من خلال إنجازاتنا الواقعية في خدمة الوطن بالتقدم العلمي والمعرفي، والفاعلية الاقتصادية، والنشاط الاجتماعي.

وأعرب الشيخ الصفّار عن مدى سعادته وشعوره بالغبطة لهذا الإنجاز الذي حققه نادي مضر، مقدماً لهم التهاني والتبريكات بهذا النصر، معتبراً أن هذا الفوز لا يقتصر على أعضاء النادي فقط، ولا على بلدة القديح، وإنما هو فوز للمجتمع كله، مشيداً بجميع الانتصارات التي يُحققها المجتمع على مختلف الصُّعد الاجتماعية والثقافية والرياضية.

وعن الطموح المأمول من نادي مضر وبقية الأندية الرياضية في المجتمع يقول الشيخ الصفار: نريد للأندية الرياضية أن تُحقق الشعار المرسوم في مؤسساتها، وهو: «نادي رياضي ثقافي اجتماعي»، مؤكداً أن النادي باعتباره مؤسسة رسمية يستطيع بتضافر الجهود وبالتوجه الواعي لأن يُحقق إنجازاً كبيراً على الواقع الاجتماعي من خلال هذه المؤسسة الرياضية. لافتاً الانتباه إلى أن العطلة الصيفية التي تطل على المجتمع خلال الأيام المقبلة تعكس واقعاً قلقاً لدى الكثير من العوائل والمجتمع بشكل عام، حيث يعيش الكثير من الشباب والفتيات فراغاً كبيراً من شأنه أن يوجههم لممارسات غير مدروسة وغير إيجابية، والنادي يتحمل قسطاً من المسؤولية في استقطاب الشباب وتفعيل نشاطهم من خلال برامج عملية نافعة، فيُحقق النادي هدفين في آن واحد: ملء وقت الفراغ، وتفجير الطاقات الشابة. مشيراً إلى الكثير من الأندية تشكو من حالة الركود لعدم وجود دماء جديدة تنضم للنادي.

واعتبر الشيخ الصفار أن دعم الأندية الرياضية من مصاديق صرف الحقوق الشرعية، مؤكداً أنه لا يتردد أبداً في إعطاء قسم من الخمس الشرعي لدعم الأندية في نشاطها الثقافي والاجتماعي لكل من يرغب أن يُساهم في دعم النادي من خمسه الخاص.

مختتماً حديثه بالتأكيد على أن النادي بإمكانه أن يقوم بدورٍ قد تعجز المساجد والحسينيات عن القيام بمثله لانفتاحه على مجاميع واسعة من الشباب، ولذا ينبغي أن يتفاعل الجميع مع الأندية بدعمها مادياً ومعنوياً فنجاح النادي في رسالته هو نجاح للمجتمع.

وجدّد تباريكة لنادي مضر، داعياً لهم بإنجازات قادمة أكبر تُضاف إلى إنجازاتهم وإنجازات المجتمع.

والتقطت بعد ذلك الصور التذكارية احتفاءً بهذه المناسبة الكريمة.

الشيخ الصفار: أمام الخطاب الإسلامي تحديات خارجية مازالت قائمة^(١)

نشرت جريدة الوسط البحرينية في العدد ٢١١٢ يوم الأربعاء ١٨ يونيو ٢٠٠٨ الموافق ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ خبرًا عن مشاركة سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر السنوي للأئمة والخطباء والدعاة الذي تنظمه وزارة العدل والشؤون الإسلامية تحت شعار «معالم التنمية الوطنية في الخطاب الإسلامي»، برعاية رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة.

جاء في الخبر:

تحدث عالم الدين السعودي الشيخ حسن الصفار في الجلسة الأولى من جلسات المؤتمر التي كانت بعنوان «قواعد التنمية الوطنية وعلاقتها بمقاصد الشريعة»، إذ ذكر الصفار في ورقته بعنوان «الخطاب الديني والتحديات الداخلية» أن «التحدي الأكبر أمام الخطاب الإسلامي في حقب ماضية هو مواجهة التيارات المناوئة للإسلام، ففي بدايات

(١) جريدة الوسط البحرينية. العدد ٢١١٢ الصادر بتاريخ الأربعاء ١٨ يونيو ٢٠٠٨ الموافق ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ.

القرن التاسع الميلادي أدرك دعاة الإسلام خطر حملات التبشير التنصيري التي واكبت الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية، وكان إلى جانبها نشاط استشراقي مكثف يهدف إلى تشكيك المسلمين في دينهم».

وأضاف «فانبرى المخلصون الواعون من علماء الأمة بألسنتهم وأقلامهم وأرواحهم لرد هذه الهجمات العاتية، وبذلوا قصارى جهدهم للوقوف أمام تلك الموجات العارمة، على رغم محدودية إمكاناتهم قياساً بقدرات الغزاة الذين يستندون إلى موازنات ضخمة، وهيمنة عسكرية سياسية، ومراكز أبحاث وتخطيط»، وتابع «وفي العقود الأولى من القرن العشرين للميلاد كانت هناك معركة أخرى تنتظر دعاة الإسلام، هي أشد شراسة من حملات التنصير وشبهات الاستشراق، وهي مواجهة المد الشيوعي والتيارات العلمانية المناوئة للدين، ذلك أن معظم التيارات العلمانية التي تظهر في البلاد الإسلامية أخذت منحى المحاربة والمناوأة للدين، بخلاف معظم تيارات العلمانية في الغرب التي التزمت الحياد تجاه الدين».

وأكد الصفار أن «هذه التيارات استثمرت أرضية السخط والرفض للواقع السيئ المتخلف لدى جماهير الأمة، وتبنت شعارات الثورة والنهوض، داعية إلى التناكر للدين والتخلص منه، لأنه يتحمل مسؤولية تخلف الأمة وانحطاطها، وتمكنت هذه التيارات من استقطاب شرائح من أبناء الأمة، ووصلت إلى مواقع السلطة والحكم في عدد من البلدان العربية والإسلامية، عبر الانقلابات العسكرية، والتنظيمات الحزبية»، كما نوه إلى أن «المعركة كانت عنيفة قاسية في بعدها الفكري والسياسي، إذ عانى دعاة الإسلام من قمع الأنظمة التي انبثقت من هذه التيارات المناوئة، وما كاد ينتهي القرن العشرين حتى انحسر مد تلك التيارات».

وبيّن أن «ما لبثت طلائع الصحوة الإسلامية أن ظهرت وارتفعت رايات الإسلام في كل مكان، إذ استعادت جماهير الأمة ثقتها بدينها، وهكذا بدأ عصر الإسلام من جديد»،

وأشار إلى أن «هناك تحديات خارجية لا تزال قائمة أمام الخطاب الإسلامي، وفي طليعتها الحرب الإعلامية الثقافية الطاحنة على الإسلام، بوصفه دين الإرهاب والعنف، التي تجاوزت كل أعراف وتقاليد العلاقات بين الأديان والحضارات والأمم».

واعتبر أن «ذلك تمثل في الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد ﷺ التي نشرتها صحيفة دنهاركية ثم أعاد نشرها هذا العام عدد من الصحف في الدول الأوروبية في تحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين، وإساءة صارخة لدينهم وهويتهم»، وأردف «ولكن مثل هذه التحديات الخارجية ليست على درجة كبيرة من الخطورة التي تستلزم وضعها على رأس التحديات وأولويات المهام أمام الخطاب الإسلامي، إذ أعتقد أن الخطاب الإسلامي يواجه الآن تحديات داخلية هي الأهم والأخطر على مستقبل الإسلام والأمة».

عضو لجنة المناصحة زار القطيف وألقى محاضرة تطرقت إلى قضايا تهم الشارع الإسلامي

الشيخان الصفار والنجيمي يدعوان إلى التصدي بحزم للتكفيريين^(١)

«منير النمر»

دعا عضو لجنة المناصحة الدكتور الشيخ محمد النجيمي إلى نبذ التطرف الديني والتصدي له بحزم شديد، لافتاً إلى أن بيان الـ ٢٢ شيخاً الذي صدر أخيراً ووجه ضد إحدى طوائف المسلمين (الشيعة) كان متطرفاً وغير منسجم مع الوحدة الوطنية، محدداً موقفه منه بقوله: «لست معهم ولست من خطهم الفكري، وأنا أؤمن بالمرجعية الرسمية التي لا تكفر المسلمين». في إشارة منه لهيئة كبار العلماء.

كما دعا الشيخ حسن الصفار إلى ضرورة أن يتصدى السلفيون المعتدلون إلى البيانات المتطرفة التي تصدر، وقال: «إن الناس في القطيف وغيرها من مدن العالم مجروحون من بيان الـ ٢٢ عالماً سعودياً، وينبغي لرموز المنهج السلفي المعتدل أن يتبرأوا علناً مما

(١) جريدة الرياض. العدد ١٤٦٠٧ الصادر بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ، الموافق ٢١ يونيو ٢٠١٠م.

قال هؤلاء ليطغى صوت الاعتدال على صوت التطرف ولتحاصر هذه الأصوات كما حوصرت القاعدة سياسياً بعد أن تم التعامل معها بحزم». وهو ما أيده النجيمي خلال محاضرته التي وصفها حضور بـ «بحاملة الرسائل الواضحة».

والنجيمي الذي استضافه الشيخ حسن الصفار مساء (الخميس) في مكتبه في مدينة القطيف ألقى محاضرة تناول فيها الوحدة الإسلامية، واستمع له نحو ألف شخص، بينهم شخصيات دينية واجتماعية وثقافية حضرت من مختلف مناطق الشرقية.

وتطرق إلى قضايا تمم الشارع الإسلامي، بل هي من صميم اهتماماته، إذ شدّد على أن المنهج السلفي الصحيح يضع التكفير كخط أحمر، وأنه لا يؤمن بالتكفير، وقال مستشهداً بحديث نبوي يعتبره كبار علماء السلف صحيحاً: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله»^(١)، مشيراً إلى أن هذا النص موجود في كتاب «العقيدة الطحاوية»، مشدداً على أن الأصل لدى السلفيين عدم التكفير، وأنهم لا يكفرون الأشخاص، بل يكفرون الأفعال الصادرة عن المسلم.

ورأى أن ما يشاع عن السلفيين في العالم الإسلامي بشأن التكفير ليس صحيحاً، محملاً القاعدة مسؤولية تشويه التيار السلفي، وقال: «إن النصوص التي أقرؤها لكم تدحض ما يدعيه التكفيريون تجاه الطوائف الإسلامية الأخرى»، مضيفاً «إن المنهج السلفي منفتح في الأصل، فحتى في الفقه الإسلامي يدرس الطلاب كتباً لمذاهب أخرى، وفي الاقتصاد يدرسون كتاب اقتصادنا للإمام محمد باقر الصدر، وهو شيعي من النجف في العراق».

واعتبر النجيمي أن الشيخ حسن الصفار يمثل رمزاً وطنياً، وصفه بـ «المهم جداً»، وقال مستشهداً بكتاب للصفار: «إن كتاب (نحو علاقة أفضل بين الشيعة والسنة) يحمل وعياً وحدوياً وطنياً كبيراً»، مضيفاً «هناك أسس تحكم العلاقة بيننا كمواطنين، وتجعلنا

(١) صحيح البخاري. ج ١، ص ١٠٢، حديث ٣٩١.

متحدين»، واضعاً إياها في ثلاث نقاط، هي أن جميع سكان البلاد مسلمون يؤمنون بقرآن واحد لا يأتيه الباطل أبداً، وأن جميع الطوائف الإسلامية تحب الرسول وتؤمن برسالته المساوية، وأن الجميع يحب أهل البيت ويعتبر حبهام فرضاً كما يحب الجميع صحابته، لافتاً إلى أن الاختلاف يكمن في رؤية أفضلية هذا الصحابي على سواه من الصحابة.

وشدد على أن لا حل يخرج الأمة الإسلامية من نزاعها الداخلي، إلا الحوار والانفتاح والاجتماع الذي يفهم كل واحد منه الآخر، وفي هذه النقطة أكد الشيخ حسن الصفار على ضرورة أن يدرس طلاب العلم السلفيون كتباً شيعية كي يتمكنوا من معرفة حقيقة تفكير الشيعة، وقال: «جاءني قبل أيام عدة صحفي أمريكي، فسألني هل تضع في مكتبتك كتباً سنية، فأجبته يوجد حتى الكتاب المقدس لديكم»، مضيفاً «لا بد أن نفتح على بعضنا كي يفهم كل واحد منا الآخر».

وتابع بقوله: «لا تزال هناك إرادة جادة في الوحدة، فما يقوم به خادم الحرمين الشريفين من حوار في مكة المكرمة يطمح إليه الكثير من علماء الأمة الإسلامية، كما أننا نتحمل مسؤولية إنجاح هذه التطلعات الوجدانية التي تعطي الأمل داخل الأمة الإسلامية». من جانبه شدد النجيمي على أن قيادة البلاد تنسجم كلياً في دعم مشروع الوحدة الوطنية، «بل إن خادم الحرمين الشريفين أطلق حواراً داخلياً، وبعد النجاح الكبير أطلق حواراً إسلامياً إسلامياً، وأتبعه بحوار بين الأديان».

النجمي: نحن ضد التكفير.. والحوار هو أقصر الطرق للتفاهم^(١)

- النجمي: ابن باز أفتى في لقاء عام بأن الشيعة مسلمون من أهل القبلة
- الصفار: على رموز المنهج السلفي المعتدل أن يتبرأوا من بيان الـ ٢٢
- السيف: نطالب بالتعامل معنا كبشر
- محمد الصفار: الفتاوى التكفيرية التي لا يفيد معها مجرد التحلي بروح التفاؤل.

قال الشيخ محمد النجمي بأن المدرسة السلفية من أكثر المدارس رفضاً لتكفير المسلمين من أتباع المذاهب الأخرى وأن العلماء الـ ٢٢ الموقعون على البيان «المتطرف» لا يمثلون مرجعية لأهل السنة.

وأضاف في محاضرة تناولت الوحدة الوطنية وسط حضور حاشد بمكتب الشيخ حسن الصفار بالقطيف مساء الخميس أن «ما يشاع» عن السلفيين بشأن التساهل في مسألة التكفير هو «كلام غير صحيح وتدخضه النصوص والدلائل».

مشدداً على أن التكفير يعد خطأ أحمر وفق المنهج السلفي الصحيح مستشهداً بحديث

(١) شبكة راصد الإخبارية www.rasid.net، نشر بتاريخ ٢١/٦/٢٠٠٨م

«من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو مسلم له ما لنا، وعليه ما علينا». كما دعم قوله بأراء ونصوص من أمهات المصادر التي يعتمدها السلفيون. متهمًا تنظيم القاعدة بتشويه التيار السلفي عبر ممارساته.

وأورد النجيمي عدة ثوابت رأى أهمية الاتفاق عليها «حتى لا تعطى الفرصة للمتطرفين من الجانبيين للاعتداء عليها»، وهي القرآن الكريم والنبي الأكرم وأهل البيت والصحابة.

غير أن النجيمي أخفق بوضوح بحسب متابعين ضمن معالجته لفتوى رجال الدين السلفيين الـ ٢٢ التي كفروا فيها المسلمين الشيعة.

فهو في الوقت الذي أوضح أنه «في خط غير خطهم» وأنهم ليسوا مرجعية لأهل السنة حاول في المقابل التقليل من وقع الفتوى بالقول أنها لم تستهدف جميع الشيعة وإنما جاءت ردًا على «ممارسات طائفية» ارتكبتها بعض الشيعة في غرب بيروت الشهر الماضي. وأمام المئات من الشخصيات المثقفة والعلماء والوجهاء من مختلف مناطق البلاد دعا الشيخ حسن الصفار الرموز السلفية المعتدلة في السعودية إلى التصدى للبيانات التكفيرية.

مضيفًا بأن «الشيعة في المملكة وغيرها من بلاد العالم مجروحون من بيان الـ ٢٢ عالمًا سعوديًّا وينبغي لرموز المنهج السلفي المعتدل أن يتبرأ علنًا مما قالوا».

وشدد النجيمي على أهمية الحوار «فهو أقصر الطرق حتى لو لم نتق في كل شيء» مؤيدًا دعوة الصفار إلى «محصرة الأصوات المتطرفة كما حوصرت القاعدة سياسيًا بعد أن تم التعامل معها بحزم».

كما أثنى النجيمي على شخصية الصفار معتبرًا إياه «رمزًا وطنيًا مهمًا» مستشهدًا عدة مرات بمقاطع من كتاب الصفار «نحو علاقة أفضل بين الشيعة والسلفيين» واصفًا الكتاب بأنه يحمل وعيًا وحدويًا وطنيًا كبيرًا.

الصفار الذي طالب بفتح وسائل الإعلام الرسمية المحلية أمام المواطنين الشيعة لعرض وجهة نظرهم حض بالمقابل السلفيين على دراسة الفكر الشيعي من مصادره الأصلية للاطلاع على حقيقة الفكر.

مداخلات

إلى ذلك انتقد الدكتور توفيق السيف في مداخلته «تناول القضايا بصورة رومانسية متفائلة» متتهماً إلى أن هذا الأسلوب لن يحل المشكلة.

ودعا إلى الاعتراف بوجود مشاكل حقيقية في المملكة كسائر بلاد العالم مطالباً بترسيخ العدل كقيمة إنسانية وحق للجميع بصفتهم بشراً وبمعزل عن أديانهم أو مذاهبهم. من جهته أكبر الشيخ محمد الصفار تحلي النجيمي بروح التفاؤل «التي بلغت حد القفز على الأشياء بإنكاره وجود مشكلة التكفير لدينا في المملكة».

وضمن تفنيده ل طرح النجيمي قال الصفار «نحن أمام زخم من الفتاوى التكفيرية التي لا يفيد معها مجرد التحلي بروح التفاؤل».

سارداً بهذا الصدد عددًا من الفتاوى التكفيرية بحق الشيعة صادرة عن رموز سلفية بارزة كمفتي المملكة السابق الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الله بن جبرين مطالباً باتخاذ مواقف حازمة تعالج هذه الفتاوى.

وردًا على ذلك نسب النجيمي للشيخ بن باز قولاً قاطعاً يعتبر فيه الشيعة مسلمون من أهل القبلة جواباً على استفتاء ضمن لقاء عام بمسجد خالد بن الوليد في الرياض. وأثنى الدكتور السيد عدنان الشخص على «الكلام الطيب الذي نسمعه في كل مكان» مطالباً المعتدلين السلفيين باتخاذ مواقف حاسمة في مقابل الفتاوى التكفيرية التي تضر بالوحدة الوطنية.

كما وصف المهندس جعفر الشايب خطاب النجيمي بـ «المغرق في الرومانسية

والتفاؤل» منتقداً تغليب الجانب الديني في العلاقة بين المواطنين.
مطالباً بالانتقال إلى ما وصفها بمرحلة جديدة تجنح إلى تغليب الجامع الوطني
والانساني والحالة المدنية في العلاقة بين المواطنين.

السعودية.. الشيعة لا يريدون دخول «كبار العلماء»^(١)

«علي رشيد - ياسر باعامر - جدة»

قال الشيخ حسن الصفار، أبرز رجال الدين الشيعة بالسعودية، إن انضمام الشيعة إلى هيئة كبار العلماء ليس من أولوياتهم، مؤكداً حاجة الطائفة الشيعية بالسعودية إلى إنشاء مؤسسة دينية وطنية شيعية تتواصل مع هيئة كبار العلماء.

ويأتي كلام الشيخ الصفار كرد على الموافقة المشروطة من قبل د. محمد بن يحيى النجيمي عضو المجمع الفقهي الإسلامي، وأحد الرموز السلفية بالسعودية على انضمام الشيعة لهيئة كبار العلماء شريطة «الالتزام برأي المرجعية الدينية، والاتفاق على الأصول التي تنطلق منها، والالتزام بما بعدها».

وقال الشيخ الصفار في تصريح خاص لـ «إسلام أون لاين.نت»: «إن دخول الشيعة لهيئة كبار العلماء ليس ذات أولوية».

وأضاف: «إن الأهم لدينا أن تتشكل لنا مؤسسة دينية خاصة بالشيعة داخل السعودية، بحيث تكون المؤسسة مرجعية يستظل بها الشيعة في المجالين الديني والعملي،

(١) موقع إسلام أونلاين www.islamonline.net، نشر بتاريخ ٢٩/٦/٢٠٠٨م

وتتحدث باسمهم».

واعتبر الصفار «أن إنشاء مؤسسة دينية للشيعة في السعودية يمثل مصلحة حالية للسعودية من الناحية السياسية والأمنية والاجتماعية».

ويرى الصفار أن خلو الساحة السعودية من المؤسسة الدينية الشيعية المحلية «يترك الساحة مفتوحة للآراء الوافدة من خارج الوطن، والتي لا تتسق مع أوضاع وظروف الشيعة المحلية».

وحول رفض المؤسسة الدينية الرسمية (هيئة كبار العلماء) لهذا المطلب قال الصفار: «أعتقد أن على هيئة كبار العلماء أن يكون لديها تفهم لمصلحة البلد وأوضاعه الحالية، بغض النظر عن رأيهم في الشيعة، لكن يظل وجود مؤسسة دينية وطنية للشيعة في السعودية الأفضل لمصلحة البلد، وهذا من المصالح التي ينبغي التفكير فيها، والدين قائم على مصالح العباد».

الشيخ الصفار يشيد بكتاب (تراث الأجداد) للدكتور جميل الجشي^(١)

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار في رسالة شكر بعثها للدكتور جميل عبدالله الجشي بكتابه القيم (تراث الأجداد)، الذي قال الشيخ الصفار أنه أمضى وقتاً ممتعاً في قراءته. واصفاً الكتاب «بأنه بحق يمثل إنجازاً علمياً ريادياً في التاريخ الاجتماعي للمنطقة، حيث تضمن دراسة متقنة لوثائق عائلة الجشي في القطيف والبحرين، على امتداد مائة وخمسين عاماً (١٢٠٠ - ١٣٥٠هـ). وجاءت الدراسة وفق منهجية رصينة غير مسبوقة، توفر المعلومة مع تقويم مستواها من حيث الموثوقية والاعتبار، ليكون الباحث على بصيرة من أمر تلك المعلومة. وتقدم التحليل بموضوعية وهدوء، دون مبالغة أو تهويل، ومع عدم استبعاد أي احتمال آخر. كما تستقرى الدراسة وثائقها بدقة واستيعاب، للكشف عن مداليلها الثقافية والاجتماعية».

وقال الشيخ الصفار: «لقد تحدثت الدراسة عن جانب من الموقعية الاجتماعية لعائلة الجشي، وعن أبرز شخصياتها العلمية والثقافية، دون مبالغة في الإعلاء من شأن

(١) د. جميل بن عبدالله الجشي، تراث الأجداد (دراسة في وثائق عائلة الجشي في القطيف والبحرين (١٢٠٠-١٣٥٠هـ))، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

العائلة، أو تكلف في تمجيد رجالاتها، بل كان الحديث فيها لما تفصح عنه الوثائق - مدار البحث -، أو تحكيه سيرة الرجال، من خلال كفاءاتهم العلمية والأدبية، وأدوارهم العملية الاجتماعية. إنها دراسة نموذجية رائعة يجب أن تُتخذى من قبل الباحثين في تاريخ مجتمع المنطقة».

وختم سماحته الرسالة بالتهنئة للدكتور وللوطن صدور هذا الإنجاز الرائع الذي يشكل إضافة وإضاءة معرفية قيّمة، داعياً الوسط العلمي والثقافي أن يحتفي به الاحتفاء اللائق، تقديرًا للجهد الكبير المبذول فيه، وتشجيعًا لهذا النهج الحضاري في دراسة تاريخ المجتمع والوطن.

الشيخ الصفار يشارك في المؤتمر العالمي للحوار بمدير^(١)

بدعوة من الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله التركي شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في المؤتمر العالمي للحوار الذي انعقد في مدريد - إسبانيا برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود بتاريخ ١٣-١٥ رجب ١٤٢٩ هـ الموافق ١٦-١٨ يوليو ٢٠٠٨ م.

وقد افتتح المؤتمر الملك عبدالله والملك خوان كارلوس الأول ملك إسبانيا في قصر (الباردو) في مدريد ظهر الأربعاء ١٣ رجب / ١٦ يوليو.

وتابع المؤتمر جلساته لثلاثة أيام في الفندق الذي أقام به المشاركون. حيث كانت جلسة الختام صباح الجمعة ١٥ رجب ١٨ يوليو.

ودارت جلسات المؤتمر الخمس حول المحاور التالية:

■ الحوار وأصوله الدينية والحضارية.

(١) انعقد المؤتمر في مدريد بأسبانيا في الفترة من ١٣-١٥ رجب ١٤٢٩ هـ الموافق ١٦-١٨ يونيو ٢٠٠٨ م.

- الحوار وأهميته في المجتمع الإنساني.
- المشترك الإنساني في مجالات الحوار.
- تقويم الحوار وتطويره.
- إشاعة ثقافة الحوار و التعايش.

كما صدر عن المؤتمر إعلان مدريد الذي أكد على المبادئ التالية:

١. وحدة البشرية، وأن أصلها واحد، والمساواة بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وثقافتهم.
٢. سلامة الفطرة الإنسانية في أصلها، فالإنسان خلق محباً للخير، مبغضاً للشر، يركن إلى العدل، وينفر من الظلم، تقوده الفطرة النقية إلى الرحمة، وتدفع به إلى البحث عن اليقين والإيمان.
٣. التنوع الثقافي والحضاري بين الناس آية من آيات الله، وسبب لتقدم الإنسانية وازدهارها.
٤. الديانات الإلهية تهدف إلى تحقيق طاعة الناس لخالقهم، وتحقيق السعادة والعدل والأمن والسلام للبشر جميعاً، وتسعى إلى تقوية سبل التفاهم والتعايش بين الشعوب، على الرغم من اختلاف أصولها وألوانها ولغاتها، وتدعو إلى نشر الفضيلة بالحكمة والرفق، وتنبذ التطرف والغلو والإرهاب.
٥. احترام الديانات الإلهية، وحفظ مكانتها، وشجب الإساءة لرموزها، ومكافحة استخدام الدين لإثارة التمييز العنصري.
٦. السلام والوفاء والمصداقية بالعهود، واحترام خصوصيات الشعوب، وحققها في الأمن والحرية وتقرير المصير، هي الأصل في العلاقة بين الناس، وتحقيقها غاية كبرى في الديانات، وفي أي ثقافة إنسانية معتبرة.
٧. أهمية الدين والقيم الفاضلة، ورجوع البشر إلى خالقهم في مكافحة الجرائم

- والفساد والمخدرات والإرهاب، وتماسك الأسرة وحماية المجتمعات من الانحرافات.
٨. الأسرة هي أساس المجتمع، وهي لبنته الأولى، والحفاظ عليها وصيانتها من التفكك أساس لأي مجتمع آمن مستقر.
٩. الحوار من ضروريات الحياة، ومن أهم وسائل التعارف والتعاون، وتبادل المصالح، والوصول إلى الحق الذي يسهم في سعادة الإنسان.
١٠. الحفاظ على البيئة وعلى طبيعة الأرض وحمايتها من التلوث والأخطار البيئية التي تحيط بها، هدف أساس تشترك فيه الأديان والثقافات.

وتضمن التوصيات التالية:

١. رفض نظريات حتمية الصراع بين الحضارات والثقافات والتحذير من خطورة الحملات التي تسعى إلى تعميق الخلاف وتقويض السلم والتعايش.
٢. تعزيز القيم الإنسانية المشتركة، والتعاون على إشاعتها في المجتمعات، ومعالجة المشكلات التي تحول دون ذلك.
٣. نشر ثقافة التسامح والتفاهم عبر الحوار لتكون إطاراً للعلاقات الدولية من خلال عقد المؤتمرات والندوات وتطوير البرامج الثقافية والتربوية والإعلامية المؤدية إلى ذلك.
٤. الاتفاق على قواعد للحوار بين أتباع الديانات والثقافات، تركز من خلاله القيم العليا والمبادئ الأخلاقية التي تمثل قاسماً مشتركاً بين أتباع الأديان والثقافات الإنسانية لتعزيز الاستقرار وتحقيق الازدهار لبني الإنسان.
٥. العمل على إصدار وثيقة من قبل المنظمات الدولية الرسمية والشعبية تتضمن احترام الأديان واحترام رموزها وعدم المساس بها؛ وتجريم المسيئين لها.

ولتحقيق المقاصد التي ينشدها المؤتمر من الحوار، اتفق المشاركون على الأخذ بالوسائل الآتية:

١. تكوين فريق عمل لدراسة الإشكالات التي تعيق الحوار، وتحول دون بلوغه النتائج المرجوة منه، وإعداد دراسة تتضمن رؤى لحل هذه الإشكالات والتنسيق بين مؤسسات الحوار العالمية.

٢. التعاون بين المؤسسات الدينية والثقافية والتربوية والإعلامية على ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية، والتصدي للإباحية والانحلال وتفكك الأسرة وغير ذلك من الرذائل المختلفة.

٣. تنظيم اللقاءات والندوات المشتركة وإجراء الأبحاث وإعداد البرامج الإعلامية، واستخدام الإنترنت ومختلف وسائل الإعلام، لإشاعة ثقافة الحوار والتفاهم والتعايش السلمي.

٤. إدراج قضايا الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات في المناشط الشبابية والثقافية والإعلامية والتربوية.

٥. دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى تأييد النتائج التي توصل إليها هذا المؤتمر والاستفادة منها في دفع الحوار بين أتباع الديانات والحضارات والثقافات من خلال عقد دورة خاصة للحوار.

ويأمل المشاركون في المؤتمر من خادَم الحرمين الشريفين أن يبذل مساعيه في عقدها في أقرب فرصة ممكنة، ويسر المؤتمرين المشاركة في الدورة من خلال وفد يمثلهم تختاره رابطة العالم الإسلامي.

والتزاماً بما اتفق عليه المشاركون في المؤتمر من مبادئ ومفاهيم، فإنهم يؤكدون على ضرورة أن يظل الحوار مفتوحاً وبصورة دورية.

وقد شارك في المؤتمر ٣٠٠ شخصية من مختلف أنحاء العالم يمثلون مختلف الديانات

والمذاهب والتوجهات، من المسلمين والمسيحيين واليهود والايديين والسيخ والبوذيين والهندوس.

وشارك من علماء الشيعة ساحة الشيخ الصفار وساحة الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وساحة السيد أبو القاسم الديباجي الأمين العام للهيئة العالمية للفقهاء الإسلاميين، إمام جماعة في الكويت.

وعلى هامش المؤتمر كانت لساحة الشيخ الصفار بعض المشاركات الإعلامية منها ما يلي:

■ تصريح لقناة العربية الفضائية ضمن نشراتها الإخبارية الأربعاء ١٣ رجب ١٤٢٩هـ - ١٦ يوليو ٢٠٠٨م.

■ تصريح لقناة الإخبارية الفضائية ضمن تقريرها عن المؤتمر الخميس ١٤ رجب ١٤٢٩هـ - ١٧ يوليو ٢٠٠٨م.

■ لقاء مع قناة (LBC) الفضائية ضمن برنامج (أنت والحدث) الأحد ١٧ رجب ١٤٢٩هـ - ٢٠ يوليو ٢٠٠٨م وبالمشاركة مع:

١. الشيخ الدكتور عبدالله بن بيّة نائب رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين.

٢. الشيخ حسن الصفار من القطيف في المملكة العربية السعودية.

٣. الأنباء بي سنتي أسقف حلوان والمعصرة للأقباط الأرثوذكس في مصر.

٤. الحاخام مارك شناير رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في أمريكا الشمالية.

■ لقاء مع قناة (اقرأ) الفضائية بالمشاركة مع الدكتور أسعد محمود السحمراني أستاذ العقائد والأديان المقارنة في جامعة الإمام الأوزاعي.

■ لقاء مع جريدة (عرب نيوز) نشر بتاريخ الجمعة ١٥ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٨

يوليو ٢٠٠٨ م.

والتقى سماحة الشيخ الصفار خلال المؤتمر عددًا من الشخصيات المشاركة لتجسيد التعارف، وتعزيز التواصل وتداول الرأي حول القضايا المطروحة للحوار في المؤتمر. وقد رافق الشيخ الصفار الأستاذ يحيى محمد قريش رجل الأعمال والناشط الاجتماعي من مدينة صفوى بمحافظة القطيف. وأتيحت لسماحة الشيخ الصفار الفرصة لزيارة آثار الحضارة الإسلامية في الأندلس، حيث قام بزيارة لمدينة طليطلة، ومدينة قرطبة، ومدينة غرناطة.

الصفار: محاولات فرض الآراء تؤدي إلى النزاعات^(١)

« بديع أبو النجا »

عبر الشيخ حسن الصفار، العالم السعودي البارز، عن أمله أن المؤتمر العالمي للحوار في مدريد سيساعد على هزيمة مثيري الحروب والنزاعات وكذلك الداعين إلى صدام الحضارات.

الشيخ الصفار قال متحدثاً إلى عرب نيوز على هامش المؤتمر: إن فرض الأيديولوجية على الآخرين كان العامل الرئيس الذي يهدد التعايش السلمي بين الناس على اختلاف معتقداتهم.

«بعض الناس يعتقدون أن من حقهم فرض رؤاهم على الآخرين لأنهم يعتقدون أن معتقدتهم وحده على الحق والآخرون على باطل وأن محاولة السيطرة على الآخرين تضعف التعايش والعلاقات الإنسانية».

وأضاف «إن أولئك الذين يريدون الترويج لأفكارهم يجب أن يقدموها بأسلوب لائق وإعطاء الناس الخيار في قبولها أو رفضها، هذا سيشجع التفكير الحر ويولد الاحترام

(١) جريدة عرب نيوز الجمعة ١٤ رجب ١٤٢٩ هـ، الموافق ١٨/٧/٢٠٠٨ م.

لآراء الآخرين».

الشيخ الصفار امتدح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله على أخذ زمام المبادرة في الدعوة إلى مؤتمر الحوار بين الأديان. «الملك دعا إلى اجتماع علماء المسلمين البارزين ومفكرهم في مكة الشهر الماضي للتحضير لمثل هذا الحوار».

وتحدث الشيخ أيضاً عن النقاط الأساس في خطاب الملك عبدالله عند افتتاحه لمؤتمر مدريد يوم الأربعاء قائلاً: «إن الأفكار التي طرحها الملك كانت في غاية الأهمية فقد أكد الملك على أن الإنسان الذي باستطاعته أن يكون سبباً في دمار هذا الكوكب عنده القدرة على جعله واحدة من السلام والهدوء حيث أتباع الأديان على اختلافهم يستطيعون التعايش واحترام بعضهم البعض وحل مشاكلهم عن طريق الحوار دون اللجوء إلى العنف».

كما أشار الشيخ الصفار إلى التصريح الذي أدلى به عبدالله التركي الأمين العام لمنظمة رابطة العالم الإسلامي عندما قال إن المؤتمر لن يبحث الخلافات المثيرة للجدل سياسياً ودينياً.. «هذا أمر مهم لأن البشرية عانت كثيراً بسبب الخلافات الدينية ومحاولات فرض الرأي على الآخر حيث أدى في بعض الحالات إلى صراعات. لقد حان الوقت لقبول الآخر».

واستشهد الشيخ بآية من القرآن الكريم أشارت إلى ستة أديان مختلفة بما فيها اليهودية والمسيحية، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالتَّصَارِي وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج، الآية: ١٧] «إن القرآن أشار إلى تلك الأديان لأنها تعيش في هذا العالم وأنه من واجب المسلمين التعايش مع أتباعها بسلام».

وقد حث المسلمين على أن يكونوا أكثر موضوعية وعقلانية في تعاملهم مع الأديان الأخرى: «إن مشكلتنا أننا لا نقرأ الآخرين قراءة صحيحة وأننا نعتمد فقط على أحكام مسبقة عن الآخرين بشكل لا يتفق مع الواقع».

وقال الشيخ أيضًا إن الأديان كاليهودية والمسيحية والبوذية طرأ عليها تغيرات في القرون الماضية كالتغيرات التي حدثت في الفكر الإسلامي. «لا يمكننا أن نرسم صورة عن دين آخر معتمدين على كتاب قديم كتب قبل بضعة قرون».

وفي حديث الشيخ عن إسبانيا قال: إن الإسلام له حضور مهم في هذا البلد «من إسبانيا، انتشرت الحضارة الإسلامية في أنحاء أوروبا»، وأضاف إن الحضارة الإسلامية قد استفادت من الأفكار الأخرى.

وقد تمنى الشيخ الصفار أن مؤتمر الحوار بين الأديان سيروج للتفاهم بين أتباع الأديان المختلفة. كما حث الإعلام لدعم الحوار بين الأديان من أجل تحقيق السلام العالمي. وقال الشيخ الصفار أيضًا إن المؤتمر ساعد على أن يجمع بين أتباع المدارس الفكرية الإسلامية (المذاهب). «حتى قادة المذاهب في البلد الواحد ما كانوا ليجتمعوا هذا فضلًا عن قادة الأديان المختلفة».

وأضاف الشيخ قائلاً: علينا أن نؤسس منظمات مشتركة لأتباع مختلف الأديان، فمثلاً منظمة للتأكيد على أهمية العائلة وأخرى لدعم السلام والاستقرار. بهذه الطريقة يستطيع الدين أن يقوم بدور أكبر في قضايا الإنسان وحماية القيم الإنسانية.

الشيخ الصفار: بدأ عصر الغيبة بدور قيادي للمرأة^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل النسائي الذي أقامته حسينية الأطهار في حي الرابعة بمحافظة القطيف، بمناسبة مولد الإمام المهدي ﷺ مساء يوم الخميس ٢٠ / ٨ / ١٤٢٩ هـ حيث تحدث لهن عبر الشاشة التلفزيونية.

وقد تحدث سماحته عن الأدوار التي ينبغي للمرأة أن تمارسها لتكون حاملة للرسالة كما كانت النساء المسلمات في العصر الإسلامي الأول مستشهداً بالسيدة خديجة ﷺ والسيدة زينب ﷺ وباقي نساء البيت الطاهر.

وقد بدأ سماحة الشيخ كلمته بسؤال: أيتها الأخوات، هل تعلمن أن عصر الغيبة قد بدأ بدور قيادي للمرأة؟

وأجاب سماحته: هذا الدور هو الذي نفهمه من الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق عن أحمد بن إبراهيم، قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن صاحب العسكر ﷺ في سنة اثنتين ومئتين، فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم بهم، ثم قالت: والحجة بن الحسن، فسمت إلي أن قال: فقلت لها: أين

(١) أقيم الحفل بحسينية الأطهار بالقطيف بتاريخ ٢٠ شعبان ١٤٢٩ هـ، الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨ م.

الولد؟ يعني الحجة ﷺ قالت: مستور، فقلت: إلى من تفرع الشيعة؟ فقالت إلى الجدة أم أبي محمد ﷺ، فقلت لها: اقتدي بمن وصيته إلى امرأة؟ قالت: اقتداء بالحسين بن علي، والحسين بن علي ﷺ أوصى إلى أخته زينب بنت علي ﷺ، في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين ﷺ من علم ينسب إلى زينب سترًا على علي بن الحسين ﷺ.

من هذه الرواية وبالخصوص هذا المقطع (إلى من تفرع الشيعة؟ فقالت إلى الجدة أم أبي محمد) نفهم أن الإمام ﷺ أرجع الشيعة إلى (الجدة)، كل الشيعة وليس النساء فقط!! وقال سماحته: نحن إذ نحتفي بذكرى الميلاد يجب أن نستحضر أن مع بداية الغيبة بدأ دور خاص للمرأة، يحملها المسؤولية، ويطلبها بالقيام بدور قيادي.

وقال: إن دوركن في الصميم من الدين وأمور المجتمع، ومخطئ من يقول إن دوركن هامشي، إنه في صميم جوهر الدين، فالدين الإسلامي بدأ بدعم رئيس ولا محدود من امرأة، هي أم المؤمنين السيدة خديجة ﷺ، إذ لم يقف أحد مع الإسلام في بدايته كما وقفت خديجة ﷺ، وقد ورد أن الإسلام قام على مال خديجة، والمال جزء أساس في العمل وليس كل ما بذلته خديجة ﷺ فقد أعطت الدعم بالعقل والمال وبذلت الدعم المعنوي في خدمة رسول الله والدين الجديد.

وأضاف سماحته: كما أن أهم قضية تاريخية وأعظم ثورة شكلت منعطفًا تاريخيًا واجتماعيًا في حياة الأمة ثورة كربلاء صنعها اثنان: الإمام الحسين وأخته السيد زينب، مع أن المعاناة التي عانتها السيدة زينب أكثر وأكبر، فقد بدأت معاناتها مع الإمام الحسين واستمرت المعاناة بعد استشهادها ﷺ، فتحملت الأسر بكل ما فيه من قسوة وجهد.

وأوضح سماحة الشيخ الصفار أن الدور المطلوب من المرأة في المجال الديني والاجتماعي وخاصة في هذه الظروف وهذه التحديات تنقسم إلى دورين، مؤكدًا أن الدور الأول ينطلق من موقعها كأم تتحمل مسؤولية كبيرة في تربية النشء على القيم والانتصار لها، مستشهدًا بقول الإمام الحسين: (وحجور طابت وطهرت)، فالقلق

يتملك قلوب المخلصين على مستقبل القيم لما يرى من جرائم وانحرافات بدأت تشيع في المجتمع الذي كان يوصف بأنه متمسك ومحافظ، ولا أحد يستطيع الانتصار للقيم مثل المرأة لأنها المسؤولة عن التنشئة والتربية.

ورفض سماحته أن تشغل المرأة عن هذا الدور المقدس والمهمة الأولى والأرقى في صناعة الإنسان بأمور هامشية كمتابعة المسلسلات والموضات، وأن تتلخص شخصيتها في ذلك.

أما عن الدور الآخر فقال سماحته: إن مجتمعنا يعاني من حالات فقر ومشاكل صحية واجتماعية، كما يعاني من اضطرابات أسرية، لذا يجب على المرأة في مجتمعنا أن تتحمل هم المجتمع، فنحن في حاجة إلى نساء تتصدى لتلك المهام.

وختم سماحة الشيخ كلمته بالطلب من الأخوات الكريهات أن يتحملن المسؤولية وأن يتصددين لحاجات المجتمع بالجهد الفكري والمالي.

الشيخ الصفار في تلفزيون المنار متحدثاً عن: الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام (١)

بث قناة المنار الفضائية حوارًا مع سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الأحد
١٤٢٩/٨/٩ هـ الموافق ٢٠٠٨/٨/١٠ م، بعنوان «الدعاء عند أهل البيت» ضمن
برنامج الكلمة الطيبة الذي يقدمه الإعلامي: محمد ذكير.

وقد أكد سماحة الشيخ على:

- أهمية الدعاء في الإسلام.
- وكيف اهتم أئمة أهل البيت عليهم السلام به.
- وما سبب وجود هذا الكم الهائل من الأدعية لديهم.
- وكيف تجلت شروط استجابة الدعاء في أدعيتهم.
- وكيف تتجلى معالم التوحيد ومفاهيم العقيدة وتزكية النفس في هذه الأدعية.

هذا وتحديث سماحته عن ثلاثة أمور تبين أهمية الدعاء، وهي: أن الدعاء انبعث

(١) قناة المنار الفضائية. برنامج الكلمة الطيبة بث بتاريخ ٩ شعبان ١٤٢٩ هـ الموافق ١٠ أغسطس ٢٠٠٨ م.

فطري وجداني، وأنه مظهر للعبودية، وتجسيد للإقرار بالخضوع لله سبحانه، وأنه يرفع معنويات الإنسان، ويفتح أمامه آفاق الأمل في هذه الحياة.

وقال سماحته عن عبارة أن الدعاء سلاح المؤمن: «الإنسان المؤمن في هذه الحياة يعيش معركة ضد أهوائه وشهوته، وشياطين الإنس والجن» لذا فهو يحتاج إلى سلاح لمواجهةهم.

ونفى الشيخ الصفار أن يكون الدعاء بديلاً عن العمل، فللدعاء وظيفة هي «شحن المهمة في طريق العمل»، وأن من «يتجه إلى الدعاء دون أن يسعى من أجل تحقيق ما يدعو من أجله فهذا في الواقع لم يفهم معنى الدعاء».

وعن هذا الكم الهائل من الأدعية الواردة عن أهل البيت قال سماحته: الدعاء كان منهجاً لأهل البيت في إثراء وتنمية الجانب الروحي في حياة الإنسان المسلم في مقابل التوجهات الشهوانية والمادية، بالإضافة إلى تكريس المفاهيم والتربية الأخلاقية، فالجانب التربوي الأخلاقي في أدعية أهل البيت ﷺ يحمل الكثير من المفاهيم الدينية الحقيقية، التي تعرف الإنسان بالكون والحياة وتذكره بعظمة خالقه سبحانه وتعالى، وأيضاً توجهه إلى مكارم الأخلاق.

وأشار سماحة الشيخ إلى العلاقة الموجودة بين أهل البيت والقرآن وظهر ذلك في أدعيتهم، فأهل البيت منفتحون على القرآن وهم العارفون بآياته ومفاهيمه، لذلك نجد مضامين الآيات القرآنية موجودة في أدعيتهم باقتباس آيات قرآنية أو أجزاء منها، كما أنه بإمكاننا أن نستفيد من أدعية أهل البيت لفهم الكثير من آيات القرآن الكريم، لأن هذه الأدعية تسلط الضوء على أبعاد وأغراض وأهداف هذه الآيات الكريمة، وتوضح لنا معانيها، ويمكن من خلال الدعاء أن نستشف الكثير من المفاهيم والأغراض الموجودة في الآيات.

وعن التوسل الوارد في الأدعية قال سماحته: هذا موضوع أثرت حوله بعض

الإشكالات، فبعض المدارس عندنا، وخاصة المدرسة السلفية يشكلون على مسألة التوسل بالأنبياء والأئمة والصالحين، وهذا رأي خاص بهم، أما بقية المسلمين من كل المذاهب الإسلامية فلا يرون في هذا التوسل ضيراً، بل بالعكس، يعتبرونه من أسباب قبول الدعاء، ومن أسباب الاستجابة، ويستدلون بروايات وردت في الكتب الحديثية، كما في سنن الترمذي حديث رقم ٣٥٧٨ عن النبي ﷺ أن الإنسان في سيره إلى الصلاة إلى المسجد يدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسالك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا) الرسول ﷺ يعلم هذا الدعاء، وفيه توسل بحق السائلين، كل الناس السائلين من أنبياء وأولياء وأناس عاديين.

كما استشهد سماحته بالحديث الذي أورده الحاكم في المستدرک وهو الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ لرجل كفيف البصر، قال له أدع بهذا الدعاء: «اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك فيجلي لي عن بصري، اللهم شفعه فيه، وشفعني في نفسي يا محمد» هذا الدعاء ذكره الحاكم في المستدرک، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه يعني بذلك الشيخان البخاري ومسلم.

وحول انفتاح بقية المسلمين على مدرسة الدعاء عند أهل البيت ﷺ قال سماحته: أنا لا أعتقد أن المسألة مسألة تعصب، إنما هي مسألة وصول هذه الأدعية إلى أيدي المسلمين، هذا التراث غيب لفترة طويلة، لأن تراث أهل البيت واجه تعتياً وتغييباً، حينما ينشر هذا التراث ويصل في صورته السليمة النقية الصحيحة، أنا أعتقد أن المسلمين في كل مكان سيقبلون عليه، مثلاً دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب لا بد أن يكون مقبولاً لأن الإمام علياً مقبول عند جميع المسلمين، ودعاء كميل ليس فيه أي نقطة خلاف.

كما تحدث سماحته عن شرط ذكر الصلاة على محمد وآل محمد في مفتتح الدعاء لأن في ذلك أمراً إلهياً جاء في القرآن الكريم، يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦]، ولأن النصوص جاءت تحبذ ابتداء المسألة بهذه الصلاة، قال أمير المؤمنين عليه السلام «إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَةٌ حَاجَةٌ فَأَبْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعِ الْأُخْرَى».

وقال سماحته حول عدم ذكر بعض المسلمين الآل في صلاتهم: كل المسلمين يذكرون أنه سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نزول الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ كيف نصلي عليك؟ فقال لهم: «قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»^(١)، وعند جميع المسلمين في التشهد لا تصح الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله إلا بذكر آله، لا تكون الصلاة مجزية إلا بذكر آله، ولكن أعتقد أن القضية ترتبط بالعهود السابقة التي حصلت، كما في عصر الأمويين الذين كانوا يجردون أن ذكر أهل البيت، تعزيز لمكانتهم في الأمة، وضمن الصراع السياسي بدأت مسألة إغفال ذكر اسم أهل البيت صلى الله عليه وآله، فسار عليه كذلك بنو العباس، وسار عليه الكثيرون، لكن الحمد لله أن بعض العلماء، حتى بعض العلماء السلفيين أجد أن عندهم حرصًا على ذكر (وآله) حين يذكرون النبي فيصلون عليه، صلى الله عليه وآله، ونحن نحسن الظن بالمسلمين لأنهم اعتادوا هذا الأمر، وهي متوارثة، فمكانة أهل البيت صلى الله عليه وآله في الأمة ليست مجهولة، والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حقهم كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم كثيرة، كقوله: «أذكركم الله في أهل بيتي»، وقوله: «إني مخلف فيكم الثقلين»، هذه المكانة غير مجهولة غير منكورة لكن كما ذكرت إنها إرث من حالة تاريخية سابقة وينبغي أن نحسن الظن.

(١) سنن أبي داود. ج ١، ص ٢٢١، حديث ٩٧٦.

عن شخصية الإمام موسى الصدر^(١)

استضافت ديوانية العكراوي بالقديح سماحة الشيخ حسن الصفار للحديث عن شخصية الإمام السيد موسى الصدر، وذلك مساء الجمعة ١١/٩/١٤٢٩ هـ. وقد تحدث سماحة الشيخ عن تجربة الإمام الصدر لإنهاض المجتمع وبناء قدراته عبر ثلاث نقاط.

■ الأفق الثقافي الواسع.

■ الانفتاح على الجهات المختلفة ثقافياً ومذهبياً وسياسياً.

■ التصدي للشأن العام اجتماعياً وسياسياً.

مشيراً سماحته إلى أن الشعوب والأمم لا تنهض فجأة بل هناك مقدمات وتراكمات تصل إلى لحظة تتجلى فيها حالة النهوض، ولبنان كنموذج مرّ بتجارب تراكمية بدأت بالشهيدين الأول والثاني مروراً بالسيد الأمين والسيد شرف الدين إلى أن وصل الدور للإمام الصدر، الذي لم يصبح طليعاً بين عشية وضحاها، بل كان لفكر النهوض علاقة معه منذ أيام الشباب حين كان ضمن طليعة التغيير والنهضة في قم المقدسة إلى جوار العلماء

(١) ألقى المحاضرة في ديوانية العكراوي بالقديح مساء الجمعة ١١ رمضان ١٤٢٩ هـ.

الطليعيين أمثال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي والسيد البهشتي والشهيد مطهري. وأضاف سباحته: السيد الصدر لم يكتف بتشخيص المشكلة والحديث عن الخطر الثقافي الموجه للأمة، بل عمل على التغيير والإصلاح وساهم في تأسيس المؤسسات للعمل النهضوي كان منها مجلة (مكتب إسلام/ مدرسة الإسلام)، ومدرسة أهلية تحمل على عاتقها تعليم وتربية جيل إسلامي متنور في مقابل المدارس الحكومية التي تبث الأفكار المنحرفة المنسلخة عن الهوية الإسلامية.

وقال سباحته: والشيء اللافت للانتباه في حياة الإمام الصدر العلمية أنه لم يكتف بما تلقى وبنجاح بارز من الدروس الدينية الحوزوية، بل قرر اللحاق بركب العلوم الأكاديمية، حيث التحق بكلية الحقوق في جامعة طهران عام ١٩٥٠م، فكانت عمالته أول عمامة تدخل الحرم الجامعي، وقد نال شهادة البكالوريوس عام ١٩٥٣م.

ثم انتقل سباحة الشيخ بالحديث عن تجربة الإمام الصدر في لبنان الساحة المناسبة للعمل التي قرر الإمام الصدر أن تكون ساحة عمله وفيها بداية مشروعه، منطلقاً من ميزات الإمام الصدر الشخصية التي أهلتها للقيادة في تلك المرحلة.

عن الميزة الأولى (الأفق الثقافي الواسع) قال سباحة الشيخ: الهيكل العظمي في معارف العالم هي الفقه والأصول وهذه لا تكفي لفهم العالم والمجتمع، لذا على العالم أن يطلع على العلوم المعاصرة والمسائل السياسية والوضع السياسي، لم يكتف الإمام الصدر بالعلوم الحوزوية بل انفتح على العلوم الأخرى لتساعده على القيام بدوره، حيث عمل له برنامجاً تابع من خلاله الصحافة الصادرة في لبنان وقرأ الكتب الجديدة التي تصدر هناك لجميع التيارات والاتجاهات، وقد كون هذا البرنامج قاعدة معلومات كبيرة اعتمد عليها الإمام الصدر في حياته العملية.

وعن الميزة الثانية (الانفتاح على الجهات المختلفة) قال سباحته: كان سباحة الإمام الصدر يبحث عن الثغرات وأماكن الفراغ فيتوجه لها، ومن تلك الفراغات علاقات

الشيعة في لبنان بمحيطهم، فحاول أن يبني جسور اللقاء بينهم وبين المسيحيين الذين كانوا مهيمنين على الساحة، وكذا الأحزاب السياسية والمسلمون السنة غيرهم. لقد سعى الإمام الصدر إلى إقامة العلاقات مع الجامعات السياسية والمذهبية المسيحية والإسلامية، وتوسعت هذه العلاقات يوماً بعد آخر.

وخلال فترة وجوده أقام روابط تعارف مع العلماء والشخصيات، حتى كان له مع أغلبهم صداقات متينة.

وقد أعلن ذلك في كلمة ألقاها بعد تأسيس المجلس الشيعي الاسلامي الأعلى، أكد فيها على نقطتين: عدم التفريق بين المسلمين، والتعاون مع الطوائف اللبنانية كافة. وعن الميزة الثالثة (التصدي للشأن العام) قال سماحته: كان السؤال الدائر في ذهن الإمام الصدر في الجانب السياسي: من هو قائد الطائفة؟

لهذا كان العمل على تأسيس مجلس يقود الطائفة ويجمع كل الكفاءات العلمية والسياسية، يكون المظلة التي تتحرك من خلالها الطائفية في المطالبة بحقوقها. وأضاف سماحته: وفي الجانب الاقتصادي تحرك الإمام الصدر وعمل برنامجاً لرفع المستوى الاقتصادي وتعليم المهن، ليجعل من الشباب فاعلين اقتصادياً، كما وجه بعضهم لامتهان التجارة والهجرة إلى الخارج لبناء الكفاءة الاقتصادية.

وقال الشيخ: عندما قرأ الإمام الصدر الوضع في لبنان ووجده متجهاً لتكوين التكتلات العسكرية قرر أن ينشأ حركة أمل لتحمي هذا الكيان الفتي.

الشيخ الصفار يتابع الإنجازات العلمية^(١)

«منير النمر»

أثنى الشيخ حسن الصفار على الحدث العلمي الكبير الذي أطلقه العلماء الأوروبيون الذين يجرون أكبر تجربة عرفتها البشرية لمعرفة «بداية الخلق»، مبدئياً أسفه أن لا وجود للمسلمين في مثل هذه الإنجازات الكبيرة رغم أنهم يتلون قرآنًا يأمر بالنظر والتأمل في الكون لاكتشاف أسراره وخيراته.

ودعا الأمة الإسلامية إلى التمسك بدستورها القرآني، وقال: «يفترض في الأمة أن تكون رائدة الأمم في اكتشاف أغوار الحياة والكون، خصوصاً أنها كانت كذلك حينما اتجهت إلى التأمل والتفكير في آيات الله تعالى، فكان لها السبق في تقديم نظريات اتخذها العلماء الغربيون أرضية لأبحاثهم وتجاربهم واكتشافاتهم». مشيراً إلى أن الأمة تراجعت عن هذا المنهج القويم، واتجهت نحو اهتمامات هامشية، فتراجعت قوتها وأصبحت في آخر الركب، بعد أن كانت رائدة فيه.

يشار إلى أن التجربة جرت يوم الأربعاء الماضي على الحدود السويسرية الفرنسية،

(١) جريدة الرياض. العدد ١٤٦٩٣ الصادر بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٢٩هـ، الموافق ١٥ سبتمبر ٢٠٠٨م.

وأشارت تقارير إلى أن الإعداد لها تم على مدى سنوات، حيث تم إطلاق مئات الملايين من بروتونات الذرة وجزيئاتها في نفق دائري بطول ٢٧ كيلومترًا، وعمق ١٠٠ متر تحت الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلم.

وينتج عن هذا كله ستائة مليون تصادم بين الجزيئات في الثانية الواحدة، ويؤدي كل واحد منها إلى انشطار آلاف الأجزاء من الجزيئات، والتي يتم تسجيلها ورصدها تمهيدًا للتعرف عليها، كما بلغت تكلفة المعجل التصادمي ثلاثة مليارات يورو، وسيبدأ تشغيله رسميًا يوم ٢١ أكتوبر (تشرين الأول) المقبل.

الشيخ الصفار يُشيد بشمولية الاهتمام الاجتماعي للشيخ عبد الله المطرود^(١)

أشاد الشيخ حسن الصفار بشخصية الحاج عبد الله المطرود وأخيه الحاج إبراهيم وانطلاقتها الوجدانية التي شملت الجميع، فكان عطاؤهما مبذولاً لجميع شرائح المجتمع بمختلف ميادين العطاء، مؤكداً أن هذا هو الفهم الصحيح للإسلام. مضيفاً: إن عزوف الإنسان عن الانفتاح إنما يكشف عن وجود شيء من الغبش قد اعترى نفسيته، مشيراً أن البعض يعتقدون أنهم بعزوفهم ينطلقون من منطلق ديني، وهم بالتأكيد مخطئون في هذا الاعتقاد، لأن الدين يأمر بالانفتاح ويدعو له.

وعبر الشيخ الصفار عن مشاعره الإيجابية بإقامة الحفل التكريمي لذكرهما، مؤكداً أن أهم استفادة ينبغي التوجه لها هي أخذ الدروس والعبر من حياة هذه الشخصية المعطاء لتقديم واجب الوفاء.

وأشار أن الناس يختلفون في تعاطيهم مع أوضاع مجتمعاتهم، فهناك أناس يعيشون

(١) أقيم التكريم في مسجد الحمزة بن عبدالمطلب بسيهات بتاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٩هـ، الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨م.

اللامبالاة فلا يهتمون بمناطق الضعف ولا يرون أنفسهم معينين بأوضاع مجتمعاتهم، فهم يعيشون لذواتهم فقط. وهناك أناس يهتمون بالمشاكل التي تُمثّل حالة طارئة أو بجانب معين من القضايا الاجتماعية. وهناك أناس يُفكّرون بشكل استراتيجي مستقبلي، وينظرون في أوضاع مجتمعاتهم بشكل شمولي ويتحملون المسؤولية تجاه هذه الأوضاع. مؤكداً أن هذا الاحتفاء التكريمي يُجدد ذكرى شخصيتين تُمثّلان نموذجاً للتليعة الرائدة في المجتمع والتي تنطلق في خدمة المجتمع بتفكير استراتيجي.

وعن نشوء الحالة الواعية والتفكير الاستراتيجي للفرد، أوضح الشيخ الصفار ثلاثة روافد مهمة تُهيء الأرضية الخصبة لذلك:

أولاً: الامتداد التراكمي التاريخي، بحيث يكون الانطلاق من خلال التجارب والخبرات السابقة في المجتمع.

ثانياً: المستوى الثقافي والمعرفي، فيكون هو الدافع الأساس باتجاه تحمل المسؤولية الاجتماعية، فوعي الإنسان غالباً يقوده إلى استهاض طاقاته وتفعيلها في خدمة الرسالة التي يؤمن بها.

ثالثاً: الحالة العصامية، فينطلق الإنسان نحو تحمل المسؤولية من منطلق فطري وجداني، دون أن يكون هناك مخزون ثقافي معرفي، أو تجارب حاضرة في المجتمع لها جذورها.

وأضاف: حسب تقويمه لشخصية الحاج عبد الله المطرود وأخيه الحاج إبراهيم فإنهما ينتميان لهذه الفئة الثالثة، حيث لم تكن البيئة الاجتماعية التي عاشا فيها تمتلك الخبرات والتجارب السابقة، بل كانا رائدين في طريقة الخدمة الاجتماعية. وكذلك فإنهما لم ينطلقا من مخزون معرفي أكاديمي.

وأشار الشيخ الصفار إلى أبرز معالم التفكير الاستراتيجي المستقبلي الذي كان يتحلّى به الحاج عبد الله المطرود، وهي:

أولاً: شمولية التفكير في قضايا المجتمع، حيث إنه كان يُفكر في استيعاب أكبر قدر ممكن من قضايا المجتمع في مختلف المجالات، الدينية والاجتماعية والاقتصادية، بعكس البعض من الناس الذين يحرصون اهتمامهم بجانب واحد دون آخر، مع أهمية كل الجوانب. إلا أن شمولية التفكير عند الحاج المطرود جعلت منه شخصية رائدة. فقام بتأسيس ورعاية نادي الخليج، واهتم بقضايا الفقر والحاجة في المجتمع فرعى وأسس جمعية سيهات، وهي أول جمعية رسمية في المملكة، وكان له دوره البارز في بناء المساجد في مختلف مناطق الوطن، دون أن يكون لديه تمييز بين شرائح الوطن. فقد أسهم في بناء مساجد لإخواننا أهل السنة، كما أشاد وأسهم في بناء مساجد للشريعة وكان يساند ويدعم علماء الدين.

ثانياً: المأسسة، فكثيرون هم الذين يُقومون بأعمال الخير والبر في المجتمع، إلا أنهم بمجرد أن يموتوا تنقرض أعمالهم. والقلة من هؤلاء من يُمارسون أعمال الخير بأسلوب مؤسسي. وهذه السمة مما يميز بها الحاج المطرود.

ثالثاً: المبادرة والريادة، فقد كانت أعمال الحاج المطرود تتكلم نيابة عنه، حيث كان مبادراً ورائداً وسباقاً في أعمال الخير للمجتمع. وبذلك استحق هذا التجاوب والتعاطف الكبير مع شخصيته المعطاء.

وأشار الشيخ الصفار للانفتاحية التي كان يتحلى بها الحاج المطرود، مؤكداً أن ذلك نتيجة الانسجام الذي كان يعيشه مع نفسه ووجدانه، مما يؤهله لتبني الانفتاح والانطلاق من خلاله، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يؤكد حقيقة مهمة تدفع باتجاه الانفتاح، يقول: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».

وفي ختام مشاركته، أكد الشيخ الصفار بضرورة تقديم تجربة الحاج المطرود للأجيال القادمة، لكي يستفيدوا منها ويتلمذوا عليها، فتكون لهم منارةً نحو مستقبلٍ واعد.

الجدير بالذكر أن الحفل التكريمي أقيم مساء السبت ١٣ شهر رمضان ١٤٢٩هـ (١٤)

سبتمبر ٢٠٠٨م) في مسجد الحمزة بن عبد المطلب بمدينة سيهات، وهو ثمرة من ثمار الحاج عبد الله المطرود وأخيه إبراهيم. وقد شارك في الحفل مع سماحة الشيخ حسن الصفار الدكتور إحسان بو حليقة، عضو مجلس الشورى. وأدار الحوار الأستاذ حبيب محيف. كما تخلل الحوار مشاركات متعددة لكلٍ من: الشيخ فوزي السيف، المهندس عباس الشاسبي، الأستاذ أحمد المشرف.

كلمة الشيخ الصفار في تكريم السيد حسن العوامي^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، إنها لحظة وفاء رائعة تأخرت كثيراً، ولكنها جاءت في هذه الليلة المباركة، جزا الله من زفّها لنا، وللوطن خير الجزاء. هذا الرجل الذي نكرمه هذه الليلة، عالم رحب من الصفات الطيبة، يمكن للإنسان أن يتحدث عن كل جانب من جوانب شخصيته ساعات طويلة، إنه رجل الثقافة والفكر والمعرفة، طول حياته لم يترك الكتاب يوماً، ولم يترك القلم يوماً، يقرأ ويكتب ويتابع، ويهتم بمتابعة التطورات الفكرية والمعرفية، وهو رجل في طليعة المتصدين لقضايا مجتمعه ووطنه، لم يسأم ولم ييأس ولم يسيطر الإحباط على قلبه، رغم الصعوبات والعقبات وتقلب الظروف والأوضاع، وهو رجل رغم صلابته وقوة شخصيته؛ رقيق القلب، غزير الدمعة، ما عليك إلا أن تراه وهو في المأتم حينما يسمع شيئاً من سيرة أهل البيت (عليهم السلام)، وكم رأيتُه وهو يهتز حزناً وأماً حينما يسمع بعض المقاطع من الشعر. مرة كان الخطيب يردّد

(١) أقيم التكريم من قبل ديوانية القطيف يوم الأحد ٢٨ رمضان ١٤٢٩ هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٨ م.

هذا البيت:

هلا صفحتهم عن الأسرى بلا سبب كالصافحين بيدر عن أسيركم
وإذا بالرجل قد دخل في عالم آخر من البكاء ومن التفاعل والانفعال، وكذلك حينما
يسمع عن حاجة محتاج، أو مرض مريض، حتى إن البعض حاولوا أن يستغلوا هذه
الرقعة في قلبه فيقصدونه ليوهموه بحاجتهم، ويتفاعل مع أي قضية محتاج تطرح عليه، وفي
بعض الأحيان يقال له: سيدنا، هذه القضية تحتاج إلى بحث ودراسة حالة وتأكد، ولكن
رقعة قلبه تغلب في مثل هذه المواقف.

لا أريد أن أسترسل في الحديث، فالوقت محدود، لكنني أودّ التركيز على مفردة أراها
مهمة من مفردات تصديه للشأن العام، الشأن العام الذي يحتاج أن نعمل لتوسيع رقعة
الاهتمام به، هذا الرجل اهتم بالشأن العام، واهتمامه له مفردات عديدة، منها: التصدي،
والمبادرة، وتنسيق الجهود، وتوحيد الصفوف باتجاه خدمة الحقوق والقضايا المشتركة،
لكنني أشير هنا إلى مفردة مهمة، وهي تقديم الرأي، تكوين الرأي والتعبير عن الرأي،
مجتمعاتنا في حاجة ماسّة إلى الرأي، إلى الرأي الناقد، إلى الرأي الإصلاحي، إلى الرأي
المرشد لمسار حركة المجتمع، قسم من الناس يستصغر نفسه، لا يرى نفسه أهلاً لكي
يصنع رأياً، أو يبدي رأياً، وقسم من الناس يخشى من تبعات إبداء الرأي، لأن المجتمعات
الساکنة، التي تعاني من مشاكل التخلف والحصار والقمع والكبت؛ عادة ما يكون الرأي
فيها مكلفاً له ثمن باهظ، قد يكون ذلك من جهة سياسية ترفض وجود رأي آخر يحفز
الناس للمطالبة بحقوقهم أو لتغيير واقعهم، وقد يكون من جهة اجتماعية نافذة ورأياً
سائداً مسيطراً يرفض أي رأي آخر مخالف.

هذا الرجل استعد لدفع الثمن، كان ممتلئاً ثقة بنفسه، انطلاقاً من ثقته بربه ودينه وحق
مجتمعه المشروع، ولذلك ما كان يرى نفسه أقل من أن يبدي الرأي حول القضايا الكبيرة،
ليست المحلية فقط، وليست في محيطه الاجتماعي فقط، لو قرأنا الحلقة الثالثة من حلقاته

«من وحي القلم» لرأينا عددًا من الرسائل وجهها للمراجع العظام، ولإدارة الحوزات العلمية، وغالبًا ما يتوقف الكثيرون، حتى لو رأوا أن هناك سببًا للنقد أو إبداء الرأي يتهيب أن يقدم رأيه أمام ساحة المرجع، أو المرجعية أو قيادة الحوزة ظنًا منه أنه أقل من أن يبدي رأيًا، وفي الواقع إن أية قيادة مخلصه تريد من الناس أن يبدوا آراءهم، وتستفيد من آراء الناس، الرسول الأعظم نبينا محمد ﷺ يقول لأصحابه دائمًا وأبدًا: «أشيروا عليّ» إنه لم يخصص مجموعة من أهل الحلّ والعقد، إنما كان يخاطب المسلمين جميعًا في المسجد «أشيروا عليّ»، ومن كان من الأصحاب حول رسول الله ﷺ لم يكونوا كلهم عباقره أو جهابذة، كان فيهم من له مقام وفضل ومعرفة، ولكن الغالبية وخاصة إذا أخذنا مسألة الزمن بعين الاعتبار، كانوا في مستوى متواضع أو عادي، وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ أنه كان يتحدث عن أبيه الإمام موسى الكاظم ﷺ، قال: «كان عقله لا توازن به العقول وربما شاور الأسود من سودانه، فقيل له: تشاور مثل هذا؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه»^(١). إذاً هذا الرجل ما كان يجد غضاضة في أن يكتب رسائل ناقدة ينقد فيها بعض ما يراه محتاجًا إلى الإصلاح، ويعبر عن رأيه أمام المراجع العظام، وأمام العلماء والقيادات الكبيرة، وهذا ما ينبغي أن يكون، نحن جزء من هذه الطائفة، من هذا المذهب، وبالتالي لا بدّ أن نسهم أيضًا في ترشيد المسار، لا نعتبر أنفسنا مجرد جهة تابعة، أو جهة غير قادرة على أن تعطي وأن تقدم، نحن أيضًا كغيرنا، قادرون على أن نقدم فكرة و نقدم رأيًا، وكذلك رسائله إلى المسؤولين في البلاد، التي يتحدث فيها بقوة وبكل صراحة ووضوح عن نقده لأوضاع التمييز الطائفي، وعن المشاكل التي يعاني منها أبناء المجتمع، وقد دفع ضريبة من أجل ذلك، وهو قرير العين، سعيد النفس، بما قدّم لوطنه ومجتمعه، وكذلك إلى مختلف الشرائح في المجتمع، رسائله إلى الخطباء، في كل مناسبة يبعث برسائل إلى الخطباء، ينقد فيها بعض التوجهات، ويؤكد على بعض الأمور التي

(١) وسائل الشيعة. ج ١٢، ص ٤٥، حديث ١٥٦٠٢.

يرى ضرورة تناولها وطرحها، حينما يطرح الإنسان رأياً ليس بالضرورة أن يكون رأيه صحيحاً، قد يكون رأيه صحيحاً، وقد يحتاج إلى تطوير، لكن المسألة المهمة هي مسألة إبداء الرأي، مجتمعاتنا إبداء الرأي فيها أصبح جريمة، أصبح ذنباً، وهو من أهم معوقات تقدم هذه المجتمعات، بينما نجد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ وَافْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ».

إبداء الرأي أمر مشروع، وهو الطريق لتقدم المجتمع وإصلاح أوضاعه، وأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال هذا ما كان ينزعج من الرأي المضاد، وما كان ينزعج من الرأي المخالف، بل كان يرفض أن يتعامل مع الرأي كجريمة. بعد واقعة النهروان رجلان من أصحاب الإمام عليه السلام جاء له بشخص اسمه أبو العيزار الطائي، قالاً: إن هذا يرى رأي الخوارج، قال عليه السلام: فما أصنع به؟

قالا: تقتله.

قال عليه السلام: أقتل من لا يخرج عليّ؟

قالا: تسجنه.

قال عليه السلام: وليست له جناية أحبسها عليها، خلياً سبيل الرجل^(١).

لأن إبداء الرأي ليس جرمًا، ولأن الواثق من نفسه ومن موقفه، لا يخاف من إبداء الرأي الآخر؛ بل يستقبله برحابة صدر، ويناقشه ويستفيد منه، وإذا كان الرأي الآخر خطأ فإن الناس والعقول ستدرك ذلك الخطأ، نسأل الله أن يحفظ هذا السيد الكريم النبيل، وأن يطيل في عمره، وأن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يوفقه للمزيد من العطاء في خدمة الوطن والمجتمع، فلا زلنا ولا زال المجتمع والوطن في حاجة إلى عطائه،

(١) تاريخ بغداد. ج ١٤، ص ٣٦٩.

وإلى آرائه، وأسأل الله تعالى أن يوفق جميع المتصددين لخدمة المجتمع والوطن، واشكر الإخوة الأعزاء في ديوانية القطيف على هذه المبادرة الرائعة، واللفتة الكريمة، حفظ الله الجميع، ووفق الله الجميع لكل خير، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ الصفار: تصريحات القرضاوي استندت إلى مصادر خاطئة.. واستغلها المتعصبون^(١)

رَّجَّح الشيخ حسن الصفار أن يكون منشأ التصريحات الأخيرة للشيخ يوسف القرضاوي ضد المسلمين الشيعة هو اعتماده على «مصادر خاطئة» داعياً إلى تجنب ردود الفعل العنيفة على تلك التصريحات.

ورأى الصفار في تصريحات لوكالة (IQNA) الإيرانية أن الأجواء التي تعيشها الأمة وما يحيط بها من مؤامرات الأعداء ساهمت في تحويل تصريحات القرضاوي إلى ما يثير الفتنة والبلبلة.

وكان الشيخ القرضاوي قد انتقد ما وصفه بـ «الغزو الشيعي» للمجتمعات السنية الذي رأى أن إيران تستفيد منه لبسط نفوذها على العالم العربي.

ورجح الصفار بأن يكون القرضاوي قد اعتمد في تصريحاته على ما وصفه بمصادر خاطئة ضخمت له بعض الأحداث.

داعياً إلى تجنب ردود الفعل العنيفة وغير الموضوعية على تلك التصريحات «حتى

(١) شبكة راصد الإخبارية www.rasid.net، نشر بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٨م

لا تتاح الفرصة للأطراف المتشددة دفع القرضاوي نحو خدمة توجهاتهم المتعصبة والمتطرفة».

كما رأى أن من غير الصحيح إسقاط شخصية مرموقة كالقرضاوي داعياً في المقابل إلى التعاون «من أجل أن لا تسترسل هذه الشخصية في هذا الخطأ».

ووجه الصفار نقداً ضمنياً لـ «الضجة» التي أعقبت تصريحات القرضاوي والتي رأى أنها أفادت الأعداء.

وقال «لا ينبغي أن يعطى الموضوع أكبر من حجمه».

مضيفاً أنه كان من الممكن معالجة الموضوع بأقل من هذه الضجة التي أثرت من الجانبين والتي وجدتها بعض الأطراف فرصة لكي تجعل منها ضجة.

وحول تعاطي الإعلام العربي مع تصريحات القرضاوي، قال الصفار: بأن ما وصفه بالإعلام السياسي الذي يعمل ضد الوحدة الإسلامية وجد في تلك التصريحات فرصة لكي يذكي نار الفتنة ويشغل الساحة الإسلامية بالخلافات.

أما عن تأثيرات تلك التصريحات على العلاقات المتبادلة بين علماء الشيعة والسنة فقد رأى بأنها عاصفة وزوبعة ليست الأولى، والساحة الإسلامية قادرة على تجاوزها بحكمة العقلاء وبوعي المخلصين.

وأثارت تصريحات القرضاوي التي أطلقها قبل أسابيع لصحيفة المصري القاهرية حول «الغزو الشيعي» زوبعة وسجالاً إعلامياً سنياً شيعياً وسنياً سنياً أخذ بالتصاعد يوماً بعد آخر.

الشيخ الصفار يشارك في تكريم حافظات القرآن^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل الذي أقامه الوجيه الحاج عبدالجبار بومرة وحرمة أم إبراهيم لتكريم أربع من حافظات القرآن، هن: فرحة مريط، وياسمين المرزوق، ونوال المحيميد، وليلى آل جبر، وذلك مساء الجمعة ٢٦ / ٩ / ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٨ م، في الحسينية الحيدرية بسيهات بالاشتراك مع مركز علوم القرآن بأم الحمام.

هذا نص كلمة سماحة الشيخ الصفار:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله الطاهرين.

قال الله في كتاب الكريم: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [سورة المطففين، الآية: ٢٦].
زود الله سبحانه وتعالى كل واحد من بني البشر بطاقات وكفاءات ومواهب عظيمة

(١) أقيم الحفل في الحينية الحيدرية بسيهات مساء الجمعة ٢٩ رمضان ١٤٢٩ هـ، الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٨ م.

وأتاح لهم جميعاً في هذه الحياة المجال لكي يفجروا هذه الطاقات، وليصقلوا هذه المواهب، فمجال العمل في هذه الحياة مفتوح أمام الجميع، والحياة ساحة تنافس، وميدان سباق، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك، الآية: ٢].

قسم من الناس يجهلون ما وهبهم الله من طاقات ومواهب.

وقسم آخر يتكاسلون عن تفجير طاقاتهم ومواهبهم.

وقلة من الناس هم الذين يكتشفون نعم الله عليهم ويستثمرون تلك النعم بإظهارها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى، الآية: ١١]، أي: أظهر هذه النعم والكفاءات التي أعطاك الله سبحانه وتعالى إياها.

وللتنافس دور كبير في إظهار الطاقات والكفاءات، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ

الْمُتَنَافِسُونَ﴾ لكن التنافس الإيجابي يحتاج إلى ثلاثة شروط:

الشرط الأول: تكافؤ الفرص

الشرط الأول: تكافؤ الفرص، المجتمع التي يتاح فيه مجال التنافس هو الذي تتكافأ فيه الفرص، أما إذا أعطيت الفرص لجهة وسلبت من جهة أخرى فهذا لا يكون تنافساً، التنافس الصحيح يعني تكافؤ الفرص، المجال يكون مفتوحاً أمام الجميع، حينما يعيش شعب من الشعوب أو أمة من الأمم، وتكون الفرص متكافئة بين أبناء هذه الأمة فإن حركة الإبداع تتسارع، والطاقات تظهر وتتفجر، كما نرى في المجتمعات المتقدمة، فالمجال فيها مفتوح، نرى أن رجلاً يأتي أبوه من كينيا ويعيش في أمريكا فيجد أن المجال أمامه مفتوح فيتقدم لينافس على مقعد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكما قال أحد الدعاة: «لو كان أوباما في دولة عربية أو إسلامية لرأيته الآن في مكاتب الترحيل»، إذ يعتبر من العمالة غير المرغوب فيها، لذا يقومون بترحيله من تلك البلد، هناك المجال مفتوح وبالتالي تظهر وتنطلق الكفاءات، لكن الوضع في بلداننا العربية والإسلامية لا يوجد فيه تكافؤ للفرص، ويكون التفاوت إما على أساس عرقي، أو قومي، أو مناطقي،

أو طائفي، أو فتوي، ومن يخسر حينئذٍ؟ الخاسرون هم الأوطان والأمم والمجتمعات، بل أحياناً في داخل المجتمعات نفسها لا يوجد تكافؤ للفرص، مثلاً ونحن نجتمع هذه الليلة لتكريم أربع حافظات للقرآن، بمبادرة من الوجيه ورجل الخير الحاج عبدالجبار بومرة حفظه الله، وبجهد من مركز علوم القرآن بأمر الحمام برعاية فضيلة الشيخ غازي الشيب وبجهود الأخوة والأخوات العاملين في المركز معه، هنا ينبغي أن نشير إلى أن الفرصة حينما تتاح للأخوات كما تتاح للأخوة، للإناث كما للذكور، سنجد أنه لا تقل كفاءة المرأة عن الرجل، مواهبها وكفاءتها وقدراتها وإخلاصها ونشاطها لا يقل عن الرجل، ولكن المرأة غالباً ما تعيش في أجواء اجتماعية تنعدم فيها تكافؤ الفرص، ثم يقال: إن المرأة دورها ضعيف، أو يقال إن كفاءتها قليلة.

الشرط الثاني: التشجيع

فعندما يُوجد التشجيع على الإبداع والعطاء في مختلف المجالات، تتفجر الكفاءات، وبحمد الله بدأت هذه السنة الحسنة في مجتمعنا، نرى هناك حفلات لتكريم المبدعين والأدباء ورجال الخير، ولتكريم الحافظين للقرآن والحافظات، وهذا ما ينبغي أن نستمر عليه في مختلف المجالات، لا بد من التشجيع بمختلف صورته، لأن التشجيع هو كلمة السر لتقدم المجتمعات والأمم.

الشرط الثالث: قبول المنافسة

ففي بعض المجتمعات المتميز يعرقل طريقه، لماذا؟ لأن هناك مرضاً من الأمراض التي تصيب النفوس، وهو مرض الحسد، المجتمع الذي لا تغمره الراحة عندما يجد من يتقدم، ومن يتميز ويتفوق، يعاني مشكلة تحتاج إلى العلاج، وقد جعل القرآن الكريم علاج هذا المرض في طليعة أهدافه، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٧]، أي معالجة الأمراض التي في النفوس، ومن أسوأ الأمراض التي تمنع التنافس الإيجابي هي

حالة الحسد والحقد، فالمجتمع الذي يجب التمييز ويقدره في أي مجال من المجالات، فإنه يتقدم، بينما المجتمع المتخلف ينزعج إذا رأى أحد أفراده متميزًا، أو متقدمًا في أي مجال من المجالات، ونحن نعرف أن الحسد والحقد ليس من سمات النفس المؤمنة، وإنما الغبطة التي تعني تمني النعمة، فإذا رأيت إنسانًا متفوقًا فأنت تتمنى أن تكون متفوقًا مثله، بينما الحسد يعني تمني زوال نعمة الآخر، فإذا رآه متفوقًا يتمنى له أن يسقط ويفقد تفوقه، المجتمع الذي تسود فيه هذه الروح لا يحقق التنافس الإيجابي.

يشن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حملة كبيرة ضد هذا المرض النفسي، يقول: «الحقد من طبائع الأشرار»^(١)، ويقول: «الحقد ألام العيوب»^(٢)، ويقول أيضًا: «طهروا قلوبكم من الحقد فإنه داء موبى»^(٣).

لماذا يحقد الإنسان وينزعج عندما يتقدم غيره والمجال مفتوح أمامه للمنافسة؟ وأشير أيضًا إلى أن المكاسب والمصالح لا تستحق من الإنسان المؤمن أن يحقد أو يحسد من أجلها، يقول أمير المؤمنين عليه السلام في كلمة جميلة: «الدنيا أصغر وأحق وأنزر من أن تطاع فيها الأحقاد»، كم هي كلمة رائعة حق لنا أن نتأملها ونكررها.

أيها الأخوة: هذا المجلس حلبة من حلبات التنافس وتشجيع التنافس الإيجابي نحو الخير يجب أن يكون في مختلف مجالات الحياة، وقد بدأ مجتمعنا يسير ولله الحمد في هذا الاتجاه، وهو غني بالطاقات والكفاءات والمواهب، إنما يحتاج أن يفتح الطريق أمام كفاءاته، حينها سنرى عندنا كنوزًا وثرورات في إنساننا، وبحمد الله إنني مسرور إذ إنني أعيش في حقبة ذهبية تنطلق فيها أعمال الخير والإبداع في مجتمعنا، وهذا أهم مكسب للمجتمع، فالمكسب الأهم أن يتمكن المجتمع من بناء ذاته، وصنع قوته.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

في الختام لا بد من شكر مركز علوم القرآن بأم الحمام، وشكر كل المؤسسات القرآنية في أنحاء المنطقة، وشكر رجل الخير أبا إبراهيم على هذه المبادرة الطيبة، وأن نسجل أسمى آيات التقدير والإكبار لأخواتنا الكريمات اللاتي تشرفن وتوفقن لحفظ القرآن الكريم، ونأمل أن يتضاعف هذا العدد إن شاء الله في الأيام المقبلة، وأن نجد من نساءنا من تفسر القرآن، ومن تكتب حول القرآن وعلومه، ومن تبذل وتكتشف نظريات ومفاهيم وأشياء جديدة من القرآن.

أسأل الله لأخواتنا الحافظات التوفيق والتسديد وأن يجسدن القرآن في حياتهن، بعد أن حفظنه في قلوبهن، وأن يصبحن قدوات لبقية الأخوات، والحمد لله رب العالمين. جدير بالذكر أن حفل التكريم أقيم ضمن أمسية قرآنية شارك فيها مجموعة من القراء، وحضره جمع من العلماء والمهتمين بالشأن القرآني.

الشيخ الصفار في حفل ترانيم: يجب ألا يقل مستوى أدائها الفني عن مستوى أداء التوجهات الأخرى^(١)

واصلت فعاليات مهرجان ترانيم السادس «عروج» تقديم عروضها لليلة الثالثة على التوالي على قاعة فجر ترانيم بالربيعية حيث بدأ الحفل لليلة الثالثة الخميس ليلة الجمعة ٤/٩/١٤٢٩هـ بحضور كثيف غطى المدرج كاملاً، وقد بدأ الحفل بتلاوة عطرة من الذكر الحكيم بصوت القارئ الأستاذ السيد حسين الشعلة. بعد ذلك بدأت فقرات الليلة الثالثة بفيلم وثائقي بعنوان «سيد المحبة» يتناول سيرة المرحوم سماحة السيد عبد الله الصالح «أبورسول» رحمه الله. ثم ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة بدأها بتقديم التهنئة بالشهر الفضيل، وتهنئة القائمين على مهرجان ترانيم انعقاد مهرجانهم السنوي، الذي قال عنه إنه أصبح معلماً تفتخر به المنطقة، ويفخر به المجتمع، لما يبرز من كفاءات وقدرات، ولما يجلي من صورة فنية رائعة، تتحدث عما يكنه هذا المجتمع من توجهات خيرة، ومن إبداعات عظيمة، أسأل الله سبحانه لهم دوام التوفيق والتقدم، وأن تكون كل سنة ماثار تطور

(١) أقيم الحفل في يوم الخميس ٤ رمضان ١٤٢٩هـ.

وتقدم عن السنوات السابقة إن شاء الله.

الواقع لا تصنعه التمنيات

ثم تحدث سماحته عن الأمنية التي يتمناها الإنسان المؤمن وهي أن تنتشر حالة الإيمان، وأن تكون هي السائدة في المجتمع، وأضاف: يعتقد المؤمنون بأن توجههم الإيماني هو الأنفع للناس، وهو الأصلح لأبناء المجتمع، كما يعتقدون عن تأمل وتعقل، بأن التوجهات الأخرى تضر بأبناء المجتمع، وتبعده عن مصالحه الدنيوية والأخروية، ولكن الواقع لا تصنعه التمنيات، الواقع لا تحكمه العقائد والأفكار، فمعادلة الواقع الخارجي قائمة على أساس العمل، والفاعلية والجد والاجتهاد، من كان أكثر فاعلية في الحياة، فإن اتجاهه يكون هو الأقوى فيها، ومن كان أكثر اجتهادًا وعملاً، فإنه يكسب الجولة في صراع التوجهات والأفكار والمعتقدات، لذا ينبغي للمؤمنين ألا يقل مستوى عملهم عن مستوى إيمانهم ومعتقداتهم، وإذا حصل هناك تفاوت بين مستوى الإيمان، وبين واقع العمل، فإن ذلك يحكي عن ازدواجية يرفضها القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، مطلوب من المؤمن أن يترجم إيمانه وآراءه إلى برامج عملية، تتحرك على الأرض، وتكون هي الدعوة إلى ما يؤمن به، العمل هو الذي يستقطب الناس، وهو الذي يبرز مصداقية الفكرة، وهو الذي يجعلها حية مجسدة أمام الناس.

صراع الاتجاهات

واعتراف سماحته أن مشكلة المتدينين، وخاصة في هذا العصر، أن مستوى أدائهم العملي كمؤمنين متدينين، يقل عن مستوى أداء التوجهات الأخرى، وقال: نرى التوجهات الأخرى التي تختلف معنا في المنهج أو المعتقد أو التوجه، نراها أكثر فاعلية ونشاطًا وعملاً، لذا فمن الطبيعي أن تكون أكثر استقطابًا وتأثيرًا، فعلى المستوى الأخلاقي مثلاً،

نحن نشكو أن أبناءنا من الجيل الناشئ، أصبح مستقطبًا لاتجاهات لا تتوافق مع ما نؤمن به من قيم ومبادئ وأخلاقيات، إننا نشعر بألم وحسرة حينما نرى مظاهر الانحراف السلوكي والأخلاقي، في بعض المساحات والأوساط من أبناء مجتمعنا، لكن علينا أن نعرف أن مجرد التلم والتحسر، وأن مجرد التمني، واجترار مثل هذا الكلام في المجالس، لا يغير من المعادلة شيئًا، علينا أن نواجه الساحة عمليًا.

النشاط والفاعلية

ودعا سماحته إلى رفع درجة النشاط والفاعلية، وذلك: حتى نكون أقدر على استيعاب ناشئتنا وأبنائنا، وإرشادهم إلى الطريق.

حينما يقل تفاعل المجتمع مع العمل الديني فهذا يدل على أنه لا تتوفر فيه الحالة الإيمانية المطلوبة. الصحيح، الذي نأمل أن يسيروا فيه، كما سار أسلافهم، ولذلك يدعو الله عباده المؤمنين للعمل ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ وليس فقط أن تتمنوا أو تنظروا وتتحدثوا: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ العمل هو الذي يحسم المعركة، وهو الذي يكسبك الجولة، وهو الذي يبرز مصداقية الفكرة التي تؤمن بها، وهو الذي يمكنك من استقطاب من تريد استقطابهم.

تفجير الطاقات

وطالب سماحته الساحة الدينية أن تعترف بالتقصير في مجال العطاء والعمل، وقال: «هناك في أبنائنا، وفي جيلنا الصاعد الناشئ الكثير من الطاقات والقدرات، لو أننا فتحنا أمامهم المجال، وصنعنا لهم الأجواء، وكوننا لهم الأطر المناسبة، لرأيناهم في مستوى من الإبداع والتفاعل، لتفجرت الطاقات والقدرات والكفاءات بها يبرز قوة المجتمع، وبما يؤكد الحالة الدينية والأخلاقية فيه».

مهرجان ترانيم

وضرب ساحة الشيخ مثلاً للفاعلية، ولاحقاً الكفاءات بمهرجان ترانيم، واللجان الفنية المتعددة المتنوعة التي تشارك كل عام في هذا المهرجان، وقال: إنها دليل وشاهد على أن في مجتمعنا طاقات، ومواهب وقدرات تبحث عن فرصة، وتبحث عن ساحة ومجال، فعلينا أن نتيح لهم هذه الفرصة، لا أن نكتفي بالخطب والمقالات، وبجر الآهات في المجالس، إنما علينا أن نجد طاقتنا وقدراتنا من أجل دعم هذه الأنشطة المتعددة، في الجانب الفني والاجتماعي والثقافي والإعلامي، حتى نستطيع أن نخوض معركة القيم، والمفاهيم والأفكار على المستوى العملي الفعلي.

الله يقدر الأعمال

وتوقف ساحتها متأملاً في الآية الكريمة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وتساءل: ماذا يعني ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾؟ وأجاب: المسألة ليست فقط إن الله يرى عملكم، وإنما التشجيع على العمل والدفع إليه، إن الله يقدر عملكم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، يعني: عملكم في موضع تقدير، وفي موضع ترحيب من قبل الله تعالى، كيف يقدر الله عمل المؤمنين؟ بالتوفيق، بأن يزيد في توفيقهم، ويضاعف لهم الأجر والثواب: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ فإذا عملتم في سبيل الله، فإن الله تعالى يزيدكم توفيقاً، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٦٩]، الله يزيدكم توفيقاً إن عملتم، ﴿وَرَسُولُهُ﴾! ماذا يعني أن الرسول ﷺ يرى عملنا؟ يعني أن الرسول ﷺ يدعو لنا، ويشفع لنا، يجبنا حينها نعمل في خدمة القيم والمبادئ، ثم تقول الآية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، ماذا يعني أن يرى المؤمنون عملنا؟ يعني أن يمدوا يد الدعم والتعاون والتشجيع، هذا هو المطلوب، إن الله سبحانه وتعالى يعد العاملين بأن المؤمنين لن يقفوا منهم موقف المتفرج، إذا عملتم فإن المؤمنين سيرون عملكم، من يعمل في سبيل

الله، في مجتمع إيماني، فسيجد الترحيب والدعم والتشجيع والعطاء، من مجتمع المؤمنين.

المجتمع الديني والتشجيع

وطالب سماحته أن نضع علامة استفهام حينما يقل تفاعل المجتمع مع العمل الديني، فهذا يعني أحد شيئين: إما أن هذا الوعد الذي وعدنا به الله تعالى - الله وعدنا إذا عملتم فإن المؤمنين سيدعمونكم - إما أن هذا الوعد قد تخلف عن التحقق، وحاشا لله أن يعد بما لا يحصل، وإما أن هذا المجتمع لا تتوفر فيه الحالة الإيمانية بالمستوى المطلوب، إذا كانت الحالة الإيمانية متوفرة في المجتمع بالمستوى المطلوب، فإنه لن يبخل بالدعم والعطاء والتشجيع، والوقوف إلى جانب أي حركة عملية، لأنه سيرى أن هذا جزء من واجبه، وجزء من ممارسته الإيمانية.

المجتمعات المتجاوبة

وقارن سماحته بين المجتمعات الأخرى، وكيف تتفاعل مع الأنشطة المختلفة والمتنوعة، وقال: إنهم يتجاوبون مع الفن من أجل الفن، ويتجاوبون مع مختلف الإبداعات والعطاءات، وهذا يعني أن المجتمع الإيماني يجب أن يكون أكثر تفاعلاً وتجاوباً مع أي حركة تخدم القيم والمبادئ.

العاملون يستجدون الدعم

وتأسف الشيخ الصفار على ما يحدث بعض الأحيان، حيث نجد العاملين في سبيل الله وكأنهم بحاجة إلى الاستجداء، وكأنهم بحاجة إلى إقناع الآخرين وجذبهم، من أجل دعم أعمالهم وأنشطتهم، إن هذا يكشف عن شيء من الخلل علينا أن نتلافاه، إننا حينما نتألم لحالات الانحراف والفساد في بعض أوساط مجتمعاتنا، ونطمح أن يكون أبنائنا في خط الهدى والصلاح والاستقامة، هذا يعني أن نتحمل مسؤوليتنا لدعم كل الأنشطة

والفعاليات، وكل الأعمال التي تقوي هذا التوجه الإيماني القيمي، إنني ومن خلال متابعتي، ومواكبتني لهذا المهرجان، ومن خلال متابعتي للجان العاملة فيه بمختلف ألوان عملها، الفني الإبداعي، إنني أشعر بمسؤولية كبيرة، وبتقصير كبير، وأرجو أن يوفقنا الله جميعاً لتعويض التقصير في هذا الأمر، بمزيد من التفاعل والتعاون والدعم، والتشجيع لهذه الأنشطة التي لم يعد لنا عذر أمامها، هذه الأنشطة فرضت نفسها على الساحة الوطنية، وعلى المستوى الإقليمي والعالمي، أنناؤنا والحمد لله أصبحوا يدخلون المسابقات في إنتاج الأفلام، وفي إنتاج الأعمال الفنية المختلفة، فيشهد لهم الجميع بنجاحهم وتفوقهم وتميزهم، وقبل أن يكافئهم ويعترف بهم الآخرون، نحن في حاجة إلى أن نفتخر ونعتز بهذا المستوى المتقدم من الإنتاج.

الخطاب المعاصر

وختم سماحة الشيخ الصفار كلمته بالتضرع لله سبحانه للعاملين بالتوفيق والتأييد، ودعى نفسه وأبناء المجتمع بمختلف شرائحهم، وخاصة علماء الدين، ورجال الأعمال، والمثقفين، دعاهم: إلى دعم هذه الأنشطة والوقوف معها، والصراف عليها بما تستحق، وقال سماحته: معركتنا لم تعد مقتصرة على أن نبني حسينيات ومساجد، ونقيم مواكب للعزاء على أهميتها، الحسينيات والمساجد ومواكب العزاء وسائر المظاهر الدينية، أمور مهمة ويجب الحفاظ عليها ودعمها، ولكنها وحدها لا تكفي، إذ علينا أن ندعم هذا النشاط المتطور، هذا النشاط الفني المتقدم، فهو الأقدر في هذا العصر على مخاطبة الأفكار، وعلى التأثير على المشاعر والأحاسيس، إنه يمثل الآن معركة الصراع الحقيقية بين ألوان القيم السائدة، وبين ألوان المفاهيم والأفكار، علينا أن نفتخر بهذا المستوى المتقدم، وأن نقف إلى جانب أبنائنا المعطاءين، والرواد على هذا الصعيد.

بحضور مميز: الشيخ الصفار يفتح منتدى سيهات الثقافي^(١)

■ الشيخ الصفار: نحن بحاجة إلى مؤسسات تتكفل بإنهاض المجتمع والحفاظ على أمنه

في ليلة طيبة من ليالي شهر رمضان المبارك، افتتح الشيخ حسن الصفار، في منزل الأستاذ كمال أحمد المزعل (منتدى سيهات الثقافي) مساء يوم الأربعاء (١٠/٩/١٤٢٩ هـ الموافق ١٠/٩/٢٠٠٨ م)، وقد فاق عدد الحضور كافة التوقعات، لمثل هذا النوع من البرامج، عاكسًا بذلك أول بشائر النجاح للمنتدى الذي يعد أول منتدى ثقافي شهري في مدينة سيهات، يهتم بالتواصل الثقافي مع المجتمع، وفي باكورة نشاطه بدأ فعالياته الثقافية باستضافة سماحة الشيخ الصفار في ندوة بعنوان «المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي».

بدأ الحفل بآيات من الذكر الحكيم تلاها، الشاب أحمد رضا المدلوح، بعد ذلك كلمة للأستاذ كمال المزعل راعي المنتدى رحب فيها بالحضور الذي كان بمستوى الحدث، مؤكدًا على ضرورة العلم والتعلم ذكراً بعض الأحاديث النبوية التي تؤكد على أهمية

(١) الأربعاء ١٠ رمضان ١٤٢٩ هـ الموافق ١٠ سبتمبر ٢٠٠٨ م.

التعلم وتعليم الآخرين، وأن في ذلك ثواباً كثيراً، يصل إلى مرحلة الجهاد، وبين أهداف ومهام المنتدى، مؤكداً على ضرورة مواكبة مسيرة الإصلاح والاهتمام بالتغيير للوصول إلى الأفضل بما يساهم في تطوير المجتمع ثقافياً، موضحاً أن المنتدى سيقوم بطرح مواضيع مختلفة تهم المجتمع، تشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية.

بعد ذلك تحدث ساحة الشيخ الصفار الذي قال: إن حماية أمن المجتمع مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى إلا أنها لا تستطيع القيام بذلك وحدها، فيجب على المؤسسات الأهلية المساهمة في هذا الدور، الدولة تتحمل القسط الأوفر من المسؤولية، لكنها لا تستطيع أن تقوم بكل المعالجات؛ لأن الأمن الاجتماعي له جانب يرتبط بالتنشئة التربوية، وجانب يرتبط بالبيئة الاجتماعية، وآخر يرتبط بالثقافة السائدة وبالمشاكل المعاشة في أوساط المجتمع، كما يرتبط بتأثيرات الإعلام، والثقافة الموجودة فيه، وهناك جوانب مختلفة ومتعددة تفرض أن يكون هناك تكاتف وتضافر للجهود بين الناس وبين الدولة، بين السلطة وبين مختلف القوى ذات التأثير في الشأن الاجتماعي.

المجتمع وتحمل المسؤولية

كما طالب ساحته: كل فرد من المجتمع أن يتحمل مسؤوليته، ففكرة المسؤولية فكرة مهمة جداً، كلما كان الإنسان أكثر حضارية، وأكثر وعياً كان أكثر إدراكاً لهذه الفكرة في حياته، بينما الإنسان الذي يفتقد الوعي الحضاري والإدراك الإنساني، فبنسبة هذا الافتقاد يقل شعوره بالمسؤولية، إنه يحمل أعباءه على الآخرين، ويتصور نفسه مجرد ضيف، وهناك من يفكر عنه، ومن يخطط له، المجتمعات المتقدمة ساعدها على التقدم قوة هذا الشعور في نفس كل فرد من أفرادها، إنه مسؤول عن ذاته أولاً، ومسؤول عن الشأن العام ثانياً، في مجتمعاتنا الإنسان لا يشعر أنه معني بتحمل المسؤولية، وقد تحول هذا التفكير من الإطار الفردي إلى الإطار المجتمعي، حيث أصبح المجتمع يعيش مشاكل، ويواجه تحديات،

لكنه يرمي المسؤولية على غيره، فالآخرون هم المعنيون بمواجهة هذه التحديات وليس هو.

المؤسسات الاجتماعية

وتحدث سماحته عن حاجة المجتمع إلى ثلاثة أنواع من المؤسسات:

■ مؤسسات اجتماعية للدراسة والتخطيط، حيث نفتقد مؤسسات تقوم بعمليات البحث والرصد لمختلف الظواهر الاجتماعية ثم دراستها لمعرفة سبب المشكلة، والطرق المثلى لعلاجها.

■ ومؤسسات للقيام بدور التوعية والتوجيه والإرشاد المناسب مع فكر الجيل الجديد.

■ ومؤسسات للتأهيل والدعم، لافتاً إلى أن الكثير من حالات الإجرام والانحراف والعدوان على الأمن ناشئة من وجود حاجات وأزمات ومشاكل، هنا لا يفيد الوعظ والإرشاد فقط، وإنما لا بد من وضع خطط لمعالجة هذه المشاكل التي يعاني منها بعض أبناء المجتمع، لتأهيلهم لبناء حياتهم بالطرق السليمة والمشروعة.

وفي الختام، تم إثراء اللقاء بالعديد من المداخلات المتميزة التي أضافت الكثير من العمق للندوة، من أبرز المداخلين الأديب الأستاذ السيد عدنان العوامي، والأديب الأستاذ حسن السبع، والأستاذ جعفر العيد، والأستاذ علي آل طالب، والسيد ابراهيم الزاكي، والصحفي الرياضي محمد الشيخ، والأستاذ رضا سليس والمهندس علي رضي، وغيرهم.

ومن الحاضرين السيد محمد الساخن والشيخ مصطفى مسلم والشيخ حسين مسلم والكاتب الصحفي ميرزا الخويلدي، وعضوي المجلس البلدي المهندس عيسى المزعل والدكتور عبدالله السكيري والأستاذ مهدي صليل والأستاذ عادل المتروك والأستاذ

نصر هلال والأستاذ حسن علي الزاير وآخرون.
الجدير بالذكر أن المنتدى سيكون شهرياً، يعقد في مساء أول يوم اثنين من كل شهر
عربي.

الشيخ الصفار يزور رابطة الحوار الديني في قم^(١)

بدعوة من رئيس مؤسّسة رابطة الحوار الديني في مدينة قم المقدّسة، سماحة الشيخ حميد رضا غريب زار سماحة الشيخ حسن الصفّار مقرّ الرابطة صباح يوم الأربعاء ١٥ شوال ١٤٢٩ هـ، حيث تحدّث مع العاملين فيها واطّلع على مكتبتها وعلى إدارة موقعها الإلكتروني.

وتباحث مع رئيس المؤسّسة في تعزيز توجهات الحوار بين أبناء المذاهب الإسلامية، ومع أتباع الديانات الأخرى.

وكتب الشيخ الصفّار في سجلّ الزيارات بالمؤسّسة الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمّد وآله الطاهرين من أجلّ تعزيز الوحدة الإسلامية، وخلق أجواء الانفتاح والتقارب بين مختلف مذاهب الأمة واتجاهاتها، لا بدّ من وجود مؤسّسات بهذا الشأن، وتعمل من أجلّ إنجازه. وقد سررت جدّاً بإنشاء هذه المؤسّسة الحضارية المباركة (رابطة الحوار الديني) وأسعدني

(١) موقع رابطة الحوار الديني www.alhiwaraldini.com

افتتاح موقعها الإلكتروني، كما زادت ثقتي وأملتي بدور رائد لهذه المؤسسة، حينما تعرّفت على المدير لها ساحة الشيخ حميد رضا غريب حفظه الله، الذي رأيته يتفجّر نشاطاً وحيويةً، ويقطر إخلاصاً وولاءً لوحدة هذه الأمة والتفافها حول دينها العظيم.

إن هذه المؤسسة وموقعها الإلكتروني أكبر الأثر في نشر ثقافة الوحدة، وتشجيع التواصل والتقارب بين أبناء مذاهب الأمة. وهي تشكّل أفضل ردّ إيجابي على الاتجاهات التعصّبية التي تعمل داخل السُّنة والشيعة، لإثارة الخلافات والنزاعات على حساب مصالح الإسلام والأمة.

أرجو للإخوة العاملين في رابطة الحوار الديني، والمشرّفين على موقعها الإلكتروني كل خيرٍ وتوفيق، وأن يضاعف لهم الأجر والثواب على هذه الخدمة المتميّزة التي يقومون بها، والتي هي من أجلّ الأعمال وأهمّها وأفضلها في هذا العصر.

والحمد لله ربّ العالمين

حسن الصفار

١٥ شوال ١٤٢٩ هـ

وكانت زيارة الشيخ الصفار للجمهورية الإسلامية الإيرانية بغرض المشاركة في إحياء ذكرى العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري (١٣٣٢ - ١٤٢٨ هـ)، التي أقيمت في جامعة طهران بتاريخ ٥ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٥ أكتوبر ٢٠٠٨ م، وألقى الشيخ الصفار فيها كلمة بعنوان (العلامة العسكري وهم الوحدة الإسلامية)، ثم زار الشيخ الصفار مدينة قم المقدسة وحلّ ضيفاً على ساحة العلامة السيد جواد الشهرستاني الممثل العام للمرجع الأعلى السيد السيستاني حفظه الله.

والتقى ساحتها عددًا من المراجع الكرام وأساتذة الحوزة العلمية، ومنهم:

المرجع الديني الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، المرجع الديني السيد صادق الشيرازي،

المرجع الديني الشيخ حسين علي المنتظري، المرجع الديني الشيخ يوسف الصانعي، المرجع

الديني الشيخ جعفر السبحاني، المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي، المرجع الديني السيد محمد مفتي الشيعة، آية الله السيد علوي البروجردي، آية الله السيد أحمد المديني، آية الله الشيخ أسد الله بيات، آية الله السيد كمال الحيدري، آية الله الشيخ محمد السند، آية الله الشيخ جواد الفاضل النكراني، آية الله السيد جعفر النمر، آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، آية الله الدكتور الشيخ فاضل المالكي، العلامة السيد فاضل الجابري، العلامة الدكتور الشيخ حيدر حب الله، العلامة الدكتور السيد مصطفى المحقق الداماد، العلامة الشيخ جعفر الهادي، العلامة الشيخ أحمد المبلغي، العلامة الشيخ محمد سعيد النعماني، العلامة السيد جعفر الشيرازي، العلامة السيد سامي البدري.

كما زار الشيخ الصفار عددًا من المؤسسات العلمية، والتقى مجاميع من الفضلاء، وطلاب العلوم الدينية في حوزة قم من مختلف البلدان، وتشرف سماحة الشيخ الصفار بزيارة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد المقدسة.

الشيخ الصفار: ينبغي لمجتمعاتنا المراهنة على ذاتها وليس ترقب التغيير من الخارج^(١)

■ المراهنة على تغيير السياسة الأمريكية في المنطقة
أوهام وأحلام لا واقع عملياً لها.

على خلفية فوز «باراك أوباما» قال الشيخ حسن الصفار إن من المعيب على مجتمعاتنا ترقب التغيير من الخارج وانتظار من يخلصها من مشكلاتها عوضاً عن المراهنة على نفسها وقدراتها الذاتية.

ودعا القادة والنشطاء السياسيين في العالم العربي والاسلامي للاستفادة من حدث الانتخابات الأمريكية في تعزيز قيمتي العدالة الاجتماعية والمواطنة للراقي بالحالة الإنسانية وإلغاء كافة أنواع التمييز.

وحدث في خطبة الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٤٢٩هـ بمدينة القطيف صناع القرار في العالم العربي على إتاحة الفرص المتكافئة للمواطنين لخلق اندماج اجتماعي حقيقي ودمج سياسي فاعل.

مضيفاً أن ذلك من شأنه المساهمة في تقدّم هذه المجتمعات وتطورها الحضاري

(١) شبكة راصد الإخبارية www.rasid.net، نشر بتاريخ ١١/١١/٢٠٠٨م.

مستفيدين من التجربة الأمريكية على هذا الصعيد. وامتدح الصفار تجربة الأفارقة السود في الولايات المتحدة الأمريكية بالقول «أن أميركا كانت تعيش تمييزاً عنصرياً حاداً ضدّ طبقة الأفارقة السود بموجب القانون الرسمي ولكنّ السود استطاعوا أن يفرزوا قيادات سياسية سعوا من أجل تغيير المعادلة». وأضاف: لقد تلقت الرموز السياسية المكافحة للتمييز الدعم الاجتماعي والجهاهيري الواسع عبر تقديم الكثير من التضحيات والجهود من خلال المظاهرات والاعتصامات والإضرابات وشتى أنواع التعبير المتاح. وتابع: بأن الناس عبّروا عن رفضهم المطلق لما يعانونه من ظلم واضطهاد بسبب التفرقة العنصرية ما مكّنهم من نيل كافة حقوقهم وبشكل قانوني أيضاً. واعتبر مظاهر التعصّب والعنصرية التي تمارسها مجموعات محدودة في المجتمع الأمريكي بأنها «حالات فردية ونشاز» ضمن الحالة الإنسانية العامة في أمريكا التي ترفض أي شكل من أشكال التمييز والفرز العنصري. وحول حال الفرّح التي انتابت بعض السياسيين في المنطقة بفوز السيناتور أوباما أملاً في تغيير السياسة الأمريكية المقبلة إزاء قضايا منطقة الشرق الأوسط قال الصفار: «إن هذه الأمانى مجرّد أوهام وأحلام لا واقع عملياً لها». معللاً بأن السياسة الأمريكية لا تحددها إرادة شخص الرئيس بقدر ما هي محكومة بالمؤسسات السياسية والشركات المالية وإمبراطوريات الإعلام في الولايات المتحدة. ووصف الصفار حكومة بوش بالحكومة الاستعلائية لأنها غلّبت منطق الغاب على صوت العدل والحكمة على حد تعبيره. واعتبر فوز أوباما بمثابة تجربة أنموذجية لكثير من المجتمعات الإنسانية وعبّرت عن رسالة واضحة ضدّ أي شكل من أشكال التمييز سواء العرقي أو المذهبي أو المناطقي. مضيفاً بأن ذلك أثبت للعالم أجمع بأن المسيرة الإنسانية اليوم ترفض أي نوع من أنواع

التخلف الاجتماعي فيما يخص أشكال التمييز والفرز بين أبناء البشر. واستطرد الصفار بالقول: إن ما شهدناه في هذه الانتخابات يجعلنا نركّز على ثلاث قيم أساس مهمة يجب أن تسود مجتمعاتنا، وهي: تعزيز قيمة المواطنة بين أبناء الدولة والوطن الواحد، ورفض ما يقابلها من سياسات التمييز بين المواطنين على حساب اللّحمة الوطنية الجامعة، وتعزيز حالة تكافؤ الفرص للجميع. واستنكر الصفار كل سياسات التمييز المذهبي والمناطقي التي تمارس في بعض البلدان العربية والإسلامية داعياً إلى تجاوزها كما تجاوزتها العديد من المجتمعات. منوهاً بأهمية تعزيز قيمة العدالة الاجتماعية في المجتمع التي تنمي شعور الإحساس بالمساواة أمام القانون وتمتص أي شعور بالظلم أو الغربة في الوطن كما تعزز حالة الانتماء الحقيقي في نفوس المواطنين.

الشيخ الصفار يزور المعهد العالي السعودي الياباني للسيارات ويلتقي طلابه^(١)

بدعوة من إدارة المعهد العالي السعودي الياباني للسيارات في جدة قام سماحة الشيخ حسن الصفار بزيارة للمعهد يوم الاثنين ١٩ ذو القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠٠٨م، والتقى مع إدارة المعهد حيث اطلع على عرض مصور عن تأسيس المعهد وبرامجه وأقسامه، وناقش مع المدير التنفيذي للمعهد الأستاذ سالم بن حسن الأسمرى، والمدير التعليمي الأستاذ فوزي بن سراج الثقة، تطلعات المعهد وسير برامجه. كما زار بعض أقسام المعهد، ثم التقى مع طلاب المنطقة في المعهد من القطيف والأحساء، وهم أكثر من ١٠٠ طالب، وألقى فيهم محاضرة شجعهم فيها على الاجتهاد في دراستهم، والمثابرة في الالتزام ببرامج المعهد، وأن يطمحوا إلى التفوق والنجاح بكسب المزيد من الخبرة حول هندسة السيارات، وصولاً إلى الخبرة في تصنيعها، مؤكداً على حاجة البلاد

(١) انشئ المعهد شراكة بين الحكومة السعودية والحكومة اليابانية، وبإسهام من شركات القطاع الخاص من منتجي السيارات في اليابان وموزعيها في المملكة، من أجل تطوير مهارات الشباب السعودي في مجال تقنية وصيانة السيارات اليابانية، وبدأت الدراسة فيه سنة ٢٠٠٢ - ١٤٢٣هـ وطاقته الاستيعابية ٤٠٠ طالب، ومدة الدراسة سنتين، يمنح الطالب شهادة دبلوم في تقنية وصيانة السيارات اليابانية.

إلى الاتجاه نحو التصنيع، وتجاوز حالة الاستهلاك والاستيراد لكل شيء من الخارج. كما نقل لطلاب المنطقة إشادة الإدارة بجديتهم وانضباطهم. وتحدث سماحة الشيخ الصفار للطلاب عن أهمية الاندماج مع سائر الطلاب من المناطق الأخرى، لكسر الحواجز وتوثيق الروابط الأخوية الودية بين أبناء الوطن، بعيداً عن حالات التنافر والانطواء والانغلاق. فليس صحيحاً أن يعيش الطالب في إطار أبناء منطقته فقط، ولا يكسب زملاء وأصدقاء من المناطق الأخرى، إن الانفتاح يخلق تعارفاً مباشراً، ويضع حداً للتصورات السلبية عن كل طرف تجاه الآخر.

وتناول الشيخ الصفار في هذا السياق ضرورة مشاركة الطلاب في صلاة الجماعة في المعهد حين انعقادها، واجتناب الصلاة فرادى في المسجد، ناقلاً نصوفاً من روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن فتاوى الفقهاء المراجع التي تحث على المشاركة في صلاة الجماعة عند انعقادها بغض النظر عن الاختلاف المذهبي.

ثم استقبل أسئلة الطلاب وأجاب عنها برحابة صدر، في جو من التفاعل والاهتمام.

وقد رافق الشيخ الصفار في زيارته للمعهد فضيلة الشيخ محمد العطية. وقد أنشئ المعهد شراكة بين الحكومة السعودية والحكومة اليابانية، وبإسهام من شركات القطاع الخاص من منتجي السيارات في اليابان وموزعيها في المملكة، من أجل تطوير مهارات الشباب السعودي في مجال تقنية وصيانة السيارات اليابانية، وبدأت الدراسة فيه سنة ٢٠٠٢ - ١٤٢٣ هـ وطاقته الاستيعابية ٤٠٠ طالب، ومدة الدراسة سنتين، يمنح الطالب شهادة دبلوم في تقنية وصيانة السيارات اليابانية، ويوقع الطالب بمجرد قبوله في المعهد على اتفاقية عمل ووظيفة فور تخرجه في إحدى شركات توزيع السيارات اليابانية.

وقد أبدى الشيخ الصفار إعجابه بفكرة المعهد وبرامجه وإنتاجه، لأنه يقدم تعليماً مهنيًا

يستجيب لحاجة سوق العمل، وشكر للإدارة اهتمامها برعاية الطلاب وتوجيههم.
وفي المساء لبي ساحة الشيخ الصفار دعوة فضيلة الشيخ محمد العطية لزيارة مجلس
الشيعة المقيمين في جدة من أهل المدينة ووادي الفرع، وألقى فيهم محاضرة توجيهية حول
سمات المجتمع المتمي لأهل البيت.

الشيخ الصفار في ذكرى الشيخ الأوحى: الاختلاف هو المحك الحقيقي للأخلاق^(١)

كيف تستنكر فعل الجلاد وأنت تمارس نفس الدور؟ (لا تنه عن خلق وتأتي مثله.. عار عليك إذا فعلت عظيم) بهذه الكلمات استنكر سماحة الشيخ حسن الصفار على بعض التيارات الاجتماعية التي تستنكر وقوع الإقصاء عليها وهي تقوم بالإقصاء داخل محيطها ضد المختلفين معها، والمنافسين لها.

جاء ذلك في كلمة ألقاها سماحته في الحسينية الحيدرية بسيهات مساء يوم الخميس ٢٩ / ١١ / ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٨ م، بمناسبة ذكرى العالم الكبير الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي (١١٦٦ هـ - ١٢٤١ هـ).

وقد بدأ الشيخ الصفار حديثه عن الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي باستقصاء الآفاق التي تفتح أمام المتحدث عن هذه الشخصية، وذلك لما لها من جوانب كثيرة مؤثرة في المحيط، فالحديث عن علمه ومواهبه باب مفتوح لأنه «العالم الحكيم»، كما أن الحديث

(١) أقيم الاحتفال بالحسينية الحيدرية بسيهات مساء الخميس ٢٩ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ، الموافق ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٨ م.

عن مدرسته في الحكمة كذلك، وفي الفقه أيضًا «فهو عالم أصولي له كتب ورسائل»، وكذا من أراد الحديث عن أدبه فهو «شاعر وناثر تتلمس أدبه في كتاباته بوضوح»، وأضاف سماحته: يمكننا أن نتحدث عن امتداد شخصيته إذ لم يكن عالم قرية، ولا مرجع منطقة، فقد امتدت مرجعيته والتأثر بأرائه إلى أكثر من منطقة وبلد، كإيران والعراق والخليج، حتى إن المستشرقين كتبوا عنه وعن فكره.

لكن سماحة الشيخ توقف عند بعد آخر أحب الحديث حوله وطلب من الحضور التأمل فيه، وهو «جانب المعاناة التي لاحقته ﷺ في حياته وبعد مماته، إذا دفع ثمن إبداء رأيه وفكره» وأضاف: قد نختلف معه أو نتفق لكنه عانى كثيرًا من إبداء رأيه.

الصراع بين العلماء

واستنكر الشيخ الصفار الصراع الذي يدور بين المتدينين والعلماء خاصة حيث لا يوجد مبرر لمن يفترض أن يكونوا أهم تجلٍ للقيم الدينية التي يفترض أن تتجسد في سلوكهم، فنفترض أن لا يوجد مبرر لحصول حالات صراع سلبية وسط هذه الشريحة، وقال: قد نتفهم الخلاف والصراع بين السياسيين لأنهم يتصارعون على المناصب والسلطة، وقد نتفهم الصراع الدائر بين الطامحين للزعامة والثروة، لكننا كيف نفهم الخلاف والصراع بين علماء ينتمون إلى الدين ويتصدون للحالة الدينية؟، وتساءل سماحته: كيف يكونون هم مجسدي القيم وفي الوقت نفسه المخالفون لها؟ إنهم يرشدون الناس إلى الخير الذي تمثله الوحدة وإصلاح ذات البين والانفتاح، فكيف يصبح بعضهم سببًا للاختلاف؟، الاختلاف إذا حصل في أي شريحة فإن خطره محدود، لكن الاختلاف بين المتدينين سيكون خطرًا أكبر لأن الدين هو السلاح في هذه المعركة.

أسباب الخصومة

ثم تحدث سماحة الشيخ الصفار عن أسباب الخصومة والتفرق بين العلماء مستشهدًا

بقوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]، فالخصومة بين العلماء لا بد أن يكون لبغي بينهم، فالاختلاف في الرأي يولد الإثراء للمعرفة، إذ إن باب الاجتهاد مفتوح، والإنسان مطالب أمام الله بما وصل إليه من قناعات، وقد نختلف في مسائل كثيرة، لكن بشرط ألا يبغى بعضنا على بعض، ولا يتحقق البغي إلا إذا كان الاختلاف سبباً في الخصومة والعدوان وسوء التعامل مع الآخر.

واستشهد سماحته لحرية الرأي عند العلماء في المجال العقدي بكتاب الشيخ المفيد (تصحيح الاعتقاد) الذي رد به على كتاب الشيخ الصدوق (الاعتقاد) دون أن يخدش ذلك في مكانتها ودون سوء الظن بأحدهما، بل الشيخ الصدوق و الشيخ المفيد من الطبقة الأولى في علمائنا ولهم الإجلال والاحترام على مر العصور.

مظاهر الإرهاب الفكري

وعن مظاهر البغي والإرهاب الفكري الذي عانى منه المجتمع كثيراً، وكيفية التعرف إليه ذكر سماحة الشيخ حسن الصفار ثلاثة مظاهر، هي:

المظهر الأول: رفض الرأي الآخر، حيث يرى كل طرف أن رأيه الصائب وحده، وهو الوحيد الذي يمتلك الحقيقة كاملة، وليس للآخرين حق في الاجتهاد وإبداء الرأي بما يخالف رأيه، وهنا نتساءل - قال سماحته - من خصك بذلك؟ فكما لك عقل فللآخرين عقول، وكما أن لك حق الاجتهاد فلغيرك نفس الحق في ذلك.

والمظهر الثاني: ممارسة روح الوصاية على الآخرين، وفرض الرأي وإلزام الآخر به، كيف يحق لأحد من البشر أن يفرض وصايته على الآخرين، ورأيه اجتهاد مقابل اجتهاد آخر، ولا أحد يدعي العصمة؟، وأضاف: الأنبياء ليس لهم حق الوصاية على الآخرين مع القطع بأحقية رسالتهم، وبصريح العبارة يقول القرآن الكريم لرسول الله: ﴿فَإِنْ

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿سورة النحل، الآية: ٨٢﴾، ويصف الله سبحانه دور الأنبياء بقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ١٨] وَأَيْضًا ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٥] بل ينقل القرآن الكريم عن لسان حال الأنبياء قولهم لقومهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة يس، الآية: ١٧]، فإذا كان هذا هو حال الأنبياء فماذا عن باقي الناس؟

المظهر الثالث: الحسد، فحينما يبرز عالم وتكون له كفاءات ومواهب، ويحقق إنجازات، قد يحدث هذا النجاح شيئاً من الحسد، وقد أشار بعض من أرخ لحياة الشيخ الأوحى أنه حُسد بسبب ما كان يمتلكه من قبول لدى العام والخاص، فقد ذكروا أن الشيخ عندما ذهب إلى إيران جذب الناس إليه على كل المستويات، الحاكم ووزراءه والعلماء وسائر الجماهير، حتى قيل أن عدد من كان يصلي خلفه في أصفهان أكثر من ستة عشر ألف مصلاً، وأنه حينما كان يلقي درسه تتعطل دروس الحوزات العلمية، لهذا حُسد بسبب هذا البروز.

وأوضح سماحة الشيخ الصفار أن الحاسد لا يقول أن تحركه ضد هذا الرجل بسبب الحسد، بل يبرر ذلك بمبررات يوهم بها الناس بأنه يحميهم من انحرافات العقديّة، أو ارتباطاته السياسية، كما قال الله تعالى عن لسان فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [سورة غافر، الآية: ٢٦].

المظهر الرابع: سوء الأخلاق: نحن ننتمي إلى دين جاءت توصيات ونصوص كثيرة فيه لتؤكد على حسن الأخلاق وأنها هي المحور والأساس في الالتزام الديني، لكن متى تبرز هذه الأخلاق الحقيقية؟ وأين يكون المحك الحقيقي للتمسك بهذه الأخلاق؟ إنه عند الاختلاف، كيف تكون أخلاقك مع المختلفين معك؟ فليس لك الحق أن تفخر بأخلاقك الراقية مع أصدقائك وجماعتك، بل الفخر أن تلتزم مكارم الأخلاق مع الآخر

المختلف معك، كما فعل رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ مع من اختلفوا معهم.

الناس مع المظلوم

وختم ساحة الشيخ الصفار حديثه عن المعاناة التي واجهها الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، ويواجهها كل من جهر برأيه وأبدى وجهة نظره، بلفت نظر الجمهور إلى أن هذه الأمور لا تضر الشيخ بل ينال إثرها الثواب العظيم، لأنه يُستغاب ويظلم وبسبب البغي والعدوان عليه ينال من الله سبحانه ثوابه، كما أن فطرة الناس تتعاطف مع المظلوم ولو بعد حين، وأضاف: الدرس الذي يجب علينا أن نتعلمه من سيرة الشيخ الأحسائي ﷺ وما حدث له، أننا يجب ألا نقع فيما وقع فيه الآخرون، فنحن نعيش الامتحان، إذ لا يجوز أن نؤذي أحداً بسبب اختلافنا معه فنبغي عليه، لقد ناوأ البعض الشيخ وطعنوا فيه ونحن ندين المناوءة، فلماذا نقع في نفس الشيء؟ ونمارس الإقصاء والظلم ومقاطعة الآخرين، لماذا نأخذ من أخلاق الجلاد؟ فنحن نتألم لما يفعله الآخرون معنا لأننا نختلف معهم في المذهب، نحن لا نقبل أن يظلمنا المتشددون السلفيون لأننا نختلف معهم، فكيف نمارس نفس الدور مع من نختلف معه؟

أيها الأخوة، حينما نتعاطف مع هذه الشخصية فهذا يلزمنا ألا نقع فيما وقع فيه المناوئون له، ولا نفرز الناس حسب انتماءهم، وأن نبقي المشتركات كما هي، فلا يوجد مسجد لهذه الفئة ومسجد لتلك، والرموز التاريخية ملك للجميع وليس لطرف دون غيره، فهذه الاحتفالات لا تقام من أجل التمجيد للشخصية، بل لأخذ العبر والعظة من حياته وما أحاط به من ظروف وممارسات.

هذا وقد شارك مع ساحة الشيخ الصفار في الحفل كل من السيد محمد رضا السلیمان، والشيخ المهندس علي العبد السلام، والشاعر جواد المزيدي.

الصفار واللويحق: لا يجوز إلزام الحجاج بمذهب معين في مناسك الحج^(١)

«حجي جابر»

أكد عدد من العلماء عدم جواز إلزام الحجاج باتباع مذهب معين في مناسك الحج ما دام التعدد المذهبي ينحصر في قضايا الفروع ولا يصل إلى أصول الحج وأركانه. وأوضحوا أن التنوع المذهبي لا يتعارض مع مظاهر الوحدة الإسلامية في موسم الحج بل يمثل عامل إثراء لها على كافة المستويات.

تنوع وغنى

يقول الدكتور جميل اللويحق أستاذ الفقه بجامعة الطائف: «النبى صلى الله عليه وسلم حج بنفسه وفسر هذا عملياً بقوله: «خذوا عني مناسككم»، ثم في مرحلة لاحقة تكلم أهل العلم في أفعاله وتنوع طرائقهم في فهم ما فعله بحسب النصوص الشرعية الواردة، ثم كان التنوع كبيراً حين استقرت المذاهب، وعالجت تصرفات المسلم في باب

(١) صحيفة المدينة. الأحد ٨ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ، الموافق ٧ ديسمبر ٢٠٠٨ .

المعاملات والعبادات وفقاً لما اتضح لشيوعها من النصوص الشرعية وما خلصت إليه اجتهاداتهم.

وأضاف: لم يكن التنوع في يوم من الأيام سبباً لتفرق المسلمين مؤكداً أن الناس منذ الزمن الأول يججون مع اختلافهم في بعض أحكام الحج الفرعية، وكان في هذا رحمة بالناس وتيسيراً لهم وتوسيعاً عليهم في بعض الأحوال ولم يكن ذلك في يوم من الأيام سبباً للفرقة أو النزاع.

وختم اللوحيق بالتشديد على عدم جواز إلزام الناس بمذهب معين في الحج ولكن المشروع بيان المذهب الموافق للدليل وإظهاره ودعوة الناس إليه دون إلزام أو واجب، وبهذا تتحقق السعة الشرعية وتزول المشقة التي قد تحدث بفرض رأي معين دون سواه.

وعى الحجاج

من جانبه رأى الشيخ حسن الصفار أن موسم الحج لهذا العام يأتي وسط ظروف خاصة تمر بها الأمة الإسلامية، مشدداً على ضرورة أن يتحلى الحجيج بمزيد من الوعي أثناء أدائهم لمناسك الحج.

وأضاف أن فريضة الحج تتميز عن غيرها من الفرائض باجتماع المسلمين من مختلف البقاع والأعراق والبيئات والطباع مما يولد نسبة كبيرة من الاحتكاك والتماس فيما بينهم، ونتيجة لذلك قد تستبد بالبعض حالة الغضب والانفعالات، وهذا لا يتناسب والمكان المقدس الذي يجتمع فيه المسلمون، ولذا ينبغي للحجيج أن يتحلوا بالهدوء والطمأنينة التي من شأنها أن تخلق أجواء الألفة والاحترام المتبادل فيما بينهم، ليُقدم المسلمون من خلال موسم الحج صورة مشرقة عن الإسلام والمسلمين، وليكونوا يداً على عدوهم الذي يتربص بهم الدوائر.

وأشار الصفار إلى أن الأمة الإسلامية اليوم في مواجهة ضاغطة مع تيارات الفتنة

والتعصب، مما يجعل الساحة مفتوحة على مختلف الاحتمالات، وبالتالي يجب أخذ الحيطة والحذر خصوصاً في موسم الحج.

ودعا الصفار المؤمنين إلى التسلح بالوعي، وأن لا يكون التزامهم ببعض الشعائر المستحبة على حساب القضايا الكبيرة كالوحدة والانسجام بين جميع المسلمين، وإذا كانت هناك بعض الأعمال التي من شأنها أن تُثير الأطراف الأخرى فينبغي النظر فيها وتقليصها حفاظاً على الصورة العامة للإسلام والمسلمين، ولكي تُسد كل الثغرات التي يُمكن للأعداء من خارج الأمة أو المغرضين النفوذ منها.

الدكتور يمانى في ضيافة الشيخ الصفار^(١)

لبي معالي الدكتور الشيخ محمد عبده يمانى وزير الإعلام الأسبق دعوة سماحة الشيخ حسن الصفار ظهر يوم الأربعاء ١٩ ذو الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠٠٨م. حيث استقبل الشيخ الصفار ضيفه الكريم في مجلسه بالقطيف بحضور جمع من الشخصيات العلمية والرسمية والثقافية والاجتماعية. وتأتي زيارة الدكتور يمانى للمنطقة الشرقية لإلقاء محاضرة عن مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام في غرفة التجارة والصناعة بالدمام بدعوة من فرع هيئة حقوق الإنسان في المنطقة الشرقية.

وقد رحب الشيخ الصفار بضيفه بكلمة موجزة نقتطف منها ما يلي: «إنه يوم سعيد من أجمل أيام القطيف حيث تطل علينا قامة وطنية شامخة جسدت نموذجاً مشرفاً في خدمة الدين والوطن. أهلاً بك يا معالي الشيخ في القطيف حيث لك في قلوب أبنائها مكانة خاصة ومحبة كبيرة، فهم يقدرون جهودك الدينية والوطنية، ويتابعون مؤلفاتك القيمة التي تنشر فكر

(١) تمت الاستضافة بمجلس الشيخ الصفار بتاريخ ١٩ ذو الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠٠٨م.

التسامح والاعتدال، وترسخ محبة النبي وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. كان أول لقاء لي مع معالي الدكتور سنة ١٤١٦ هـ حيث زرته بعد الحج في داره العامرة بجدة، وعرضت عليه فكري ومشروعي حول تفعيل التواصل بين أبناء الوطن والأمة، وتجاوز الحواجز المذهبية، وقدمت له بحثاً كنت أعدته بعنوان (التنوع والتعايش) فوجدت لدى معاليه كل ترحيب وتجاوب، وأيد الفكرة، وأبدى استعداده لدعمها، وكتب لبحث (التنوع والتعايش) مقدمة ضافية. واستمر التواصل مع معاليه لخدمة هذا التوجه الوحدوي الوطني».

ثم تحدث عضو مجلس الشورى الأستاذ محمد رضا نصر الله مرحباً بالضيف الكريم ومشيداً بدوره الوطني، معترفاً له بالفضل في دعم مسيرته الإعلامية الثقافية، حين كان الدكتور محمد عبده يمانى وزيراً للإعلام، حين بدأ محمد رضا نصر الله برنامجه الحوارى المميز في التلفزيون السعودى، فكان لدعم الوزير يمانى وتشجيعه الدور الأساسى فى نجاح البرنامج واستمراره، كما أشار نصر الله إلى دور الدكتور يمانى أثناء وزارته للإعلام فى إقرار حق المواطن السعودى فى إدخال الكتب الشخصية، واقتصار الرقابة على الكميات التجارية.

وألقى الشاعر الشاب محمد مهدي حمادي مقطوعة شعرية رائعة فى حب الوطن وتأكيد التواصل بين أبنائه ترحيباً بزيارة الضيف الكرىم للقطف.

ثم تحدث معالى الدكتور محمد عبده يمانى معرباً عن سعاده وسروره بزيارة القطف واللقاء بنخبة من علمائها ومثقفىها، مشيداً بتاريخ القطف العرىق فى العلم والأدب، وبالحرآك الثقافى المعاصر فى ساحتها، شاكراً لساحة الشىخ حسن الصفار دعوته وجمعه لهذه النخبة الطيبة، مؤكداً على أهمية الدور الوطنى الذى يقوم به الشىخ الصفار فى نشر ثقافة التقارب والحوار، وفى المبادرة للتواصل مع مختلف الشرائح والاتجاهات، مشيراً إلى ما يحظى به الشىخ الصفار من احترام وتقدير فى مختلف الأوساط والمستويات الرسمية

والعلمية والثقافية، ووعد بتكرار زيارته للقطيف والأحساء في المستقبل القريب إجابة للدعوات التي قدمها أعيان القطيف والأحساء ممن حضروا اللقاء.

ثم تناول الجميع طعام الغذاء على شرف الضيف الكريم، وودعوه بحفاوة بالغة. ومن أبرز الحاضرين في اللقاء:

الدكتور صالح الدوسري عضو مجلس الشورى والمدير السابق للتعليم في المنطقة الشرقية، الأستاذ محمد رضا نصر الله عضو مجلس الشورى، السيد حسن العوامي، الأستاذ علي الملا عضو مجلس المنطقة الشرقية، الدكتور محمد الخنيزي عضو مجلس هيئة حقوق الإنسان، الدكتور منصور القطري المشرف على فرع هيئة حقوق الإنسان في المنطقة الشرقية، الأستاذ خليل الفزيع، الأستاذ أحمد عبدالله اثنيان عميد الكلية التقنية بالقطيف، السيد حيدر العوامي إمام جماعة مسجد الإمام الجواد بالقطيف، الشيخ محمود السيف إمام جماعة مسجد الإمام الحسين بالقطيف، الشيخ فيصل العوامي إمام جماعة مسجد الإمام الحسن بالقطيف، الشيخ عيسى الحماقي، الشيخ محمد سعيد الخميس، الشيخ محمد الصفار إمام مسجد الفتح بالقطيف، الشيخ علي موسى، الأستاذ علي عباس راعي منتدى الوسطية بصفوى، الحاج عبدالجبار أبو مرة، الحاج فؤاد أبو مرة، الحاج مبارك الأمير، الأستاذ محمد باقر النمر رئيس تحرير مجلة الواحة، السيد عدنان العوامي، الأستاذ فؤاد نصر الله، الشيخ حسين الصويلح، السيد شرف السعيد رئيس جمعية مضر الخيرية بالقديح، الشيخ عبدالله المسلم، الشيخ عبدالكريم المطرودي. الأستاذ نجيب الخنيزي راعي ديوانية المنتقى الثقافي بالقطيف، الأستاذ عبدالعلي السيف، الأستاذ سعيد الحبابي، الأستاذ حسين الحاجي، الأستاذ أمين العقيلي، الأستاذ علي البحراني.

حوارات |

حوار صحيفة الرياض^(١)

نص الحوار الكامل الذي أجراه مراسل صحيفة الرياض الصحفي منير النمر في ٨ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ١٧ يناير ٢٠٠٨م:

■ السؤال الأول: كيف يحيي المواطنون الشيعة في السعودية مناسبة عاشوراء؟

□ البرنامج الأساس في إحياء الشيعة مناسبة عاشوراء هو الخطابات والمحاضرات الدينية التثقيفية، حيث يقام يومياً من الأول إلى العاشر من المحرم في محافظة القطيف وحدها أكثر من ثلاثمائة مجلس، وفي محافظة الأحساء ما يزيد على هذا العدد، ويلقي المحاضرات علماء وخطباء، يركزون فيها على ذكر توجيهات الإسلام وهدية، وإحياء سيرة النبي ﷺ وآله، وعرض أحداث كربلاء، ويعالجون من خلالها المشاكل الاجتماعية، بما يخدم أمن المجتمع واستقراره والمصلحة الوطنية. وتعد هذه المحاضرات في مجالس مفتوحة يطلق عليها الحسينيات، وهناك

(١) صحيفة الرياض العدد رقم ١٤٤٥٣ الصادر بتاريخ السبت ١٠ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٨م. (اقتصرت على نشر فقرات من الحوار).

حسينيات للرجال وحسينيات خاصة بالنساء.

وهناك مواكب عزاء يردد الشباب فيها أناشيد حزينة تحمل مضامين دينية وأخلاقية. وعادة ما يقيمها بعض الشباب لكن البرنامج الأساس هو المحاضرات.

■ السؤال الثاني: كيف تقيّمون دور رجال الأمن في تنظيم المناسبة؟

□ يقوم رجال الأمن بدور مشكور في تنظيم المرور في أماكن المناسبة، وفي رعاية أمن المواطنين، والحفاظ على النظام، لتسير البرامج بهدوء وأسياب.. وتشرف إمارة المنطقة الشرقية على إدارة الأمور بكل اهتمام، عبر محافظة القطيف والأجهزة الأمنية المختصة.

وإني أتوجه بالشكر لسمو أمير المنطقة الشرقية ونائبه ولمحافظ محافظة القطيف وجميع الدوائر الأمنية في المنطقة على الجهود المبذولة في حفظ الأمن ورعاية النظام أيام هذه المناسبة.

وأشير هنا إلى أن هناك تعاونًا طيبًا بين المواطنين ورجال الأمن حيث تسير الأمور بهدوء وانتظام تام، مع كثرة حشود المستمعين والمعزين، الذين يصلون في بعض الأماكن إلى عشرات الألوف ومع ذلك لا تحصل أي مشكلة تذكر بحمد الله؛ لأن أبناء المجتمع لا يقلون حرصًا على رعاية الأمن والنظام.

■ السؤال الثالث: هناك من ينتقد ما يعرف بـ (التطير) بينهم علماء شيعة

كالمرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله هل يطبر الشيعة في السعودية، وما هي وجهة نظركم فيه؟

□ التطير هو إدماء مقدمة الرأس، وهذه الممارسة لم تكن موجودة عند شيعة المنطقة، لكن عددًا من الشباب المتحمسين استوردوها في الستينيات الأخيرتين من مناطق

أخرى. وقد أعلنت وجهة نظري الراضية لهذه الممارسة عبر وسائل الإعلام، كما شاركت في إصدار بيان حولها، مع مجموعة من كبار علماء الشيعة في المملكة من القطيف والدمام والأحساء والمدينة المنورة.

■ السؤال الرابع: ألا تعتقد أن عاشوراء مناسبة تستفيد منها مستشفيات البلاد عبر ظاهرة الاقبال على التبرع بالدم؟

□ دعوت إلى التبرع بالدم في مناسبة عاشوراء قبل أكثر من عشر سنوات، وتبنى الدعوة إليها أيضاً عدد كبير من علماء الشيعة في القطيف والأحساء، فحصل إقبال وتجاوب واسع من المواطنين، بل إن المتقدمين للتبرع بالدم يفوق قدرة الطواقم الطبية العاملة في المناسبة، وتكون كميات الدم المتبرع بها تحت تصرف بنك الدم الإقليمي في الدمام، وتستفيد منه مستشفيات المنطقة.

وأتمنى أن يكون يوم عاشوراء مناسبة إسلامية عالمية للتبرع بالدم في مختلف أنحاء العالم ولصالح المحتاجين للدم من جميع أبناء البشر.

حوار موقع إسلام أون لاين^(١)

النص الكامل للمقابلة الخاصة مع شبكة (إسلام أون لاين.نت) التي أجراها الأستاذ ياسر باعامر من جدة مع سماحة الشيخ حسن الصفار، ونشر معظمها على الشبكة وفيما يلي النص الكامل:

■ شيخ حسن، دعني أبدأ معكم من الواقع الشيعي السعودي ومطالباته، إلى أين وصلت تلك المطالبات في الواقع الحاضر، وكيف تعاملت معك السلطات السعودية، نريد إجابة واضحة لا إجابة دبلوماسية، خاصة أن أغلبية الشيعة في السعودية يرون أن المطالب لا زالت تدور في دائرة مغلقة وأنهم لا زالوا يعاملون ضمن مفهوم «مواطنين من الدرجة الثانية» وخاصة أنكم قدمتم عريضة في ٣١ إبريل / نيسان ٢٠٠٣، باسم «شركاء في الوطن»، إلى العاهل السعودي عبد الله بن عبد العزيز آل سعود حين كان ولياً للعهد والتي شددت على انتهاء الشيعة للوطن السعودي؟

□ يمكنني القول إن هناك تطوراً في التفكير السياسي لدى أوساط النخبة السياسية

(١) إسلام أون لاين. www.islamonline.net إعداد: ياسر باعامر، نشر بتاريخ ١٥/٣/٢٠٠٨ م.

من المجتمع الشيعي في المملكة، وناتج هذا التطور هو النظر إلى مشكلات المجتمع الشيعي كجزء من المشكل الوطني العام، فهناك حاجة وطنية عامة للإصلاح، وقد تحدث خادم الحرمين الشريفين عن عزمه الأكيد لانجاز الإصلاحات التي يتطلع إليها المواطنون. بما يحقق المشاركة الشعبية، وإقرار المساواة والعدل، ومواجهة الفقر والأزمات الاقتصادية، وتعزيز شرعية حقوق الإنسان، وتوسيع نطاق الحرية وفرص التعبير عن الرأي.

وقد تحققت بعض الخطوات على طريق الإصلاح، كالانتخابات البلدية، وإنشاء هيئة وجمعية لحقوق الإنسان، واتساع هامش الحرية أمام وسائل الإعلام، وصدور عدد من الأنظمة والقوانين المتقدمة على ما سبقها.

ونأمل كبقية المواطنين الإسراع في مسيرة الإصلاح، لأن الزمن لا يسمح بالمزيد من التأخير، ووتيرة الأحداث الدولية والإقليمية عالية السرعة. وحين تتحقق هذه الإصلاحات على المستوى الوطني لن يكون هناك مشكلة للمواطنين الشيعة ولا لغيرهم.

كما أننا حذرون في هذه الظروف من الحديث عن مطالب شيعية، لأن ذلك يخدم سياسة الفرز الطائفي والصراع المذهبي الذي أججته أحداث العراق الأليمة. رغم أن المجتمع الشيعي يعاني من تأخير المعالجة لأكثر المشاكل التي سبقت وعود الحكومة بحلها ومعالجتها، لتحقيق المساواة، وليعيشوا في مستوى بقية المواطنين في الحقوق والواجبات.

لكن من أساسيات الثقافة الشيعية تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وأولوية الحفاظ على الوحدة، والحرص على تفويت الفرص على الأعداء، واعتماد نهج الحكمة في معالجة القضايا والمشكلات.

■ تشير بعض التقارير بحصول انفراجات بمجيء الملك عبد الله بن عبد

العزير إلى الحكم، وحصل انفتاح أوسع على الشيعة من قبل النظام. إلا أن هناك تيارًا في الأسرة الحاكمة، والمؤسسة الدينية الرسمية التي تحسب على الوهابية، يقفان عائقًا أمام مزيد من الانفتاح عليهم، بحكم موقعك البارز كيف ترى ذلك على أرض الواقع ما بين الانفراج والتضييق؟

□ حين نقارن الوضع الحالي بالسابق فإن هناك انفراجًا لا ينكر على المستوى الوطني، وقد حصل مستوى أفضل من الانفتاح على المواطنين الشيعة، وخاصة بعد بدء ملتقى الحوار الوطني، وأشير هنا إلى أني والأخوة معي حينما عدنا من الخارج، بذلنا جميعًا جهودًا مكثفة في التواصل مع المسؤولين في الدولة، ومع المؤسسة الدينية الرسمية، والعلماء والدعاة في المدرسة السلفية، وهذا ساعد كثيرًا على تحقيق ما حصل من انفراج وانفتاح.

وليس خفيًا على أحد أن هناك تحفظات لدى المؤسسة الدينية تجاه المذاهب الأخرى، والدولة تأخذ هذه التحفظات بعين الاعتبار بسبب العلاقة الوثيقة العريقة بين السلطة السياسية والمؤسسة الدينية.

وما نأمل هو حدوث تطور في تفكير ونهج المؤسسة الدينية انطلاقًا من تجديد النظر والاجتهاد في فقه العلاقات الداخلية للأمة، ورعاية للظروف الحساسة الخطيرة التي تمر بها الأمة والوطن.

كما نأمل شيئًا من الجرأة والمبادرة لتجاوز هذه التحفظات المرتبطة بالتعددية المذهبية، أسوة بموقف الدولة المسؤول في تجاوز التحفظات في مجالات أخرى.

■ أريد منك توجيه رسائل مباشرة للسلطات السعودية عبر إسلام أون لاين فيما يتعلق بالمطالبة بالحقوق؟

□ إنني في اتصال مستمر مع المسؤولين في الدولة، وأتحدث معهم بكل وضوح، وأشكر

لهم إتاحة الفرصة للتواصل معهم، لذلك لست بحاجة للاستعانة بمنابر الإعلام لتوجيه الرسائل لهم.

وما أقوله عبر وسائل الإعلام هو ما أتحدث به للمسؤولين من التأكيد على ولاء المواطنين الشيعة لوطنهم، وهم يعرفون ذلك، لأن تاريخ المواطنين الشيعة في المملكة يثبت ولائهم وإخلاصهم وتفانيهم في خدمة وطنهم، وفي الالتفاف حول الدولة.

وأن المواطنين الشيعة لا يطلبون أكثر من مساواتهم ببقية إخوانهم من المواطنين، في حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وإتاحة المجال لهم للعمل والخدمة في كل مواقع الدولة حسب ما يتوفر لأبنائهم من كفاءات وقدرات، فهم مواطنون لا يصح استثناءهم من المشاركة في أي مرفق وطني، وأي منصب من مناصب الدولة. حيث لا دخل للمذهب في قضية الولاء والثقة والإخلاص، وما تواجهه الدولة الآن من إرهاب يؤكد ذلك، فالمتورطون في قضايا الإرهاب لم يمنعهم مذهبهم السني السلفي من الانزلاق في طريق الإجرام، بسبب سوء فهمهم وانحراف تفكيرهم.

■ الواقع العراقي وما حصل فيه من تقلبات وامتداد للنفوذ الشيعي حتى وصل إلى سدة الحكم، هذا التمدد انعكس حقيقة على الواقع السياسي والشعبي السعودي بشكل ملفت للنظر، فأضحت هناك مخوفات من تكرار التجربة العراقية في نظيرتها السعودية، وأستطيع التذليل على ذلك بتصریحات بعض زعماء الشيعة السعوديين عقب اكتساح المجالس البلدية في القطيف والأحساء، من الاستفادة من التجربة العراقية وكيف وصلت إلى سدة الحكم بعد سنوات من التهميش، أنتم لم تقدموا ضمانات حقيقية لطمأنة الشارع الرسمي والشعبي؟

□ غريب جداً أن يجري الحديث عن وصول الشيعة للحكم في العراق وكأنه أمر مثير

وغير طبيعي وتترتب عليه آثار خطيرة، بينما هم يمثلون أكثرية في الشعب العراقي، وكأن الطبيعي هو حالهم السابق في ظل النظام الديكتاتوري الزائل.

من وجهة نظري لم ألحظ أي انعكاس للواقع العراقي الجديد على المجتمع الشيعي في السعودية، فالأجواء هادئة ولم يحدث شيء غير طبيعي خلال هذه السنوات، أما تفاعل الناس عاطفياً فهو أمر طبيعي ولا ينبغي أن يزعج أحداً أو يستاء منه أحد.

أما الانتخابات البلدية فقد كانت ساحة للتنافس والاستقطاب، كما هو الشأن في أي انتخابات شعبية تستخدم فيها الشعارات وتوظف الانتباءات، وهذا يحصل بين الأطراف المتنافسة داخل الشيعة والسنة.

ولا أدري عن أي اكتساح تتحدث للمجالس البلدية ففي المجلس البلدي بمحافظة القطيف ستة أعضاء من الشيعة وأربعة من السنة، وفي محافظة الأحساء ستة من الشيعة ومثلهم من السنة، بما يشمل المعينين والمنتخبين.

ولعلمك فإن الانتخابات البلدية في الأحساء والقطيف كانت الأكثر هدوءاً وانتظاماً، فلم تسجل فيها خروقات ولا اعتراضات تذكر، والانسجام داخل المجلسين البلديين في الأحساء والقطيف أفضل من كثير من مناطق المملكة.

كما أن من الغريب جداً أن يُطلب من الأقلية التي تشكو من الإقصاء والتهميش أن تقدم ضمانات للأكثرية التي بيدها كل شيء. هذا إن صح الحديث عن أقلية وأكثرية، لأنني أتخفظ على هذا التصنيف. فنحن شعب واحد يجمعنا دين واحد، شركاء في الوطن يشارك كل واحد منا في ملكية كل شبر من الوطن وكل ريال من ثروته.

■ ما هي رؤيتكم الحالية في النفوذ الإيراني في الساحة العراقية بعد سنوات من الاحتلال الأمريكي للعراق خاصة فيما يتعلق بمستقبل الشيعة والسنة العراقيين، فحالات التهميش للسنة والإقصاء لهم بات واضحا وجليا؟

□ الشعب العراقي شديد الاعتزاز بوطنيته، لذا لا يُحاف عليه من تأثير أي نفوذ، وهو ليس شعباً فقيراً حتى يستجيب لإغراءات هذه الجهة أو تلك، بل هو غني بتاريخه وثروته وشهامته.

لكن الشعب العراقي يعيش الآن ظرفاً استثنائياً في ظل الاحتلال الأمريكي وبعد عقود من الديكتاتورية والاستبداد، وعماً قريب يتجاوز هذه الحالة الطارئة، ليستعيد سيادته وحرية واستقلاله.

وأعتقد أن النظر إلى الشعب العراقي بالمنظار الطائفي يشكل استجابة للواقع السيء الذي صنعه الاحتلال، وأنتجته الفتنة الطائفية.

فمع الاحتلال الأمريكي للعراق هناك إقصاء لإرادة الشعب العراقي كله شيعة وسنة وليس هناك إقصاء أو تهميش للسنة فقط، فهم شركاء في العملية السياسية القائمة فرئيس الجمهورية سني كردي، ورئيس البرلمان سني عربي، وفي المقابل رئيس الوزراء شيعي ومن تسعة أشخاص يشكلون مجالس رئاسة الجمهورية والبرلمان والوزراء، هناك ستة من السنة وثلاثة من الشيعة فقط. وبعد قيام مجالس الصحوات في المناطق السنية أصبحت المشاركة السياسية للسنة أوضح وأجلى.

■ هل تعتقدون أن أهل السنة في العراق بحاجة لتفعيل مشروع عربي لهم أمام المشروع والنفوذ الإيراني؟

□ اعتقد أن الشعب العراقي كله بحاجة إلى تفعيل مشروع عربي، يساعدهم على التخلص من الاحتلال الأمريكي، ويحصنهم من أي نفوذ إيراني وغير إيراني. ويعينهم على حفظ وحدتهم وبناء دولتهم على أساس ديمقراطي سليم.

أما توجه العرب لطائفة من العراقيين هم أهل السنة فقط فهو يعني الإمعان في تمزيق العراق، ودفع شعبه للاحتراب والانقسام. مما يهدد الأمن والاستقرار في

المنطقة كلها.

■ وهل أنتم من مع ينادي بمسألة أن يكون للمشروع السعودي حظ قوي في ذلك المشروع العربي؟

□ نعم، المملكة العربية السعودية بثقلها الكبير، وبها تتمتع به من احترام كل الأطراف العراقية، تستطيع أن تكون رافعة ودافعة لأي مشروع عربي لإنقاذ العراق ومساعدة شعبه.

■ هل تتفقون معي أن هناك تقسيمًا للكعبة العراقية بين الأمريكيين والإيرانيين؟

□ واضح أن الإيرانيين كانوا أذكيا ومبادرين، فلم يتركوا الساحة العراقية للهيمنة الأمريكية، بل صنعوا لهم تأثيرًا ونفوذًا ضخماً اضطر الأمريكيون للاعتراف به، وعقدوا معهم اللقاءات للحوار حول واقع العراق ومستقبله. بينما بقي العرب مع الأسف الشديد في موقف العاجز الحائر.

■ يعتقد الكثيرون أن مسألة التقريب بين المذاهب والتعايش بينها أصبحت مجرد أحاديث في دوائر مغلقة لا تسمن ولا تغني من جوع ويمكن الاستدلال على ذلك بمسألة القتل والعنف الطائفي في العراق، وسؤالي تحديداً كيف انعكس حقيقة على واقع مسألة التقريب في السعودية رسمياً وشعبياً؟

□ تسعى بعض الجهات لخلق جو من الإحباط وزرع اليأس في نفوس أبناء الأمة وخاصة المهتمين بقضية الوحدة والتقريب، لعرقلة هذا المسار، ولعل من استهدافات ما حدث في العراق هو صنع هذه الأجواء اليائسة المحبطة.

ولا شك أنها تركت جراحاً وآثاراً مؤلمة في الضمائر والنفوس، لكنني أرى أن على

الواعين والمخلصين أن يبدأوا الهجوم المضاد، بعد أن تكشفت أبعاد اللعبة في العراق وأهدافها القذرة، وتبين للجميع أن القضية لم تكن صراعاً مذهبياً، إنما هو صراع سياسي، كانت الفئات الإرهابية أدوات له، وكان الاحتلال يغذيه بطريقة أو أخرى. والصراع القائم الآن في الوسط السني العراقي حيث يستهدف الإرهابيون مجالس الصحوات، ومواقع وشخصيات الحزب الإسلامي السني، وكل المنخرطين من السنة في العملية السياسية، بعد أن كانوا يستهدفون الشيعة، هذا دليل واضح على دور هذه الفئات الإرهابية المشبوه. ثم إن هناك أمثالا لهذا الاحتراب في العراق، هو ما يجري في أفغانستان وباكستان، من اغتيلات وتفجيرات بين أهل السنة أنفسهم، وليس بين شيعة وسنة.

إن على الواعين والمخلصين في المملكة وسائر البلاد الإسلامية أن يعتبروا ما حدث في العراق دافعاً لمزيد من الاهتمام والجديّة بمعالجة المشكل الطائفي، حتى لا يتكرر استخدام الأعداء لهذه المخططات في مناطق أخرى.

إن أحداث العراق يجب أن تكون دافعاً للتحصين من الفتن المذهبية والصراعات الطائفية، بمعالجة الأسباب والخلفيات، وتوثيق عرى التواصل والتقارب بين أبناء الأمة المتنوعين مذهبياً.

وقد وجدت مثل هذا التوجه لدى الكثيرين من أصحاب القرار وأصحاب الرأي والعلماء والدعاة عندنا في المملكة، وقد نشرت الصحف المحلية في المملكة مقالات وآراء في هذا السياق. لذلك أشعر بحالة جديدة من التفاؤل.

■ دائماً نسمع انتقادات توجه لمرجعيات الشيعة في العراق وخارج العراق ليس لديهم أي مبادرات أو استنكار للعنف الذي يمارس ضد أهل السنة في العراق، ألا تعتقد عدم صدور تلك الاستنكارات يؤثر على مستقبل السنة و الشيعة على حد سواء؟

□ ضمن أجواء الفتنة وكجزء من تداعياتها نسمع كثيرًا من التلاوم والعتاب في وسط السنة تجاه القيادات الشيعية، وفي وسط الشيعة تجاه القيادات السنية، حيث يقول الشيعة كيف صمت علماء السنة وقياداتهم على التفجيرات والمآسي التي حلت بشيعة العراق طيلة سنوات من قبل الإرهابيين المنتسبين للسنة، والذين كانوا يعلنون تبنيهم لها ويدعون إلى إبادة الشيعة جهارًا كما في خطابات أبو مصعب الزرقاوي، فقد قتل عدد من شخصيات الشيعة القيادية كالسيد الحكيم، كما فجرت الكثير من حسينيّاتهم ومواكب عزائهم ومساجدهم ومراقدهم أئمتهم.

وفي المقابل هناك عتاب ولوم ظهر بصوت عالٍ رفيع في الوسط السني في أعقاب ما حصل بعد تفجير مرقد العسكريين في سامراء لمواقع ومساجد تابعة لأهل السنة.

والصحيح أنه يتم التجاهل والتغافل عن ما صدر من القيادات والمرجعيات الدينية عند الطرفين، فلا يوجد عالم صالح من السنة أو الشيعة يرضى بأعمال الإرهاب والإجرام التي حصلت في العراق سواء استهدفت السنة أو الشيعة أو غيرهم كالمسيحيين واليزيديين. لكن حالة التشنج وانحياز وسائل الإعلام كان يغطي تلك المواقف المخالفة والرافضة للإرهاب والعنف.

وأكتفي هنا بنموذج واحد هو البيانات والفتاوى التي صدرت عن المرجع الأكبر للشيعة في العراق السيد السيستاني، والتي طبعت في كتاب يقع في (٤٤٨) صفحة ويوثقها تحت عنوان (النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسألة العراقية).

■ نأمل سماع توصيف لوضع أمريكا في العراق كيف تقيمه؟

□ يبدو أن أمريكا تورطت في أحوال المستنقع العراقي وخاصة مع وجود خطة إيرانية

لاستثمار هذه الورطة الأمريكية، إضافة إلى ما فوجئ به الأمريكيون من التفاف العراقيين حول قياداتهم الدينية، ومن وجود مقاومة بأسلة ضد الاحتلال.

■ هناك قلق واضح لدى الأنظمة السياسية الخليجية من البرنامج النووي الإيراني، كيف تفسر ذلك القلق؟

□ قلق الأنظمة السياسية الخليجية من البرنامج النووي الإيراني له ما يبرره، في ظل ضعف الثقة بين الجانبين، ومع وجود التحريض الخارجي.

ولا حلّ إلا بمزيد من التواصل والحوار، والتعاون في المصالح المشتركة، فالجوار الجغرافي والإخاء الإسلامي، والتحديات الأجنبية تفرض التقارب بين ضفتي الخليج، وبين شعوب المنطقة والشعب الإيراني.

وبحمد الله فإن القيادات السياسية في الجانبين مدركة لهذا الأمر، ويكفي المنطقة ما مر عليها من كوارث وحروب، فلا بد من العمل الجاد المخلص من قبل القيادات السياسية وذوي الرأي لتجنب المنطقة أي هزات جديدة، وللتوجه نحو البناء والتنمية والتطوير.

حوار قناة LBC حول المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار^(١)

اجرت قناة LBC اللبنانية لقاءً مع سماحة الشيخ حسن الصفار خلال نشرتها الإخبارية التي بثت الساعة ١٢ بعد منتصف ليلة الأربعاء ٣٠ / ٥ / ١٤٢٩ هـ، وقد كان الحوار حول المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، وما يحيط بعملية الحوار، ومستقبله. هذا نصه:

■ LBC: ولمناقشة الموضوع ينضم إلينا من مكة المكرمة المفكر الإسلامي، وأحد المشاركين في المؤتمر الشيخ حسن الصفار، مساء الخير سماحة الشيخ، سؤالي الأول: عملياً ماذا يمكن أن يقدم هذا المؤتمر انطلاقاً من دعوة خادم الحرمين الشريفين لتوحيد كلمة المسلمين؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مساء الخير لكم ولجميع المشاهدين، يجب أن نكون واقعيين، فلا نتظر أن مؤتمراً قد ينتج حلاً سحرياً، ويغير الأوضاع المعاشة في الساحة الإسلامية، ولكننا نعتقد أن هذا المؤتمر بما يمثله من شريحة واسعة من العلماء والفضلاء من مختلف المذاهب، والبلدان الإسلامية،

(١) قناة LBC الأربعاء ٣٠ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ.

سيشكل خطوة متقدمة على طريق الحوار، وعلى طريق الانسجام داخل هذه الأمة، إننا بعد قرون من القطيعة بين بعض أطراف هذه الأمة، ومن التباعد والجفاء نحتاج إلى بذل جهد مكثف، من أجل تلافي آثار تلك الحقبة السابقة، وهذا المؤتمر سيكون إن شاء الله رافعة لنهضة جديدة في الأمة الإسلامية، تتجاوز بها ساحتنا ما كنا نعانيه في الماضي، هذا المؤتمر كان فيه إصرار واضح على أن الأمة تستطيع أن تتجاوز سلبيات المرحلة الماضية، كانت هناك مراهنة على أن تكون الأحداث التي حصلت في العراق، والتي حصلت في لبنان، أن توجد تمزيقاً وهوة أوسع في واقع الأمة، ولكن هذا المؤتمر والحمد لله جاء برعاية خادم الحرمين الشريفين لكي يثبت أن هناك إرادة واعية في الأمة، تصر على تجاوز آثار هذه الأحداث، والانطلاق إلى آفاق الحوار والتسامح ووحدة الصف الإسلامي.

■ LBC: ساحة الشيخ كان هناك كلمة لافتة للرئيس رفسنجاني، سؤال: كيف كان وقع هذه الكلمة السياسية بامتياز إذا صح التعبير، الذي هدفه ديني؟

□ كلنا نعلم أن جهوداً قد بذلت من بعض الجهات في الإدارة الأمريكية من أجل أن تعبئ المنطقة العربية ضد ما تعتبره طموحات إيرانية، وخاصة على صعيد برنامجها النووي، وكانت الإدارة الأمريكية تريد أن توسع رقعة الخلاف بين الجانب الإيراني والجانب العربي، ولكن الحمد لله قياداتنا السياسية على الضفتين الجانب العربي والجانب الإيراني، تمتلك من الوعي والحكمة ما وضع حداً لتلك المحاولات، مشاركة الشيخ الرفسنجاني تعطي هذه الرسالة، تعطي رسالة واضحة، أن المملكة العربية السعودية بما تمثل من ثقل أساسي في الساحة الإسلامية، وكذلك الجمهورية الإسلامية الإيرانية بما تمثل هي الأخرى من ثقل، مدركتان لأهمية التعاون والتلاقي

تجاه التحديات التي تعيشها الأمة، كلمة الشيخ الرفسنجاني كانت تؤكد على أن التحديات التي تواجه الأمة تستلزم وتستوجب أن يكون هناك تلاقٍ، وأن يكون هناك رصٌّ للصفوف، وهذا ما أكدت عليه أيضًا كلمة المفتي العام للمملكة العربية السعودية، وقبل ذلك كلمة خادم الحرمين الشريفين.

■ **LBC:** نعم، ربما يكون هنالك سماحة الشيخ تفاهم ديني وروحي بين المسلمين ولكن هذا التباين السياسي، يعني هل يمكن اعتبار المؤتمر في ظل هذا التباين قادر على تهيئة الأرضية الإسلامية لاستقبال مؤتمر الأديان السماوية المقبل في مكة المكرمة؟

□ وجود اختلاف في الآراء والمواقف السياسية هذا أمر طبيعي، ولكن الشيء المقلق أن يعطى هذا الخلاف السياسي طابعاً دينياً أو مذهبياً، فتصبح هناك حالة من التناحر والتنازع المذهبي، هذا يعتبر أمراً خطيراً، أما الاختلاف في الآراء السياسية والمواقف فهو أمر طبيعي، تستطيع القيادات أن تصل فيه إلى موقف مشترك، وتستطيع أن تتكامل من خلال أطروحاتها المتنوعة سياسياً، الخطر الكبير كان على الأمة، وعلى الساحة الإسلامية، هو إعطاء الصبغة المذهبية للخلافات السياسية، كما رأينا في لبنان حيث كان هناك انقسام سياسي، ولكن بعض الأطراف أرادت أن تعطي هذا الانقسام السياسي في الساحة اللبنانية بعداً مذهبياً طائفياً، وهذا مكمّن الخطورة، المؤتمر والحمد لله أراد أن يرفع هذا الإشكال وهذا الإيهام، وأن يُعيد الأمور إلى نصابها.

■ **LBC:** سماحة الشيخ، سؤالي الأخير لك هل من توجه لصيغة بيان وسطي وموحدة في ظل التباين الذي ظهر في مواقف المؤتمرين، يعني برأيك أن هذا التباين يخدم المصالح ولا يقلق المؤتمرين، فهل نتوقع أن يخدم

هذا التباين البيان الختامي لهذا المؤتمر؟

□ لا أعتقد؛ لأن القضايا الأساس متفق عليها، هناك اتفاق بين المؤتمرين وبين المشاركين على أن هناك قضايا أساس ليست موردًا للخلاف، ومن أهم تلك القضايا الوقوف أمام توجهات التكفير والتخوين الديني، الكل متفق على أن اتجاهات التكفير أضرت بساحة الأمة داخليًا وخارجيًا، الذين بدؤوا يكفرون أتباع المذهب الأخرى وصلوا إلى تكفير المختلفين معهم في الرأي داخل مذهبهم الواحد، ونحن رأينا ما يحصل في أفغانستان وما يحصل في العراق، وفي مناطق أخرى، كيف أن توجهات التكفير لا تقف عند حدٍّ معين، ولذلك الجميع يدين هذا التوجه التكفيري، والجميع يدعو إلى نشر ثقافة التسامح فيما بين المسلمين، وكذلك فيما يرتبط بالحوار مع الآخر، كل علماء الإسلام متفقون على هذا المورد، ليس هناك اختلاف في أننا يجب أن نمد للآخر غير المسلم يد التعاون كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨]، القرآن الكريم يأمرنا ويوجهنا إلى أن ندعو الآخرين من الديانات الأخرى ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾، وهذا ليس مورد اختلاف بين علماء الإسلام، قد يكون هناك نقاش في بعض الضوابط، وفي بعض التفاصيل ولكن في الأصل هناك اتفاق بين كل علماء الأمة، والحمد لله.

وعلى هامش المؤتمر أيضًا كان لسماحة الشيخ حسن الصفار مشاركة إعلامية ضمن ندوة حوارية على قناة الإخبارية ضمن برنامج (الحوار وتعزيز الوسطية) أذيعت يوم الخميس ١/ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ، الساعة ٩:٣٠ ليلة الجمعة.

حوار إذاعة BBC (١)

أجرت إذاعة BBC العربية لقاء مع سماحة الشيخ حسن الصفار حول ما جاء في خطبة الجمعة ١٤٢٩/٦/٩هـ التي تعرض فيها سماحة الشيخ لما يحدث من إثارات للفتنة الطائفية، داعياً إلى نهج سلوكٍ عقلائيٍّ في مواجهة هذا التطرف تبرز ملامحه في عدة أمور: وجود تشريعات وأنظمة تُجرّم المنهج المتطرف بكل أنواعه ووسائله، التصدي لتوعية الناس بأخطار هذه التوجهات وفضحها، نشر ثقافة الوحدة والتسامح والتقريب والألفة وهذا أقوى ردّ لمواجهة دعاة التطرف في المجتمع، وأخيراً تشجيع التواصل والتداخل بين أبناء الوطن، بعيداً عن سياسة الفرز والتمييز الطائفي.

هذا نص الحوار:

■ BBC: طالبتم شيخ حسن في خطبة الجمعة التي ألقيت يوم الجمعة الماضي بضرورة سن تشريعات وأنظمة تجرم إثارة الفتنة والتحريض، وقد جاءت هذه المطالبة على خلفية بيان صدر من قبل بعض الرموز الاجتماعية والدينية في السعودية فيها إشارات يعتبرها الكثيرون فيها تقليلاً لشأن أتباع

(١) أجرى الحوار الأستاذ أنيس القديحي، بث بتاريخ ١٥/٦/٢٠٠٨م الموافق ١٠/٦/١٤٢٩هـ.

المذهب الجعفري أو الشيعي.. كيف ترون ضرورة التحرك إيجابياً في اتجاه حد السلبية في مثل هذا البيان؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم، نحن نلاحظ أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله يدي اهتماماً كبيراً بالحوار بين أتباع المذاهب والشرائح المختلفة في الشعب السعودي، ونلاحظ أن هناك تركيزاً من قبل الدولة، وكل الواعين من أبناء الوطن، على تركيز الوحدة الوطنية، لكن هذا التوجه يجب أن يردف بالتشريعات والقوانين التي تحميه من المحاولات التي تريد إثارة الفتنة بين المواطنين، وتمزيق أبناء الشعب بحسب انتهاءاتهم المذهبية، أو المناطقية، أو القبلية، إذا لم تكن هناك تشريعات وقوانين تحمي هذا التوجه الوحدوي الذي يقوده خادم الحرمين الشريفين فإن الساحة ستكون مفتوحة أمام مثل هذه المحاولات، وهذا ليس أول بيان يصدر، وإنما سبقته بيانات، وسبقته فتاوى أيضاً تكفيرية، تكفر بعض الكتاب وبعض المفكرين، وبالتالي تجعل حياتهم في معرض الخطر، فلا بد من وجود تشريعات، وقوانين تجرم إثارة التحريض، وإثارة الكراهية والفتنة بين المواطنين، وأعتقد أن هذا ينسجم مع توجهات الملك، وتوجهات الدولة، وما تقتضيه ضرورة حفظ الوحدة الوطنية، والوقوف أمام المشاكل التي تجري في المناطق الأخرى.

■ BBC: هل يكفي سن القوانين والأنظمة التجريبية للوقوف أمام مثل هذه البيانات والطروحات ما دامت تعبر عن اتجاه مجتمعي وتيار فكري؟

□ لقد تحدثت في خطبتي عن عدد من البرامج، كان أحدها الدعوة إلى سن تشريعات وقوانين تجرم التحريض على الكراهية، وإثارة الفتنة، لقد تحدثت عن أهمية نشر ثقافة التسامح والتقريب عبر مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، ودعوت العلماء والخطباء إلى أن يقوموا بدورهم على هذا الصعيد، كما أنني تحدثت أيضاً عن برنامج

آخر هو تشجيع التواصل والتداخل بين أبناء الوطن، وألا نسمح بنمو حالة من الفرز والتصنيف الطائفي المذهبي بين المواطنين، فالحديث كان عن مجموعة من البرامج، شن التشريعات والقوانين التي تجرم التحريض وإثارة الفتنة كان واحداً من تلكم البرامج.

■ **BBC**: ما هي نظرتكم لهذه المبادرة، هل إنها مجرد شيء رمزي أم يمكن التفاؤل بها كشيء عملي يخدم الوحدة والتواصل ويضع حدًا للتوجهات المخالفة؟

□ هذه مبادرة طيبة كريمة من مجموعة من الأخوة من إخواننا السنة من منطقة الدمام والخبر، قدموا للصلاة معنا في القطيف وهي مبادرة طيبة استقبلها المصلون عندنا في القطيف والأهالي الذين سمعوا عن الخبر فيما بعد استقبلاً طيباً، وأنا أعتقد أنها مؤشر ينبغي أن يفتح الطريق أمام مثل هذه المبادرات، بطبيعة الحال حصلت في الماضي مبادرات طيبة على هذا الصعيد، مثل زيارة بعض العلماء، والدعاة السلفيين لنا في القطيف وإلقاءهم المحاضرات والأحاديث في بعض مجالسنا، كما أننا دعينا إلى مناطق أخرى، إلى مجالس في الرياض، وفي جدة، عند إخواننا أهل السنة، لكن هذه المبادرات تحتاج إلى تكثيف لأن هناك من يحاول محاصرتها، ويحاول إجهاض مثل هذه المبادرات، هناك ضغوط تمارس على كل من يسلك طريق التواصل، والانفتاح بين المواطنين، يحدّر ويخوّف في بعض الأحيان، وتمارس عليه بعض الضغوط من أجل ألا تكون هناك حالة من التواصل، وأعتقد أن الكثيرين من أبناء الوطن من السنة والشيعية يميلون بفطرتهم السليمة، وبحرصهم على مصلحة الوطن إلى التواصل والتداخل، لكن مثل هذه الضغوط هي التي تثبّط العزائم، وتمنع نمو مثل هذه التوجهات، نرحب بهذه المبادرة، ونعتبرها إضافة نحتاج إليها من أجل أن

تتراكم مثل هذه المبادرات بين أبناء الوطن الواحد، وبين أبناء الدين الواحد، لخدمة وحدتهم، ولخدمة وطنهم.

■ BBC: في مناطق أخرى من العالم العربي عندما يستمعون إلى زيارة مثل هذه لا تعتبر خطوة سابقة أو مهمة، هي بالطبع مهمة ولكنها بسيطة، قد يتساءل البعض: ما هو مستوى القطيعة إذا الذي يمكن أن يجعل مثل هذه الخطوة البسيطة خطوة مهمة؟

□ لكي يعرف الرأي العام عن مستوى القطيعة ينبغي متابعة ما يث على مواقع الانترنت، ففي اللقاء الأول للحوار الوطني الذي انعقد في الرياض، بمبادرة خادم الحرمين الشريفين يوم كان ولياً للعهد، حصل أن ركبت أنا وفضيلة الشيخ سليمان العودة في سيارة واحدة في طريقنا إلى جلسات المؤتمر، هذا أثار الكثير من اللغط على مواقع الانترنت، ووصلت للشيخ العودة رسائل كثيرة، على جواله، وبالإيميل، تتساءل عن هذا الأمر، وتحذره من خطورة القضية، يعني بمجرد أن يتصاحب أو يجلس شخصان ضمن التوجه الديني في سيارة واحدة هذا يثير لغطاً كبيراً في تلك الساحة، وحينما زارنا فضيلة الشيخ عوض القرني في القطيف، أيضاً دار لغط كثير في مواقع الانترنت، وإحدى الصحف أجرت معه مقابلة هي أشبه بالمحاكمة، لماذا زرتم القطيف؟ ولماذا زرتم الشيعة؟ وهل استأذنتم من العلماء وتشاورتم معهم قبل الإقدام على هذه الخطوة؟ نعم هناك حالة من القطيعة، وحالة من الجفاء، ولا زال بعض المتشددین يستشكل في رد السلام على المواطنين الشيعة، حينما يسلم عليه الشيعي: السلام عليكم.. فإنه يتردد في أن يرد عليه تحية الإسلام، وإنما يكفي بإجابته: أهلاً ومرحباً، لا يقول له وعليكم السلام، باعتبار أن هذا الجواب يقال للمسلم، وهو غير متأكد من أن هذا الشيعي مسلم!! نعم هناك حالة من القطيعة،

لكنها في بعض الأوساط، وليست في كل الأوساط، بشكل عام الحمد لله في بلادنا هناك تداخل بين المواطنين في الجامعات، وفي المدارس، والمؤسسات والأعمال، وفي الأسواق، هناك تداخل وتواصل بين المواطنين، لكن الكلام عن بعض الأوساط الدينية التي تسودها أجواء التشدد، والتطرف الفكري والديني.

■ **BBC:** هل تعتقدون أننا في الاتجاه المناسب، وهل تعتقدون أن هذه الحالة من القطيعة في طريقها للانكماش؟ أم أنها يمكن أن تتفاقم؟

□ هناك مؤشرات تبشر بالخير، وأنها في طريقها للانكماش، لكننا نعاني من تأثير الأحداث الإقليمية، فحينما تحصل أحداث في العراق تأخذ طابعاً طائفياً، أو أحداث في لبنان كما حصل أخيراً في بيروت، فإن بعض الجهات والأطراف، ووسائل الإعلام، تركز على البعد المذهبي لتلك الأحداث السياسية، وبالتالي تخلق زوبعة جديدة، وتحاول إعادتنا إلى المربع الأول، وتستلزم بذل جهود جديدة لمعالجة آثار هذه الأحداث التي تحدث هنا وهناك، ما نطمح إليه هو أن نصل في وحدتنا الوطنية، وفي تواصلنا وتداخلنا، إلى حالة من التحصين، بحيث لا تؤثر فينا مثل هذه الأحداث الإقليمية التي لا نستطيع أن نمنع حصولها، لماذا تكون وحدتنا على كف عفريت في انتظار ما يحصل من حدث في هذه الساحة أو تلك؟ ولماذا تكون وحدتنا الوطنية في مستوى من الهشاشة لا يسمح الله بحيث إن أي حادث في هذا البلد أو ذاك نعاني نحن من تبعات وتداعيات ذلك الحادث؟ نحن نريد أن تصبح وحدتنا الوطنية متجذرة وقوية، مدعومة سياسياً وثقافياً ودينيًا، وعلى صعيد التداخل الاجتماعي، والتداخل المصلحي بين أبناء الوطن.

■ **BBC:** شكرا لكم سماحة الشيخ حسن الصفار.

حوار صحيفة «عكاظ»^(١)

ثمّن الشيخ حسن الصفار جهود خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في إرساء دعائم الحوار الداخلي والخارجي، وقال إن الملك عبدالله بن عبدالعزيز أعطى الحوار أهمية بالغة بما منحه الله من نظرة واسعة ورؤية ثاقبة ونقاء قلب وصفاء فكر. ودعا الصفار علماء الأمة إلى الاستمرار في الحوار مع أتباع الأديان السماوية الأخرى، وقال في حديث لـ «عكاظ»: إن الحوار في الفكر الاسلامي وعند العقلاء هو أصل ومنهج واستراتيجية وليس حالة عرضية ولا يصح النظر إليه كنتاج للظروف المحيطة بالأمة في الوقت الراهن، وفي ما يلي نص الحوار:

■ بداية كيف ترون تأثير المبادرة الكريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في ترسيخ مفهوم «الحوار» وجعله وسيلة للتواصل وفهم الآخر؟

□ كل متأمل في واقع الأمة الداخلي وفي علاقات الأمة مع الخارج وما يكتنفها من

(١) صحيفة عكاظ السعودية. العدد ٢٥٥٨ الأربعاء ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ الموافق ١٨ يونيو ٢٠٠٨ م.

مشكلات يدرك الحاجة الماسة إلى الحوار من أجل فهم واقع هذه المشكلات ووجهات نظر الأطراف المختلفة وتلمس طريق المعالجة والحل بعد ذلك. وخدام الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز من خلال موقعه وبنظرته الواسعة ورؤيته الثاقبة التي تجعله على مقربة من جميع مشكلات الأمة. وبما منحه الله من نقاء قلب وصفاء فكر أعطى للحوار أهمية بالغة حيث أسس للملتقى الحوار الوطني وأقام مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، كما دعا مفكري وعلماء الأمة قبل سنتين إلى مكة ليتجاوزوا في تحديد مشكلات الأمة ويتدارسون خطط معالجتها ويقدمونها كتوصيات للقيمة الإسلامية الاستثنائية التي عقدت في مكة المكرمة. كما دعا إلى الحوار بين اتباع الأديان قبل شهرين وكل ذلك يدل على إيمانه بمنطق الحوار واهتمامه بأن تفهم الأطراف بعضها بعضًا.

■ تعلم بأن أحداث الـ ١١ سبتمبر فتحت صفحة نحو النقد لمفهوم الخطاب الإسلامي وكذلك الثقافي والإعلامي، فكيف لنا في ظل هذه المعطيات تحديد مفهوم لهذا الخطاب بأنواعه؟ ثم هل حقيقة أن مفهوم الحوار لدينا «غاب» فترة من الزمن مما سبب غيابه في عدم تفهم ما لدى الآخر؟

□ علاقة المسلمين مع الغرب تأثرت بشكل كبير من انحياز الإدارة الأمريكية والحكومات الغربية إلى جانب العدوان والظلم الصهيوني الذي وقع على الشعب الفلسطيني وسائر الشعوب العربية في مصر والأردن ولبنان وسوريا. كما أن وجود حالة انغلاق وانطواء عند أغلب التيارات الإسلامية سبب تركيزها على الجوانب السلبية من الحضارة الغربية ومنع تفاعلها مع الجوانب الإيجابية الكبيرة أدت إلى ذلك أيضًا.

ولم يكن هناك حوار جاد لتنقيح هذا الاحتقان في العلاقة مع الغرب بالإضافة إلى

عمق تأثير اللوبي الصهيوني سياسياً واعلامياً في أمريكا والدول الغربية. ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر لتفجير هذا الأزمة وتزيدها تعميقاً ودفعت الأمة الإسلامية ثمناً باهظاً لذلك الحدث المأساوي الأليم.

ولا شك أن خطابنا الاسلامي والثقافي بحاجة إلى مراجعة ونقد، فتطور الحياة يحتاج إلى مواكبة فكرية وتشريعية، والخطاب السائد منتج لبنية ومرحلة سابقة قد يكون ملائماً لها لكن بعض جوانبه لا تتلاءم مع الوضع الحاضر بكل تأكيد. ومبرر وجود المجتهدين والفقهاء في كل عصر هو إعمال الرأي وتجديد النظر في المستجدات واستنباط ما تحتاجه الأمة في ظل تطورات الحياة.

■ هل الحوار سيجعل لنا تبني لقضايا هامة تعالج خلل الأمة؟

□ لا شك أن الحوار يؤدي إلى تلاقح الأفكار وتكاملها وتسليط الأضواء على مواقع الخلل فيها لتجاوزها فحين تجتمع نخبة من الوطن أو الأمة وتتجه لبحث القضايا الإستراتيجية ولا تشغل بالقضايا الصغيرة من الخلافات الموروثة بل تهتم بصياغة مشروع للنهضة على مستوى الوطن والأمة لا شك أن ذلك هو مدخل الإصلاح والتغيير.

■ برأيك من هم الأولى في أطراف الحوار؟

□ الأولى في أطراف الحوار هم ذوو الرأي والتأثير في المجتمع.

■ لكن عدم القناعة بمفهوم الحوار مع الآخر عند البعض جعلت نتائجها

شبه معطلة أو غائبة، فكيف السبيل للخروج من هذه الدائرة؟

□ لا خيار لنا إلا الاصرار على الحوار والاجتهاد في إبداع الأساليب والوسائل المقنعة به وينبغي أن نفسح المجال لعامل الزمن مع مواصلة المشروع وخلق الأجواء

الإعلامية والثقافية الداعمة له حتى يصبح للحوار تيار وجمهور واسع وحتى تنشأ عليه الأجيال الجديدة.

■ هناك من يذهب بقوله أن الحوار بهذه الصورة يعبر عن مرحلة الضعف؟
فكيف يمكن أن نجعله مصدرًا للقوة؟

□ الحوار في الفكر الإسلامي وعند عقلاء البشر هو منهج وأصل واستراتيجية وليس حالة عرضية أو عملاً مقطوعياً تكتيكياً لذا لا يصح النظر إليه كناتج للظروف المحيطة من حيث القوة أو الضعف.

إن القرآن الكريم يتحدث لنا عن حوار الله تعالى مع الملائكة بل مع إبليس المتمرد على طاعته كما ينقل لنا حوارات الأنبياء مع أقوامهم ومخالفينهم.

حوار قناة LBC الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف^(١)

استضافت قناة LBC الفضائية سماحة الشيخ حسن الصفار ضمن برنامج أنت والحدث في حوار بعنوان (الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف) وذلك مساء الأحد ١٧ رجب ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٠ يوليو ٢٠٠٨ م نقتطف منها إجابات سماحة الشيخ عن الأسئلة التي وجهت له.

■ شذى عمر: مساء الخير أنت والحدث يواكب من مدريد المؤتمر العالمي لحوار الأديان بمبادرة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز التقى في العاصمة الإسبانية قادة روجيين مسلمون ومسيحيون ويهود فهل تمّ الاتفاق على قواسم مشتركة في المسائل المفصلية؟ وهل من فرصة لتحويل الأديان والمذاهب من سبب للخلاف إلى وسيلة للتكامل؟ ما هو دور رجال الدين وقدراتهم في زمن التوترات؟ وأين المتطرفين من كل الفئات من

(١) قناة LBC الفضائية، برنامج «أنت والحدث» بث بتاريخ الأحد ١٧ رجب ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٠ يوليو ٢٠٠٨ م.

الحوار وتداعياته؟

(الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف) موضوع أنت والحدث في ندوة خاصة من مدريد وضيوف مميزون يمثلون الإسلام والمسيحية واليهودية.

- الشيخ الدكتور عبدالله بن يبة نائب رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين.
- الشيخ حسن الصفار من القطيف في المملكة العربية السعودية.
- الانباء بي سستي أسقف حلوان والمعصرة للأقباط الأرثوذكس في مصر.
- الحاخام مارك شناير رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في أمريكا الشمالية.

■ شذى عمر: دعني أسأل الشيخ حسن عن القواسم المشتركة، هل توصلتم إلى قواسم مشتركة؟ وهل توافق أن هذا العالم مريض كما يقول الشيخ عبدالله؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أعتقد أن أهم ما يجب أن نتفق عليه في هذا المؤتمر أمران:

الأمر الأول: نزع الغطاء الديني عن ممارسات الظلم والعدوان، هناك ممارسات ظالمة تحصل من أبناء مختلف الأمم والشعوب، ولكنها تتردى في بعض الأحيان وتتغذى بغطاءات دينية، وكل الأديان لا تقبل بالظلم، ولا تقبل بالعدوان، وإنما هو سوء فهم أو وجود غرض مصلحي، وهذا الغطاء الذي حصل لحالات العدوان أو الظلم، كما رأينا مثلاً في الأعمال الإرهابية التي ينسبها من يقومون بها إلى الإسلام، ويأخذون عنواناً إسلامياً، أو ما يحصل من تطرف يميني مسيحي في أمريكا وأوروبا، أو بعض الممارسات التي تحصل من الصهاينة ويتغنون بغطاء الدين اليهودي، هذه الممارسات من الظلم والعدوان يجب أن نتفق من خلال هذا المؤتمر على رفع ونزع

الغطاء الديني عن ممارسات الظلم والعدوان، فالذين يارسون العنف والإرهاب، والذين يارسون الظلم تجاه الشعوب الأخرى وتجاه الآخرين، هؤلاء ينبغي أن تدينهم كل الأديان وكل المذاهب، وهم حينما يقومون بهذه الأعمال فهم لا يعبرون عن دين، إنما يعبرون عن نوازع شيطانية، وعن ممارسات إجرامية منحرفة، هذا الشيء الأول الذي نسعى للاتفاق عليه في هذا المؤتمر.

الأمر الثاني: أن تتجه الأديان لمهمتها الرئيسة في المجتمع البشري، وهي إشعار الإنسان بمسؤوليته كإنسان، فكل الأديان تجمع على هذه الفكرة، وعلى هذه الرؤية، فالإنسان مسؤول في هذه الحياة، له خالق وسيعود إلى هذا الخالق فيسأله ويحاسبه، وهو مسؤول عما يجري في الحياة، مسؤول تجاه البيئة وتجاه الكون، تجاه الآخرين من أبناء أسرته البشرية، لكن المشكلة أن بعض الأديان وبعض التوجهات دخلت في نفق الاشتغال بالجدل الديني، فاشتغلت الأديان ببعضها البعض، واشتغلت المذاهب ببعضها البعض، لا شك أن من حق صاحب كل دين وصاحب كل مذهب أن يطرح دينه، وأن يبين دعوته، لأنه يراها هي الحق وهي الصواب، ولكن لا ينبغي أن نستمر في الانشغال بالجدل الديني، نحن نجد في آيات القرآن الكريم تأكيداً وتوجيهاً على أن أبناء البشر يجب أن يتعاونوا مهما اختلفت أديانهم، وأن يتركوا الحسَم في خلافاتهم الدينية إلى الآخرة، إلى يوم القيامة، الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الحج، الآية: ١٤].

هم الآن موجودون، وهذه الآية وأمثالها اعتراف بوجود كل الأديان، كوجودهم موجودون، يجب أن يعترفوا ببعضهم البعض، يختلفون في الآراء، ويختلفون في التوجهات، لكن الحسَم في هذه الآراء والتوجهات متروك إلى يوم القيامة، من حق كل إنسان أن يبين ما هو عليه، وأن يدعو إلى الرأي الذي يراه حقاً، وإلى الدين

الذي يراه حقاً، أنا كمسلم أرى أن ديني هو الدين الحق، وهو الصواب، ولذلك أمارسه وأدعو إليه، ولكن دعوتي إليه يجب أن تكون بالأسلوب المناسب ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ويجب أن أتعاش مع إخواني وزملائي من أبناء الأسرة البشرية الواحدة، هذا ما نتطلع إليه في هذا المؤتمر إن شاء الله.

■ شذى عمر: شيخ حسن استمعت إلى ما قاله رابي مارك، هل لديك أي تعليق؟

□ أنا اتفق معه فيما فهمته من كلامه أن علينا أن ندافع عن بعضنا البعض، وهذا هو بالضبط ما قلته في النقطة الأولى، أن ننزع الغطاء الديني عن الظلم والعدوان على أي أحد، حينما يأتي شخص باسم الإسلام ويعتدي على قوم من اليهود أو من المسيحيين أو من البوذيين فواجبي أنا كمسلم أن أرفض هذا العدوان، لأن الدين لا يقبل بالظلم، ولا يقبل بالعدوان، إن الله يأمر بالعدل والإحسان لجميع الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، ملتزمين بدين أو غير ملتزمين، ولكن هناك مسألة وهي المسألة التي أشار إليها وهي الدفاع عن النفس، يعني في بعض الأحيان تكون هناك التباسات، فتكون هناك ممارسات عدوانية ولكن تعنون بعنوان الدفاع عن النفس، نحن كمسلمين ضد العدوان الذي حصل على اليهود من قبل النازيين، نحن لا نقبل ما حصل لليهود من عنف ومن محرقة، نحن نرفضها وندين هذه الإجراءات، ولكن المشكلة لا يصح أن ينتقم من الجهة التي لم يكن لها دور في هذه المحرقة، نحن المسلمين لم نكن شركاء في المعاناة والمآسي التي حصلت لليهود، بالعكس تاريخنا ينقل أن المسلمين احتضنوا اليهود، وكانوا يعيشون في الأندلس وفي مختلف البلدان العربية والإسلامية محل تقدير واحترام، ونحن نتناقل في مصادر الحديث عندنا ما قاله نبينا محمد ﷺ: «من آذى ذمياً فقد آذاني»، النبي ﷺ يعتبر أن من

آذى مسيحياً أو من آذى يهودياً فكأنه آذى الرسول شخصياً، لذلك نحن نرفض ما يتعرض له اليهود أو المسيحيون في أي وقت وفي أي زمان وفي أي مكان، وفي نفس الوقت نرفض ما يتعرض له المسلمون، ما يتعرض له الفلسطينيون، ما يتعرض له أي إنسان من عدوان وظلم، ويجب أن يتفق زعماء الأديان، القيادات الدينية يجب أن تتفق على إدانة الظلم من أي جهة صدر، وأن ننزع هذا الغطاء الديني.

■ شذى عمر: من يحدد الظلم؟

□ الناس لهم وجدان ولهم عقول، وهناك أيضاً قوانين في المجتمع الدولي وفي الأمم المتحدة، هذه القوانين تشخص الاعتداءات التي تحصل، أعتقد بالنسبة مثلاً ما يجري للفلسطينيين هناك قرارات في الأمم المتحدة، هذه القرارات تتحدث عن احتلال وقع على أراضيهم، وتتحدث عن ظلم يقع في وسطهم، وبالتالي القضايا واضحة، ليس هناك غموض في هذه المسائل وهذه القضايا، وفي نفس الوقت نحن ندين الأعمال الإرهابية التي تتم باسم الإسلام، والإسلام بريء من مثل هذه الأعمال ومثل هذه الممارسات.

■ شذى عمر: شيخ حسن، هل سبق أن جلست مع رجل دين يهودي؟

□ ما سبق أن جلست مع رجل دين يهودي ليس لمانع يمنع من ذلك، ولكن لم تحصل مناسبة، أنا كإنسان مسلم لا أجد أن هناك ما يمنعني من اللقاء مع أخي الإنسان من أي دين كان، والإسلام يربي أبناءه على هذا الأساس، الإسلام يربي أبناءه على أساس أن يحبوا كل أبناء البشر، ولدينا حديث جميل يقول: «إن الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله انفعهم لعِيالِهِ» ونحن ننظر إلى كل أبناء البشر باعتبارهم عيال لله سبحانه وتعالى، ولذلك نحبه انطلافاً من محبتنا لله، وتقديرًا للتكريم الإلهي، وكل إنسان يهودياً كان أو مسيحياً أو بوذياً هو موقع التكريم الإلهي، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

آدم ﷺ، ولم يقل الله تعالى ولقد كرّمنا المسلمين، أو لقد كرّمنا المؤمنين بدين معين فقط، لذلك أنا أرحب باللقاء مع أخي الإنسان من أي دين أو من أي مذهب كان، بالنسبة لما تفضل به حول معاناة اليهود في التاريخ، نحن الآن نعيش واقعاً معاصراً، لا يصح لنا أن ننطلق من مجريات تاريخية سابقة، ما حصل يجب أن نجعله خلف ظهورنا، وأن نبدأ أن نتعايش وأن نتعاون في حياتنا ضمن الواقع المعاصر الذي نعيشه، ثم إن المسلمين كما قلت لم يكن لهم دور في ما حصل من معاناة لليهود، وإنما كانت علاقاتهم مع اليهود طول التاريخ علاقات طيبة وجميلة، وإذا كان المطلوب إدانة المعاناة التي حصلت لليهود في الماضي، فنحن كمسلمين ندينها، ولا أعتقد أن مسلماً يرضى بوقوع العدوان أو الظلم على أي إنسان يهودي أو غير يهودي، أنا شخصياً أتألم حينما يصاب يهودي بدون حق، كما أتألم حينما يصاب مسلم بدون حق، لا فرق في ذلك هذا هو شعوري كإنسان وشعوري كمسلم.

■ شذى عمر: ما هو رأيكم في العمليات الفدائية التي تستهدف اليهود؟

□ طبعاً الجهاد كما تفضل فضيلة الشيخ (بن بيه) له ضوابطه وشروطه، ومن شروط وضوابط الجهاد أن يكون ضمن قيادة شرعية، لا يصح لفئات معينة تنطلق من أفكار متطرفة أو من أفكار عنفية، أن يقودوا هم جهاد الأمة، أو جهاد الشعب، لذلك نحن لسنا مع استهداف الأبرياء المدنيين والأبرياء، ورسول الله ﷺ كان يوصي كل جيش يتحرك باتجاه القتال، يوصيه بأن يراعي هذه الجوانب، لا تجهزوا على أسير، لا تصيبوا النساء، لا تصيبوا الشيوخ، وحتى علماء الأديان في الكنائس والأديرة كانت لها حرمتها في الحروب الإسلامية، هذه الممارسات التي تحصل هي فعل وردّ فعل؛ وعدوان ومواجهة العدوان، يحصل فيه تجاوز للحدود، لكن الدين كدين لا يقبل بالعدوان على الأبرياء ولا بالعدوان على المدنيين.

■ شذى عمر: شيخ حسن، انطلاقاً من الحوار الذي يحصل الآن هناك حوار بين يهود ومسلمين ومسيحيين، هل برأيك أساسي عند اليهود تحديداً أن يُعترف بإسرائيل حتى يكون هناك أواصر حوار أكبر وهل تستطيعون ذلك؟

□ أنا أعتقد أن توجه المؤتمر وأساساً مهمة العلماء والقيادات الدينية في الأديان والمذاهب مهمتها التأكيد على القيم الروحية والأخلاقية المشتركة، والتأكيد على التعاون بين أبناء البشر، أما بحث القضايا السياسية، أو حتى القضايا الدينية الجدلية التي هي مورد اختلاف، فهذه ليست من مهمة المؤتمر، وكما قلت في بداية حديثي لا ينبغي أن تشتغل بها القيادات الدينية عن الأمر الأهم الذي هو من وظيفتها، ومن صلب وظيفتها، الصراع الموجود في الشرق الأوسط يبحث الآن في الأمم المتحدة، وهناك مبادرة عربية، خادم الحرمين الشريفين الذي دعا إلى حوار الأديان هو قبل ذلك تبنى المبادرة العربية في قمة بيروت والمبادرة العربية مطروحة، ونحن نأمل أن تنتهي المشكلة في الشرق الأوسط، وأن يكون هناك اتفاق بين الفلسطينيين وبين الإسرائيليين، ويكون هناك حل لهذه المشكلة، هذا ما ننتظره وما تنتظره كل شعوب المنطقة، ولكن نحن كجهات دينية لسنا أصحاب الكلمة الفصل في هذا المجال، ولا ينبغي أن تقحم العلاقات الدينية بيننا كمسلمين ويهود ومسيحيين، لا ينبغي أن تقحم فيها القضايا السياسية، بأن نعلق حسن علاقتنا على معالجة مشكلة سياسية معينة، ولو كان ذلك صحيحاً لحقَّ لي أنا الإنسان المسلم العربي وما أستشعره من معاناة الفلسطينيين أن أقول إنني أرفض حسن العلاقة مع اليهود بسبب هذه المشكلة، لكن نحن ليس هذا منحانا، نحن نفرق بين الوضع السياسي والقضايا السياسية وبين الوضع الديني، نحن نحب أن تكون لنا علاقة مع اليهود كأتباع لديانة إلهية سماوية، وقرآنا يعتبرهم أهل كتاب، وقرآنا يوصينا بأن لا نتخاطب

معهم إلا بأفضل أسلوب للخطاب ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٦] أما الموضوع السياسي، الخلافات الموجودة، والصراع الموجود في الشرق الأوسط، فهذا له بحث آخر، ينبغي أن يبحث، وينبغي أن تحكم القرارات الدولية والمبادرة العربية الموضوعة للسلام في الشرق الأوسط، ونأمل أن نصل إلى نتيجة وأن تصل شعوب المنطقة إلى السلام.

■ شذى عمر: يقول الحاخام مايك شناير أنه كما هو أنه يعترف بالمملكة العربية السعودية وبأهمية مكة والمدينة بالنسبة للإسلام والمملكة العربية السعودية وجود إسرائيل بحد ذاته هو موضوع ديني وليس موضوعاً سياسياً بالنسبة إليه بامتياز. ما هو ردك؟

□ نختلف معه في هذه الفكرة، المملكة العربية السعودية كدولة قائمة وموجودة، وليس هناك اختلاف أو نزاع حول شرعيتها وحول وجودها، كما هو الحال في كثير من الدول، أما في الموضوع المرتبط بإسرائيل فهناك مشكلة قائمة في الشرق الأوسط، وهذه المشكلة تبحث الآن، أنا اختلف مع الحاخام في رأيه، وأرى أن اليهود في مختلف أنحاء العالم ينبغي أن يفتحوا علاقاتهم مع المسلمين على أساس إنساني، وعلى أساس ديني، وأن يقبل اليهود بتحكيم القرارات الدولية وتحكيم القيم الأساس المشتركة فيما يرتبط بهذا الصراع، وما تبت فيه القرارات الدولية، وما تبت فيه القيم المشتركة بيننا جميعاً سنقبل به.

تعليقي أن الديانة اليهودية ديانة عريقة وقديمة، وحينما نتحدث عن الديانات الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية، فمن الناحية التاريخية الديانة اليهودية هي الأقدم، وموضوع الدولة العبرية هي حدث جديد في هذا القرن، بينما الديانة

اليهودية ديانة سابقة منذ قرون طويلة، وبالتالي لا يصح أبداً أن تعتبر هذه القضية وكأنها قضية مفصلية لدين قد سبق وجودها لقرون طويلة، إضافة إلى ذلك هناك يهود لا يعترفون أيضاً بالدولة العبرية، هناك يهود موجودون في أمريكا، وهناك مؤسسة تنطق باسمهم، هم محتجون غير موافقين على قيام دولة إسرائيل، فهل يخرجهم من اليهودية لا يعتبرهم يهوداً؟ كما أؤكد على أننا في هذا المؤتمر أفق الكلام حول القيم الإنسانية المشتركة، ومجيئه إلى هذا المؤتمر الذي أقامته المملكة العربية السعودية ودعا له خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله، المملكة العربية السعودية لا تعترف بدولة إسرائيل، فإذن وضعه كشرط هذا يتنافى حتى مع تفضله بالحضور هو إلى هذا المؤتمر، فلا يصح أبداً أن نخلط القضايا بهذا الشكل لئلا نسمح لنا أن نختلف معه في الرأي.

■ شذى عمر: شيخ حسن يعني ختام الحلقة تعليق أخير؟

□ أنا فخور جداً بهذه المبادرة، واسمحوا لي أن أقول: إن هذه المبادرة تنطلق من بلدي، من المملكة العربية السعودية، هذا البلد الذي حصلت ظروف وملايسات أو وجدت نوعاً من التشويه لصورة هذا البلد، للدين الذي يتحمل هذا البلد المسؤولية الأساس فيه وهو الإسلام، شوهدت سمعة الإسلام، وشوهدت سمعة المملكة على أساس أنها تدعم الإرهاب، وأنها ترعى الإرهاب، بسبب وجود بعض الناس من المنتمين إلى هذا البلد أو إلى هذا الدين مع الأسف الشديد مارسوا أعمالاً إرهابية تدينها المملكة، ويتبرأ منها شعب المملكة وحكومة المملكة وأبناء المملكة، أنا فخور بأن هذه المبادرة تبرز الصورة الحقيقية لديننا ولوطننا، وأنا أشعر بسعادة كبيرة حينما أنظر حولي في قاعة المؤتمر فأرى ممثلين لمختلف الديانات ولمختلف المذاهب ولمختلف التوجهات،

يجلسون مع بعض، ويأكلون مع بعض، ويتناقشون حول القيم المشتركة، أنا أرجو أن يكون هذا فاتحة عهد جديد للبشرية وللإنسانية، بحيث يفتح الإنسان على أخيه الإنسان، ويكون هناك تجاوز للحواجز، ووضع حدّ لتوظيف الدين في الصراعات والخلافات، فضيلة الشيخ بن بيّة، وهو أستاذنا وشيخنا قال: الاستنجد بالدين هناك من يوظف الدين في صراعاته، وهذا ليس فقط بين الأديان، حتى بين المذاهب، نحن سمعنا عن الخلافات التي تحصل والصراعات التي حصلت في العراق وتحصل في لبنان، هناك من حاول أن يوظف الحالة المذهبية فيها، بينما هي في حقيقتها صراعات سياسية، نحن نأمل لهذا المؤتمر النجاح والتوفيق إن شاء الله.

حوار صحيفة الدار الكويتية^(١)

■ الصفار لـ «الدار»: الديمقراطية الكويتية من أفضل

النماذج في الوطن العربي.. بعد لبنان

شدد الصفار على أن السعودية بدورها الريادي مدعوة إلى الانفتاح أكثر على القوى المعارضة في لبنان.

وفي سياق آخر نفى الصفار الاتهامات التي توجه للشيعنة مثل الهلال الشيعي والولاء لإيران مؤكداً أن هذه الاتهامات تؤكد وجود خلل في النظام السياسي العربي.

وقال الصفار: إن الأميركيين كان لديهم دوافع معينة لجعل صدام يحارب إيران وهي الدوافع نفسها التي تجعلهم يوجهون الاتهامات للشيعنة بالولاء لإيران.

كما تطرق إلى الديمقراطية في الكويت والبحرين واستبعد الحرب على إيران..

وفيما يلي تفاصيل الحوار:

■ عقد في السعودية قبل شهرين المؤتمر العالمي الإسلامي للحوار وثمة

اتهامات وجهت إليه تقول إنه مؤتمر صوري ولا توجد نتائج ملموسة له

(١) جريدة الدار الكويتية. أجرى الحوار منير بعلبكي، نشر يوم الخميس ٤ سبتمبر ٢٠٠٨م.

فما مدى صحة هذا الاتهام؟

□ لا أعتقد أن هذا المؤتمر والمؤتمرات المناظرة له هدفها الدعاية وإن كانت هناك بعض الجهات تستفيد منه في هذا الإطار لكنه في تقديري مؤتمر مفيد ومؤثر و يتيح الفرصة للقاء كل الأطراف المشاركة وتكسير الحواجز بينهم ويفترض في المشاركين فيه أن يكون لهم دور في توجيهه واستثماره، ومن خلال حضوره في هذه المؤتمرات وجدت أن هناك فرصاً كبيرة يتعين على الواعين والمخلصين الاستفادة منها وأن تتبلور إرادتهم معاً.

وأضاف قد تكون هناك جهات سياسية وراء انعقاد هذه المؤتمرات ولكن المشاركين هم من العلماء والمفكرين ويجب أن تكون لهم إرادة وتأثير للاستفادة منها ليرسخوا الوحدة في داخل الأمة الإسلامية وذلك أن الساحة الإسلامية مليئة بتيارات وصراعات وبعضها ينزع نحو التعصب وترغب في استمرار القطيعة بين أبناء الأمة، في المقابل هناك تيارات تريد الوحدة والتقارب، وعلى الوحدويين ألا يستسلموا وعليهم أن يناضلوا من أجل خدمة الوحدة كهدف نبيل وسامٍ تتطلع إليه الأمة.

تواصل.. منقوص

■ هل تعتقد أن ثمة تواصلًا قد حدث بين المشاركين في المؤتمر الأخير؟

□ القوى التي ترغب بالتواصل سعت إلى ذلك وأنا شخصياً في كل مؤتمر أسعى إلى التعرف إلى أناسٍ وقوى جديدة وأجلس معهم وأتبادل الأحاديث وبعد انتهاء المؤتمر أسعى للتواصل معهم وأجد أن هناك استجابة من بعضهم في المقابل هناك من لا يرغبون بالتواصل أو أنهم لم يبرمجوا على تحقيق هذا التواصل، ولدينا علماء وشخصيات في الأمة يكتفون بأدوارهم التقليدية التي يقومون بها كإمام مسجد أو

صاحب مركز يبقى يعمل بحدود مركزه فقط. وهذا لا يتوقع منه أن يبادر للتواصل أو يتفاعل معه ولكن هناك واعين وطموحين في الأمة.

اتفاق وتجميد

■ هل لمست وجود تأثير للاتفاق بين حزب الله ومجموعة من قوى التيار السلفي في السعودية؟ وإلى أي مدى؟

□ بالرغم من أن هذا الاتفاق كان عمره قصيراً ثم جمد ولكني أعتقد أنه كان مفيداً جداً ووجه رسالة قوية ومفيدة للأطراف المختلفة أن هناك إمكانية للتوافق حتى بين جهتين كان يظن أنهما بعيدتان عن التوافق، وفي المملكة ارتاحت القوى التي تطمح إلى أن يكون هناك تواصل لهذه الخطوة وانتعشت آمالهم، والتراجع الذي حدث بتجميد الاتفاق أشعرنا بأن هناك جهوداً مضادة لهذه المسيرة، وهذا لا ينبغي أن يشعرونا بالإحباط وإنما أن يدفعنا للمزيد من العمل حتى لا تنجح مثل هذه العراقيل المضادة، وأنا شخصياً قبل ٤ سنوات كانت لدي دعوة كتبت حولها ونشرت كتاباً تحت عنوان «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل».

وتحدثت في هذا الكتاب عن أن القطيعة بين الطرفين ليست قدرًا محتوماً أو أنها ستستمر إلى يوم القيامة بل ينبغي أن نتعاطى مع الامر باعتباره نتاجاً لعصر تاريخي معين، ونتاج بيئة معينة، وعلينا أن نسعى لتجاوز هذه الحالة ووجدت نوعاً من الاستقبال من بعض القوى والعلماء السلفيين في المملكة تجاه هذا الطرح ونشرت بعض فصول الكتاب في جريدة الشرق الأوسط، وتحدثت عن أنه لا توجد موانع حقيقية بين السلفيين والشيعة، فهناك الكثير من الأمور التي يجب أن تدفعهم للتلاقي وتجاوز حالة القطيعة، فالقطيعة الموجودة نتيجة وضع سياسي ونتيجة عن وضع ثقافي وبيئي ومع تغير الحالة الثقافية والبيئية الإسلامية إلى وضع أفضل من

الممكن أن يتجاوزا حالة القطيعة.

وكنت متفائلاً من أن هذا سيحصل وأعتقد أن الاتفاق الذي حصل في لبنان خصوصاً وأن الطرف الموقع عليه ما زال مقتنعاً بصلاحيه هذا الاتفاق وحسب ما تابعت من تصريحات الدكتور حسن الشهاب الذي قال إن تجميد هذا الاتفاق فقط من أجل مراعاة الداخل السلفي وإلا فإنه مقتنع بالاتفاق ويسعى لإقناع هذا الداخل السلفي بالاتفاق.

أسباب اخرى!

■ البعض يقول إن الأسباب الحقيقية للتجميد هي تأثير الاتفاق سياسياً على تيار المستقبل في الشمال اللبناني؟

□ العامل السياسي هو أساس الصراع في لبنان وليس الصراع المذهبي ولكن مع الأسف الشديد فإن مختلف الأطراف تستعين بالعناوين المذهبية لمصلحة معاركها السياسية والواضح من خلال الضغوط من أجل تجميد هذا الاتفاق أنه ينطلق من منطلقات سياسية.

وأنا تابعت ما أثير حول هذا الاتفاق والمؤتمر الصحفي لداعي الإسلام الشهاب فلم أجد تبريراً دينياً لتجميد هذا الاتفاق وإنما أهم المبررات هي مبررات سياسية كالحديث عما حدث في ٧ أيار ببيروت وزعامة تيار المستقبل ومرجعياته السياسية والحديث حول الانشقاقات داخل التيار السلفي وضرورة توحيد الطائفة السنية، فهذه كلها مبررات سياسية، ولم يكن هناك مبرر ديني مقنع، فلم يستطع أحد أن يبرر بأن هذا الاتفاق يخالف الدين أو يخالف الشرع أو أن الدين لا يسمح باتفاق من هذا القبيل ولم يستطع أن يقدم ذلك بطريقة مقنعة.

السعودية أقرب إلى «المستقبل»

■ لماذا لم تمارس السعودية ضغوطاً على حلفائها في لبنان لإنجاح هذا الاتفاق في ظل رعايتها للمؤتمر الأخير للحوار؟

□ السعودية لا تخفي أنها أقرب إلى تيار المستقبل لأنها ترى أن هذا التيار يمثل إرادة الدولة في لبنان بينما تنظر إلى المعارضة على أنها تمثل ما هو خارج عن إرادة الدولة أو التغلب على إرادة الدولة.

والمملكة تنظر إلى أن المعادلة في لبنان هي معادلة ضمن المحيط العربي وهي معادلة تيار المستقبل بينما ينظر إلى المعارضة على أنها ضمن فلك إقليمي آخر غير الفلك العربي.

المملكة والتقارب

■ هل يعني هذا أن الرؤية السياسية للمملكة غلبت على الرؤية الدينية في سبيل وحدة المسلمين؟

□ لا أعتقد أن المملكة ترفض التقارب المذهبي لأنها رعت قمة مكة الاستثنائية التي أقرت تعدد المذاهب وأكدت على وحدة الأمة الإسلامية، فمن حيث الشعار فإن السعودية لم تتراجع عن هذا الشعار وأنا لست في موقع الدفاع عن سياسة المملكة ولكنني أوضح ما أفهمه في تصور المملكة، فالسعودية قد تكون عندها إشكالية في التطبيق الواقعي في الخارج فهي تعترض باعتبار إشكاليتها على الوضع السياسي القائم في البيئة اللبنانية وليست إشكالية على أصل المبدأ.

■ هل هذا الموقف السعودي يفسر نجاح قطر في التوصل إلى اتفاق بين الأطراف المتنازعة في لبنان؟

□ أعتقد أن المملكة لديها مقومات أكبر من دولة قطر ومع احترامنا لدور دولة قطر ولكن من حيث المقومات الذاتية فالسعودية لديها مقومات أكثر لكي تقوم بدور ريادي في الساحة العربية لكن ما تحتاجه سياسة السعودية في هذه المرحلة هو الانفتاح أكثر على الاتجاهات المختلفة. وهذا الانفتاح على القوى المعارضة يعالج الشعور بانحياز المملكة إلى فريق دون آخر. وعندها أعتقد أن السعودية ستكون لها دور ريادي أكبر في لبنان.

ساحة مفتوحة

■ هناك أطراف عراقية تتهم دولاً عربية بإثارة المشكلات والفتن داخل العراق حتى تظل بؤرة للمشكلات ولا يأخذ دوره الريادي والكبير في الوطن العربي؟

□ لا شك أن العراق أصبح ساحة مفتوحة أمام النفوذ الدولي والاقليمي فكل دولة من الدول تريد إظهار نفوذها في الساحة العراقية باتجاه ما يخدم مصالحها وأهدافها وهو ما لا يمكن إنكاره ولكن ينبغي على القوى العراقية أن تحصن واقعها في الساحة العراقية، فحينما تتحاور هذه القوى مع بعضها البعض وحين يكون إطار السلطة والعمل السياسي في العراق يتسع لكل الأطراف ويضمن هذه الأطراف إلى مستقبلها فحينها تستطيع تحصين بلدها من التأثيرات والنفوذ الخارجي وقد رأينا أخيراً حين تبلورت العملية السياسية في العراق بشكل أفضل وقويت إرادة الدولة استطاعت أن تضع حدًا لنفوذ تلك الجهات.

الاتفاقية

■ هناك اعتراضات كثيرة داخل العراق على الاتفاقية الأمنية، ما تعليقكم

على هذا الموضوع؟

□ لا يوجد عربي ومسلم يمكن أن يقبل بتلك الاتفاقية بالصورة التي طرحت والتي تشترط للوجود الأميركي في العراق؛ لأن الشعوب من حقها أن تحافظ على سيادتها واستقلالها؛ ولأن الشعوب تعرف أهداف السياسة الأميركية ومطامعها، فأبي وجود أميركي تضيء عليه شرعية في العراق يخالف توجهات الشعوب في المنطقة، ونحن نعتقد أن القيادات العراقية الواعية لن تسمح بأن تكون الاتفاقية بالشكل الذي يريد الطرف الأميركي وهم مضطرون إلى أن يكون هناك اتفاقية ما، فعمل واقعهم الداخلي يفرض عليهم نوعاً من الاتفاق مع الأميركيين ضمن سقف زمني معين وضمن حدود معينة ولكن هذه الاتفاقية يجب ألا تتنافى مع مبدأ السيادة والاستقلال.

اتهامات للشيعة

■ ما تعليقكم على الاتهامات التي توجه لشيعة العراق ومراجعهم على أنهم أتباع للأميركيين؟

□ هذه الاتهامات هي إفراز للصراع السياسي القائم ونتاج للعهد الذي عاشه الطرفان السنة والشيعة في العراق إضافة إلى الأكراد الذين عاشوا وضعاً غير طبيعي في العلاقة وانهارت الثقة المتبادلة بين الأطراف مما خلق الأرضية لمثل هذه الاتهامات. الصحيح أن الوجود الأميركي في العراق قبل أن يأتي إلى احتلال العراق كان شمال العراق لمدة عشر سنوات خاضعاً للحماية الأميركية، والأكراد ليسوا من الشيعة فمن الناحية المذهبية هم مصنّفون ضمن السنة، ولا نجد مبرراً لاتهام الشيعة بأنهم متعاونون مع الاحتلال، فالشيعة في العراق وجدوا أنفسهم إزاء أمر واقع، وهناك مقاومة عسكرية تقاوم الاحتلال وامتازت عن جهات أخرى بأنها

لم تتورط باستهداف الناس مع إدانتنا للأحداث الطائفية البشعة التي حصلت كردّ فعل لحادثة سامراء. وهناك مقاومة سياسية أيضًا ولكن الوضع فرض على كل الأطراف أن تنخرط بالعملية السياسية من أجل انقاذ سيادة العراق ومستقبله وشاركت أطراف سنية في ذلك.

النظام العربي

■ هذه الاتهامات التي توجه للشيعنة في مختلف البلدان العربية - مثل الهلال الشيعي وولاء الشيعة لإيران - هل يعقل أن تكون توارد أفكار بين من يطلقونها أم أنها خطة مدروسة وبرو باجندا إعلامية؟

□ هذه من مظاهر الخلل في النظام السياسي العربي فهو عاجز عن استيعاب مكونات هذه الشعوب العربية، في بعض المناطق نرى أن التنوع القومي يظهر هذا الخلل وفي بعض الأماكن نرى أن التنوع العرقي يظهره أيضًا ففي منطقة دارفور بالسودان لا يوجد تنوع مذهبي فكلهم مسلمون من أهل السنة ولكننا نجد هناك حدة الصراع، ونجد أن الاحصائيات والتقارير تتحدث عن مئات الآلاف من القتلى والجرحى وأكثر من مليوني مشرد، هذا يعني أن النظام السياسي عاجز عن احتواء مكونات الشعب السوداني، وكذلك الأمر في الصومال فهي من أكثر الدول تجانسًا من حيث العرق الواحد، الدين الواحد، والمذهب الواحد، ولكن هناك تنوعًا قبليًا وسياسيًا ونرى أن الصومال لم تقم له دولة منذ أكثر من عشرين عامًا، وفي مصر هناك تنوع ديني ووضع الأقباط فيه وما يحصل من مشاكل ونجد في المنطقة الخليجية وبعض الدول العربية أن هناك عجزًا في استيعاب هذا التنوع المذهبي. هذا العجز يظهر في الاتهامات المتبادلة والتمييز الطائفي بين الناس، وأعتقد أن الاتهام بأن ولاء الشيعة لإيران هو من مظاهر الخلل في النظام السياسي العربي، فكلنا نعلم أن المواطنين

الشيعة وخاصة في المناطق الخليجية موجودون قبل قيام الدولة الحديثة ودفاعهم عن بلدانهم لا يستطيع أن يشكك فيه أحد. وفي البحرين الشيعة هم الذين عملوا لصالح استقلال البحرين ورفضوا القبول بما كانت تدعيه إيران بأن البحرين جزء منها.

وأضاف: وفي الكويت دورهم واضح في الدفاع عن استقلال الكويت وأثناء الغزو كان للشيعة دورهم الطبيعي في مواجهة الاحتلال وفي السعودية الشيعة لهم دور كبير وهم من مؤسسي هذا الكيان، فالشيعة في السعودية دخلوا في الكيان السعودي دون أي مقاومة.

فإذا كانت مناطق أخرى في المملكة قاومت هذا الكيان حين تأسس فإن الشيعة في المنطقة الشرقية هم من بادروا بدعوة الملك عبد العزيز للمجيء إلى المنطقة وبذلوا ما لهم وجهدهم وعرقهم في الدفاع عن هذا الكيان السعودي، وأنا شخصياً كنت جزءاً من معارضة سياسية للنظام السعودي ولكن حينما كان الوطن مهدداً أثناء الغزو العراقي للكويت أعلننا تجميد معارضتنا ودعونا مجتمعنا ليكون مع الحكومة في خندق واحد حتي يتجاوز الوطن المحنة ورفضنا كل الإغراءات التي قدمها النظام العراقي لكي نكون إلى جانبه ضد بلدنا، ونحن هنا لا نمن على وطننا أو على أحد ولكنها مسؤوليتنا الدينية الوطنية.

وبالتالي فإن الاتهامات الموجهة للشيعة بالولاء لإيران هو ظلم وإجحاف.

تصدير الثورة

■ البعض يعود بهذه الاتهامات إلى فترة قيام الثورة الإسلامية في إيران، ومخاوف الحكومات من تصدير الثورة التي جاءت أميركا في نهاية المطاف للخليج لحماية مصالحهم بعد حرب الخليج الأولى؟

□ لا ينبغي أن نتجاهل أن قيام الثورة الإسلامية في إيران أزعج الأميركيين والغربيين وبالتالي كان لا بد من مواجهة هذه الثورة ومن طرق مواجهتهم لهذه الثورة محاصرتها ومنع تفاعلها مع محيطها والعكس أيضًا. والدور الأميركي كان واضحًا في دفع نظام صدام لمحاربة إيران وهو أمر معلن ولا يشك فيه أحد، فالدافع الذي جعل الأميركيين يدفعون بصدام للحرب مع إيران هو نفس الدافع الذي يجعلهم يصبون الزيت على نار الفتنة الطائفية وتوجيه الاتهام للشيعة، وفي الواقع ليس للشيعة فقط فنحن نجد حين ترتبط حركة حماس الفلسطينية بإيران فإن نفس الاتهامات توجه إليها وحماس ليست من الشيعة، كذلك الأمر بالنسبة لحركة الجهاد الإسلامي وبعض الإخوان المسلمين ومن الحركات القومية والإسلامية، نجد أنهم يواجهون الاتهامات حين يتعاملون مع إيران ومن جانب آخر لا يمكن أن ننكر أن هناك حالة طائفية موروثية في الأمة الإسلامية، فالصراع الطائفي بين الطوائف والمذاهب ليس أمرًا طارئًا ولكن له جذورًا في التاريخ وله جذور في التراث الموجود. ولو قرأنا في كتب الشيعة لوجدنا الكثير من الأمور التي تؤجج الصراع ضد السنة ولو قرأنا كتب السنة لوجدنا أيضًا الكثير مما يؤجج الصراع مع الشيعة، وهذا الموروث قابل للتفعيل في أي وقت، فالعامل الأول هو الدافع الأميركي لمواجهة إيران التي يرونها مخالفة لمصالحهم وتوجهاتهم وأفقدتهم الهيمنة على المنطقة بعدما كان الشاه شرطهم على هذه المنطقة. والسبب الثاني وجود الموروث التاريخي والثقافي بين السنة والشيعة. والسبب الثالث الذي يجب أن نقرّ به من باب النقد الذاتي هو أنه في بداية الثورة الإسلامية في إيران وباعتبارها ثورة ناشئة كان هناك بعض التصريحات وبعض المواقف من قبل بعض المسؤولين الإيرانيين أو الإعلاميين الإيرانيين غير مدروسة وغير حكيمة ساعدت على إثارة هذا القلق وهناك بعض التصرفات والممارسات حصلت من قبل بعض الشيعة في مناطقهم بسبب حماسهم وتفاعلهم

مع حدث الثورة في إيران وهي تكشف عن حداثة التفكير السياسي وعدم النضج والخبرة.

■ أين أصبح مشروع الشرق الأوسط الجديد بعد أن منَّ الله على حزب الله بالانتصار على الصهاينة؟

□ أعتقد أن الأميركيين في طور المراجعة لسياستهم وعليهم أن يعترفوا بقبول التعامل مع الشعوب والدول تعاملًا نديًا وأن يتجاوزوا العصر الذي كانوا يفرضون فيه التبعية على الدول والشعوب، وأن يعطوا الفرصة لهذه الشعوب أن تمارس إرادتها وحريتها وهناك كثير من التقاطع المصلحي بين الدول ولا أحد يدعو إلى القطيعة ومايراد هو التنازل عن النظرة الاستعمارية. والمجتمع البشري أقرب ما يعيش حالة التداخل والعمولة فرضت نفسها، والأميركيون أمام خيارين، إما الاستعلاء والاستمرار بسياستها العدوانية فستستمر حالة المواجهة والمقاومة في وجه مخططاتهم خاصة فيما يرتبط بالانحياز الأميركي العنيف إلى جانب الاحتلال الصهيوني ومشاعر الأمة مستثارة ومنزعجة وغاضبة من ذلك.

■ في ضوء ذلك، هل سترضخ الدول والحكومات العربية لإرادة شعوبها والوقوف إلى جانبهم بعد غرقهم في المستنقع الاميركي؟

□ كل القيادات والحكومات العربية في عمقها استياء من الدور الأميركي ومن يخضع في هذه الحكومات للدور الأميركي فهو من باب الاضطرار أو سوء الفهم للمعادلة القائمة وإلا فلا أعتقد أن حاكمًا مسلمًا يرضى وجدانه وكرامته لما يلاقه الفلسطينيون ولا يقبل بهذه الإهانة والإذلال الذي يمارسه الأميركيون، والمشكلة أن الأميركيين لا يحفظون كرامة من يدور في فلكتهم لكن المسألة ترتبط بالخوف على كراسي الحكم، وعدم امتلاك الشجاعة ومن ناحية أخرى هناك سوء تقدير لإرادة الشعوب.

ديمقراطية الكويت

■ على المستوى الكويتي ما رأيكم بالحياة السياسية والبرلمانية في الكويت خاصة وأن هناك اتهامات لأطراف عربية بمحاولة تشويه الديمقراطية في الكويت لانزعاجها من تأثيرها على شعوبها؟

□ الديمقراطية في الكويت تعتبر من أفضل النماذج في الوطن العربي إذا ما استثنينا لبنان، ونأمل أن يكون النموذج العراقي بعد تحريره من الاحتلال أن يكون نموذجاً جيداً للتعددية والديمقراطية، وبالطبع نحن نشعر بشيء من القلق تجاه حالة الاضطراب بين الإرادة الشعبية المتمثلة بمجلس الأمة والسلطة التنفيذية المتمثلة بالحكومة الكويتية هذه الحالة من الاضطراب بالعلاقة التي أدت إلى حل البرلمان أكثر من مرة، نحن قلقون منها ونأمل أن تتجاوز الساحة الكويتية مثل هذه الحالة وتصل إلى التنسيق والتعاون الإيجابي بين الجهة التنفيذية والتشريعية لحماية هذا النموذج الديمقراطي وحتى لا يتمكن المشككون بالحالة الديمقراطية من تكريس مثل هذا القلق والتشكيك.

ديمقراطية البحرين

■ إلى أين وصلت الديمقراطية الموعودة، في البحرين والوعود التي قطعت للمعارضة هناك في حرية ممارسة هذه الديمقراطية؟

□ إذا أخذنا كلام المعارضة الرئيسية البحرينية وهي جمعية الوفاق فإنهم يتحدثون عن وجود تباطؤ في تحقيق هذه الوعود وعن تلكؤ في ذلك بينما الحكومة تأخذ على المعارضة ضعف إيجابيتها، ونحن نأمل أن يتحقق المزيد من الانسجام بين الحكومة والقوى الشعبية فلا مصالح لشعبنا ومنطقتنا في وجود حالة التنازع ولا بد من

السير في حالة الاستقرار السياسي وإلى سدّ النوافذ أمام التدخلات الأجنبية في الشأن الوطني لدولنا.

أستبعد الحرب

■ إلى أي مدى تثقون بالشائعات التي تتحدث عن توجيه ضربة لإيران في الأشهر المقبلة، هل هناك أجواء حرب حقيقية أم هي حرب نفسية وإعلامية لممارسة الضغوط. بسبب الملف النووي الإيراني؟

□ أنا استبعد نشوب حرب على إيران وإن كانت الإدارة الأميركية الحالية عودتنا على ممارساتها خارج المنطق والمعقول، وأعتقد أن هذه الحرب لن تكون قادرة على حسم الصراع بل ستكون عاملاً لإذكاء الصراع أكثر وقدرتهم على أن ينالوا من الإيرانيين هي قدرة محدودة وليس بإمكانهم أن يتدخلوا ويحتلوا أجزاء من إيران. فكل ما يمكن أن يفعلوه هو توجيه ضربات لبعض المواقع الإيرانية وهذا لن يركع الإيرانيين ولن يثني إراداتهم بل ستتلور الإدارة في إيران وسيكون لصالح إيران أكثر من صالح أميركا.

■ احتفلنا منذ فترة قصيرة احتفالات بمناسبة مولد مخلص البشرية الإمام الحجة ﷺ فما رسالتكم للعالم الإسلامي بهذه المناسبة؟

□ موضوع الإمام المهدي ﷺ يمكن أن يبرز التقارب بين المذاهب الإسلامية لأن الموضوع متفق عليه بالأصل، لورود أحاديث متواترة وحكم بعض علماء السنة بصحتها بأن الرسول ﷺ وعد أمته بخروج رجل من ذريته من ولد فاطمة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تكون ملئت ظلماً وجوراً، وقال إن المهدي ﷺ من ذريتي من ولد فاطمة الزهراء ﷺ ولكن هناك اختلافاً في بعض التفاصيل هل ولد

أم لم يولد، وهل هو من ولد الحسن أو ولد الحسين لكن عقيدة المهدوية تبقى أملاً مفتوحاً للمسلمين وهذه العقيدة تشير إلى التقارب الحقيقي الموجود بين المذاهب بأنهم ينهلون من منهل واحد هو القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ وجزء كبير من هذه السنة متفق عليها.

أما الجانب الثاني فإن عقيدة الإمام المهدي ﷺ تؤكد تطلع الأمة الإسلامية إلى وحدتها وإلى العدل العالمي لأنه إمام للكرة الأرضية وينشر سياسة الحق والعدل، وما دمنا نتطلع إلى الوحدة والعدل فليس هناك عدل ضمن المذهب الشيعي أو السني ولكن عدالة تشمل الأرض والعدالة بمفهومها الشامل تعني مراعاة حقوق الانسان وألا يظلم شيء من حقه أيًا كان دينه أو عرقه.

وهناك في الداخل الشيعي من يتعامل مع موضوع الإمام المهدي ﷺ وكأنه تشريع للسبب والركون والاستسلام السلبي للواقع القائم وأن مهمة الإصلاح ونشر العدل مؤجلة إلى حين الظهور، وهو ما ينبغي أن يُصحح والانتظار هو التهيؤ والعمل من أجل الأهداف التي سيظهر لأجلها، وبالتالي هذه المناسبة يجب أن تدعونا إلى أخذ موقعنا الفعلي في خدمة مصلحة الأمة والدين والانسانية، ومن يتجه إلى خدمة طائفته ومذهبه فقط عليه أن يعرف أن هذا خلاف توجه الإمام المهدي.

فهناك في الغرب من يتوجه إلى العمل لمصلحة الانسانية فمؤسساتهم التي ينشؤونها تعمل على المستوى الانساني.

وأشيد هنا بالسفيتين اللتين كسرتا الحصار في غزة وعلى متنهما مختلف الجنسيات والديانات نحن أحرى أن نقوم بمثل تلك المواقف وليس فقط على المستوى الفلسطيني ولكن في دعم أي شعب مظلوم في هذا العالم.

حوار مجلة اليمامة^(١)

نشرت مجلة اليمامة السعودية فقرات من الحوار الذي أجرته مع سماحة الشيخ حسن الصفار ضمن تحقيق صحفي بعنوان: (الحوار ثقافة المستقبل) في عددها رقم ٢٠١٥ السنة ٥٨ الصادر في ٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٨م، شارك فيه عدد من العلماء والمثقفين منهم: الشيخ الدكتور عبدالمحسن العبيكان، الشيخ عبدالرزاق المونس، الشيخ حسن الشيخ، د. أحمد كمال أبو المجد، أ.د. برهان غليون وآخرون.

نص إجابات سماحة الشيخ

■ ألا ترون أننا في حاجة اليوم لبناء مستقبل جديد يشاركنا في صياغته العالم بأسره من خلال البناء على القواسم المشتركة مع المجتمعات الأخرى؟

□ إن واقع العالم اليوم بما فيه من انفتاح وتداخل بين مصالح وأوضاع الأمم والمجتمعات، يفرض علينا كجزء منه، أن نسهم في إدارته وإصلاحه، وفي صياغة مستقبله، إن أياً من مجتمعات هذا العالم لا تستطيع الانفراد بالتأثير فيه، كما لا تستطيع

(١) مجلة اليمامة. العدد ٢٠١٥ السنة ٥٨، الصادر بتاريخ ٩ رجب ١٤٢٩هـ الموافق ١٢ يوليو ٢٠٠٨.

الخروج من دائرة التأثير بأوضاعه، فنحن شركاء مع سائر الأمم والمجتمعات في هذه الحياة وهذا العالم، فلا بد أن نتحاور ونتفاهم معهم، بما يخدم المصالح المشتركة لأبناء البشرية.

صحيح أن هناك جهات اختلاف ثقافية بين مجتمعات العالم، وهناك تنافس وتعارض في المصالح، لكن هناك قواسم مشتركة أساس، يجب الانطلاق منها لإقرار علاقات سوية، على أساس الاحترام المتبادل، وترشيد مسار التنافس والاختلاف، نحو التكامل والتبادل المعرفي والحضاري.

■ كيف تنظرون إلى هذا المستقبل وانعكاساته في رسم ثقافة إنسانية تجمع ولا تفرق؟ وكيف تنظرون إلى جهود خادم الحرمين الشريفين في هذا الصدد؟ ورعايته مؤتمر الحوار في مدريد؟

□ إن ظهور نظريات تدفع باتجاه صدام الحضارات، ووقوع أحداث مأساوية كما حصل في ١١ سبتمبر، وانبعثت جهات متطرفة ضد الإسلام والمسلمين في أوروبا وأمريكا، تظهر الإساءة لرسول الله ﷺ وتشوه صورة القرآن والإسلام، إن هذه الأمور وأمثالها تشكل جرس إنذار بخطر كبير داهم قد تدفع له البشرية ثمنًا باهظًا لو لم يتصدَّ العقلاء والقيادات الواعية في مختلف الأمم، لوضع حدٍّ لهذه الاتجاهات الإرهابية والمتطرفة.

من هنا تأتي أهمية مبادرة خادم الحرمين الشريفين للدعوة إلى الحوار بين أتباع الديانات والثقافات في المجتمعات البشرية، ورعاية خادم الحرمين الشريفين بحضوره شخصيًا في مؤتمر الحوار الذي سينعقد بمدريد، يدل على إدراكه حفظه الله لخطورة الأمر، واهتمامه بإنجاح مسعى الحوار.

■ كيف نصل برسالتنا الدينية والإنسانية إلى قلوب الشعوب والأمم

الأخرى التي بدأت تتوجس من الإسلام والمسلمين؟ ونزيل تلك التشوهات التي لحقت بصورة الإسلام والمسلمين، ونوصل رسالة الإسلام الذي جاء رحمة للعالمين؟

□ لكي نوصل رسالتنا الدينية الإنسانية إلى قلوب الشعوب والأمم الأخرى فإننا بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أولاً: النهوض بمجتمعاتنا والارتقاء بأوضاعنا، لنقدم عن ديننا وأمتنا صورة سليمة مقبولة، فواقع التخلف والتمزق لا تنعكس منه رسالة مشرقة.

ثانياً: الاجتهاد في تقديم خطاب ثقافي إعلامي عصري، يتناسب مع تطور المجتمعات الأخرى، ذلك أن قسماً كبيراً من سوء الفهم للإسلام عندهم ناشئ من اجترار بعض دعواتنا وإعلامنا لخطاب قديم، لا تقبله حتى أجيالنا المتعلمة، فضلاً عن أبناء المجتمعات الأخرى.

ثالثاً: الانفتاح على مراكز التأثير السياسي والثقافي والإعلامي في الأمم الأخرى، عبر مؤتمرات الحوار، والمشاركة الفاعلة في النشاط المعرفي والمؤسسات الإنسانية، ليكون تعارف حضاري وتعاون إنساني.

حوار صحيفة الرياض^(١)

نص الحوار الذي أجراه مراسل صحيفة الرياض الصحفي ممدوح المهيني مع سماحة الشيخ حسن الصفار في ٢٧ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٨م.. نص الحوار:

■ ظهرت في الآونة الأخيرة عدد من الفتاوى في العالم الإسلامي تسببت بإثارة ضجة على مستوى العالم . ما موقف الشيخ حسن الصفار من هذا الأمر؟.

□ يعاني معظم الوسط العلمي الديني من خلل كبير في منهجية التفكير وفي فهم العالم المعاصر، حيث لا يزال مشدودًا إلى الماضي أكثر من الحاضر، ومنشغلًا بما في كتب التراث عن قضايا العصر، ومتقيدًا بآراء العلماء السابقين على حساب حرية الاجتهاد والبحث، وهذا الخلل يعزز كثيرًا من الآثار الوخيمة على واقع الأمة وسمعة الإسلام، من خلال مثل هذه الفتاوى المثيرة.

وإذا لم تتطور مناهج التدريس في العلوم الشرعية، ولم يفتح الفقهاء على واقع

(١) لم ينشر.

الحياة الجديد، ولم ترتفع أصوات النقد والنقاش فستبقى هذه المعاناة مستمرة.

■ هل تعتقد أن هناك طريقة لوقف أو ضبط مثل هذه الفتاوى؟

□ هناك تجربة قائمة في جزء من ساحة الأمة الإسلامية، لعلها أكثر انضباطاً على صعيد الفتوى، وهي نموذج الحوزات العلمية والمرجعية الدينية عند المسلمين الشيعة. حيث رسّخت في أوساط الجمهور الشيعي أن لا يقبل أي فتوى إلا من مجتهد جامع لشرائط الفتوى والمرجعية، بأن يشتغل بالدراسة والتدريس في الحوزة العلمية لسنوات طويلة، ويُعترف له بالقدرة العلمية على الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية، من قبل أساتذته والفقهاء من أهل الخبرة، ويتخرج على يديه فقهاء ومجتهدون، ثم يتم البحث عن الأعلام بين الفقهاء والمجتهدين، فيرجع الناس إليه في التقليد وأخذ الفتاوى منه.

ولهذا تنحصر المرجعية عند الشيعة في عدد محدود من الفقهاء أربعة أو خمسة من بين عشرات الآلاف من العلماء عندهم، ليس لأن هناك نظاماً أو قانوناً يمنع ظهور المفتين، بل لأن الجمهور الشيعي يلتزم بالشروط والضوابط التي يجب أن تتوفر في من يأخذ منه الفتوى.

■ اقترح الشيخ عبدالمحسن العبيكان أن يتم إنشاء مجمع فقهي يضم جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية من أجل ضبط الفتوى . ما رأي الشيخ بهذه الفكرة؟! وهل يعتقد الشيخ حسن أن بإمكان مثل هذه المجمع النجاح فيها لو تم؟!.

□ يوجد في منظمة المؤتمر الإسلامي (مجمع الفقه الإسلامي) وهو يضم فقهاء من مختلف البلدان والمذاهب الإسلامية، ومقره جدة، لكنه يعاني مما تعاني منه بقية المؤسسات، من ضعف في مستوى وفاعلية بعض المشاركين، ومن وجود بعض

القيود السياسية، ومن غياب الجدّية في اتخاذ المواقف وإقرار الفتوى. ويمكن تطوير وتفعيل هذا المجمع ليرقى إلى ما طرحه فضيلة الشيخ عبدالمحسن العبيكان.

وأي إطار جديد قد يعاني من نفس نقاط الضعف التي يعاني منها هذا الإطار. كما أن من الصعوبة بمكان منع ظهور الآراء والفتاوى الأخرى، فأفاق الحرية والتعبير عن الرأي مفتوحة في العالم المعاصر، ووسائل الإعلام متوفرة.

■ يخشى بعض الكتاب الليبراليين في أن يؤدي مثل هذا المجمع إلى تكوين طبقة مقدسة من الفقهاء تحتكر الدين على غرار ما قامت به الكنسية المسيحية في القرون الوسطى. ما رأي الشيخ حسن على هذا الاعتراض؟!.

□ لا شك أن أمر الفتوى في الدين تعود إلى المختصين في دراسة علوم الشريعة، ولا أعتقد أن أحدًا من الكتاب يطالب بفتح باب الفتوى لكل الناس، فالمصيبة ستكون حينها أعظم، والبلية أكبر.

لكن التخصص العلمي في كل مجال من المجالات، لا يعني حظر النقد وإبداء الرأي من قبل الآخرين، بل إن من المفروض أن يستعين الفقهاء بذوي الرأي في المجالات التي يريدون إعطاء الفتوى فيها، كالاقتصاد أو الطب أو المجالات العلمية والاجتماعية الأخرى.

كما أن طبيعة الفكر والتشريع الإسلامي لا تسمح بظهور الحالة الكهنوتية للكنيسة المسيحية في العصور الوسطى. هذا حين يعرف الناس الإسلام على حقيقته.

■ وما رأي الشيخ حسن الصفار بالطرح الليبرالي المتصاعد في السعودية والذي يطالب بعدم احتكار تفسير الدين والمزيد من الحريات والتسامح والتعايش؟

□ إن علينا أن نشجع المسلمين على فهم دينهم ودراسة تعاليمه، وليس لنا أن نصدّ

الناس عن ذلك، ونقول لهم لا تتدبروا في آيات القرآن، ولا تحاولوا استبيان توجيهاته، فإن القرآن يدعو الناس للتدبر فيه يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾.

ولا داعي للقلق من ظهور آراء قد نعتبرها منحرفة خاطئة، ما دمنا قادرين على ردها وكشف خطئها وانحرافها.

إن قمع الرأي لا يقضي عليه، بل قد يتعزز ويتجذر تحت الأرض، بينما ظهوره يعطي الفرصة لتبيين ضعفه وفساده.

أما المطالبة بالمزيد من التسامح والتعايش فهو مطلب ضروري لتصليب الوحدة الوطنية، وحفظ الاستقرار السياسي والاجتماعي، لأن نقيض ذلك هو التعصب والنزاع الداخلي، وقد رأينا آثار ذلك المرّة من أكثر من بلد من حولنا، وقبل ذلك فالتسامح والتعايش مبدأ ديني حيث نفتخر بأن ديننا يمثل الشريعة السمحاء، ويدعو للتعارف بين بني البشر ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾. كما بادر نبينا محمد ﷺ إلى وضع صحيفة المدينة للتعايش بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى كاليهود.

فكيف نتجادل في موضوع التسامح والتعايش فيما بيننا كمسلمين.

■ هل للشيخ حسن اقتراح يقدمه لضبط الفتوى؟!.

□ إن أهم ما نحتاجه في مجال ضبط الفتوى، هو حماية السلم والأمن المجتمعي، بتجريم أي فتوى تحرض على الكراهية بين شرائح المجتمع، أو تدفع إلى ممارسة العنف تجاه الآخر.

■ تشتعل حرب تصريحات بين رجال دين متشددين من الشيعة والسنة الأمر يزيد من مشاعر التوتر في المنطقة . ماهو موقف العلماء المعتدلين من

أمثال الشيخ حسن الصفار في نزع مثل هذا الفتيل وتمهدة الاجواء؟

□ إنني أشعر بألم كبير وقلق بالغ تجاه هذه التعبئة المذهبية الطائفية المتبادلة، عبر التصريحات أو عبر القنوات الفضائية التي اتخذت مسار إيقاظ الفتن بين المسلمين عن طريق مناقشة قضايا تاريخية ومسائل عقدية اختلافية بأسلوب الإثارة والتهرج تحت عنوان المصارحة والحوار الصريح.

فهل هذا ما تحتاجه شعوب تعاني من الهيمنة والأطماع الأجنبية والاحتلال الصهيوني، والاستبداد السياسي وتحلّف التنمية، والقابلية للصراع والاحتراب. إنني أرى وأعايش انعكاسات هذه التعبئة الطائفية في علاقات المواطنين مع بعضهم، حيث ينشغلون بالجدل فيها، وتحصل الكراهية والشحناء فيما بينهم، ويستجيب البعض لمفعول هذه التعبئة الطائفية في أدائه لوظيفته في أجهزة الدولة، فيمارس التمييز الطائفي تجاه إخوانه المواطنين، مع أن النظام الأساس للبلاد وتوجيهات قادة البلاد تؤكد على المساواة بين المواطنين.

إن الموقف المطلوب من العلماء المعتدلين ومن كل الواعين والمهتمين بمصلحة الإسلام والوطن، هو نشر ثقافة التسامح، والتحذير من اتجاهات التعصب والتشدد، والقيام بمبادرات التواصل وتجسير العلاقة بين أبناء المذاهب.

■ هل تعتقد بوجوب إدخال في المناهج الدراسية مقررات عن التسامح الديني والحوار بين الأديان؟! وهل تعتقد أن ذلك يمكن أن يزرع ثقافة التسامح في الأجيال الجديدة؟!

□ المناهج الدراسية يجب أن تنقى أولاً من كل ما يثير الخلاف والنزاع المذهبي، وقد استعرض الحوار الوطني في لقاءه الثاني بمكة المكرمة بتاريخ ٤-٨ ذو القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ٢٧-٣١ ديسمبر ٢٠٠٣م دراسة قيمة قدمها الأستاذان الشيخ

عبدالعزیز محمد القاسم وعبدالله ابراهيم السكران أشارت إلى موارد محددة في المناهج الدراسية الدينية، باعتبارها مثيرة للخلاف ومنافية للتربية على الوحدة والوئام.

وثانيًا: أن تتضمن مقررات تربي على التسامح والحوار وحسن التعامل مع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، كما هي تعاليم الإسلام يقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

والى جانب مناهج التعليم هناك دور الإعلام والتوجيه الديني كخطب الجمعة وأحاديث الدعاة، فإذا ما تضافرت الجهود في الجانبين أمكننا الاطمئنان إلى حماية أجيالنا القادمة، من أمراضنا الوراثة المذهبية.

■ هل من كلمة يود ساحة الشيخ حسن إضافتها؟

□ حينما بيتلى بلد من البلدان المجاورة لنا بمرض لا يسمح الله فإننا نتخذ أشد الإجراءات لمنع تسلل وتسرب عدوى المرض إلى بلادنا، ربما بمنع قدوم الأشخاص منه، وربما بمنع استيراد المواد الغذائية، وما شابه من الإجراءات.

وحين نرى الاضطرابات والصراعات الطائفية في بلدان مجاورة، كذلك علينا اتخاذ أشد الإجراءات حتى لا تتسلل إلى أجوائنا ميكروبات وجراثيم تلك الفتن. من المؤسف جداً أن نجد من يستقبل ويروج لتلك الجراثيم والميكروبات لينشر بها مرض الاختلاف والتفرقة، وينقل إلى مجتمعنا أجواء التحريض والفتنة، انتصاراً لذاك الطرف أو نكاية بذاك الطرف، على حساب وحدتنا الوطنية واستقرارنا الاجتماعي.

فلنأخذ العبرة مما يجري في البلدان الأخرى، ولنتق الله في وحدة أمتنا وسلامة أمننا الوطني.

حوار وكالة الأنباء القرآنية العالمية^(١)

على هامش المؤتمر الدولي لتكريم العلامة السيد مرتضى العسكري في طهران أجرت وكالة الأنباء القرآنية العالمية (IQNA) حوارًا خاصًا مع الشيخ حسن الصفار رجل الدين البارز السعودي وإمام جمعة القطيف، تطرق فيه الشيخ إلى التدايعات السلبية لتصريحات القرضاوي على الساحة الإسلامية مؤكداً أنه اعتمد على المصادر الخطأ.

■ بداية كيف قيمتم مؤتمر تكريم العلامة العسكري خاصة الكلمات والمحاضرات التي ألقيت؟

- في البداية، أشكر الجهة المنظمة للمؤتمر المجمع العالمي لأهل البيت على هذه المبادرة الكريمة، فالعلامة العسكري يستحق التكريم ويستحق الإشادة والساحة الإسلامية تستفيد من إحياء ذكراه وإحياء شخصيته لما كان يمثله من دور كبير في الساحة الإسلامية.
- أعتقد أن المؤتمر مع أنه مؤتمر جيد ولكنه ليس بمستوى هذه الشخصية الكريمة

(١) وكالة الأنباء القرآنية العالمية www.iqanna.ir/ar، نشر بتاريخ ١١/١٠/٢٠٠٨م.

والعظيمة. من الممكن أن يكون مؤتمراً أفضل لو أتيحت له فرصة إعداد أكبر ولكن يبدو أن ضيق الوقت ووجود شهر رمضان الكريم التي عادة ما يمنع الكثيرين من التنقل والسفر والحركة هو الذي جعل المؤتمر في هذا المستوى ونأمل أن يكون في المستقبل على مستوى أكبر وأفضل إن شاء الله.

■ أشرت في كلماتكم أن العلامة العسكري كان عاملاً للوحدة الإسلامية بينما هو كان دوماً في حالة صراع مع آراء إخواننا من أهل السنة خاصة في بعض كتبه كعبدالله بن سبأ والصحابة المختلفة. هل تعتقدون أن هذا الشيء يتوافق ويتلائم؟

□ بالنسبة للوحدة هناك نظرتان. نظرة ترى أن الوحدة يعني أن يندمج بعض المسلمين في بعضهم الآخر فلا يكون هناك خصوصيات مذهبية ولا يكون هناك تميز بين المذاهب والمدارس وإنما ينبغي أن يصبح الشيعة شبيهين للسنة أو أن يكون السنة شبيهين للشيعة وبذلك تتحقق الوحدة وقد يبالغ بعضهم في القول إنه لا يمكن الوحدة بين المسلمين إلا إذا انتهت الحالة المذهبية وأصبح الجميع ضمن مذهب واحد وهذا ما يعبر عنه بعض السلفيين بالقول إنه لا يمكن أن تتحد الأمة إلا إذا اجتمعت على الكتاب والسنة ضمن أهل السنة والجماعة. يعني أن تتخلى كل المدارس والمذاهب عن آرائهم ويصبحوا ضمن المدرسة السلفية حتى تتحقق الوحدة. في المقابل هناك أيضاً بعض الشيعة قد يرى أن الأمة لا تتوحد إلا إذا اجتمعت على منهج أهل البيت، أي مدرسة الشيعة والتشيع.

هذه النظرة يبدو أنها ليست نظرة واقعية لأن هذه المذاهب والمدارس كل لها أدلتها ولها حججها ومن الصعوبة من المكان أن تذوب في بعضها أو تندمج في بعضها. ستبقى كل مدرسة ومذهب محافظة على خصوصيتها وميزاتها.

النظرة الأخرى للوحدة هي أن يبقى أهل كل مذهب على مذهبهم وعلى رأيهم ولكن يجب أن يتحقق أمران، الأمر الأول الاحترام المتبادل فيما بينهم، بمنع الإساءات. يعني أن يكون هناك تعايش فيما بينهم، وأن لا تكن هناك إساءة من كل طرف للآخر، هذا أولاً والأمر الثاني أن يتعاونوا في الأشياء المشتركة، فهناك قضايا كثيرة مشتركة بين المذاهب الإسلامية وموارد خلاف.

هناك مصالح كبيرة مشتركة بين المسلمين وأعداء مشتركون للمسلمين وتحديات مشتركة أمام المسلمين. فالوحدة هي بهذا المعنى. بمعنى أن يكون احترام متبادل وأن لا يسيء كل طرف للآخر ثم أن يتعاونوا في الأشياء التي يتفقون عليها ويشتركون فيها وهي مساحات واسعة ومناطق كبيرة جداً. أنا أعتقد أن الوحدة المطلوبة بهذا المعنى الثاني وليس بالمعنى الأول.

العلامة العسكري أيضاً كما يبدو لي يؤمن بالوحدة ضمن النظرية الثانية وهي تستلزم أن يتعرف المسلمون إلى بعضهم البعض. لأن عدم القدرة على التعايش وعدم الاحترام وإساءة التعامل بين المسلمين من أهم أسبابها الجهل. كل طرف يجهل الآخر وهناك سوء ظن واعتماد على أقاويل غير صحيحة وهناك عدم فهم لمبررات وأدلة كل طرف على آرائه ومواقفه.

العلامة العسكري والمصلحون الوجدويون يرون أن من الضرورة أن يكون هناك تعارف بين المسلمين فيجب أن يكون كل واحد صريح في رأيه وأيضاً أن يعبر عن وجهة نظره وهذا الأمر يخدم ثراء المعرفة في الإسلام حتى يكون إثراء في المعارف الإسلامية لأن كل طرف يعطي أقصى ما لديه من الوعي ومن الفهم ومن المعرفة.

والعلامة العسكري شرح مدرسة أهل البيت وقدمها أمام الطرف الآخر بأدب واحترام لم يكن فيه إساءة للطرف الآخر بل ينقل رأي الطرف الآخر بأمانة في

كتابه معالم المدرستين يتحدث عن مدرسة أهل السنة التي أطلق عليها اسم مدرسة الخلفاء يتحدث عنها بموضوعية. أي إنه يأخذ آراء من مصادرهم و يذكر أدلتهم وفي المقابل يعرض أدلة مدرسة أهل البيت ويجري مقارنة بين المدرستين.

أنا أعتقد أن هذا يخدم الوحدة وأن المطلوب من العالم السني أن يطرح رأي مدرسته السنية وأن يدافع عن ذلك الري بأقصى ما لديه ولا يسيء للشيععة وكذلك العالم الشيعي يطرح رأي المدرسة الشيعية بأقصى ما لديه وبأقوى الأدلة التي يمتلكها، وبالتالي هذا يثري المعرفة الإسلامية ويترك الفرصة أمام المسلمين حتى يفكروا تفكيراً موضوعياً. يرون أدلة هذا الرأي وأدلة ذلك الرأي وبالتالي يجب أن تكون هناك حرية فكرية وهناك تقويم موضوعي للآراء والمواقف.

■ كما تعلمون أن العلامة العسكري كان نبراساً في مجال الدراسات والعلوم القرآنية. برأيكم كيف استطاع العلامة العسكري الاستفادة من القرآن بشكل صحيح لإبراز الرؤية والفكرة الأصيلة لمدرسة أهل البيت؟

□ أكثر من عالم من علمائنا في هذا العصر كان لهم دور جيد في تفسير القرآن وخدمة المعارف القرآنية وفي طليعتهم السيد الطباطبائي في الميزان. فتفسير الميزان يعتبر من أهم تفاسير القرآن في هذا العصر وقد اعترف له بذلك حتى بعض الباحثين من السلفيين. الدكتور فهد بن عبدالله الرومي له كتاب حول اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر وتحدث عن تفسير الميزان بإشادة وأشاد بمستواه وإن كان اعترض عليه في توجهاته الشيعية المذهبية لكنه أشاد بمستوى الفلسفي والفكري والعلمي العميق في تفسير الميزان. وأيضاً عندنا العلامة الشيخ محمد هادي معرفة الذي خدم المعارف القرآنية بشكل جيد ورائع. أما العلامة العسكري رحمة الله عليه كان من هؤلاء الرواد الذين خدموا المعارف القرآنية.

ميزة العلامة العسكري تكمن في تفكيره الحر. فإنه مثلاً يعرض الآية التي يريد مناقشتها والاستدلال بها دون أن يرى نفسه مقيداً بآراء المفسرين السابقين وإنما هو يتفكر في الآية الكريمة ومن سياق الآيات الكريمة وتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة النبوية تفوق في طرح كثير من المعارف القرآنية والمهم في السيد العسكري أنه تحدث عن القرآن الكريم ضمن الأحاديث والروايات الواردة عند المدرستين: مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة أهل السنة التي يطلق عليها اسم مدرسة الخلفاء وهنا كانت له وقفة مهمة جداً حول روايات تحريف القرآن الواردة في بعض المصادر الشيعية فالسيد العسكري حاكم هذه الروايات محاكمة جيدة على ضوء علم الرجال وعلم الدراية والرواية وعلى ضوء مفاد الآيات القرآنية الشريفة وأكد على ما يراه أكثر علماء الشيعة بأن القرآن مصون عن التحريف وأنه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن هذه الروايات وإن كانت كثيرة إلا أن معظمها يرجع إلى مصدر واحد وراوٍ واحد ووجد أن ذلك الراوي وذلك المصدر مما لا يمكن الاعتماد عليه ولا القبول به وبالتالي فنّد هذا الري الشاذ.

■ ما هو الدافع الذي دفعكم للرد على تصريحات الشيخ القرضاوي حول الشيعة والمد الشيوعي وأنتم من السابقين الذين ردوا على الشيخ القرضاوي؟

□ في الواقع أتصور أن ردي على الشيخ كان في محورين. الأمر الأول أن إثارة هذا الموضوع وطرح هذا التصريح من الطبيعي أن يستفاد منه لخلق بلبلة في الساحة الإسلامية وتعميق الجراحات بين أبناء الأمة وبين المذاهب الإسلامية. قد لا يكون الشيخ القرضاوي يقصد ذلك قد يكون قصده أن يكون صريحاً فيما يدور في نفسه من قلق وهو اجس وما يعتبره أخطاء عند بعض الأطراف الشيعية ولكن الأجواء

التي تعيشها الأمة وما يحيط بالأمة من مؤامرات الأعداء من الطبيعي أن يتحول فيها مثل هذا الكلام إلى ما يثير الفتنة والبلبله، ولذلك كنت أتمنى أن الشيخ القرضاوي لم يقع في مثل هذه الهوة ولم يعط هذا المجال للأعداء حتى يستفيدوا من تصريحاته. الأمر الثاني هو أن الشيخ القرضاوي يبدو أنه اعتمد على بعض مصادر الخطأ وتضخمت لديه بعض الأشياء ولذلك نحن نجد أن في تصريحاته ما يخالف بعض آرائه السابقة التي طرحها. أنا حضرت له لقاءً جيداً في مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في البحرين عندما قدم الشيخ بحثاً جميلاً رائعاً ودافع فيه عن ما يتهم به الشيعة حول تحريف القرآن وحول السجود على التربة الحسينية وحول موارد عديدة دافع فيها وبين نظرة معتدلة حول الشيعة وطبع ذلك في كتاب ولذلك جاءت هذه التصريحات تخالف ما عرفناه وما سمعناه وما قرأناه عن الشيخ القرضاوي.

والشيخ القرضاوي ألف كتباً عديدة ضد التطرف وضد الخلافات الداخلية من قبيل الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. وكان يذم فيه سوء الظن في الطرف الآخر وتحميل الطرف الآخر لوازم قوله والنقل غير الصحيح عن الطرف الآخر. كل هذه الأمور كان يذكرها ولذلك أن هذا التصريح فيه نقاط ضعف كبيرة جداً كنت أتمنى أن يتجنبه الشيخ القرضاوي.

لكني أيضاً في الرد كنت محافظاً على شخصية الشيخ ومكانة الشيخ وهذا ما أعتقد به. لا يصح لنا أن نسقط شخصية لها مكانة مرموقة وعلينا أن نتعاون من أجل أن لا تسترسل هذه الشخصية في هذا الخطأ. ووجود ردود عنيفة غير موضوعية على الشيخ القرضاوي يتيح للآخرين أن يدفعوا الشيخ القرضاوي في الاتجاه الآخر الذي يخدم توجهاتهم المتعصبة والمتطرفة.

■ يبدو من كلامكم أنكم لا تعتقدون بمزيد من الردود والإثارة على تصريحات الشيخ القرضاوي؟

□ أنا من رأيي أن الموضوع لا ينبغي أن يعطى أكبر من حجمه وأن الضجة التي صنعت حول التصريح أفادت الأعداء. كان يمكن معالجة الموضوع بأقل من هذه الضجة التي أثرت من الجانبين و أعتقد أن هناك بعض الأطراف وجدتها فرصة لكي تجعل منها ضجة. وجدت بعض الجهات المتعصبة وبعض الاعلام السياسي الذي يعمل ضد الوحدة الإسلامية في تصريحات الشيخ القرضاوي وفي بعض الردود عليه فرصة لكي تذكي نار الفتنة أكثر ولكي تشغل الساحة الإسلامية بهذه الخلافات.

■ هل ترون أن مثل هذه التصريحات ستؤثر على العلاقات المتبادلة بين علماء الشيعة والسنة؟

□ أعتقد أن هذه التصريحات عاصفة من العواصف وزوبعة من الزوابع التي مرت على الساحة الإسلامية أمثالها وإن شاء الله الساحة الإسلامية قادرة على تجاوزها وقد تسبب بعض الخدوش وبعض الآلام النفسية وتثير بعض الأجواء في الساحة نأمل أن تتجاوزها بحكمة العقلاء وبوعي المخلصين.

■ ما هو موقفكم بالنسبة من بعض آراء المحدث النوري و الشيخ الكليني حول التحريف اللفظي والتحريف المعنوي للقرآن الكريم؟

□ هذه المسألة ليست من المسائل التي يكون فيها التقليد. التقليد عند الشيعة يكون في المسائل الفقهية الشرعية أما في المسائل العقلية والمسائل الفكرية والتاريخية فمثل هذه المسائل عند الشيعة لا تقبل التقليد، وبالتالي فالعلماء والفقهاء من الشيعة لا يلتزمون آراء فقهاء مضوا معها كانت مكانتهم وعظمتهم. وما حصل من وجود روايات في بعض المجاميع الحديثية فإن الشيعة لا يعتقدون بأن كل ما ورد في كتاب الكافي هو صحيح. وهنا نختلف نحن الشيعة عن إخواننا السنة الذين لديهم صحيح البخاري وصحيح مسلم ويرون صحة الأحاديث المجموعة فيها. نحن لا

نلتزم بصحة جميع الأحاديث الموجودة في كتاب الكافي بل إن علماءنا حينما تبلورت لديهم معايير الأحاديث وتبلورت لديهم درجاتها رأوا أن ثلث أحاديث الكافي ينطبق عليها معايير الصحة من أصل ما يقارب ستة عشر ألف حديث، أي خمسة آلاف حديث فقط يرونها العلماء تدرج ضمن عنوان الصحيح. وهذا يري العلامة المجلسي في كتابه مرآة العقول وهو شرح لأحاديث الكافي. ولذلك وجود أحاديث في الكافي أو الأحاديث التي جمعها المحدث النوري حول تحريف القرآن فإنها لا تلزم الشيعة ولا يعمل بها فقهاء الشيعة.

■ وكلمتكم الأخيرة؟

□ أنا أمل من وكالتكم وهي وكالة الأنباء القرآنية و وسائل الإعلام الإسلامية أن تضع الوحدة الإسلامية نصب عينها وأن لا تقع في الفخ الذي ينصبها الأعداء ضمن فترة وأخرى وأن لا يكون هناك انسياق خلف بعض التصريحات وخلف بعض الإثارات الطائفية والمذهبية فإن ذلك هو ما يريده الأعداء. على وسائل إعلامنا الرسالية الإسلامية المخلصة أن تسعى لمواجهة هذه الحالة لتعميق الوعي بالوحدة وبتصويب وتوجيه بوصلة الأمة بالاتجاه الصحيح صوب التحديات والأخطار الرئيسة التي تعانيها الأمة.

حوار رابطة الحوار الديني^(١)

نص المقابلة التي أجراها مدير رابطة الحوار الديني مع سماحة الشيخ حسن الصفار وموضوع المقابلة دراسة التحديات التي تواجهها وحدة الأمة الإسلامية:

■ ما هي أسباب تغيير خطاب بعض رموز التقريب والوحدة الإسلامية ألا تعتقدون أنّ هناك مشروعًا مدرّوسًا من قبل أعداء وحدة الأمة تستهدف دعاة التعايش والاعتدال؟

□ أعتقد أنّ هناك سببين رئيسيين لتغيير خطاب بعض رموز التقريب والوحدة الإسلامية، السبب الأول: الأحداث السياسية التي أخذت صبغة طائفية، كأحداث العراق التي أدّت إلى مجازر بشعة وتهجير متبادل وفرز طائفي في المواقف، وحملات إعلامية متقابلة، انعكست آثار كل ذلك على النفوس والأذهان في الساحة الإسلامية السنية والشيعية، واستغلها الأعداء لتعزيز مشاعر القلق والريب عند كل طرف تجاه الآخر. ولا شك أنّ للأعداء دورًا أساسيًا في صنع تلك الفتنة الطائفية العمياء في

(١) نشر الحوار على موقع رابطة الحوار الديني www.alhiwaraldini.com بتاريخ ٢/١١/٢٠٠٨م.

العراق، وكان من أهدافهم استثمارها في تمزيق صفوف الأمة. وكذلك الأمر في أحداث لبنان بعد حرب تموز حيث اشتد الصراع السياسي بين المعارضة والموالاة، وحصلت أحداث ١٧ أيار حين استخدم حزب الله سلاحه للدفاع عن وجوده، ومع أن معسكري الطرفين المعارضة والموالاة يضان قوى من مختلف الطوائف، إلا أن الجهات المغرضة أعطت لذلك الصراع صبغة طائفية ووظفته في هذا الاتجاه.

ومع الأسف الشديد أن بعض القيادات الإسلامية تأثرت بأحداث العراق ولبنان تأثراً سلبياً، وفقدت توازنها، وخذلت قضية الوحدة والتقريب في الظرف العصيب، وفي موقع المحنة والشدة.

السبب الثاني: ضغوط اتجاهات التعصب والتشدد، التي استفادت هي الأخرى من تداعيات الفتن الطائفية، وكثفت نشاطها التعبوي، وخطابها التحريضي، وأحاطت رموز التقريب والوحدة بأجواء ضاغطة قاسية، عن طريق تضخيم بعض الأحداث، واختلاق الأخبار، وكتابة التقارير المغرضة، وصنع الشائعات، وتقديم التفسيرات المشبوهة والتحليل الخاطئة، وجرى التركيز على بعض الرموز والشخصيات الإسلامية التي كان لها دور محمود في الدعوة إلى التقريب والوحدة، وتحقق ما كان هؤلاء المتشددون يعملون له مع شديد الأسف، حيث وقع بعض رموز الاعتدال في فخ مخططهم المعادي لمسيرة الوحدة والتقريب.

وفي الوقت الذي يجزنا فيه ما أصاب هذه الشخصيات من حالات الوهن والضعف، فإننا يجب أن نفخر بمواقف القيادات والشخصيات الواعية الصامدة، التي لم تفقد بصيرتها، ولم تضعف إرادتها، ولا تشوشت رؤيتها، أمام هذه العواصف الجارفة، ونأمل أن تتجاوز الأمة هذه المحنة والفتنة بأسرع وقت وأقل قدر من الخسائر.

■ أعتقد أنّ هناك تقصيرًا واضحًا من قبلنا، هل نمتلك نحن في مقابل نشاطات هؤلاء مخططًا شاملًا أو استراتيجية مدروسة للتقريب؟ وإذا دوننا استراتيجية هل عملنا بها؟ هل تابعناها عمليًا وفي أرض الواقع أم تركناها حبرًا على الأوراق؟

□ أوافقكم الرأي في وجود تقصير واضح تجاه قضية الوحدة والتقريب، ولمواجهة اتجاهات التفرقة والفتن الطائفية.

فليس هناك جرأة من قبل القيادات الدينية في الجانبين السني والشيعي لوضع خطة شاملة واعتماد إستراتيجية متكاملة، لتحقيق الوحدة والتقريب، وغالبًا ما يُكتفى بالشعارات والخطابات والطروحات النظرية العامة.

إن وضع الإستراتيجية يستلزم شيئًا من النقد الذاتي، وتجاوز الممارسات التي تسبب الإثارة من قبل كل طرف للآخر، كما تستلزم توطين النفس على قبول وجود الرأي الآخر، والاعتراف بحقه في التعبير عن قناعاته وتجسيد حضوره.

وتقتضي الإستراتيجية توفير الآليات والإمكانات الداعمة للتنفيذ والتطبيق، وهنا نجد النقص والتعويق ممن بيدهم أزمة الأمور من الجهات السياسية.

لقد وضعت الايسيسكو خطة جيدة على هذا الصعيد لكن التزام الحكومات بها بعيد المنال، ولا تزال حبرًا على ورق. وإن كانت تمثل خطوة متقدمة في هذه المسيرة.

■ لديكم تجارب بارزة وموفقة في الدعوة إلى التعايش والحوار ووفقكم الله للحركة في هذا الدرب المبارك في مجتمع مثل المملكة العربية السعودية والذي يمكن القول أنّ العمل الوحدوي فيه كالمشي على الأشواك حافيًا؟ ماذا حصلتم بعد هذا الجهاد الفكري والثقافي؟ نريد الإشارة إلى بعض نشاطاتكم الوحدوية والنتائج العملية التي وصلتم من خلالها.

□ بذلت النخبة الشيعية الواعية في السعودية جهوداً كبيرة لمواجهة حالة القطيعة والتنافر المذهبي، وكذلك التمييز الطائفي، وقد انصبت جهودها في ثلاثة اتجاهات:

الأول: إنتاج خطاب وثقافة إسلامية وطنية تدعو إلى الوحدة والتقارب، وتطرح الآليات والبرامج المساعدة، وتحذر من أخطار التفرقة والتمييز الطائفي على استقرار الوطن ومصالح الأمة.

الثاني: المبادرة للتواصل مع مختلف القوى والجهات في المجتمع السعودي، ومنها الجهات الدينية السلفية.

الثالث: المتابعة مع القيادات السياسية في الحكومة لتحقيق مبدأ المساواة بين المواطنين ومعالجة مشاكل التمييز الطائفي، وتقديم المشاريع والمقترحات لمسؤولي الدولة، من أجل خدمة هذا التوجه.

وبحمد الله فإن ثقافة الوحدة والتقارب أصبحت متداولة في نطاق واسع قياساً إلى ندرتها في المرحلة السابقة، فهناك كتابات في الصحافة السعودية وفي وسائل الإعلام، تتبنى الدعوة إلى الوحدة وتناوئ حالة التفرقة والصراع المذهبي، وهناك منتديات تناقش هذه القضايا بشكل معلن وصريح.

طبعاً هناك جهات وأصوات عالية لا تزال تجتر إنتاج ثقافة التبعئة والتحريض المذهبي البغيض كما رأينا في البيان الذي أصدره اثنان وعشرون من المشايخ السلفيين قبل ستة أشهر تقريباً، لكن بيانات وكتابات كثيرة قد صدرت ونشرت من قبل السنة والشيعية ضد ما جاء في هذا البيان.

كما أن أبواب التواصل قد انفتحت والحمد لله بما يعزز الأمل بعلاقة أفضل بين مختلف الجهات، لأن القطيعة والتباعد، تفسح المجال لسوء الظنون وقبول الإشاعات وشحن النفوس بالبغضاء، بينما التواصل يتيح فرص التعارف والاطلاع، ويزرع المحبة والثقة والاحترام المتبادل، ويهيئ للتعاون على البر والتقوى.

لقد أصبحت بعض المنتديات في الرياض وجدة وسائر المناطق تستضيف شخصيات من الشيعة، كما استقبلت منتديات ومجالس الشيعة في القطيف والاحساء عددًا من الشخصيات من أهل السنة والسلفيين.

أما على صعيد الدولة فرغم وجود تحسّن نسبي في معالجة بعض مشاكل التمييز الطائفي، إلا أن كثيرًا من القضايا لا تزال عالقة دون معالجة، وهناك بطء وتلكؤ في حلها ومعالجتها، مما يجعل ساحة المجتمع الشيعي معرضة لمشاعر الإحباط والاستياء.

■ مبدئيًا كيف دخلتم في الحوار مع السلفية؟ هل يقبل الحوار معكم من يكفركم؟ أو يوجد سلفية معتدلة غير تكفيرية يمكن التفاهم معها على المشتركات؟

□ نعم وجدنا في السلفيين مساحة للاعتدال والقبول بالحوار مع الآخر، وليس كل المنتمين للمدرسة السلفية في قالب واحد، كما في كل المذاهب والتجمعات هناك متشددون وهناك معتدلون، مع تفاوت في نسبة مساحاتها. كما أن دعوة الملك عبد الله للحوار الوطني شجعت الجهات المعتدلة من السلفيين.

ولا خيار لنا كمواطنين في بلد واحد الا الانفتاح على بعضنا ومراجعة مواقفنا تجاه بعضنا بعضًا بما ينسجم مع مقاصد الشريعة ومصالح الوطن، خاصة ونحن نرى ما يجري في المناطق الأخرى من حولنا من اقتتال واحتراب تخسر فيه جميع الأطراف.

■ في النهاية، ما هي ملامح مستقبل وحدة الأمة؟ في رأيكم هل يمكن أن تجتاز الأمة هذه العقبة؟ هل هناك آمال لولادة جديدة للوعي الإسلامي بعد

هذا المخاض العسير والفتنة الهوجاء؟

□ يبدو لي أن مستقبل وحدة الأمة يرتبط إلى حد كبير بالتغيير السياسي والثقافي الذي تتطلع إليه الأمة.

والوحدة لا تتحقق في ظل الاستبداد السياسي، الذي يستفيد من الصراعات الداخلية لإشغال الناس ببعضهم، ولمنع توحدهم في المطالبة بحقوقهم في المشاركة والعدل.

كما لا تتحقق الوحدة مع سيادة الثقافة الأحادية التي ترفض الاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية، وتنكر حق الآخر في التعبير عن رأيه ووجوده، وتحترف التعبئة والتحريض ضد الآخر.

وهذا هو ما تعاني منه ثقافتنا السائدة مع الأسف الشديد، ولا ننسى أن للهيمنة الأجنبية دورًا أساسًا في تكريس حالة الاستبداد السياسي والثقافي الذي تعيشه الأمة.

إن الأمل بالله كبير في نهضة أبناء الأمة وصحوة جماهيرها، بما يدفع نحو انجاز تغيير سياسي ثقافي قد بدأت تتبلور ملامحه، وتتجلى بشائره، وذلك هو ما يعمر قلوبنا بالثقة والتفاؤل بمستقبل أفضل إن شاء الله.

التقارب السني الشيعي بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة^(١)

نص إجابات سماحة الشيخ الصفار على أسئلة الأستاذ وحيد تاجا مؤلف كتاب «التقارب السني الشيعي بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة»:

الفتنة ونشوء المذهبية في الإسلام

■ بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ انقسم المسلمون إلى مذاهب وطوائف. ما

الأساس في هذا الانقسام، وكيف ننظر إلى مسألة المذهبية في الإسلام؟

□ الأساس في انقسام المسلمين هو الاختلاف على موضوع القيادة بعد رسول الله، فقد كان الرسول في حياته هو القائد السياسي للأمة وهو المرجعية الدينية لها. وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى شغرت هاتان المهمتان. فبادر جمع من الصحابة لمبايعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة كخليفة لرسول الله، ليملاً فراغ الزعامة السياسية، دون

(١) وحيد تاجا. التقارب السني الشيعي بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ، (دمشق: دار الفكر).

تحديد لجهة المرجعية الدينية، بل تركت لحالة التوافق بين الصحابة على معالجة أي مسألة شرعية طارئة مع دور محوري للخليفة في الترويج عند اختلاف الآراء.

وهكذا بمرور الزمن وتوالي الخلفاء تبلورت مدرسة الخلافة التي تفصل بين القيادة السياسية والمرجعية الدينية، كما ترى أن اختيار القيادة شأن اجتماعي فبأي طريقة وصل بها أحد إلى موقع السلطة انعقدت له الولاية ووجب له الطاعة. سواء كان وصوله عن طرق اختيار أهل الحل والعقد، أو انتخاب الجمهور العام، أو بعهد من الخليفة السابق، أو بالقوة أو بالتوارث كما في عهدي الأمويين والعباسيين. وظهرت ضمن هذه المدرسة المذاهب العقدية والفقهية لأهل السنة والجماعة.

في مقابل هذا الرأي لمدرسة الخلافة كما نسميها كان هناك رأي آخر لأهل البيت وفي طليعتهم الإمام علي بن أبي طالب، وفاطمة بضعة رسول الله، والعباس عم النبي، والحسنان سيدا شباب أهل الجنة، وبعض من الصحابة كسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود وأمثالهم، حيث يرون أولوية الإمام علي بخلافة رسول الله ﷺ، لنص الرسول عليه بذلك ولأفضليته على من سواه من الأصحاب، وأنه المؤهل للقيام بدور القيادة السياسية والمرجعية الدينية. وبعده الأئمة من ولده.

وتبلور هذا الرأي فيما بعد خاصة بعد استشهاد الإمام الحسين في كربلاء، وظهرت الاتجاهات الشيعية المختلفة. وأبرزها المذهب الجعفري الاثنا عشري والزيدية والإسماعيلية.

كما أن الاختلاف على قضية التحكيم في أوساط جيش الإمام علي في صفين كان أرضية انبثاق تيار الخوارج وما تفرع منه من توجهات.

ويمكن النظر إلى المسألة المذهبية في الإسلام أنها تمثل اختلاف الاجتهادات والرؤى في الفكر والتشريع الإسلامي.

دور الموروث في الصراعات المذهبية الحالية

■ تتفاوت النظرات إلى موضوع الانقسام المذهبي والطائفي في العالم الإسلامي. وفي حالات تاريخية كثيرة، أدى الانقسام إلى صراعات وخلافات. هل ما زال المسلمون بانقساماتهم أسرى الموروث في الانقسامات؟

□ في دين يرى المجتهد مأجورًا؛ إن أخطأ فإن له أجرًا واحدًا وإن أصاب فله أجران، كما هو مفاد حديث شريف يتناقله المسلمون بمختلف مذاهبهم. يفترض أن لا يؤدي اختلاف الاجتهادات في هذا الدين إلى صراعات وحروب، لكن العامل السياسي أو المصلحي بشكل عام هو الذي يحوّل اختلاف الرأي إلى مبرر للنزاع والاحتراب، حيث تنحاز السلطات إلى بعض الآراء وتسعى إلى فرضها على الناس، وتقمع الرأي الآخر، أو تستخدم بعض العلماء والفقهاء كواجهات لإضفاء الشرعية على حكمها، أو تستفيد من افتعال الخلافات الدينية لإشغال الأمة بها عن واقعها السياسي. وهناك عامل آخر هو التطرف الفكري، الذي يدفع بعض الجهات الدينية لمحاولة فرض آرائها ومحاربة الرأي الآخر بأساليب الإرهاب الفكري والتسقيط الاجتماعي، وأخيرًا استخدام القوة والعنف.

هذا التطرف الذي يصوّر لأصحابه أنهم وحدهم المحقون وأن ما عداهم على باطل وأهل عناد، وقد يصدرون في الآخرين فتاوى التكفير والتضليل والاتهام بالشرك والابتداع.

ونتيجة لهذين العاملين أصبح للأمة تاريخ من الصراعات الدينية المذهبية، وتراث من الجدل والمناكفات والتشويه المتبادل للصورة من كل طرف تجاه الآخر، وكذلك التحريض على الكراهية والتعبئة المتبادلة.

ومع الأسف الشديد فإن آثار ذلك التاريخ، وانعكاسات ذلك التراث لا زالت

مؤثرة في الجيل الحاضر من أبناء الأمة، مما يجعل ساحة الأمة أرضية خصبة للفتن، وأجواءها مهياة للاستجابة للإثارات الطائفية. خاصة مع حضور العامل السياسي الداخلي والخارجي الذي يوظف هذا الاستعداد لصالح مطامعه ومخططاته.

الفرق والمذاهب بين الاتفاق والاختلاف

■ هل مشكلة المذهبية هي حكر على الصراع بين الشيعة والسنة؟ أو أن الأمر مستفحل بين مذاهب الفرقة الواحدة (ومنه ما شهدته القرن الرابع والخامس الهجريين من اقتتال دام بين أصحاب المذاهب الأربعة السنية، أو الصراع بين الإخباريين والأصوليين داخل المذهب الشيعي) والسؤال ولماذا انتهت الحروب بين مذاهب أهل السنة وتم اعتبار الاختلافات غنى للإسلام ولكنه لم يتم مع المذهب الجعفري أيضًا؟

□ البعد الفكري للصراع المذهبي يتمثل في الموقف من وجود رأي آخر، فهناك من يرفض ذلك، ويرى أنه وحده له الحق في تكوين رأي وفي تفسير النص الشرعي، وفهم الدين، وعلى الآخرين أن يأخذوا برأيه ويدعنوا له، ولا يجوز لهم أن يخالفوه فيما رأه وذهب إليه، فإن فعلوا ذلك تصدى لهم بالمواجهة والإساءة والعداء. صاحب هذه العقلية يصارع من يخالفه في الدين، ثم من يخالفه في المذهب، ثم من يخالفه في الرأي داخل المذهب.

لذا فإن معارك الصراعات لا تقتصر على حدود المذهب، وإنما تشتعل داخلها أيضًا.

ففي الساحة السنية هناك معارك كما بين السلفية والصوفية، بل وجدنا أخيرًا إحياءً للمعركة ضد الأشاعرة، بل هناك معارك داخل السلفيين أنفسهم.

وفي الساحة الشيعية هناك معارك بين التجديدين والمحافظين على المستوى الفكري، ومعارك بين بعض المرجعيات.

إن الساحة الدينية بمختلف مذاهبها بحاجة إلى إقرار مبدأ التعددية، والاعتراف بالرأي الآخر واحترامه، واعتماد نهج الحوار ومقارعة الحججة بالحجة دون إساءة أو عدوان، بل كما يأمر القرآن الكريم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

ولا شك أن انتهاء الحروب - كما ذكرتم - بين مذاهب أهل السنة تطور إيجابي، ومكسب لوحدة الأمة، ونأمل أن يتمكن الجيل المعاصر من علماء الأمة من تجاوز الصراع بين السنة والشيعة، وبوادر الأمل والتفاؤل في تحقيق ذلك لائحة والحمد لله.

الأنظمة السياسية المذهبية.. وعلاقة الشيعة العرب بإيران

■ يقوم عدد من الأنظمة السياسية على أساس ديني / مذهبي، هل يعزز ذلك حدة الصراعات الدينية والمذهبية في العالم الإسلامي وكيف تنظرون إلى علاقة الشيعة العرب مع إيران؟

□ لا مانع من أن تتبنى الدولة مذهباً معيناً كمرجعية دينية إذا كان يمثل توجه الأكثرية من أبناء شعبها، لكن مع احترام حرية مواطنيها من أتباع المذاهب الأخرى. ولا يعتبر ذلك تعزيزاً لحدة الصراع المذهبي، إذا لم يتضمن إساءة للمذاهب الأخرى، أو نياً من حقوق أتباعها.

أما فيما يخص مسألة المرجعية وعلاقة الشيعة العرب بإيران، فمن المتفق عليه والمعمول به بين المسلمين سنة وشيعة أخذ الأحكام الشرعية من العلماء المجتهدين الذين يمتلكون القدرة على استنباط ومعرفة الحكم الشرعي من مصادره المقررة.

ويستخدم أهل السنة مصطلح الإفتاء ويطلقون على من يأخذون منه الأحكام الشرعية اسم (المفتي) بينما يستخدم الشيعة مصطلح المرجعية والمتصدي لها يسمى مرجعاً دينياً.

لكن هذه الحالة أخذت منحى رسمياً عند أهل السنة حيث يعين المفتي من قبل الدولة ويكون الإفتاء على شكل مؤسسة رسمية. وبالتالي ضمن إطار الدولة. بينما بقيت عند الشيعة كحالة أهلية شعبية لا دخل للدولة فيها، فالناس يختارون المرجع الذي يثقون في نزاهته وكفاءته العلمية ويرتبطون به مباشرة أو عبر وكلائه وممثليه، بما يتجاوز الحدود القطرية، وخاصة مع اشتراط أن يكون الأعلم بين الفقهاء، ففي أي بلد يقيم فيه هذا المجتهد الأعلم يقلده ويرجع إليه في الفتاوى المقتنعون بأعلميته.

وعادةً ما يكون المرجع في وسط الحوزة العلمية في النجف أو في قم. ولا تنحصر المرجعية في مرجع واحد، ففي الوقت الحاضر هناك ما يقرب من عشرة مراجع مشهورين بين العراق وإيران ولبنان.

واختيار المرجع يعود إلى ثقة الأفراد واطمئنانهم بتوفر الشروط المطلوبة دون دخل للجانب السياسي أو القومي أو الوطني، لأنها قضية شرعية ترتبط بتعرف الأحكام الشرعية من مصدر يطمئن إليه.

أما عن كيفية علاقة الشيعة العرب بإيران، فهم يرتبطون بها دينياً كبلد إسلامي لها إسهام بارز في حضارة الإسلام وتاريخ المسلمين، ولها دور مهم في واقع المنطقة والأمة، كما أن فيها بعض المراقد لأهل البيت عليهم السلام، كمرقد الإمام علي بن موسى الرضا ثامن الأئمة عند الشيعة في مشهد، حيث يتوافد الشيعة على زيارته.

وفي إيران حوزة علمية عريقة في مدينة قم تحتضن عدداً كبيراً من الفقهاء والعلماء، وتستقبل طلاب العلوم الدينية من العرب وغيرهم.

هذه بعض أوجه العلاقة والارتباط بين الشيعة العرب وإيران، أما إذا كان السؤال عن الجانب السياسي فإن الشيعة العرب في مختلف مناطقهم يعيشون ضمن محيطهم الوطني، ويمحضون أوطانهم ومجتمعاتهم كل الولاة.

قبر أبي لؤلؤة المجوسي في إيران (١٩)

■ لفت نظر الشارع السني وجود قبر لـ أبو لؤلؤة قاتل سيدنا عمر بن الخطاب في إيران. ما هو شعوركم إزاء هذا الأمر؟

□ لا يوجد أي مستند تاريخي لهذا القبر فقاتل الخليفة الثاني انتحر أو قتل في المدينة ودفن هناك، فمن أين جاءوا بهذا القبر؟ إنه مبني على الأوهام والخرافات وعلى القيادة السياسية و الدينية في إيران أن تأخذ الإجراء المناسب تجاه هذا الأمر الخرافي المسيء حفظاً للوحدة الإسلامية ورعاية لمشاعر أهل السنة.

التشيع في صفوف السنة

■ أيضًا أخذ موضوع التشيع يبرز مؤخرًا في عدد من الدول العربية، كما برز موضوع التسنن في عدد من الدول الأخرى، كيف تنظرون إلى موضوع (التبشير) المتبادل بين السنة والشيعة؟

□ لا أشعر بحساسية كبيرة في موضوع التمدح بأي مذهب إسلامي يقتنع به الإنسان المسلم، فتحول الشيعي إلى مذهب السنة أو السني إلى مذهب الشيعة ليس جرمًا. وأرى أن المذاهب أشبه بالغرف في البيت الواحد وانتقال الإنسان في منزله من غرفة إلى أخرى لبعض المرجحات التي يراها لا غضاضة فيه. المهم أن يكون الإنسان ضمن بيت الإسلام ولا يخرج منه.

ومن الصعوبة بمكان ومن غير المقبول حظر نشر الأفكار والتبادل الثقافي، لكني

شخصياً ضد التبشير المذهبي المنظم الذي تتبناه أي دولة سنية أو شيعية.

شتم الصحابة

■ مسألة شتم الصحابة.. وبرغم وجود فتوى من الإمام الخميني والسيد خامنئي والسيد محمد حسين فضل الله بعدم جواز شتم الصحابة إلا أن الأمر لم يتوقف.. كيف تنظرون إلى هذا الأمر؟ وما المطلوب برأيكم من أئمة و علماء المذهب الشيعي لإيقاف هذه التصرفات؟

□ شتم الصحابة هو من تركات ومخلفات تاريخ الصراع وتراث النزاع المذهبي، وموقفنا منه هو المنع والتحريم، وإيقاف ما تبقى من رواسب هذه الحالة يكون بتطبيع العلاقة بين الشيعة والسنة ورفض التمييز الطائفي، وتحريم التحريض على الكراهية، ونشر ثقافة التسامح.

حقيقة مصحف فاطمة

■ عاد الحديث من جديد حول مصحف فاطمة.. إلا أن عددًا من علماء وأئمة الشيعة نفوا تمامًا وجوده أي مصحف آخر غير القرآن الكريم الموجود بين أيدي الجميع ما ردكم على هذا؟

□ لا وجود لشيء بين يدي الشيعة بعنوان مصحف فاطمة وإنما هو مجرد نقل تاريخي مفاده أن فاطمة الزهراء بضعة رسول الله أملت ما حفظته وسمعته من أبيها رسول الله حول تفسير بعض آيات القرآن أو الأحكام الشرعية أو أنباء بعض الملاحم والفتن، أطلق على هذا المجموع مصحف فاطمة بالمعنى اللغوي للمصحف أي ما يجمع صحائف بين جلدتيه. ولا يدعي أحد من الشيعة توفر هذا الكتاب. وهو ليس بقرآن والقرآن المتداول عند الشيعة هو ذات القرآن الكريم المتداول بين المسلمين

دون زيادة حرف أو نقصان حرف.

دور السياسات المحلية في الصراعات المذهبية

■ هل ترون أن ثمة أثرًا للسياسات المحلية في الدول العربية والإسلامية على الصراعات المذهبية؟

□ السياسات المحلية تغذي الصراعات المذهبية إذا شابهها التمييز الطائفي بين المواطنين، وفي غير هذه الحالة فإن استياء المواطنين من أي سياسة لحكومتهم سيأخذ طابعًا وطنيًا لا ربط له بالانتفاء المذهبي.

دور التدخلات الخارجية في الصراعات المذهبية

■ ما تأثير التدخلات الخارجية في الصراعات المذهبية والطائفية في العالم الإسلامي؟

□ من الطبيعي أن تسعى القوى الخارجية الطامعة في الهيمنة على المنطقة إلى الاستفادة من الصراعات الداخلية، فتثيرها وتؤججها لإضعاف المجتمعات، وإخضاع الدول لإرادتها، ولصرف اهتمام شعوب المنطقة عن قضاياهم المصيرية.

فمثلاً حين تحتل القوات الأمريكية والبريطانية العراق فإنها تتوقع رفضاً ومعارضة من الشعب العراقي لوجودها على أراضيها ومصادرتها لسيادته، فمن الطبيعي أن تخطط لتفجير الصراعات والتناقضات داخل الشعب العراقي، لتمنعه من التوحد لمقاومتها، ولتوفر مبررات استمرار تواجدتها، وهذا ما نراه بالفعل حيث يعاني الشعب العراقي حالة مؤسفة من الصراع والاحتراب ذي الطابع الطائفي.

□ وحين تجد أمريكا وإسرائيل تعاطفًا كاسحًا من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه مع المقاومة الإسلامية في لبنان، أثناء تصديها للعدوان الإسرائيلي في تموز ٢٠٠٦م،

فلا بد أن تسعى إلى تفكيك هذا التلاحم والتضامن بتحريك المشاعر الطائفية والصراعات المذهبية. وهكذا فإن التدخلات الخارجية تستثمر إمكانية متاحة وفرصة قائمة.

مفهوم التقريب

■ تتوالى منذ سنوات طويلة الأحاديث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية. ما المقصود بشعار التقريب؟ هل هو دمج المذاهب؟ أو توحيد بعض القضايا الفقهية والعقائدية؟ أو إشاعة روح التسامح في العلاقة بين المختلفين ضمن قواعد الإسلام الخلقية؟ أي من هذه المفاهيم أقرب للتطبيق. وهل نريد تقريباً بين المذاهب أو بين أهل المذاهب؟

□ أرى أن عنوان التقريب بين المذاهب الإسلامية ليس عنواناً دقيقاً وفيه شيء من التسامح.

أولاً: لأن المذاهب هي في واقعها متقاربة لوحدة مرجعيتها وهي الكتاب والسنة، ولاشتراكها في الأصول والمعالم الأساس للدين. والتباعد الحاصل هو بين أبنائها وأتباعها وليس بين المذاهب كمدارس وتوجهات. ثانياً: لا أعتقد أن من المطلوب السعي للتنازلات المتبادلة عن القناعات المذهبية، وهو ما قد يوحي به عنوان التقريب بين المذاهب، فلكل مذهب قواعده ومنظومة أفكاره وتوجهاته.

إنما المطلوب حسن العلاقة والتعايش بين أتباع المذاهب، والتعاون في خدمة الجوامع المشتركة والمصالح العامة. وذلك عن طريق إشاعة روح التسامح، وثقافة التعددية، والتزام أخلاقيات الحوار العلمي والاختلاف المشروع.

إسلام بلا مذاهب (١٩)

■ أين نقف في هذا من الحديث عن إسلام بلا مذاهب وفق شعار مصطفى الشكعة؟

□ المذاهب هي مناهج ومدارس لفهم الإسلام، وبالتالي لا يمكن التخلي عنها، وهي ليست شيئاً إضافياً خارجياً ادخل إلى الإسلام، وإنما هي طريقة للمعرفة والفهم لنصوص الإسلام، ولا يمكن فهم الإسلام بدون منهج ما، إن هناك من يقول بالتخلي عن المذاهب بالعودة إلى الكتاب والسنة مباشرة، لكن هذا الطرح ليس علمياً ولا موضوعياً، لأننا بحاجة إلى منهج نفهم من خلاله نصوص الكتاب والسنة، أما هو من ضمن المناهج القائمة، أو أن نضع منهجاً جديداً فيكون مذهباً جديداً. نعم، يجب أن يكون الإسلام هو العنوان الأساس لأبناء الأمة، فوق العناوين المذهبية، وأن تكون أصول الإسلام وأركانه المتفق عليها هي محور الالتزام والالتفاف.

فشل أطروحة التقريب

■ رغم مرور قرابة ٦٠ عامًا على محاولات التقريب إثر إنشاء دار التقريب في مصر وفتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الخامس (الجعفري) لكن النتائج العملية كانت محدودة جدًا؟ ما الأسباب التي أدت إلى هذه النتائج؟ وفي ضوء ما يحدث الآن في العراق وفي لبنان هل يمكن القول: أن أطروحة التقريب بين المذاهب قد فشلت؟

□ إن أهم مكتسبات فعاليات التقريب والوحدة الإسلامية في هذا العصر ما يلي:
أولاً: التأصيل الشرعي للقضية بعد حقبة من رسوخ العصبية المذهبية السلبية

التي تنفي أتباع المذهب الآخر من حظيرة الدين، وتسلبهم حقوق الأخوة الإسلامية، وتفتي بالتقرب إلى الله بمعاداتهم والإساءة إليهم.

لقد أنتجت فعاليات التقريب والوحدة الإسلامية ثقافة إيجابية بناءة، تؤكد مركزية الوحدة في قيم الإسلام ومبادئه، وتدعو للالتفاف حول أصول الإسلام وأركانه الأساس، والتي هي موضع وفاق بين كل مذاهب المسلمين، وتشيع ثقافة التسامح ومبدأ الحوار.

مع التأصيل لهذه الثقافة وتعميدها على أساس الفهم الواعي لكتاب الله وسنة رسوله.

ثانيًا: بروز جيل جديد من دعاة الوحدة والتقريب في أوساط علماء الدين، ورجالات الحركة الإسلامية، ومفكري الأمة ومثقفوها، من مختلف المناطق الإسلامية من مصر وإيران والعراق وسوريا وباكستان والمغرب وغيرها.

ثالثًا: فتح أبواب التواصل والحوار بين المراكز العلمية والقيادات الدينية لمختلف المذاهب، بين الجامع الأزهر في مصر والحوزة العلمية في النجف الأشرف، والحوزة العلمية في قم المقدسة، والمؤسسات الدينية والثقافية في سوريا ولبنان والأردن واليمن وسلطنة عمان وأمثالها.

رابعًا: إنشاء مؤسسات تعنى بموضوع الوحدة والتقريب كدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران، وجامعة التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، وهيئة علماء المسلمين في لبنان، ومجلس التنسيق بين الحركات الإسلامية في باكستان.

واعتقد أن هذه مكاسب كبيرة، لكن هناك في المقابل عوائق كبيرة، وعوامل مضادة، من أخطرها العامل السياسي الداخلي والخارجي الذي يستفيد من حالة الصراع والتباعد بين فئات الأمة، وكذلك وجود تيار رافض لفكرة التقريب وهو

التيار السلفي، وابتعاداً عن التعميم نقول إن غالبية كذلك فقد يكون ضمنه بعض الشخصيات أو الجهات غير المناوئة للتقريب، وهو تيار يمتلك نفوذاً وإمكانيات ضخمة، وممانعته لمشروع التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية، أخرت هذه المسيرة كثيراً.

أما ما يجري الآن في العراق ولبنان فهو صراع سياسي مكشوف، يتخذ البعض له من المذهبية غطاءً، وهو يشكل انتكاسة وصدمة للتقريبين الوحدويين. ولكني أعتقد أن موجة هذه الصدمة قد بدأت في الانكسار، وأن مسيرة الوحدة والتقريب ستتجاوز آثارها إن شاء الله.

الطريقة الصحيحة للتقريب

■ بالتالي ما هي - برأيكم - الطريقة العلمية والعملية للتقريب بين المذاهب بحيث تصبح.. صحيحة وواقعية؟

□ التقريب بين أتباع المذاهب الإسلامية مهمة مرحلية اقتضتها حالة مرضية، هي التباعد والتنافر بين أتباع المذاهب، ومن أجل تجاوز هذه الحالة المرضية نحن بحاجة إلى ما يلي:

أولاً: نشر ثقافة التسامح والتعددية وقبول الرأي الآخر، والتركيز على أسس الدين الجامعة والمشاركات التي توحد بين أبناء الأمة.

ثانياً: تشجيع أجواء التواصل بين علماء المذاهب الإسلامية ونخبها المثقفة والفاعلة، لتوفير فرص التعارف المباشر على الصعيد الفكري والعلمي.

ثالثاً: قيام مشاريع مشتركة لخدمة المصالح العامة للدين والأمة. وهذه الأمور تتم عبر وجود مؤسسات تتبناها، وعبر سياسات معتمدة من قبل الحكومات المهتمة بالأمر، والمرجعيات الدينية والحوارات العلمية.

عجز مؤسسات التقريب

■ كيف تقوّمون جهود مؤسسات التقريب سواء القديمة في القاهرة أو الحديثة في إيران؟ ومن هم الذين يجب أن يقوموا بمهمة التقريب، هل هم العلماء أو المؤسسات أو الأنظمة؟

□ وحدة الأمة مبدأ قرآني لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: الآية ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٤٦]، والعلماء ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ مسؤولون بالدرجة الأولى عن تبليغ هذا المبدأ القرآني وتبيينه للأمة والدعوة إلى تجسيده وتطبيقه.

وبالدرجة الثانية فإن المؤسسات الأهلية أو ما يطلق عليه مؤسسات المجتمع المدني، عليها أن تقوم بدور فاعل على هذا الصعيد.

إننا نجد في الغرب مؤسسات كثيرة تتبنى مشاريع لخدمة السلم المجتمعي على مستوى العالم، مثل (معهد كارينجي للسلام الدولي) وهو مؤسسة أبحاث سياسية مرموقة في واشنطن تأسس سنة ١٩١٠م على يد (اندرو كارينجي) أحد أهم رواد صناعة الفولاذ في تلك الحقبة، وقد جنى ثروة كبيرة فكرسها لإنشاء هذه المؤسسة.

فلماذا لا نجد في عالمنا الإسلامي مثل هذه المبادرات، بإنشاء مؤسسات أهلية تعنى بتعزيز العلاقات الداخلية بين شرائح الأمة وفئات المجتمع.

فصل السياسي عن المذهبي

■ من الواضح أن المذهبية لدينا سياسية، أي المحرك الرئيسي لها هو العامل

السياسي، كيف يمكن لعلماء وفقهاء المذاهب الحيلولة دون استثمار الخلافات في تأجيج المذهبية المرتكزة على قضايا الصراع السياسي؟

□ العامل السياسي يستثمر أرضية مهياة للصراع المذهبي، تتمثل في وجود ثقافة مذهبية تعبوية عند كل طرف تجاه الآخر، وتتمثل في واقع التباعد وفتور العلاقات. وبإمكان العلماء وفقهاء المذاهب وضع حد لثقافة التبعئة المذهبية، واستبدالها بثقافة التسامح والوحدة والتقريب، وبإمكانهم أن يدفعوا باتجاه خلق واقع التواصل والتداخل والتعاون بين أبناء الأمة، مما يمنع أو يحد من قدرة العامل السياسي على تأجيج الصراعات المذهبية.

وقبل ذلك والأهم من ذلك أن يتورع العلماء من خدمة الأجندة السياسية وألا يصبحوا أدوات يستفيد منها العامل السياسي في تنفيذ خطط الصراعات الطائفية. وقد رأينا بوضوح كيف أن بعض الجهات الدينية وكأن العامل السياسي هو الذي يوقت لها حماسها المذهبي واندفاعها الطائفي، فعلى وقع الحرب العراقية الإيرانية، كانت تتوالى الفتاوى والخطب والمطبوعات الطائفية التحريضية، وعندما توقفت الحرب خمدت تلك الأصوات وخاصة بعد الاحتلال العراقي للكويت. وفي هذه الأيام نرى انبعاثاً جديداً لهذه الأصوات الطائفية على ضوء أحداث العراق وتفاعلات الملف النووي الإيراني.

النظام الديمقراطي هو الحل

■ يذهب بعض المثقفين إلى أن الحل هو إقامة النظام الديمقراطي القائم على المساواة في المواطنة والحقوق بعيداً عن التقسيم المذهبي والطائفي، ما رأيكم؟

□ هذا الكلام صحيح فإن خلاص مجتمعاتنا من كثير من مشاكلها يتوقف على حل

المشكل السياسي، بتحقيق المشاركة الشعبية في الحكم، والتداول السلمي للسلطة، وسيادة النظام والقانون، وتجسيد مفهوم المواطنة، بأن يتساوى المواطنون في الحقوق والواجبات بعيداً عن أي تصنيف عرقي أو قومي أو ديني أو مذهبي أو قبلي.

عقب زيارة وفد سنى لمسجد شيعى بالقطيف الصفار في تصريح خاص لـ IQNA:

زيارة الوفد السني لمسجد القطيف لم تحظ بتغطية إعلامية واسعة

طهران - وكالة الأنباء القرآنية العالمية (IQNA):

تلقينا خبراً عبر وكالات الأنباء السعودية بأن وفداً سنياً قام بزيارة لمسجد شيعي الذي يشرف عليه «ساحة العلامة الشيخ حسن الصفار» في القطيف وأداء صلاة مشتركة، بناءً على أهمية هذا الحدث طرحنا أسئلة على «الشيخ الصفار» حول هذه الخطوة، فإليكم التفاصيل:

■ IQNA: كيف تقيمون هذه الخطوة المباركة وما هي الأهداف؟

□ في السعودية كثير من الأخوة السنة واعون ومنفتحون ولا يقبلون بالتشدد المذهبي ولا التفرقة الطائفية، ولكن المجتمع بحاجة إلى مبادرات عملية لتأكيد العزم على الوحدة، ومواجهة التعصب، وقيمة هذه الخطوة الطيبة أنها مبادرة عملية على المستوى الشعبي، هدفها إبراز وإظهار موقف شعبي وحدوي.

■ IQNA: ما هي ردود الفعل على هذه الخطوة فى الساحة السعودية؟

□ لم تحصل لهذه الخطوة المباركة تغطية إعلامية، حيث تجاهلها الإعلام الرسمي والصحافة المحلية لحد الآن، لكن الخبر انتشر عبر مواقع الانترنت والتواصل الشخصي والاجتماعي، وبمقدار انتشار الخبر كانت الأصداء طيبة، وكانت تعليقات القراء فى منتديات الانترنت معظمها إيجابية ومؤيدة، كما تلقينا اتصالات كثيرة مشجعة.

■ IQNA: هل تعتبرون أن هكذا خطوات رمزية ومؤقتة، وكيف يتم

تعميقها وتوسيعها؟

□ نعم هي خطوة رمزية ولكن تكثيف مثل هذه الخطوات والمبادرات يخلق أجواء طيبة، ويبلور اتجاه الوحدة والتقارب بين المواطنين، وقد سبق أن دعونا بعض العلماء والدعاة السلفيين المعتدلين، وزارونا فى القطيف فى مجالسنا ومنتدياتنا، كالشيخ عوض القرني والشيخ صالح الدرويش والشيخ محمد صالح الدحيم والدكتور مسفر القحطاني، وكان لذلك تأثير جيد، كما كانت لي زيارة قبل شهر لمفتي المملكة سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ فى منزله فى الرياض، وكان استقباله حسناً، والحديث معه كان ودياً باتجاه ضرورة الوحدة ومواجهة أعداء الأمة، وكنت قد زرت المفتي السابق الشيخ عبدالعزيز بن باز ورئيس مجلس القضاء الأعلى الشيخ صالح اللحيدان وعدداً من العلماء السلفيين.

■ IQNA: هل تقومون بخطوة مقابلة مماثلة لما قام به الوفد السنني؟

□ بالنسبة للمواطنين الشيعة يشارك بعضهم فى صلاة الجماعة لأهل السنة وخاصة فى الحرمين الشريفين، وفى المناسبات واللقاءات التي تجمع الطرفين، ففي مؤتمرات الحوار الوطني مثلاً يشارك الأعضاء الشيعة فى صلاة الجماعة مع إخوانهم السنة،

لأن أئمة أهل البيت ﷺ والمراجع الكرام يشجعون أبناء الشيعة على الصلاة مع إخوانهم السنة.

■ IQNA: كيف قيمتم مبادرة خادم الحرمين الشريفين بإقامة مؤتمر مكة للحوار؟

□ خادم الحرمين الشريفين يؤكد دائماً على أهمية الحوار وأنه الطريق الصحيح لمعالجة المشاكل القائمة في ساحة الأمة الداخلية والعالمية، وبعد عقد عدة مؤتمرات للحوارات داخل الوطن بين الشخصيات السعودية من مختلف المذاهب والمناطق والتوجهات. يسعى الملك عبدالله لتوسيع دائرة الحوار ضمن الأمة الإسلامية، كما حصل في مؤتمر مكة، كما أنه يتجه لعقد مؤتمر للحوار مع الأديان الأخرى. إنه توجه عقلائي حضاري، نسأل الله أن يوفق خادم الحرمين للاستمرار فيه وإنجاحه لصالح الإسلام والمسلمين والبشرية.

■ IQNA: ما هي ثمار زيارة الشيخ الهاشمي الرفسنجاني إلى السعودية؟

□ آية الله الشيخ الرفسنجاني شخصية محبوبة عند المسؤولين السعوديين، وينظرون له على أنه شخصية واعية منفتحة ومعتدل في آرائه ومواقفه، والملك عبدالله يكن له احتراماً وتقديراً كبيراً، والعلاقة الطيبة بين هذين الزعيمين هي التي وطدت الأخوية الطيبة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية. إن المنطقة بحاجة إلى التنمية والتنمية تحتاج إلى الاستقرار، وقد دفعت المنطقة وشعوبها ثمناً باهظاً للحروب والنزاعات والتشنجات، لذلك فإننا سعداء وشعوب المنطقة تسرّ بقاء قيادات هذه المنطقة وزعمائها، وهو يمثل أفضل ردّ على المحاولات الأمريكية لإثارة العداء بين دول المنطقة، ولتغذية الفتن الطائفية.

كما كان لكلمة الشيخ الرفسنجاني في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار استقبلاً

وصدى جيداً، وكذلك لقاءاته مع الشخصيات في المؤتمر، كما كان لزيارته لساحة الشيخ محمد علي العمري في المدينة المنورة، وقع طيب في نفوس الشيعة هناك.

حوار مع الشيخ «حسين صالح العايش»

كما نشر موقع «IQNA» حواراً مع الشيخ «حسين صالح العايش» عضو الإدارية العليا في الحوزة العلمية في الأحساء، جاء فيه:

تلقينا خبراً عبر وكالات الأنباء السعودية بأن وفدًا سنياً قام بزيارة لمسجد شيوعي الذي يشرف عليه «الشيخ حسن الصفار» في القطيف وأدى صلاة مشتركة، بناءً على أهمية هذا الحدث طرحنا أسئلة على «ساحة الشيخ حسين العايش» من علماء الشيعة في السعودية حول هذه الخطوة، فإليكم التفاصيل:

■ IQNA: كيف تقيمون هذه الخطوة المباركة وما هي الأهداف؟

□ نعم قام وفد من قبيلة شمر وأدى الصلاة في القطيف بإمامة الشيخ حسن الصفار، وهذه خطوة مباركة ولها أثر إيجابي في التلاحم بين السنة والشيعة، ولها أهداف طيبة، أهمها: التقليل من الاحتقان الحاصل مما يطرحه بعض العلماء الذين لا يرتضون الوحدة بين المسلمين، لأنها على خلاف مصالحهم، كذلك تؤثر إيجابياً في التعايش السلمي وعدم الانجرار خلف الدعايات المغرضة التي تريد إيقاع الفتنة بين المسلمين.

■ IQNA: ما هي ردود الفعل على هذه الخطوة في الساحة السعودية؟

□ لقد كانت ردود الفعل إيجابية من لدن علماء الشيعة والجهاهير، فأول مرة في السعودية يتم هذا الأمر بهذا النحو الجريء والشجاع الذي سيسهم في رفع الخلاف بين السنة والشيعة.

■ IQNA: هل تعتبرون أن هكذا خطوات رمزية ومؤقتة، وكيف يتم تعميقها وتوسيعها؟

□ هذه الخطوة وإن كانت رمزية ومؤقتة إلا أن لها دلالات كبيرة وقد جاءت ردًا على بيان صدر من بعض العلماء الذين لا يؤمنون بالوحدة، وكان هذا الرد العملي له أبلغ الدلالة وأعظم الأثر في أن الخط المتشدد لن يستطيع أن يوقف الانفتاح بين الطائفتين.

■ IQNA: هل تقومون بخطوة مقابلة مماثلة لما قام به الوفد السني؟

□ إن الشيعة يقومون بالصلاة جماعة خلف أئمة السنة دون توقف، فهم يصلون خلفهم في المدينة ومكة، والجامعات والمدارس، وفي بعض أماكن العمل، لذا لا يحتاج الشيعة إلى خطوات مقابلة، باعتبار أن أمر الاقتداء بالسنة جائز ومعروف فقهيًا ويشجع عليه من قبل العلماء.

ندوات ومباحثات | _____

حفلة عشاء على شرف سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار^(١)

كلمة سعادة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على اشرف
الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. سيدنا وحبينا وقدوتنا محمد
صلى الله عليه وسلم:

الأستاذات الفضليات:

الأساتذة الأكارم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

سعيد بهذا اللقاء الذي شرفنا فيه بحضور سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار
ورفقائه القادمين إلينا من المنطقة الشرقية، ملبين دعوة الاثنية، ومشاركتنا في الاثنية
الماضية أمس احتفاءً وتوديعاً لسماحة الشيخ محمد الحبيب الخوجه رئيس مجمع الفقه

(١) أقيم حفل عشاء على شرف سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار بمنزل الشيخ عبد المقصود خوجه بتاريخ ٢٠/١/١٤٢٩ هـ الموافق ٢٩/١/٢٠٠٨ م تخلله كلمات ومدخلات ونشر في كتاب الإثنية المجلد ٢٥ الجزء ٢ وشغل الصفحات من ١٢٢٥ إلى ١٢٥٦ .

الإسلامي سابقاً.. نسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يكون آخر لقاء يجمعنا به، وأن يجمعنا به على خير هذا.. أنا دائماً لي قولة متواضعة أرجو أن تعبر عن ما أكن لكم شيخنا الصفار والأساتذة الكرام.. الوطن طائر له جناحان.. جناح لأهل السنة وجناح لأهل الشيعة.. لا يمكن لهذا الطائر أن يخلق ويرتفع إلا بجناحين.. نسأل الله أن يجمعنا دائماً على الطريق الخير.. المؤسس الباني الملك عبد العزيز جعله الله في الجنة.. له قولة تعتبر من أهم أسس هذا الكيان، وهو أنه قوي بأبناء شعبه ردها أبناء البررة من بعده.. إذا كانت قوة هذا الوطن وهذه الأرض وهذه الأماكن المقدسة بأبناء شعبها فلا بد أن يكون هذا التلاحم يربطه الدين، ويربطه ما نحس به في السراء والضراء مع بعضنا البعض.. ولا تكون هناك لحمه وسُدَى إلا بالمحبة، والمحبة لا تكون إلا بقبول بعضنا البعض والارتضاء لبعضنا البعض كل الخير.. بدون أن نكون متساويين في الواجبات والحقوق لا يمكن أن نؤدي ما علينا من واجبات لهذا الوطن.. كل منا يؤدي دوره ولكن لا بد أن نؤدي هذا الدور جماعة لا أفراد، إذ لا يتم ذلك إلا بالحب ولا يتم إلا ذلك إلا بالكبر لبعضنا البعض.. هذه اللقاءات التي يغمرونا بها إخواننا في المنطقة الشرقية، ما دعوناهم إلا ولبوا، وما اجتمعنا بهم إلا وغمرونا بإحسانهم وفيض علمهم، تفكرنا وتدارسنا وتحاورنا، وكانت دائماً هذه اللقاءات تنم عن أفكار وطرح مبارك إذا لم نستفد منه الفائدة المثلثي.. يكفى التواصل الذي نتمنى أن لا ينقطع، نحن أبناء أمة واحدة واتجاهاتنا واحدة ومبادئنا واحدة على خدمة هذا الكيان والسعي بإذن الرحمن بكل ما نستطيع من إمكانيات لخدمته.. ونحن كسائر الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.. اللهم أبعد عنا الحمى والحمم، وأبعد عنا السهر وبلاه، وأبعد عنا كل مكروه لنكون في الخير وعطاءنا مثمراً وجهودنا مكللة بالنجاح.. سمعت كما سمعتم ولي الأمر في مجلس الشورى عندما ألقى كلمته في افتتاح الدورة، يقول إنه بالعدل سيهدم جدار الظلم.. قرأت في مقابلة له كريمة في جريدة السياسية رئيس تحريرها الأستاذ أحمد الجار الله أن

أقصى ما يتمناه إعطاء كل ذي حق حقه .. إرادة مضيئة وتحسب لولي الأمر، لأن العدل مرتع كل خير وباب كل خير.. إذا وجد العدل تحققت الحرية والانفتاح، وأماننا ولنا في ذلك صفاء النفوس والعقول وستثمر لما فيه مصلحة الوطن ومصلحة هذا الكيان.. علينا الطاعة مأمورين بما قال الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولنا مقابل هذه الطاعة كمواطنين علينا واجبات ولنا حقوق.. أشهد الله أن مساحة يأخذ كل ذي حق حقه بلغت مائة في المائة، ولا أظن أن بلدًا من البلدان في أي مكان الحصول على مائة في المائة، ولكن مسعى لراقي اكتمل ومن سعى وجدّ وجد.. إذا نظرنا وراءنا أن مساحة الحرية التي كنا نتمتع بها ونتحدث عن حاجتين عن ثلاث، الرقعة كانت ضيقة نسبيًا على ما نحن عليه، وإذا استمر هذا المد سينحسر الجزر وسنصل إلى شواطئ الأمان وأنا متفائل ولا أكل من هذا التفاؤل، وإنما في يوم من الأيام لا بد أن نصل إلى مرافئ ما نتمناه .. لكل منا قوله ولكل منا رأي، ولكن الحمد لله كانت هناك آراء متباينة لم تصل إلى حد الصدام، ولم تصل إلى حد التصفيات، لا تزال ضمن إطار أصول اللعبة، لنا ما لنا وعلينا ما علينا، وفي النهاية نقبل بعضنا البعض، نحب بعضنا البعض ونحترم بعضنا البعض ليس من الضروري أن نتفق عليها ولكن من الضروري جدًا أن نحترم هذه الآراء.. لكل منا مذهبه واتجاهه طالما التزم هذا المنهج أركان الإسلام الخمسة، فنحن يد واحدة وكيان واحد، لنا ما لهم وعلينا ما عليهم.. في مؤتمر مكة في ظلال الكعبة ست وخمسون دولة إسلامية تقرر الاعتراف بالمذاهب الثمانية.. المذاهب الأربعة والمذهبيين الشيعيين الجعفري والزيدي والمذهب الإباضي والمذهب الظاهري.. ولي الأمر يطلب من منظمة المؤتمر الإسلامي أن تفعل هذه القرارات، وأن يسعى أمينها للاتصال بالعالم الإسلامي لتحقيق هذه القرارات، لتخرج من حيث الكلمات إلى حيز التنفيذ، وعلينا كأبناء لهذه الأمة واجبات لتنفيذ هذه القرارات، فإذا انحسر هذا المد عند البعض ليس كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقي، بل هو فرض واجب على الجميع، يؤدي كل

منا دوره، فإذا سعينا جميعاً كل على قدر المستطاع وسنبليح الأمانى .. أعتقد أنى أوضحت الصورة .. وأنا فى جمع كريم لوجه نيرة تعرف مالها وعليها، وتعرف معنى أبعاد الكلمة وتعاملها معها، ولها مواقف وعطاءات وهي صاحبة تجربة .. وأنا أخطب جمعنا الكريم هذا الذى لا أزكية على الله .. هذه الوجه النيرة التى أتتنا مليية لدعوتنا مالها عندنا من احترام وتقدير وكلمة تسمع ورأى نتحاور حوله تتلاقح الأفكار نتدبر أمورنا، نطرح طرحنا، نتساءل، نجيب طالما وجدت النية الحسنة، فلا بد أن يكون العطاء مثمراً .. أرحب بشيخنا الصفار وصحبه الكرام .. فضيلة الشيخ حسين الراضى من علماء الأحساء باحث وكاتب .. الدكتور توفيق السيف باحث وكاتب، الأستاذ مهدي ياسين رمضان رجل أعمال، وعضو سابق فى مجلس المنطقة الشرقية، السيد محمد الصناعات عضو سابق والسيد ميثم الفردان مدير مكتب الشيخ حسن الصفار .. نرحب بهم جميعاً .. وأنقل لا قط الصوت لشيخنا وحبينا حسن الصفار لنسمع منه ونستزيد من فضيل علمه وفضله وسديد رايه.

كلمة سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار

بسم الله الرحمن الرحيم ..

والحمد لله رب العالمين ..

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ..

أشكر معالي الشيخ عبد المقصود خوجه لإتاحته هذه الفرصة الطيبة الجميلة حيث

نلتقي بهذه النخبة الواعية، المخلصة لدينها ومجتمعها ووطنها.

يفترض أننا فى كل لقاء نتقدم خطوات إلى الأمام، وأن تكون للقاءاتنا مكاسب

متراكمة لتعزيز وحدتنا الوطنية، ولتعزيز التلاحم فيما بيننا كأبناء وطن واحد.

لكننى أتساءل: هل يحدث ذلك بالفعل؟

هل أننا في كل لقاء نتقل إلى أفق جديد؟ أم أننا في لقاءاتنا نكرر كلمات المحبة والمودة والتعارف؟

هذا أمر مقبول، لكنه يصبح كديباجة للخطاب، يفترض أننا في كل لقاء نتقدم خطوة إلى الأمام، ويفترض أن هناك حالة من التصاعد والتراكم في الجهود التي تعزز الوحدة الوطنية، ولكن لسبب ولآخر يجب أن نعترف جميعًا بأننا في هذا المجال نعاني شيئًا من الضعف والفتور، لذلك يبقى ما يدور في جلساتنا مكرراً.

بإمكانك أن تستعرض شريطاً لجلسة قبل خمس أو عشر سنوات في هذا الجمع الطيب، ستري أن نفس الطرح بذاته يتكرر دون أن تنتج لنا كل جلسة مكسباً جديداً، وخطوة إلى الأمام.

أظن أن من أسباب ذلك هي: عدم وجود مشروع وعمل مؤسسي متنامي يحوّل ما يدور في الجلسات واللقاءات إلى برنامج عمل، ولذلك تبقى الكلمات في الأفق وفي الفضاء معنونة، من هنا يكون المجال مفتوحاً أمام المؤثرات المختلفة التي لا تدعنا في نفس المكان الذي كنا فيه، وإنما تريد أن تعيدنا إلى الخلف.

أيها الأخوة: هناك ظروف وأوضاع ومتغيرات سياسية تجري في هذا العالم، وتجري في هذه المنطقة، هذه المتغيرات تترك آثارها على أوضاعنا في داخل بلدنا، وفي داخل مجتمعنا، فإذا لم يكن لدينا جهد وعمل يستثمر هذه المتغيرات، وهذه الأحداث لتعزيز وحدتنا الوطنية، فإن ما يحصل قد يكون هو العكس - لا سمح الله -، ولهذا تجدنا بعد كل حدث إقليمي وكأننا نعود إلى المربع الأول، تجد حالة من الهواجس والقلق من الآخر لا تزال تلقي بظلالها في ساحتنا الوطنية، قد لا يكون ذلك على مستوى الجميع، وإنما هناك تأثير على هذه الأحداث، إننا بحاجة إلى الشفافية، والحوار الصريح، والمكاشفة.

من ناحية أخرى أيها الأخوة: ينبغي لنا أن ننشغل بمشروع وطني واجتماعي يعزز هذه الوحدة، وينميها ويستثمر المتغيرات والأحداث السياسية لتعزيزها، بدل أن تضعفها

أو تنال منها.

لا أحد يشك أن هناك تضاربًا في المصالح بين الفئات والجماعات، ولا شك أن هناك أفرادًا في هذا المجتمع وذاك، وفي هذه الطائفة وتلك، قد يكون لها توجهات غير مرضية، وهذا لا يستطيع أحد أن يمنع حدوثه، لكن لماذا نترك المجال لهذه الممارسات، ولهذه التصرفات، من أفراد في هذه الفئة، أو تلك، حتى تؤثر على الساحة بشكل عام، فتجد أن هذه العناصر والعوامل تصل للحريصين الواعين والمتحمسين للتلاقي والحوار وتؤثر فيهم.

إنني أمل من هذه الجلسة المباركة، ومن هذه النخبة الطيبة الواعدة، أن تفيدنا بالوسائل والأساليب والآليات التي تساعدنا على تثبيت هذا التطور، وعلى تحقيقه، وترجمته إلى الواقع الخارجي، وأن نحسن وعينا الوطني، وساحتنا من تأثيرات الأحداث الإقليمية المحيطة بنا، هذه الأحداث التي لن نتوقف بحكم طبيعة الصراع على هذه المنطقة، وبحكم طبيعة الصراع والأوضاع والظروف الدولية، ولا نريد أن نلقي باللائمة على الآخرين، فهنا في داخل منطقتنا، وعالمنا العربي والإسلامي من يعطي الفرصة لمثل هذه الآثار والتأثيرات.

أحب أن استمع إلى وجهات نظر الأخوة الأعزاء والأساتذة الرواد، وأن نصل من هذا اللقاء إلى ما يعزز تطلعاتنا جميعًا نحو ترسيخ وحدتنا الوطنية، وخدمة هذا الوطن وهذه الأمة، وخدمة هذا الشعب إن شاء الله.

أشكر لمعالي الشيخ إتاحة هذه الفرصة، وأشكر لكم جميعًا حضوركم لما تكرمتم به علي وعلى الأخوة الذين معي من تشريف وحضور، وأمل إن شاء الله أن تتعدد هذه اللقاءات، وأن نستقبلكم في المنطقة الشرقية كما وعد معالي الشيخ، وكما وعد الكثيرون منكم، وأنتم الأوفياء إن شاء الله ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة معالي الأستاذ الدكتور رضا عبيد^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

باسمكم جميعاً نتوجه بالشكر لصاحب هذه الدار العامرة، الشيخ عبد المقصود خوجه لترتيبه هذا اللقاء المبارك إن شاء الله ..

أحب أن أبدأ من حيث انتهى فضيلة الشيخ حسن، بالنسبة لهذه اللقاءات، وأريد أن أطمئنه أن الهدف من هذه اللقاءات التقارب والتلاحم وتلاقح الأفكار، وهذا الأمر يحتاج إلى وقت، وليس المهم إننا في كل لقاء نكرر أنفسنا، ولكننا في كل لقاء نتقارب أكثر، ونتفاهم أكثر، ومهمة كل طرف منا محاولة بذل الجهد من جانبه لهذه اللقاءات المباركة، وتكرارها هو عنوان لهذه المحبة، ولهذا اللقاء، ولهذا التقارب الذي سوف يؤكد إن شاء الله هذه الوحدة الوطنية، ويؤكد هذه الأخوة التي تجمع بيننا، وكما تفضل الشيخ عبد المقصود لكل رأيه، ولكل وجهة نظره، ولكل مذهبه، ولكن الاعتراف بالآخر والتفاهم، وتقبل وجهة النظر الأخرى، هذا من أهم الأشياء التي نهدف إليها، وأنا على مسيرة هذه الفترة التي مرت، وإن هذا حدث وحصل أن اللقاءات المتكررة تؤكد هذا الأمر، وتدعونا أكثر وأكثر إلى التقارب، وإن شاء الله الصورة مشرقة يا فضيلة الشيخ حسن، وإن شاء الله تتكرر هذه اللقاءات، هنا وفي المنطقة الشرقية، وإن شاء الله يتحقق الحلم الكبير الذي يأمل الجميع أن يتحقق بمشيئة الله وتوفيقه ..

كلمة سعادة المهندس زكي فارسي

السلام عليكم ورحمة الله ..

أضيف شكري إلى شكر الدكتور رضا، والشيخ عبد المقصود محمد سعيد ..

(١) مدير جامعة الملك عبدالعزيز الأسبق وعضو مجلس الشورى السابق.

أعتقد أن الفرصة جميلة جدًا، سبق أن تشرفت بلقائكم في السابق شيخ حسن، أنا أحببت أن أضيف حاحه صغيرة، أعتقد إن شاء الله توسع الإطار، لا أتكلم عن تفعيل بقدر ما أتكلم عن توسيع القاعدة، في معظم اللقاءات التي رأيناكم فيها، تقريبًا ثمانين في المائة من الوجوه هي نفسها التي تحضر، فهل لو استطعنا أن نعيد التفكير بحيث تكون الرحلات هذه ذات جدوى في توسعة قاعدة التلاقي مع جهات أخرى، سوى عن طريق أصحاب الأعمال، أو الجامعة، أنا أؤكد أن هذا سوف يؤسس قاعدة عريضة، حتى لو انطلقنا في الحاجات العملية، قد - إن شاء الله - ننجح فيها.

عندي سؤال بمقدمه صغيرة: لا أحد ينكر لربما إخواننا في الشرقية من أكثر من كان ولاءهم لهذا الوطن زاهر، بالرغم مما يقال في كثير من المجالس حول بعض الحقوق التي لم تعط، وبالرغم من كذا الولاء واضح .. أما مسألة العمر، اسمح لي أن أشير إلى دولة مجاورة العراق لأقول: عندما صار التغيير هل لو أن فتة في العراق فتحوا المجال أوسع للطائفة الأخرى، هل كان سينتج وضع قد يكون مثلاً يكسر ما هو موجود من حدة في الخلاف؟ أو بعض المتشددون الذين يعتقدون أن ليس هناك تلاق؟ لو فتح هناك الباب لما حصل، ولو كان رحابة صدر أوسع الذي عانى سنين من كبت صوته أن يصبر إن العالم الآن تقدم.

الميديا الآن توصل الأخبار، هل لو فيه نوع من قبول للآخر بطريقة أوسع هل كان هذا سيكسر كثيرًا مما في أذهان الآخرين؟ لو كان التلاقي موجود هل كان يؤدي إلى الفرقة؟

كلمة سعادة الأستاذ عبد الله فراج الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله رب العالمين .. والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أشكر الشيخ عبد المقصود على هذا اللقاء الذي تكرم من قبله، وأثنى ثناءً كثيراً على ما تحدث به سماحة الشيخ حسن الصفار.. والحقيقة إن الذي نعانيه ليس أن نستمع.. استماعنا ممكن، وقد استمعنا إلى الحوار الوطني، وسمعنا في المجالس، واجتمعنا في أماكن متعددة، ولا بد أن نتعاون، ويتعاون المعتدلون منا من الطائفتين لحل إشكالات التصادمات التي قد تؤدي إلى ضياع كل جهد يبذل من أجل الحوار والوحدة الوطنية.

هناك، منا ومنكم، من لا يريد هذا التلاقي، لا يريد هذا الصفاء بيننا، كيف نستطيع منعهم من ذلك؟

لا بد أن نجلس معاً، وأن نتحدث بكل الصراحة الممكنة التي تجعلنا نلامس مواطن الخطر في علاقتنا فيما بيننا ونقضي عليها، خاصة وأن بيننا شباباً يستقون معلومات عن هذه الطائفة أو تلك من أناس محرضين.

نحن نريد أن ننزع هذا الفتيل.. وهذا لا بد أن يكون بالحكمة والعقل، ولهذا لا بد أن تتعدد اللقاءات بين النخبة من إخواننا في المنطقة الشرقية، والنخبة في منطقتنا، وخاصة هذه المنطقة؛ لأن فيها من التسامح الكثير، ولا بد أن نتجاذب الحديث حول ما يمكن أن يعطل مسيرة الوحدة الوطنية من ناحية الطائفية.. ويجب ألا ننسى أنها مسألة خطيرة، ونحن نعرف جميعاً ما يجري في العراق، وما قد يجري في لبنان، ونحتاج إلى أن نحتمي أنفسنا من هذا، ولا نستطيع أن نحمله إلا بالتكاتف فيما بيننا.

على العقلاء في الطرفين أن يضعوا أيديهم في أيدي بعض، ونغدو على هذه التي تبدو هنا وهناك ولها أطراف تغذيها.. وإذا لم نفعل ذلك، لا فائدة من اللقاءات، إذ تصبح هذه اللقاءات بلا معنى، لأنه هناك من إذا انتهى اللقاء شحن عواطف هذا وهذا فضاء هذا اللقاء، وضاعت فائدته.

أرجو أن نجد أيدٍ من جانبنا تجتمع معي على هذا، ويجد أخي الشيخ حسن الصفار مثل ذلك من الأخوة في المنطقة الشرقية، ونتعاون على إزالة كل ما يمكن أن يسرب هذه

الوحدة الوطنية.. وشكرًا لكم.

كلمة سعادة الأستاذة فريدة فارسي

أعتقد أن الحل هو في مؤسسات المجتمع المدني، ابتداءً من النوادي والمدارس والجامعات ثم النقابات وغيرها من المؤسسات التي تستطيع أن تجمع كل ألوان الطيف التي يتكون منها مجتمعنا، وعلى أن تنادي هذه المؤسسات أولاً بسيادة القانون.. بأن يكون هو السيد الذي نخضع له جميعًا.. ونكون جميعًا متساوين في هذا، وأن أي فتيل في أي وطن من الأوطان يلعب على مسألة عدم العدل.. والقانون تدافع عنه مؤسسات المجتمع المدني التي تستطيع أن تدافع عن القانون، والدفاع عنه، وهي الضمان الوحيد لوحدة هذا الوطن والدفاع عنه.

كلمة فضيلة الشيخ محمد الدحيم

بسم الله الرحمن الرحيم .. أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يمن علينا بمثل هذه اللقاءات المباركة المثمرة.. وهي في حد ذاتها جميلة ورائعة وستكون نتائجها أفضل فأفضل.

أريد أن أعلق على ثلاث نقاط: إن التعارف مرحلة يسبقها مراحل الاعتراف، ثم التعرف، ثم التعارف، وما لم أعترف بك وما لم أعترف إليك فلا أتفاعل معك متعارفًا، لأن قوله تعالى: ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ وذلك يقتضي أن يكون ذلك من أكثر من طرف، أن أعترف بك أحترمك تحترمني، أعترف إليك، على طريقتك في الحياة، على منهجك الثقافي، على كل ما يمكن أن يوصلني إلى التعارف المتين، وأعتقد أن بعد ذلك سيكون تعارفنا قويًا، وسيحترم بعضنا بعضًا، وسنصل إلى حقائق ومنتجات لا تكون في مهب الريح، لأن التعارف من أوله ما لم يكن مبنيًا على هذه الأشياء سيكون تعارفًا هشًا تنقضه تحديات العصر، أو تحولات العالم، أو تغير الثقافات والقناعات.. التعارف مرحلة تأتي كنتيجة

للاعترا ف ثم التعرف ..

النقطة الثانية هي تقبل الآخر .. وتقبل الآخر شيء جميل ورائع وله أهدافه، وتقبل الآخر يبدأ باحترامه، ولا نفهم من تقبل الآخر أن أكون موافقاً لك في كل شيء، منصهراً فيك في كل شيء، وإذا فسرنا التقبل بمثل هذا التفسير فإننا نتقل من الاكتفاء به إلى الارتقاء، وإذا كان الاكتفاء مشكلة فالارتقاء مشكلة أخرى، لي طريقة ولك طريقة، لكن هناك قواسم مشتركة، وهناك قواعد توحد بيننا.

هناك حديث عن المواطنة، وإن كنت أريد تفسيراً أوضح للمواطنة التي نلتقي عليها.. لا اكتفاء ولا ارتقاء.. ولكنه تقارب وتلاحم حول قضاياها، حول مشكلاتنا، حول رؤيتنا..

النقطة الثالثة: إننا نعيش في عصر قدره السرعة والتحول والتعقيد والمصلحية، هذا العصر يحتم علينا أن نتخذ قرارات، وأن نتج برامج ونفعلها، فنحن في عصر سريع لا يمكن ملاحظته، لا سيما ونحن لسنا كثيراً نصنع قراراته، وعلينا أن نتعرف إلى قدرنا في هذا العصر.

ربما - في عصر مضى - كان التحدي ثقافي، أو صراع ديانات، اليوم نحن في عصر إنها التحدي هو تحدي الوجود.. إما نوجد وإما لا نوجد، وليس هذا فقط في المحيط الثقافي أو الحضاري أو الديني بل وحتى البيئي.. لذلك فنحن كرجال فكر وأهل علم، علينا ألا نوغل في التنظير ونهمل حقيقة التفعيل والانتقال.. إن النجاح لا يكون بالوصول إليه، ولكن بالاستمرار فيه، فأرجو في هذه اللقاءات التي وصلنا إليها أن نستمر عليها، وأن نتحول إلى برامج، وأنا متفائل وإن كان أحياناً التفاؤل ينبغي أن يكون بحذر، ولكنني متفائل إننا نسير على طريق مبارك وجميل، فأهلاً بأي إضافة من الإضافات، ومن أي فئة من الفئات، ومن أي طائفة من الطوائف.

نرحب بكل الإضافات الجميلة التي تصب في المشروع، وفي الهدف، وإننا سوف

نحصل على نتائج جيدة.. صحيح أننا في مجتمع تكوم تكومًا ولم يتراكم تراكمًا.. ولكن بدأ الوعي، وبدأ الحضور الثقافي يحرك كثيرًا من التكوم، ويعيد تشكيله على نحو شكل مترام متنامي، وبدأت الأصوات الواعية تنطلق، وكذا البرامج الواعية، ولكن ذلك يحتاج إلى تقنية، ويحتاج إلى استمرارية، وإلى إصرار منكم أهل الفكر، أهل الثقافة، أهل الحوار.

وإني اشكر معالي الشيخ عبد المقصود على هذا الجمع الكريم، الذي من خلاله أثبتنا معترفين، وتعارفنا وتعرفنا، وأشكر له هذا الفضل الكبير في جمع هذه الوجوه المباركة، في جمع هذه الأفكار، وجمع هذه الحوارات، وجميل أن نختلف لنصل إلى مراحل أعلى وأعلى في حوارنا الثقافي، وأكرر الشكر للشيخ عبد المقصود، وأكرر الشكر أيضًا لكم وأستميحكم عذرًا.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كلمة الدكتورة أميرة قشقرى

السلام عليكم.. شكر خاص للرائد والمجدد الشيخ عبد المقصود خوجه..

مساء الخير للجميع..

شكر خاص وبصدق ومن القلب لفضيلة الشيخ حسن الصفار.. لا زلت أذكر إلى اليوم لقاءنا في الحوار الوطني الثاني في مكة المكرمة، وكيف كانت مداخلات الشيخ مشرية ومستنيرة وقادرة على إزالة اللبس والضباب والغبار الذي علق بأذهاننا منذ فتره.. ثم كيف كان حديثه مع النساء بشكل خاص حيننا استطعنا أن نسرق بعض اللحظات لتبادل الأفكار علها تزيح الكثير مما علق بأفكارنا من شوائب..

أود أن أعلق على نقطتين فقط: ذكرت في مداخلات الأخوة قبلي ومداخلة الأستاذة فريدة فارسي نقطة توسيع القاعدة، ثم نقطة لقاء النخبة، ومعظم لقاءاتنا لقاءات نخبة، وهي غير كافية ولكنها الانطلاقة الأولى التي أرى فيها أملاً كبيراً، ومحرك نحو التغيير، كيف نتوسع؟ من خلال هذه اللقاءات، حتى نستطيع أن نبني قاعدة عريضة يلتئم

فيها شأن الوطن والوحدة الوطنية، وتزال فيها الخلاف والخلافات العنصرية والقبلية والمذهبية والطائفية وغيرها..

أعتقد أن التوسع في هذا يأتي عن طريق المؤسسات .. ومؤسسات المجتمع المدني على رأسها، ولكن هنا أؤكد وأعيد التأكيد على مؤسستين مختلفتين، وهما المؤسسات التعليمية والمؤسسات الثقافية .. المؤسسات التعليمية كمثال، أذكر جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.. كانت كلية البترول والمعادن، وكانت تضم طلابًا من مختلف المذاهب، وكيف استطاع الطلاب في تلك الفترة بناء جسور من التفاهم، وبناء علاقات، وإزالة الكثير من اللبس والمشاكل والهجوم التي كانت تعترض المذهبين السني والشيوعي.

إذا استطاعت المؤسسات التعليمية أن تساهم في الوحدة الوطنية عن طريق إقامة برامج تبادل زيارات.. لماذا لم تكن هناك زيارات بين المنطقة الغربية والمنطقة الوسطى، والمنطقة الشرقية بشكل خاص؟ أو المدارس أيضًا، نحن نستطيع أن نبني التواصل ونزيح الاتهامات من النشء من عمر مبكر..

المؤسسات الثقافية أعتقد أنها بدأت تخطو خطوة لا بأس بها، وهنا أشير إلى الأندية الأدبية في المنطقة الغربية والمنطقة الشرقية والمنطقة الوسطى حيث تستضيف مفكرين ومثقفين ينتمون إلى مذاهب مختلفة، مذهب سني ومذهب شيعي، واذكر أيضا المجالس والصولين الأدبية حيث تستضيف من المفكرين والمثقفين، وهي الطريقة التي توسع وتحرك من القاعدة وتفيدنا بشيء كبير في التغلب على الاختلافات المذهبية، وتقرب بين الفئات المختلفة، وبظل أخيرًا الشيء الأساس التمييز الطائفي والتقليل منه عن طريق تساوي الفرص لجميع المواطنين، حتى يشعر الجميع أنهم يحصلون على حقوقهم كاملة، ثم نستطيع أن نقرب بينهم، وان هناك المعتدلين من الطرفين في المذهبين، وهو شيء أساس، وأتمنى أن لا يكون هناك نظرة اتهام للأقليات.

كلمة الدكتورة خديجة الصبان

شكرًا للشيخ عبد المقصود والشيخ الصفار، تعليقي هنا على نقطة التعرف التي أشار إليها الشيخ عبدالله.. بين يدي كتاب للدكتور عمر كامل.. كتاب الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة.. وهو محاولة للتقريب، فهذا النوع من المتوج الثقافي أراه من أهم وسائل التقريب بين المذهبيين، لأنه مبني على أسس فعلاً تزيل ما علق بالأذهان، سواء لأهل السنة والجماعة، أو لأهل الشيعة حول أشياء تزيل الشحناء والبغضاء بينهم، وإزالتها من أسباب تذويب الفوارق، وهو وسيلة مهمة من وسائل تقوية التعرف.

كلمة الدكتورة بدیعة قشقری

السلام عليكم..

أحب أن أعلق على شيء بسيط، وهو من الواقع، لأنني كنت أقيم في المنطقة الشرقية بحكم عملي ومعايشتي للواقع لمدة عشرين سنة. كنت أعمل في شركة ارامكو وكان عندي زملاء عمل، وصحافة وقلم، لأنني كنت أعمل في قسم التدريب خلال فترة الثمانينات والتسعينيات. في الواقع أريد ان أقول: لم ألاحظ ضمن معاشتي وتعاملي مع كل أهل المنطقة إلا سعة الأفق والوعي الفكري لم يكن هناك أي إقصاء أو اختلاف شعرنا به، سوى الطقوس الدينية أحياناً تمتد لتصبح بحكم تقاليد الزواج.. وغيره كنت ألاحظ رأي الطالبات وتميزهم كونهم أقلية وكونهم لم ينظرون إليّ كإنسانة سنية قادمة من المنطقة الغربية، كان هناك دائماً نظرة متساوية ما عدا في العمل، كانت هناك تجربة أحزنتني جداً، كان هناك زميل لنا في العمل سمعنا أنه تحول إلى سني وحصل هذا الكلام وكان هناك بعد الأحاديث هذه النقطة كانت ملحوظة في ذلك الوقت، لأنه لم يكن هناك حديث في الصحافة مسموح به

للمذهب الآخر

شيء طبيعي للأقلية دائماً تشعر بنوع من الشعور بالمغايرة، ولكن هناك شعور مختلف دائماً يكون.. وحتى نحن الأكثرية مختلفين، ورد على أحد الأخوة الذي قال عن موضوع العراق لو كانت النظرة مختلفة ربما كان الوضع في العراق أعطينا صورته مختلفة.. ومن خلال معاشتي لكل العراقيين في كندا من الجاليات، أقول: إن لعبة الطائفية هي لعبة الكبار وليست لعبتنا، وهي أكبر منا بكثير.. الاشتغال على المذاهب وعلى التفريق والطائفية.. لي صديقه شيعية متزوجة سني، وهي عراقية الأصل.. كثيرات أمثالهن.. أوردت هذه الإضاءة.. والسلام.

الدكتورة أفنان الرئيس

أسأل: أين العنصر النسائي بالنسبة لمذهب الشيعة؟ ولماذا لا يكون هناك حوار بيننا وبينهن؟ ولماذا لم تكن هناك زيارات متبادلة؟.

كلمة الأستاذ توفيق السيف

بسم الله الرحمن الرحيم.. أبدأ بالشكر لمعالي الشيخ عبد المقصود ولجميع الأخوة الذين تفضلوا علينا بالحضور في هذا المكان العامر إن شاء الله..

إجماع النخبة

النخب الوطنية في كل بلد اجتماعها واتفاقها..

التوافق بين النخبة هو الأساس لوحدة كل بلد، وهو البديل عن التحول إلى الدولة البوليسية، إذا لم تكن النخب متفقة فإن الشعب لا يتفق، وإذا لم يكن الشعب متفقاً فإن الدولة تكون مضطرة إلى منظمة بوليسية تحاول المحافظة على وحدة الوطن بالقانون، لذلك فإن الطريق الأسلم في كل البلدان.. الطريق الذي سلكته جميع الشعوب المتحضرة هو التوافق بين النخب على الخطوط العامة..

كيف يعيشون؟ كيف يحلون مشاكلهم؟ كيف يصلون إلى أهدافهم في المستقبل؟ وما هي الخطوط الحمراء التي لا يتجاوزها أحد وهي تخص سلامة الوطن؟ توافق النخبة يبدأ بمفهوم أساس ومسألة أساس وجوهرية، وهو موضوع هذا التوافق.. أول خطوه للتوافق الحقيقي هي تحديد هذه النقطة.. هل نتوافق لأننا مسلمون؟.

نتوافق لأننا عرب؟

نتوافق لماذا؟

في حقيقة الأمر نتوافق على أننا أبناء بلد واحد فقط.. إذا كان بيننا غير مسلم ألا نتوافق معه؟.. البلدان التي تضم أقليات دينية، وليست أقليات مذهبية ألا يتفق المواطنون فيها على أساس المواطنة؟.. إذن المواطنة هي النقطة الأساس.. المواطنة إذا أردت تشريحها، فسأقول: إنها الاعتراف المتبادل بين جميع الناس، ولا سيما في النخبة، بأن مصدر علاقتهم هو شراكة في التراب.. على افتراض أن عدد السعوديين عشرون مليون.. أنا أقول: إن كل سعودي يملك واحد من عشرين مليون حصة في هذا البلد.. أين ما كان؛ في القطيف.. في جيزان.. في تبوك أو جدة.. الشراكة في التراب الوطني الذي هو قاعدة الوطن، وأساسه، وما فوقه من موارد هو موضوع المواطنة، هو موضوع الحقوق المتبادلة والواجبات.

إذا استطعنا كمتعلمين، كقراء كنخبة، إذا استطعنا أن نتفق أن الموضوع الرئيس الذي يجمعنا مع بعضنا هو الشراكة في تراب الوطن، وليس الشراكة في الدين كوننا مسلمين، وليس الشراكة في اللغة، وليس الشراكة في الطبقة الاجتماعية والتمتع بالخيرات، الشراكة في التراضي.. أظن أننا إذا استطعنا أن نصل إلى هذه النقطة، أن تطور هذه النقطة، عند ذلك لن يكون المذهب مشكلة، ولن نحتاج أصلاً إلى موضوع التقارب المذهبي.

في كل البلدان هناك أحزاب مختلفة، هل تعقد مؤتمرات للتقارب بين الأحزاب

هناك؟ وهناك قوميات مختلفة، هل يعقدون مؤتمرات للتقارب بين القوميات؟ وهناك قبائل مختلفة، هل يعقدون مؤتمرات للتقارب بين القبائل؟

لماذا نضطر إلى التفكير دائماً بأننا في حاجة للتنازل وأخذ شيء من طرف ثان، دع كل يعبد ربه كيفما شاء.. سواء كان سنياً أو شيعياً.. يهودياً أو مسيحياً.. هب أن أحداً تحول من الإسلام إلى اليهودية، هل يفقد جنسيته؟ هل يفقد حقه في الوطن؟ لا يفقد حقه في الوطن ولا يفقد جنسيته..

أقول: إن مصدر الحقوق الأساس قاعدة العلاقة الأساس في هذا البلد هي ملكية الأرض التي نعيش عليها، إذا استطعت أن تحرمني من ملكي وأنا واحد من عشرين مليون مثلك فأنت تستطيع أن تفرض عليّ ما تشاء، لكن طالما أن هذا ملكي فلا تستطيع أن تحرمني، وأنا لا أستطيع.. أظن أن هذه المسألة الرئيسة.. وشكراً.

الأستاذ مشعل السديري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أرحب بالشيخ الصفار.. وأشكر الشيخ عبد المقصود، أنا لي كلمه واحده، أحب أن أشكر الأخ توفيق السيف.. وأؤيده في كل كلمة قالها. فالأستاذ الدكتور توفيق السيف قال: إذا تحول إلى اليهودية لا يفقد جنسيته؟. أنا أسأل الشيخ الصفار: هل يفقد حياته؟.

الأستاذ عبد المحسن هلال

تكلمتم عن مساحات الحوار، ومنكم من تكلم عن المجتمع المدني، ومنكم من تحدث عن تكثيف اللقاءات، ولكن أعتقد هناك نقطه رئيسة، أنا لا أقول إني فقدت الأمل في جيلنا.. وإذا فتحنا حواراً في هذه الليلة بين الشيعة والسنة هل نختلف مع بعض؟. الأفضل ألا نفتح هذا الكلام، وأن نقبل بعضنا البعض، وعلينا أن نبحث عن ثقافة، عن قرار أو نظام أو قانون يمنع التحريض.. المشكلة في التحريض..

أريد أن أسأل: هل الصحافة تقوم بدورها؟ هل توجد تجربة في الصحف مسائل تدعو إلى الكراهية بين الطوائف .. أعتقد صحفنا المطبوعة لا يوجد فيها شيء من هذا، ربما أحياناً يتسرب مقال، أو تتسرب فكرة، أو أحدهم يحاول أن يسربها بين السطور، لكن رؤساء التحرير لن يسمحوا بتمرير هذا.. لكن الانترنت مليئة بهؤلاء الناس، بعضهم حتى لا يتحرج بالتصريح باسمه .. وهناك شيخ كبير معروف عمل بحث في خطر الشيعة في المملكة العربية السعودية.. المشكلة لا يوجد لدينا نظام يحاسب على التحريض .. أمريكا دولة فيها عنصرية، ولو لم يكن هناك قانون في أمريكا لما نجحوا في خلق هذا الوثام الذي يعيشونه .. ليس كل الأمريكيان متسامحين مع بعضهم البعض .. وإذا كان هناك أي مرشح أمريكي صرح بأي تصريح فيه انتقاص من السود أو اليهود أو الاسبانيين سوف يكون هذا أمر معيب جداً ويخرج، ونحن نحتاج لنعيش مع بعض لقانون، يجب أن يحاسب كل شخص يقول شيئاً معيباً في حق طائفة .. وهناك أحياناً باسم الفتوى، وباسم المقالة يوجد تحريض، يجب أن يكون هناك قانون يحاسب المحرضين ..

التحريض ضد الطوائف يقسم الأمة .. وللأسف التحريض الآن ضد الطوائف، والتحريض ضد الأشخاص، وطائفة الدرالية، يوجد تحريض عليها، وناشد المسئولين أن يكون هناك نظام يحاسب على التحريض.

الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين، الكاتب والأديب المعروف

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله حمد الشاكرين .. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ورحمة الله على العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهدية إلى يوم الدين، وبعد..

أبدأ بما طرحه أخي الأستاذ عبد الله الشريف، ما طرحه الأستاذ الشريف ينبغي أن يكون منطلقاً لهذا التقارب إن صح هذا التعبير.. وهو السبيل الوحيد للتواصل

الفعال حينما نقدم بعض التنازلات.. والشيخ محمد قال: إن المواطنة انتفاء، وأنا أقول بكل صراحة: إن انتفاءنا ضعيف جدًا وعن تجارب ليست قصيرة.. والتقصير فيه يرجع إلى سلم التعليم الأساس .. وإذا لم نستطيع أن نعالج ذلك لا نستطيع أن نرقى إلى أحسن من هذا .. ومن قبل الفتنة الكبرى، كما سماها طه حسين في كتابه الإمام علي وبنوه.. هناك أساسيات إسلامية مثل الأذان، لا نريد أن نختلف فيه .. أشهد أن عليًا ولي الله .. لماذا نختلف في الأذان؟ . ولماذا هذا الانشقاق في البدايات؟.

نرجو من الأخوة الشيعة أن يتنازلوا (شوي) .. أعتقد أنه في هذا النوع من التقارب في المنطقة الشرقية والغربية ونستطيع أن نتقلب من الصغيرة إلى الكبيرة.. هناك كتب أيضًا من خلالها يمكن أن تزيد من التقارب.

الأستاذ عبد القادر الجراح

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله.. حقيقة من مراقبتي لما طرحه الأستاذ توفيق السيف يجب أن نعتقد أننا كلنا نتفق على أن يكون هناك تقارب واتفاق، وأن يكون هناك قانون صارم لكي يحد من أي تحريض .. ودورنا هنا كإخوان أن نكون متفهمين..

الأستاذ محمد الطيب

الحقيقة أنا استغرب من كلمة تنازلات في كلمة الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين بدلا عن التنازلات يجب أن نعترف بأخطائنا وخطايانا أولاً، وأن نعترف أن هذه الطائفة النبيلة هي جزء من هذا الوطن، ليسوا دخلاء عليه، ولا متطفلين، وهم جزء لا يتجزأ، ولهم ما عليهم ولنا ما علينا.. القضية قضية حوار.. والحرص على عدم التحريض.. وإذا كنا حريصين على هذا الوطن ووحدته فلنقف ضد هذا التحريض..

الدكتور عاصم حمدان

أرحب بالشيخ حسن الصفار ورفاقه الكرام في هذا الجزء الغالي من الوطن، وأشكر الشيخ عبد المقصود خوجه لتكريمه المثقفين والعلماء والمفكرين.. نعم، أقول إن المواطنة هي الأساس عند الشعوب المتقدمة .. الشعوب المتقدمة هي التي تكون عندها المواطنة هي الأساس.. وأن ما يثار من حساسية بين الطوائف الإسلامية، أن ما بين الكافرين والبروتستانت في الغرب أكثر بكثير مما هو عند الطوائف الإسلامية.. ومع هذا فإنهم يتعايشون في وئام وسلام، وهذا راجع إلى الصياغ الحضاري والفكري الموجود في الغرب.. وعلينا أن نعترف أنهم ولو كانوا أعداءنا لأنهم سبقونا كثيراً وأخذوا كثيراً من معطيات حضارتنا وحولوها إلى قوانين تحمي كل فرد وكل شخص.. قضية التحريض، يؤسفني القول: كيف أسمع من أخ في الوطن عن شخص آخر بأنه خنزير.. يؤسفني القول: إنه كيف واحد ينعتني وأنا أسمع أنه أحفاد حمزة أو أننا أحفاد خديجة أو أحفاد محمد، ولا يوجد في التاريخ الإسلامي أن طائفة عبدت حمزة ولا يوجد في التاريخ الإسلامي أن طائفة عبدت محمد بن عبد الله، ولا يوجد في التاريخ الإسلامي أن طائفة أخرى عبدت خديجة ﷺ.. وإذا وجد هذا الأسلوب حتى في المنابر أو بعض المتشددين في بعض المساجد.. وإنما في سبيل وحدة الوطن الكبرى.. وأن لا يكون للتحريض بيننا مكان، ودمتم..

الأستاذ خالد الحسيني الصحفي المعروف

أحب أن انقل لكم أننا كنا في مجلس الأسبوع الماضي.. سألنا أحد الأخوة في مكة المكرمة أن هناك كارثة ستحل بالمجتمع أو على المنطقة أو على مكة المكرمة، وعندما سألته عن هذه الكارثة.. قال لي: إن هناك مجالس شيعية في مكة وجدة.. هذه الأخلاق وهذه العبارات نستمع إليها دائماً بحكم معاشرتنا للحجاج في مكة المكرمة.. وجدنا أنه ما

زال هناك مشكلة كبيرة، فيه مشكله اجتماعية ما زال الناس يتهيبون من الحاج الإيراني.. أريد أن أعرف الأسباب .. هل هي خلقية في التربية؟ هل ما زالت الأجيال الحالية تنتقل إليهم، هذه الأخلاق بأن إخوانهم الشيعة لديهم مخالقات تجعلنا نبتعد عنهم؟ هذا الأمر مهم وعلينا التفكير في طريقة للقضاء عليه .. سوى في المدارس وفي البيت وفي المجتمع وغيرها.. البعض ما زال يتهيب من الشيعة، وهذه مشاهدة ما زلنا نراها، وهناك كثير من الاحتياطات يقوم بها أهل البيوت في مكة المكرمة خوفاً من الشيعة.

الدكتور عبد الله مناع

أرحب بالشيخ حسن، ومع هذا الترحيب الاعتذار عن التقصير غير المقصود.. وجدت الجمع يتحدث عن التحريض .. نعم هنالك تحريض، والتحريض الذي أفهمه ليس تحريضاً ضد الشيعة، وإنما تحريضاً ضد إيران .. والحقيقة أنني أدهش لمن يقول إن لنا عدوين، هما: إيران وإسرائيل ..

مقاطعة الشيخ عبد المقصود خوجه: أنا لا أحب أن يكون هناك تحريض ضد إيران، التحريض بين إخواننا في السنة مع الشيعة الذين هم بيننا..

أنا لا أعتقد أن هناك تحريضاً ضد إخواننا الشيعة.. ولكن هناك مشاعر، وهناك تردد وقلق يحتاج إلى توضيح أكبر، ويحتاج إلى إعلام أكثر، ويحتاج إلى رؤية أيضاً سياسية أفضل، ولكنني قصدت التحريض السياسي الذي يقوم على عداوة ضد إيران، وطبعاً منشؤه إنهم شيعة، وأن هناك حلقاً شيعياً يقوم ويتسلسل بين حزب الله وحماس وسورية .. أنا حمدت الله أن رحلة الرئيس بوش التحريضية عادت خائبة، فلم يستطع أن يدفع بالخليجيين أن يكونوا مخلب قط ضد إيران.. أنا أعتقد أن الجهود يجب أن تبذل في تلطيف الأجواء ما بين السنة والشيعة .. وأنا رأيت أناساً سنة محترمين جداً ومستنيرين ولكن مع ذلك يقفون في موضوع الشيعة بعض التوقف.. الأمر يحتاج من الطرفين إلى تبادل

الزيارات، تبادل الأفكار، وتبادل الطرح، وتبادل اللقاءات، نحن في وطن واحد، معقول أن نختلف مع مسلم لأنه شيعي ونقبل بغيره.. هذا ليس منطقيًا.. نرجو أن يتكاتف الجميع وفي مقدمتهم المثقفين على بذل الجهد المستمر في تلطيف الأجواء، والتقارب المستمر بين الشيعة والسنة.

كلمة فضيلة الشيخ حسين الراضي من علماء الأحساء

أعوذ بالله من الشيطان الرحيم.. بسم الله الرحمن الرحيم.. والحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطاهرين وعلى أصحابه المنتجبين.. السلام عليكم أيها السادة والسيدات ورحمة الله وبركاته.. أشكر معالي الشيخ عبد المقصود خوجه الذي كان سببًا لهذا الاجتماع الطيب والوجوه النيرة.

ليس لدي كلام كثير على ما تقدم من كلام سماحة الشيخ الصفار، وبقية الأخوة وما أدلوه به من آراء متعددة.. وهذه الآراء المتعددة علامة الصحوة والانطلاقة المخلصة إن شاء الله.

أريد أن أعقب على بعض الآراء التي طرحت من قبل بعض الأخوة.. في حالة التشاؤم أو الاختلاف العقدي أو الفقهي الذي سبب المشكلة بين الطائفتين.. أؤكد على أنه إذا رجعنا إلى المسائل العقدية عند المذاهب الأربعة غير الشيعة نرى أن الاختلاف بينهم في مسائل كبيرة وأساسية.. قبل الاختلاف الفقهي.. وحينئذٍ هذه الاختلافات لم تشكل خطرًا أو أنهم قد خرجوا من الدين.. كما أن الاختلاف عند الشيعة أنفسهم وهم طائفة واحدة عندهم من الاختلافات العقدية والفقهيّة الشيء الكثير.. المشكلة الأساس الموجودة لدى الجميع سنة وشيعة هي الجهل بالإسلام حقيقة.. أنا لا أوافق الدكتور توفيق في تحديده المشكلة في الجانب الوطني بشكل مطلق، لأنه لو أخذنا بذلك لا تنحل

بقية المشاكل الناشئة من الجانب العقدي والجانب الفقهي.. فتنحل بشكل جزئي لكنها لا تنحل بشكل مطلق.. إذا رجعنا للإسلام حقيقة بدون تعصب، ودون انحياز، نرى أن المشاكل الموجودة لدينا بين السنة أنفسهم ومع بعضهم، أو بين الشيعة مع بعضهم، وبين السنة والشيعة، نرى أنها يمكن أن تنحل.. وأنا أرى أنه يوجد بين الشيعة أنفسهم من الاختلاف بمقدار ما هو الاختلاف بين الشيعة والسنة، وقد صرح أحد علمائنا في القرن الخامس الهجري، وهو الشيخ الطوسي: الاختلافات الفقهية التي بيننا نحن الشيعة أكثر ما بيننا وبين أبي حنيفة.. وفي الجانب العقدي الكثير، ربما خمسة وتسعون في المائة بين الشيعة يوجد بينها خلاف.. أنا اطمئن الأخ الذي علق على قضية الأذان الموجود لديهم.. حتى إنه الأذان أيضًا مختلف بين الشيعة والسنة، وكذلك الأذان مختلف فيه أيضًا بين الشيعة أنفسهم.. وعدد من المراجع الآن الموجودين لدينا لا يستعملون أن عليًا ولي الله.. ومنهم السيد فضل الله في لبنان، وأحد المراجع في قم.. وهم لا يرون أن هذه جزئية من جزئيات الدين.. وأكثر من ذلك الشيخ الصدوق أحد علماء القرن الرابع الهجري يقول: هذه قد أضيفت على الأذان وضعها الغلاة.. حينئذ علينا إذا رجعنا إلى الإسلام حقيقة نرى الاتفاق بين السنة والشيعة المساحة واسعة أكثر من الاختلاف بينهم، ونحن متفائلون مع الاختلافات وتعدد الآراء، ونحن متفائلون أن نصل إلى مرحلة المقدمة.

الشيخ حسن بن موسى الصفار

جلسة مفيدة والحمد لله.. كان فيها ثراء فكري، ونستفيد - إن شاء الله - مما طرح من آراء.

وددت في الختام الإشارة إلى أنني كنت متفائلًا إلى حد كبير في الحوار الوطني، وباللقاءات التي حصلت هنا وهناك، لكنني في السنة الماضية شعرت بنوع من الإحباط. بعد الأحداث التي حدثت في العراق شعرت مما سمعته وكأننا نكاد نكون رجعنا

إلى المربع الأول.. بدأت أسمع ما عبر عنه الأستاذ جمال بالتحريض المنطلق من خطب جمعة، ومن كتابات في الانترنت، وحتى بعض الصحف فيها تحريض كثير، وممن كنت أعرف من الأخوة الذين كنت أراهن على وعيهم ودورهم الوطني شعرت أن هناك اهتزازاً في الموقف، أو في القناعة بعد أحداث العراق.

الحمد لله تغيرت الحالة في العراق، وتغيرت الحالة في المنطقة كلها، ولكن كل هذا لا يطمئن أن تكون أوضاعنا رهناً بالتغيرات والأحداث السياسية.

أذكر السنة الماضية في مثل هذا الوقت كنا في مجلس في الرياض، وكانت فيه نخبة أيضاً من أبناء الوطن، من ذوي الرأي من مختلف المواقع، وكانت الأسئلة توجه لنا كأننا مسؤولون عراقيون.

لماذا تحرق مساجد السنة في العراق؟

لماذا يقتل أهل السنة في العراق؟

كيف نطمئن الناس أن الشيعة مؤتمنون؟

قلت لهم: أريد أن أتساءل كمواطن من الشيعة: نحن مواطنون أم رهائن في

البلد؟

هل الشيعة في المملكة رهائن بحيث إذا حصل أي اعتداء من شيعي على سني نحن

ندفع الثمن، وندفع الضريبة؟

أقول: هذا يوضح كيف أن الوعي الوطني ما زال في مساحة واسعة يحتاج إلى

تثبيت وترسيخ.

لا نريد أن تكون وحدتنا معلقة بمجريات أخرى، ماذا لو حصل صراع بين أمريكا

وإيران؟ ماذا لو حدثت مشاكل في لبنان؟ وفي العراق؟ لماذا يتأثر وضعنا الداخلي؟

لقد سمعت من بعض الأخوة في جدة خلال اليومين الماضيين بعض الهواجس،

أشار لها بعض الأخوة وصورحت بها.

قالوا: إننا نريد أن نتعاون، لكننا فوجئنا أن هناك مجالس تعقد للشيعية في جدة، وبعضها في مكة، وهذا يخيف المواطنين بأن هناك تبشيرًا شيعيًا، وأن هناك نشاطًا شيعيًا، وسمعت كلاً من هذا الاتجاه من أكثر من واحد، ما هذا؟ مجموعة من المواطنين الشيعة أصلهم من المدينة وجدة، أو من المنطقة الشرقية، لهم مجالسهم في مناسباتهم الدينية، لماذا توضع علامة استفهام على ممارسات يارسها مواطن حسب مذهبه؟

هل يستكثر عليهم وهم في جزء من وطنهم أن يارسوا نشاطهم فيما بينهم؟ هذا ليس صحيحًا، وحتى الكلام عن تبشير، وأن هناك أبناء من السنة تأثروا بالشيعة وأصبحوا شيعة، وأن هناك أبناء من الشيعة تأثروا بالسنة وأصبحوا سنة. ماذا يزعجنا لو أن كثيرًا من السنة أصبحوا شيعة؟ أو كثيرًا من الشيعة أصبحوا سنة؟

ما الضير في ذلك؟

إلا أننا نرفض وندين الاشتغال بالتبشير المذهبي، فالتبشير المذهبي أمر مرفوض، ونعني به أن يكون كعمل نحترف ونهتم به، لكن لو حصلت حالات فردية بسبب قناعات هنا وهناك هذه ليست مشكلة.

حصلت في البلاد العربية والإسلامية أحزاب، هناك الحزب الشيعي في العراق، والحزب الشيعي في لبنان، والحزب الشيعي في مصر، والحزب الشيعي في السعودية، هذا يعني أن القناعات والأفكار لا يستطيع أحد أن يقف أمامها.

النقطة الثانية التي أريد أن أثيرها أمام الأخوة الأعزاء: نحن الآن ولله الحمد نعيش شيئًا من الانفتاح السياسي قياسًا إلى ما سبق، في الماضي كان الحديث عن حقوق الإنسان أمر خطير، ولكن الآن هناك مؤسسات رسمية معترف بها تنشغل أو تتحدث أو تتحرك في مجال حقوق الإنسان، في الماضي لم يكن ممكنًا أن تنتقد الصحافة أي جهاز من أجهزة الدولة، خاصة المواقع ذات الشخصيات الخاصة، اليوم صار هناك نقد لكثير من

أجهزة الدولة، ولكثير من المؤسسات.

أيها الأخوة: إن التمييز الطائفي في البلد مشكله قائمة، وهو يمارس من قبل بعض الموظفين، وبعض الأجهزة والجهات، اليوم كان عندي مجموعه من أهل المدينة المنورة، جاؤوا يتحدثون حول ما يعانونه، عندهم معاناة في دفن موتاهم، لا يستطيعون الدخول بجنائز المتوفى من الشيعة إلى المسجد النبوي الشريف.. وحتى إن عائلة المشاهدة المعروفين، هؤلاء كانوا يدخلون جنازهم، بسبب علاقتهم الخاصة حصلوا على نوع من الاستثناء، ولكن في آخر حادثة قبل أسبوعين منعوهم من ذلك، قالوا لهم: أنتم شيعة ولا يجوز أن تدخل جنازة الشيعي إلى المسجد النبوي الشريف، أما بقية الشيعة النخالة الموجودين في المدينة فهم يعيشون هذه الحالة ولا يستطيعون مطلقاً.

هذه الأشياء تحصل عندنا أيضاً في المنطقة الشرقية، هناك شيعة يقيمون في الدمام، وعدد سكان الدمام عشرون في المائة من الشيعة، إنهم يعانون من مشكلة دفن موتاهم، لا يستطيعون دفنهم في المقبرة العامة في الدمام، حاولوا أن يشتروا أرضاً يصيروها بعد ذلك مقبرة لدفن موتاهم، لكن لم يستطيعوا إلى الآن، ونفس الكلام قيل لهم: أنتم شيعة ادفنوا في منطقتكم.. هنا منطقة سنة، هل بدأنا في منطقة فرز جغرافي بين السنة والشيعة، هذه مشاكل موجودة على مستوى الوظائف، وعلى مستوى المواقع الإدارية، هناك معاناة حقيقية.

القيادة العليا في الدولة تتحدث باتجاه العدل، وحقوق المواطنة، ونحن نعتقد أن القيادة تريد هذا الشيء، ولكن القيادة تحتاج إلى قول من النخبة، ومن المواطنين، حتى يكون هناك وضع حد لهذه الممارسات التي تمارسها بعض الجهات.

نحن نحتاج إلى أن يكون هناك نشاط وحركة، وحديث صريح: لماذا لا نتحدث عن المشكل الطائفي بكل صراحة؟ إنها مشكلة موجودة.

سبق أن تحدثنا عن العنف الأسري، وعن التحرش الجنسي، لقد بدأنا نتحدث،

كان في الماضي عيب، وكنا في الماضي لا نستطيع أن نتحدث عن أشياء كثيرة، لكن اليوم نستطيع التحدث عن كل شيء، أنا أعتقد أن النخبة بإمكانها أن تكسر هذا الحاجز، وأن نتحدث عن هذا الموضوع، وأعتقد أن القيادة السياسية في الوطن هي أيضًا ستكون مرتاحة لهذا التوجه، وهي غير راضية في أعماقها عما يجري، ولكنها في حاجة إلى عون من النخبة والمواطنين للوقوف أمام هذه الممارسات.

ما كنت أحب أن أختتم الجلسة بهذا الحديث الساخن، ولكن أعتقد أن الموجودين هم نخبة من قادة الرأي، وهم نخبة متنورة وواعية، ويتألمون لمثل هذه الأمور، وأنا لا أتحدث بصفتي من طائفة أو مذهب، والله لو كان هذا يحدث لطائفة أخرى لحملنا هذا الهم، وهذا الألم.

لا أريد أن أتحدث بصراحة ووضوح عن سؤال الأخ الكريم، ولكنني تألمت كثيرًا عندما قرأت قبل شهر أن مسيحيين في إحدى القرى في مصر كانوا يستمعون والإمام حرض في خطبة الجمعة ضدهم، إنهم يريدون بناء كنيسة، فهجم عليهم المسلمون وأحرقوا، تألمت كثيرًا، وتحدثت في المسجد عن هذا الموضوع.

إننا لسنا مكتملي الإنسانية إن لم نتألم لإنسان يظلم فيما بيننا، وفي أمتنا، وفي وطننا الإسلامي العربي الكبير، هل لأنه مسيحي نتغاضى عن الظلم الذي يصيبه؟ الإنسان المسلم مسئول أمام الله أن ينصر المظلوم من أي جيل، ومن أي مذهب، وأمام أي اتجاه، وأن يقف أمام الظالم، إن كان أباه أو أخاه أو أسرته، وكلكم تعرفون الحديث الشريف: (انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا...) إذا كان ظالمًا برده عن ظلمه.

الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يتحدث في خطبة له عما حصل في بعض نواحي دولته، يقول: «وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ فَيَنْتَرِعُ حَجْلَهَا وَفُجْبَهَا وَفَلَانِدَهَا وَرُغْمَتَهَا... فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا»، كل أذى يخلق بالمعاهدة والمسلمة سواء.

أكرر شكري لمعالي الشيخ ولكم جميعاً.. وقد غمرتمونا بفضلكم، ودائماً حينما نأتي إلى هذا الجزء الغالي من الوطن، نلتقي بهذا الجيل من الرواد في مجالات عملهم الفكرية والإعلامية والثقافية، وتغمر ونا بفضلكم وإحسانكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كلمة الختام

كلمة الشيخ عبد المقصود محمد سعيد خوجه

شيخنا الجليل الصفار وصحبه الكرام: سعدنا بهذا اللقاء، وسعدنا بهذا الطرح المتبادل وسعدنا بتعليقكم عليه.. ولي كلمة أقول: إن هذه الاجتماعات هي دؤابة اللحمية بين جناحي هذا الوطن.. إن هذه الاجتماعات أن تتبلور كعمل، إذا لم تتبلور الأفكار، وإذا لم تتبلور الأطروحات لتصبح واضحة بين أي طرفين فيهم قدوه لتقرب وجهات النظر، ولردم هذه الفجوة هذه اللقاءات يجب أن يتسع لها صدر الطرفين.. طرح على طرح.. أحب استخدم المثل المكي: كثرة الدق تفك اللحام.. هذه الاجتماعات طرقها في نظري هو بدء ردم الفجوة.. لا يمكن لمجالس كهذه إلا ولها ثمارها الناضجة.. هذه لأول مرة أخالفكم الرأي أن نستمع وأن نتواصل.. ودعوني أقولها صراحة.. سعيت إليكم وهذا من حقكم.. وسعيتم إلينا وهذا من حقنا عليكم.. إذا لم نعرف بعضنا البعض فكيف نتسامح مع بعضنا البعض.. كيف نحس بأذى إذا كان هناك أذى لنزيلة.. لا بد من تواصلنا.. وأعلمكم في هذا الجمع المثقف المستنير من رجال الفكر والأدب والثقافة والفضل.. وقد وجهت لنخبة من الأساتذة والمعنيين لنسعى إليكم، ووضعت التاريخ لبعض شهر من الآن حتى أقرب لثلاث تكون هناك أعدار، وتركت الباب مفتوحاً لأي رأي وأي طرح، وأعلنها واضحة أننا لسنا في موقف مناصرة، ولا موقف مدافعة، ولا موقف محاسبة.. ولكن في موقف المقاربة والمحاضرة لنخدم بعضنا البعض، ولنكون

لبعضنا البعض، فترحل إليكم وترحلون إلينا، لنلقى بعضنا البعض، نلاقح الأفكار والاستماع إلى بعضنا .. هذه الأطروحات لا بد أن تنتج عنها ما يسمى ورقة عمل .. هناك جزء يتحمله أبناء الوطن .. هناك جزء تتحمله القيادة .. وباشرت إليهم القيادة تسعى إلى ردم الفجوة وتعلنها صريحة .. ونتمنى أن يكون هناك دعم من جميع الأطراف .. نسأل الله أن يمدنا بالعون وأن يجري على أيديكم الخير جميعاً .. وأن يجمعنا إلى طريق السداد إلى ما فيه الخير لهذا الوطن .. وشكراً لجمعكم الكريم لاستجابتكم لهذه الدعوة .. والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة سماحة الشيخ حسن موسى الصفار في تكريم الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة في الاثينية^(١)

أيها السيدات والسادة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه
الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.
في هذا الحفل البهيج الذي يضم نخبة من رجالات المجتمع، وذوي الرأي والعلم
والفضل، الذي ينعقد لتكريم عالم من علماء الأمة الذين أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن
قيم الإسلام، وتبيين معالمه وأحكامه، ورعاية مصالح الأمة.
بداية لا يسعني إلا التقدم بوافر الشكر والامتنان، لمؤسس هذه الاثينية، معالي
الشيخ عبد المقصود خوجه، هذا الرجل الذي طوق الأعناق بفضلته وكرمه، واهتمامه
بتكريم العلماء والفضلاء وأصحاب الرأي، والمؤثرين في ساحة الأمة، فجزاه الله خير

(١) ألقى الكلمة في اثينية عبدالمقصود خوجة بجدة بتاريخ ١٩ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٢٨ يناير
٢٠٠٨م.

الجزء، وأمد في عمره ومتعته بالصحة والعافية.

في الحديث عن فارس هذه الاثنية، معالي الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجه «حفظه الله» أود التركيز على نقطتين:

الأولى: ترتبط بتكوين فكر ونهج هذا الشيخ الجليل.

الثانية: تتعلق بمجمع الفقه الإسلامي، هذا الصرح الشامخ الذي كان للشيخ دور أساس في إشادته وإقامته، من خلال مثابرته، وعمله الدؤوب.

النقطة الأولى: المدرسة المقاصدية

من أجل أن نتعرف أكثر إلى شخصية شيخنا الجليل الذي نجتمع هذه الليلة في رحاب تكريمه، والإشادة بجهاده ودوره، ينبغي أن نعود إلى المدرسة التي نشأ في أحضانها ونهل منها، إنها المدرسة المقاصدية.

تتلمذ شيخنا على رجل من أبرز رجالات هذه المدرسة وروادها في هذا العصر، وهو الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور «رحمه الله»، هذا الفقيه الأصولي المفسر، الذي اهتم أياً اهتمام بهذا الموضوع الكبير الخطير (مقاصد الشريعة) الذي يعني: أن ننظر إلى أحكام الدين، ومسائل الشرع الشريف، من خلال إدراك الأهداف العظيمة والكبيرة التي أراد الدين تحقيقها في المجتمع الإسلامي والإنساني، في مقابل مدرسة أخرى، دأبت على الاهتمام بفروع المسائل الفقهية، وتناولها في بعض الأحيان، وكأنها مقطوعة عن استهدافاتها الإسلامية الكبرى.

المدرسة المقاصدية تذكر الأمة، وتذكر الفقهاء وطلاب العلوم الدينية بأن للإسلام أهدافاً، وأن له رسالة، وأن أحكامه وتشريعاته تخدم تلك الرسالة والأهداف، وكما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «إِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ»^(١)،

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٧٦، وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة.

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن كثير من الأحكام، فإنه يردف ذكرها بذكر أهدافها وغاياتها، وهكذا ما ورد في النصوص الدينية الأخرى، لكن النظرة التجزيئية السطحية التي ابتعدت عن دراسة مقاصد الشريعة، غفلت عن هذا الموضوع، ومن المثير للتأمل أن المدرسة المقاصدية انبثقت وتبلورت في المغرب، فكانت هذه الإرث المهم الذي أودعته وأبقتة لنا الأندلس الضائعة، وكأنها - كما قال أحد الباحثين - مصداقاً للحديث الشريف الوارد عن رسول الله ﷺ حيث قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به»^(١)، وقد تركت الأندلس لنا هذه الأشياء الثلاثة، ومن أبرز ما تركته لنا (علم المقاصد)، الذي كان من أبرز رواده الإمام الشاطبي رحمة الله عليه (توفي ٧٩٠ هـ)، وكتابه الموافقات، هذا الكتاب الذي كان الكتاب التأسيسي لعلم المقاصد، وجاء بعده الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة، وفي نفس الوقت علال الفاسي «رحمه الله» لكي يجددا طرح هذا العلم، ويعمقانه في الأمة.

هذه المدرسة لم تأخذ مداها بالمستوى المطلوب في المشرق العربي الإسلامي، ونحن نشعر الآن بالحاجة إلى التأكيد على أهمية هذه المدرسة، نحن بحاجة إلى تطوير علم مقاصد الشريعة، المقاصد الخمسة، أو الضرورات الخمس تحتاج إلى تفريع وتفصيل وتطوير، وربما إضافة مقاصد أخرى من وحي الحاجات، التحديات القائمة التي تعيشها الأمة والإنسانية، نحن بحاجة إلى تطوير علم مقاصد الشريعة، وبحاجة إلى تدريسه لأبنائنا، بدل أن يستغرق أبنائنا في مناهج تدريس الدين في دراسة تفاصيل الأحكام الفقهية، نحن بحاجة إلى تذكير أبنائنا بمقاصد الشريعة الكبرى، ولعل ذلك يكون خير صيانة وحماية لهم من أن يخدعوا، أو يضلوا بالانجراف والانزلاق في المهاموي التي وقع فيها بعض أبنائنا، تحت عنوان الاستجابة لهذا النص، أو لهذا الحكم أو ذلك، ونحن بحاجة إلى دراسة فكر علماء هذا العلم، أعني (مقاصد الشريعة).

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٤، ص ٢٨، حديث ١٩٣٢.

النقطة الثانية : مجمع الفقه الإسلامي

مجمع الفقه الإسلامي هذا الصرح الشامخ الذي يمثل آلية عملية للوحدة التي تنشدها الأمة، كل المسلمين والحمد لله يتطلعون إلى وحدة هذه الأمة، ويتحدثون عن ضرورتها، لكن طرح شعار الوحدة، والتطلع إلى الوحدة، لا يحققها ما لم تكن هناك آليات تساعد على تحقيقها عملياً في حياة الأمة.

مجمع الفقه الإسلامي وأمثاله هي الآليات العملية التي بإمكانها أن تساعد الأمة على تحقيق هذا التطلع العظيم، من ناحية أخرى فإن مجمع الفقه الإسلامي حيث يجمع علماء، وفقهاء من مختلف المذاهب والاتجاهات والبلدان ليتيح أمامهم الفرصة ليتعرفوا إلى بعضهم بعضاً، وكما قال أحد العلماء: المسلمون إذا تعارفوا تألفوا، التباعد بينهم هو الذي يعطي الفرصة للتشويه، ولسوء الظن، وللإعلام المغرض فيما بينهم، لكنهم إذا ما التقوا وتعرفوا إلى بعضهم بعضاً عن قرب وتداولوا الرأي، فإن ذلك يساعدهم كثيراً على التقارب، وعلى إنجاز الوحدة بينهم، وإذا اتحد العلماء وتعارفوا فهي الخطوة الأساس في وحدة الأمة وتقاربها.

وشيء أخير أحب أن أشير إليه؛ وهو أن مجمع الفقه الإسلامي يهتم بدراسة النوازل، والتحديات الجديدة، والمسائل التي تحيط بالأمة في هذا العصر، وبالتالي تشغل الأمة، وينشغل علماءها بقضايا عصرهم، وبلاء الأمة في التفرق والاختلاف إنما جاء من الانشغال بالماضين، وانشغالهم بأحداث التاريخ الماضي ولجأته، هذا الانشغال هو الذي سبب الكثير من النزاعات والخلافات.

حينما ينشغل العلماء بعصرهم وبمهمومهم الحاضرة يكونون قد ساهموا في الاتجاه الصحيح، وتجاوزوا أسباب الفرقة والاختلاف، لا مشكلة أن تتنوع وتتعدد الآراء، أو أن تختلف في تقويم أحداث تاريخية سابقة، أو رجالات من رجالات الأمة السابقين من سلفها، مع حفظ الاحترام، وعدم الإساءة فيما بينهم، فهذا أمر لا إشكال فيه، لكن لا

ينبغي لنا أن ننشغل بذلك عن واقعنا المعاصر، وأن نترك التحديات والمشاكل، والهموم في ساحتنا، ونهرب عنها إلى الماضي، مجمع الفقه الإسلامي يعالج هذه المشكلة العلاج الصحيح، لأنه في الأساس متجه لمعالجة المشكلات الحاضرة.

في الختام، لقد قرأت عددًا من أبحاث شيخنا الجليل الذي نحتفي هذه الليلة بتكريمه، ورأيت أثر مدرسته المقاصدية على بحوثه، وعلى تناوله للموضوعات، كما تابعت سيرته، وعلاقته بعلماء المسلمين من مختلف المذاهب، وتشرفت بحضور بعض مؤتمرات التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران تحت رئاسته، وكذلك جلسات الجمعية العمومية تحت رئاسة فضيلته، ورأيت في سعة صدره وأخلاقه وفضله ما يجسد مقصدًا من مقاصد الشريعة، وهو الحفاظ على وحدة الأمة، لا شك أنه مقصد من أهم المقاصد، يتميز شيخنا الجليل في علاقاته، وفي ترفعه عن الانشغال بالخلافات الجانبية، ودعوته لمن حوله من العلماء، ولجماهير الأمة أن يترفعا عنها، وأن يعالجوها بروح علمية موضوعية دون استغراق، ودون إساءة، ودون أن ينشغلوا بها عن واقع عصرهم.

إنه نموذج لعالم الدين الواعي لمقاصد دينه، والواعي للتحديات التي تحيط بأمته، والجاد المثابر في حمل هذه المسؤولية والأمانة، جزاه الله خير الجزاء ونفعنا بعلمه وجعله ذخراً لهذه الأمة، ولهذا الدين فيما يعتزم القيام به من مشاريع علمية واسعة.

أشكر لمعالى الشيخ عبدالمقصود خوجة تشريفي بهذه المشاركة، وأشكر لكم إصغاءكم، والحمد لله رب العالمين وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المرأة وتحديات الواقع الاجتماعي^(١)

أكد سماحة الشيخ حسن الصفار أن المرأة باستطاعتها أن تعمل الكثير في مجال التغيير على مستوى المجتمع، بما لها من دور فعال على مستوى الأسرة، ولما تمتلكه من إمكانيات عالية على مستوى الأمومة أو الشراكة الزوجية، وقال: إننا على موعد مع عطاء المرأة، التي عليها أن توفق بين أن تقوم بدورها العائلي ودورها الاجتماعي. جاء ذلك ضمن محاضرة بعنوان (المرأة وتحديات الواقع الاجتماعي) ألقاها على الأخوات في حسينية الحجة بالقطيف يوم الجمعة ٧/٢/١٤٢٩هـ.

هذا وقد بدأ سماحة الشيخ حديثه حول التغيير مستنيراً بنور الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٠]. يتصور كثير من الناس أن الواقع الذي يعيشونه مفروض عليهم وأنه لا مناص لهم منه، بينما تؤكد ثقافة القرآن على أن الواقع الذي يعيشه الإنسان إنما هو من صنعه، وهو الذي يتحمل مسؤوليته، سواءً كان هذا الواقع سليماً صحيحاً، أو مؤلماً سيئاً، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان في هذه الحياة الإرادة والعقل، فهو يفكر ويختار،

(١) أُلقيت المحاضرة في حسينية الحجة بالقطيف بتاريخ ٧ صفر ١٤٢٩هـ.

والواقع الاجتماعي الذي يعيشه إنما هو من صنعه ومن كسبه، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، أي شيء يتألم منه الإنسان في واقعه الاجتماعي العام فإنها هو ناتج عن اختيار هذا المجتمع وعن سيرته، ويمكن لأي واقِع اجتماعي أن يتغير أو يتبدل إذا أراد الإنسان ذلك وسعى من أجله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الرعد، الآية: ١١]، فإذا غيروا ما بأنفسهم وأصبحت لديهم إرادة التغيير وامتلكوا مقوماته، فإن الله يغير الواقع الذي يعيشونه، ونحن الآن نعيش واقعا اجتماعيا فيه الكثير من نقاط الضعف، والثغرات، وفيه الكثير مما نتألم منه ولا نرتضيه، فإذا قلنا بأنه واقع مفروض علينا، فإننا نفينا المسؤولية عن أنفسنا، وتهربنا من تحمل مسؤولية تغيير هذا الواقع، أما إذا اعتقدنا - كما يقرر القرآن الكريم - بأن هذا الواقع ناتج عن عملنا وتوجهنا وكسبنا فإن ذلك يعني أننا نتحمل مسؤولية هذا الواقع، وأنه يمكننا التفكير في تغييره إلى الأحسن، وذلك لأن الواقع الاجتماعي يصنعه كل أبناء المجتمع وشرائحه، والمرأة هي نصف المجتمع، بل هي النصف المؤثر فيه، فكل أفراد المجتمع يتخرجون من أحضانها، فهي إذا صاحبة التأثير الكبير عليهم، وبالتالي فإنها شريكة في صنع هذا الواقع المعيش، وبإمكانها أن تؤثر في تغييره.

المجتمع والتحديات المعاصرة

ثم تطرق سماحة الشيخ إلى التحديات التي تواجه المجتمع، وأشار إلى ثلاثٍ منها:

التحدي الأول: التحدي القيمي والسلوكي

فسلوك الناس ومدى التزامهم بالقيم أصبح يشكل تحدياً كبيراً أمام المجتمع، كان مجتمعنا إلى وقت قريب يوصف بأنه مجتمع محافظ، ومستقر، وفيه مراعاة للأخلاق والقيم، لكننا اليوم صرنا نعيش وضعاً يثير الكثير من القلق، فالقيم الأخلاقية أصبح تأثيرها محدوداً، لقد بدأت تتكون من أبنائنا وناشئتنا مجاميع متمردة على القيم والأخلاق

مما هدد أمن المجتمع، وبدد استقراره، لا نريد أن نشاءم كثيرًا، لكننا أيضًا لا يصح أن نصبح كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال، وأن نستهيئ بالواقع الذي نعيشه، هناك أمور لو تأملناها، أو جمعنا أشتات المعلومات عنها لاتضح لنا مدى القلق الذي يجب أن نعيشه من واقعنا الاجتماعي، بدأت حالات العنف وممارسته تتسلل لمجتمعنا، كانت في الماضي تمر فترة قد تصل إلى سنة ولا تمر بالقطيع حالة قتل واحدة، أما اليوم ففي السجن ثلاثون شخصًا متهمون بحالة قتل عمد يستحقون القصاص، كل ذلك بسبب ممارسة العنف إلى حد إزهاق النفس المحترمة، أما العنف الذي يؤدي إلى الجراحات فهو أكثر من ذلك بكثير، لقد أصبح شائعًا بين الناس استعمال العنف والسلاح، واستعمال الآلات الحادة، بالأخص بين الشباب، بل إننا اليوم نواجه عنفًا بشعًا هو العنف الأسري، والصحف ووسائل الإعلام تنشر عن بعض حوادثه، كالحادثة التي تتحدث عنها اليوم ووسائل الإعلام، عن رجل في منطقة مكة، قام بتقييد ابنته ذات الثمان سنوات بسلاسل الحديد لشهور عدة، حتى تأثرت قدمها ويدها من ذلك، وتم إنقاذها بعد إن وصل الخبر إلى مسامع الدولة، ولعلكم قرأتم أيضًا عن ذلك الأب الذي حلق شعر ابنته وحاجبيها، لأن نتائجها في الامتحانات لم تعجبه!!، وهي في الثامنة عشرة من عمرها.

أيضًا انتشار حالات السرقة، سواء سرقة البيوت أو المحلات، أو حتى حقائب النساء وجوالتهن وهن يسرن في الشارع، أو في الأسواق، والأخطر من ذلك انتشار المخدرات، وسرياتها في شرائح من شباب مجتمعنا ذكورًا وإناثًا، وتعلمون أن إدمان المخدرات هو بوابة لمختلف الجرائم وأفظعها، فإن من يدمن على المخدرات مستعد لبيع شرفه وعرضه فضلًا عن دينه، لا يردعه عن ذلك رادع.

هذه بعض مظاهر الانحلال السلوكي والقيمي في المجتمع، ويوجد غيرها الكثير، كعقوق الوالدين الذي بدأنا نسمع عنه حوادث تؤلم الإنسان، بل تقطع القلب. صحيح أن لدينا مشاهد للتدين كما يحدث في عاشوراء والمناسبات الدينية الأخرى،

فالمظاهر الدينية كثيرة كالمآتم والمواكب، ومجالس ذكر أهل البيت ﷺ، لكن يجب ألا تخفي هذه المظاهر ما يدور في واقع المجتمع، فهناك أشياء أخرى كالانحلال والانحراف يجب أن نتوجه له ونحاول إصلاحه، كنا في الماضي نسمع عن بعض الحوادث، وبعض الخروقات على فترات زمنية متباعدة، واليوم أصبحنا نواجه قضايا كثيرة على صعيد الخيانة الزوجية من كلا الطرفين، بحيث ما عاد الإنسان يستنكر حصولها، لقد أصبحت وكأنها من القضايا المألوفة التي قد تحدث في المجتمع، أما العلاقات غير المشروعة بين الشباب والفتيات فحدث عنها ولا حرج، فالمشاكل والحوادث الكثيرة التي نسمعها تؤلم القلب، ويبين أن هذا التحدي - التحدي القيمي والسلوكي - من التحديات الكبيرة التي يواجهها مجتمعنا.

التحدي الثاني: ضغوط المعيشة

كان الإنسان في الماضي يعيش حياة البساطة، كما أن متطلبات الحياة سهلة أيضاً، والقناعة بما يتوفر كانت تعمر نفوس الناس، ولقد سمعت الكثير من القصص من معاصرين عاشوا تلك الأيام، نقلوا أنهم كانوا وآباؤهم يعيشون الحاجة والفقر والمجاعة في كثير من الأحيان، ولكن نفوسهم كانت عفيفة، أما الآن فضغوط المعيشة تواكبت مع تطلعات كبيرة عند الإنسان، فهو يريد أن يعيش حياة الرفاهية، وأن تتوفر له كل مستلزمات الراحة، وفي الوقت نفسه هناك تضخم اقتصادي ومشكلات اقتصادية، فأصبحت متطلبات المعيشة تشكل ضغطاً على الإنسان فتؤثر في نفسه ومشاعره وسلوكه، كما تؤثر في علاقاته، وقد تحدث المختصون عن انتشار أمراض الإضطراب النفسي وزيادتها، كحالات الاكتئاب والانتواء، وكحالات ردود الفعل والقهر النفسي، كل هذا بسبب ضغوط المعيشة على الناس، فالدراسة أصبحت عاملاً من عوامل الضغط على الإنسان، فإما أن يحصل الطالب على كرسي في الجامعة أو لا، وإذا حصل ونجح وتخرج، هل يوفق إلى وظيفة أو لا، وإذا حصل على وظيفة فهل ستكون مناسبة لتكوين

حياته المستقبلية أم لا؟.

أصبح السكن اليوم أزمة، وكذلك الزواج، بل كل شيء أصبح يشكل أزمة عند مساحة كبيرة من أبناء المجتمع، وهذا من التحديات الخطيرة التي تواجه مجتمعنا اليوم.

التحدي الثالث: تفاوت المستوى مع الشركاء في المحيط الوطني

فنحن نعيش في بلد يعيش إلى جانبنا آخرون، فما هو مستوى وضعنا قياساً بالآخرين؟ هل نعيش معهم في المستوى نفسه؟ هل هناك تكافؤ في الفرص؟ هل هناك تقارب في مستوى الحياة المعيشية؟ أم أن هناك فواصل وتمايز بين المستويين؟

نحن نلاحظ أننا - بكل وضوح - لا نعيش في المستوى نفسه الذي تعيشه الجماعات والمجتمعات الأخرى في بلادنا، فلا تزال هناك فواصل وحواجز، وهناك تفاوت في المستوى، وهذا التمايز مجالاته متعددة، يتضح في مدى الحراك الاقتصادي في المجتمع، ومدى تكون الثروات فيه، وكذلك في المجال العلمي والمعرفي، وفي المواقع التي يتبوها أبناء المجتمع.

هذه ثلاثة من أهم التحديات التي تواجه مجتمعنا.

المرأة وعوائق التغيير

ثم انتقل ساحة الشيخ الصفار للمحور الثاني متسائلاً: هل للمرأة دور في تغيير هذا الواقع أم لا؟

ربما تتصور كثير من الأخوات أنها لا تستطيع أن تمارس دوراً أو أن تنتج فاعلية في مجتمعها، وتعتقد أنها العنصر الضعيف، وأن الهيمنة في الواقع للذكور، وأنهن يعشن حالة من التهميش وإلغاء الدور.

هذا صحيح، وهناك مصداقية لهذا التصور، فمجتمعنا كأغلب المجتمعات العربية والإسلامية من المجتمعات الذكورية، التي يهيمن فيها الرجل على كل شيء، ويهمش أو

يصادر دور المرأة، هذا واقع لا يمكن إنكاره، والعوائق التي تقف في وجه المرأة كثيرة لكننا نذكر أهمها:

■ العائق الأول الذي تواجهه المرأة هو العائق القانوني، فالمرأة في مجتمعاتنا تواجه عوائق تمنعها أن تمارس دورها الطبيعي بحجمها في المجتمع، هذه العوائق تختلف، فبعضها قانوني، وبعضها سياسي أو اقتصادي، فالرجل يستطيع أن يتحرك بحرية أكبر وفي مساحة أوسع، إذ يجد الرجل أن القانون إلى جانبه، أما المرأة فإن الكثير من القوانين والتشريعات فيها الكثير من الحيف على حقوق المرأة وحريتها، وعلى دورها في المجتمع.

■ العائق الثاني هو العائق الثقافي، لأن الثقافة السائدة في المجتمع لا تعترف للمرأة بكمال إنسانيتها، فبعض المواقع تسود فيها فكرة أن المرأة إنسان من الدرجة الثانية، في مقابل الرجل الذي يأتي في الدرجة الأولى، فهو بالتالي أفضل منها، وهي ثقافة خاطئة بلا شك، والقرآن الكريم لا يقر هذا التمييز، ولا هذا التفضيل، وإنما يجعل النساء والرجال جنباً إلى جنب وعلى مستوى واحد من الفضل، كما هم على مستوى واحد من المسؤولية، أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٣٤]، فهذا استدلال خاطئ، لأن القوامه إنما تكون في الحياة الزوجية وضمن الضوابط الشرعية فقط، وليست قوامه شاملة، فالقرآن لم يقل إن الرجل له قوامه على المرأة كونه رجلاً وهي امرأة، القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٥]، إنه يضع الرجال إلى جوار النساء دون فرق، ويقول سبحانه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾

[سورة النساء، الآية: ١]، ثقافة الإسلام الحقيقية لا تقبل هذا التمييز، ولا هذا التفضيل، ولكنه انحراف ثقافي نسب إلى الإسلام في عصور التخلف فأصبح يشكل عائقاً أمام حركة المرأة ودورها.

■ العائق الثالث هو العائق الاجتماعي: لأن المجتمع وبسبب القوانين، والثقافة السائدة لا يفسح للمرأة المجال حتى تأخذ دورها الطبيعي في واقع الحياة الاجتماعية.

هذه العوائق التي ذكرناها هي عوائق خارجية تؤثر على حركة المرأة وتعيق تقدمها، وهناك عائق آخر هو العائق الذاتي، وهو يتمثل في أن المرأة بسبب هذا الجو والبيئة التي تعيشها، اقتنعت من داخلها بأنها ناقصة، وآمنت بضعفها، فحجّمت طموحاتها وتطلعاتها، وصدقت أنها أقل من الرجل، وأنها لا تستطيع أن تنجز ما ينجزه أو تقوم بما يقوم به الرجل، ولذلك فإنها بسبب هذه الذهنية وهذه النفسية التي تعيشها، حكمت على نفسها أن تعيش هذا الواقع المتخلف، وأن تكون أقل فاعلية وإنجازاً وتأثيراً.

المرأة ومستقبل التغيير

ثم تساءل سباحته: ماذا عن المستقبل؟ موضحاً أنه يقرأ آفاق مستقبل واعد ومفتوح أمام المرأة، وأرجع ذلك لأسباب:

أولاً: هناك وضع عالمي يعطي للمرأة حقها، ودورها، فنحن نعيش في عصر أصبحت فيه المرأة تتبوأ مواقع متقدمة في مجتمعات كثيرة من العالم، أكثر من دولة من الدول المتقدمة احتلت المرأة فيها موقعاً ريادياً، ونحن نشاهد اليوم هذه الانتخابات التي يجري الإعداد لها في أمريكا أحد أبرز المرشحين لها امرأة، وهي هيلاري كلينتون، التي تطمح أن تقود أكبر وأقوى دولة على وجه الأرض، ودولة أخرى هي ألمانيا المستشارة فيها امرأة، وكذلك هناك وزيرة الخارجية الأمريكية التي تنظم علاقة الدولة العظمى مع

كل العالم اليوم، وأخرى وزيرة الخارجية الإسرائيلية، وهذه نماذج تبين أن المرأة اليوم أصبحت تتبوأ موقعا متقدما على المستوى العالمي، وفي مجال العلم والمعرفة والمجال الاقتصادي أيضا أصبح لها دور، الآن من أبرز المهندسين في العالم المهندسة العراقية زهاء حديد التي تقيم في أمريكا بعد بريطانيا، وكذلك على المستوى الفكري والأدبي، هناك أقلام وأصوات نسائية فرضت نفسها على مستوى العالم، وأصبحت هناك مؤسسات تهتم بوضع المرأة، وتتنصر لحقوقها وتطالب بإنصافها، وبمكافحة التمييز ضدها، وقد زارت المملكة في الأيام القليلة الماضية مسؤولة من الأمم المتحدة لمناقشة موضوع التمييز ضد المرأة، ولمعالجة المشكلات التي تعانيها في المملكة العربية السعودية، وبما أن بلادنا جزء من هذا العالم، وبما أن الحراك في كل العالم مع المرأة ومناصرتها وتقدمها لأخذ حقوقها، فلا بد أن تنعكس هذه الأمور على مستوى المرأة في مجتمعنا عاجلا أو آجلا، وهذا يجب أن بمنح المرأة الكثير من الأمل، لأن دورها وموقعها أصبح رياديا على مستوى العالم، وأصبح هناك من يدافع عنها، وأصبحت هي قادرة على أن تثبت مكانتها وجدارتها.

ثانياً: على المستوى الداخلي، ففي بلادنا وفي كثير من بلاد العالم العربي أصبحت هناك ضغوط شديدة من أجل تغيير واقع المرأة، وهنا في المملكة نحن اليوم نعيش مرحلة صراع إرادات بين من يريد للمرأة أن تأخذ دورها وحقوقها، وبين من يمانع ذلك ويريد الحفاظ على الواقع المتخلف، بتبريرات يسوقها من باب فهمه للدين، فيصور أن الدين هو الذي يريد أن تعيش المرأة هذا الواقع المتخلف، لكن هذا الفهم الخاطئ للدين لا يقف اليوم أمام الطرح الجديد الذي يتبناه تيار واسع من المتدينين من أبناء الأمة، وهذا من مؤشرات التطلع والأمل عند المرأة.

ثالثاً: الثقافة الجريئة، لقد أصبح لدينا علماء دين يتحدثون بجرأة عن حقوق المرأة وعن دورها وينتصفون لها.

وتحدث سماحة الشيخ عن العلماء الذين وقفوا مع المرأة وناصروها، مبتدئاً عرضه

بسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله الذي ألف كتاباً في أربعة أجزاء اسمه (مسائل حرجة في فقه المرأة)، موجهاً سماحته الأخوات إلى أنه «حري بكل امرأة أن تقرأ هذا الكتاب» ثم انتقل سماحته بالحديث عن سماحة السيد محمد حسين فضل الله الذي كتب أفكاراً رائدة وجريئة على هذا الصعيد، وكذلك المرجع المعروف الشيخ يوسف الصانعي الذي يعرف في إيران بأنه نصير المرأة، حيث إنه يتبنى الكثير من الآراء الفقهية الجريئة في شأن المرأة، وكذلك الشيخ محمد الغزالي والشيخ المطهري والدكتور عبدالحليم أبو شقة وآخرون من العلماء والمثقفين، لقد أصبحت عندنا ثقافة إسلامية جديدة تتحدث عن مكانة المرأة ودورها وحقوقها، هذه الأمور الثلاثة تفتح أمام المرأة آفاق المستقبل.

مؤهلات الدور الجديد

وأبدى سماحة الشيخ تفاؤله لوضع المرأة ودورها وبالخصوص في مجتمعنا، لكن عليها هي أن تستعد لتبوء مكانتها والقيام بدورها، وهذا لا يتحقق إلا بأمور ثلاثة:

الأول: رفع مستوى الوعي والثقافة، فإن المرأة كلما امتلكت وعياً أكبر، وثقافة أفضل، ومعرفة أكمل، استطاعت أن تأخذ مكانتها ودورها، المعرفة تشق الطريق أمام المرأة، فتكون كاتبة أو خطيبة أو عالمة مؤثرة، وهذا لا يتنافى مع الواقع الذي تعيشه، حيث إن بعض المجالات الأخرى تحتاج إلى ظروف أفضل، لكن العمل المعرفي والثقافي تستطيع المرأة أن تنجزه وتتقدم فيه، فثبتت بذلك جدارتها وموقعيتها، وتمارس تأثيرها ونفوذها في المجتمع عن طريق أفكارها وآرائها، لا بد أنكن سمعتن عن فتاة في الرياض كتبت رواية بعنوان (بنات الرياض) بغض النظر عن الاختلاف في تقويم مستوى ومضمون الرواية، إلا أنها أصبحت حدثاً معرفياً وثقافياً، بإمكان المرأة أن تلج من هذا المدخل وبالتالي تمارس دورها المؤثر في المجتمع، وأنا هنا لا أقول أنها تقتصر على هذا الدور لكن هذا بوابة لإثبات جدارتها وكفاءتها، في مجتمع ذكوري لا يريد أن يعترف لها بالكفاءة

والجدارة، فالثقافة أمر مهم وميسور، والحصول على المعرفة أصبح سهلاً.

الثاني: العمل المؤسسي، بمعنى أن تكون هناك مؤسسات، ولجان، وجمعيات، ومراكز، ويجب على المرأة أن توفر في نفسها القدرة على العمل الجماعي الذي لا يعتبر سهلاً أبداً، فكثير من الناس يستطيع أن يعمل وحده، لكنه لا يستطيع أن يعمل مع آخرين، فهذا يحتاج إلى ضوابط وتنازلات، وهذه قدرة لتوفرها يحتاج الإنسان إلى ممارسة، نحن في مجتمع الرجال نعاني من هذه المشكلة، ولعلها في الوسط النسائي أعقد، فإن تجمع عشر نساء أو أكثر ويتعاون في عمل جمعي موحد فيه صعوبات كثيرة، لأن حالة التنافس السلبية وعدم الانسجام يفشل العمل الجماعي في المجتمعات النسائية، أنا لا قول ذلك بشكل عام ولكنها حالة منتشرة، تحتاج النساء أن يثبتن أنهن باستطاعتهم أن يعملن مع بعضهن البعض، وأن ما يشاع من أن المرأة أفسى على المرأة من الرجل، حيث تشكي النساء من تسلط المرأة هذا كلام غير صحيح، على المرأة أن تعلن التحدي لهذه المشكلة وتبدي القدرة على التعاون.

الثالث: التوفيق بين المهام المختلفة التي تتحملها المرأة، نحن نعلم أن المرأة تحمل أكثر من مهمة، فهي ربة بيت، ومربية أطفال، وزوجة، وهذا يعني أن لها أدواراً أخرى يجب أن تقوم بها، فكيف تستطيع التوفيق بين دورها العائلي ودورها الاجتماعي؟ إن هذا الأمر يحتاج إلى الكثير من التطوير في واقع المجتمع، والكثير من بذل الجهد من المرأة نفسها، ونحن مع دور المرأة الاجتماعي، فإننا حريصون على دورها العائلي والأسري، فإذا انخفض أدائها العائلي أثر ذلك على صنع الجيل القادم، وهذا ما تعانيه الآن أكثر المجتمعات الغربية، فالمرأة عندما انشغلت عن بيتها وأبنائها وقل عطاؤها في المجال العاطفي والتربوي، أصبح الجيل يعيش جفافاً عاطفياً وسوءاً تربوياً، ونحن هنا لا نريد للمرأة أن تتخلى عن دورها الأساس التي هي أقدر عليه من الرجل، هذا الدور الذي يمثل دور التربية والرعاية، لكننا أيضاً لا نريد أن تتلخص في هذا الدور فلا يكون

لها عطاء اجتماعي، ما يوجب على المرأة أن توفق بين الأمرين، أن تقوم بدورها العائلي التربوي، وفي الوقت نفسه يكون لها دورها الاجتماعي، وهذا تحدُّ كبير تواجهه المرأة في مجتمعا اليوم.

ثم توجه سماحة الشيخ بالطلب من الرجل والمرأة أن يكون كل منهما سندًا وعاونًا للآخر.

فمن ناحية المرأة عليها تفهم وضع الرجل الذي يشارك في العمل الاجتماعي، وأن تساعد على تحمل هذه المسؤولية، وكذلك الرجل الذي يرى في زوجته توجهًا للعمل في خدمة المجتمع عليه أن يساندها ويعينها.

وختم سماحة الشيخ حديثه بتأكيد ما سبق ذكره: إذا استطاعت المرأة أن توفر هذه الشروط الثلاثة فإننا متفاؤلون بأن دورها المستقبلي سيكون كبيرًا ومشرقًا في المجتمع، إن شاء الله، إننا على موعد مع عطاء المرأة، مع دور أكبر لها، وتأثير أوسع، ونرجو أن تتحول هذه الاجتماعات في مناسبات أهل البيت عليهم السلام من مجالس للبكاء والعبارة إلى مجالس للتأسي بهم عليهم السلام، فحياة السيدة الزهراء عليها السلام وكذلك السيد زينب عليها السلام مليئة بالمواقف البطولية والعبير التي تصنع المرأة، وتؤسس لأن تقوم المرأة بدور أكبر في مجتمعا.

كلمة الشيخ في مهرجان ترانيم السنوي^(١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين.

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥].

أبارك لكم جميعاً حلول هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، وأسأل الله سبحانه
وتعالى أن يجعله علينا وعليكم وعلى جميع المؤمنين والمسلمين وأبناء البشرية جمعاء شهر
خير وبركة وتقدم، وأن يوفقنا الله وإياكم فيه إلى الصيام والقيام، وإلى صالح الأعمال،
ومقبول الطاعات، كما أبارك للإخوة الأعضاء في ترانيم انعقاد مهرجانهم السنوي، الذي
أصبح معلماً تفتخر به المنطقة، ويفتخر به المجتمع، لما يبرز من كفاءات وقدرات، ولما
يجلي من صورة فنية رائعة تتحدث عما يكنه هذا المجتمع من توجهات خيرة، وإبداعات
عظيمة، أسأل الله تعالى لهم دوام التوفيق والتقدم، وأن تكون كل سنة ماثار تطور وتقدم

(١) ألقيت الكلمة بتاريخ ٤ رمضان ١٤٢٩ هـ.

عن السنوات السابقة إن شاء الله.

الآية الكريمة تقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾، يتمنى الانسان المؤمن أن تنتشر حالة الإيمان، وأن تكون هي السائدة في المجتمع، ويعتقد المؤمنون بأن توجههم الإيماني هو الأنفع للناس، وهو الأصلح لأبناء المجتمع، كما يعتقدون عن تأمل وتعقل بأن التوجهات الأخرى تضر بأبناء المجتمع، وتبعده عن مصالحه الدنيوية والآخروية، ولكن الواقع لا تصنعه التمنيات، الواقع لا تحكمه العقائد والافكار، وإنما معادلة الواقع الخارجي قائمة على أساس العمل، والفاعلية والجد والاجتهاد، من كان أكثر فاعلية في الحياة فإن اتجاهه يكون هو الأقوى فيها، ومن كان أكثر اجتهادًا وعملاً فإنه يكسب الجولة في صراع التوجهات، وفي صراع الأفكار والمعتقدات، لذا ينبغي للمؤمنين ألا يقل مستوى عملهم عن مستوى إيمانهم ومعتقداتهم، وإذا حصل تفاوت بين مستوى الإيمان وواقع العمل، فإن ذلك يحكي عن ازدواجية يرفضها القرآن الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، المؤمن مطلوب منه أن يترجم إيمانه ومعتقداته إلى برامج عملية تتحرك على الأرض، وتكون هي الدعوة إلى ما يؤمن به، العمل هو الذي يستقطب الناس، وهو الذي يبرز مصداقية الفكرة، ويجعلها حية مجسدة أمام الناس.

ومشكلتنا خاصة في هذا العصر، أن مستوى أدائنا العملي كمؤمنين يقل عن مستوى أداء التوجهات الأخرى، نرى التوجهات الأخرى التي تختلف معنا في المنهج أو تختلف معنا في المعتقد، أو تختلف معنا في التوجه، نراه أكثر فاعلية، وأكثر نشاطاً، لذا فمن الطبيعي أن تكون أكثر استقطاباً وتأثيراً، فعلى المستوى الاخلاقي نشكو بأن الجيل الناشيء أصبح مستقطباً لاتجاهات لا تتوافق مع ما نؤمن به من قيم ومبادي وأخلاقيات، أننا نشعر بألم وحسرة حينما نرى مظاهر الانحراف السلوكي والأخلاقي في بعض المساحات والأوساط من أبناء مجتمعنا، ولكن علينا أن نعرف أن مجرد التألم والتحسر، ومجرد التمني،

واجترار هذا الكلام في المجالس لا يغير من المعادلة شيئاً، علينا أن نواجه الساحة عملياً، بأن نرفع من درجة نشاطنا وفعاليتنا، حتى نكون أقدر على استيعاب ناشئتنا وأبنائنا، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح، الذي نأمل أن يسيروا فيه كما سار أسلافهم، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يدعو عباده المؤمنين للعمل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ وليس أن تتمنوا، وأن تنظروا، وأن تتحدثوا ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ العمل هو الذي يحسم المعركة، هو الذي يكسبك الجولة، ويبرز مصداقية الفكرة التي تؤمن بها، هو الذي يمكنك من استقطاب من تريد استقطابهم.

يجب أن نعترف بأننا مقصرون في مجال العطاء والعمل، إن في أبنائنا وجيلنا الناشيء الكثير من الطاقات والقدرات، لو أننا فتحنا أمامهم المجال، وصنعنا لهم الأجواء، وكوّننا لهم الأطر المناسبة، لرأيناهم في مستوى من الإبداع ولتفجرت الطاقات والقدرات، بما يبرز قوة المجتمع، ويؤكد الحالة الدينية والأخلاقية، وما هذا المهرجان - مهرجان ترانيم - وما هذه اللجان الفنية المتعددة المتنوعة التي تشاركنا كل عام في هذا المهرجان الرائع، إلا دليل وشاهد على أن في مجتمعنا مواهب تبحث عن فرصة، وتبحث عن ساحة ومجال، فعلينا أن نتيح لهم هذه الفرصة لا أن نكتفي بالخطب والمقالات وبجرّ الآهات في المجالس، إنما علينا أن نجدد طاقتنا وقدراتنا من أجل دعم هذه الأنشطة المتعددة، في الجانب الفني والاجتماعي والثقافي والإعلامي، حتى نستطيع أن نخوض معركة القيم ومعركة المفاهيم والأفكار على المستوى العملي الفعلي.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام في الآية الكريمة، الله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ماذا يعني ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ﴾ المسألة ليست فقط أن الله يرى عملكم، وإنما التشجيع على العمل، أن الله يقدر عملكم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾، يعني أن عملكم في موضع تقدير وترحيب من قبل الله تعالى، كيف يقدر الله عمل المؤمنين؟ بأن يزيد في توفيقهم، وبأن يضاعف لهم الأجر والثواب،

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ فإذا عملتم في سبيل الله، فإن الله تعالى يزيدكم توفيقًا، يزيد لكم الأجر والثواب إن عملتم.

﴿وَرَسُولُهُ﴾ ماذا يعني أن الرسول ﷺ يرى عملنا؟ يعني أن الرسول ﷺ يدعو لنا، يشفع لنا، يجينا حينما نعمل في خدمة القيم والمبادئ، ثم تقول الآية و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ ماذا يعني أن يرى المؤمنون عملنا؟ يعني أن يمدوا يد الدعم والتعاون والتشجيع، هذا هو المطلوب، أن الله سبحانه وتعالى يعد العاملين بأن المؤمنين سوف لا يقفون منهم موقف المتفرج، إذا عملتم فإن المؤمنين سيرون عملكم، من يعمل في سبيل الله في مجتمع إيماني فسيجد الترحيب والدعم والتشجيع والعطاء من مجتمع المؤمنين، وهنا علينا أن نضع علامة استفهام، حينما يقل تفاعل المجتمع مع العمل الديني، هذا يعني أحد شيئين: إما أن هذا الوعد الذي وعدنا به الله تعالى إذا عملتم فإن المؤمنين سيدعمونكم، إما أن هذا الوعد قد تخلف عن التحقق، وحاشا على الله تعالى أن يعد بما لا يحصل، وإما أن هذا المجتمع لا تتوفر فيه الحالة الإيمانية بالمستوى المطلوب، إذا كانت الحالة الإيمانية متوفرة في المجتمع بالمستوى المطلوب فإن هذا المجتمع لن يبخل بالدعم والعطاء والتشجيع والوقوف إلى جانب أي حركة عملية؛ لأنه سيرى أن هذا جزء من واجبه، وجزء من ممارسته الإيمانية، نحن نجد أن المجتمعات الأخرى كيف تتفاعل مع الأنشطة المختلفة والمتنوعة، يتجاوبون مع الفن من أجل الفن، ويتجاوبون مع مختلف الإبداعات والعطاءات، وهذا يعني أن المجتمع الإيماني يجب أن يكون أكثر تفاعلاً، وأكثر تجاوباً، مع أي حركة تخدم القيم والمبادئ، ومن المؤسف نجد العاملين في سبيل الله في بعض الأحيان وكأنهم بحاجة إلى الاستجداء، وبحاجة إلى إقناع الآخرين، وإلى جذب الآخرين من أجل دعم أعمالهم وأنشطتهم، إن هذا يكشف عن شيء من الخلل علينا أن نتلافاه، إننا حينما نتألم لحالات الانحراف، في بعض أوساط مجتمعاتنا، وحينما نطمح أن يكون

أبناؤنا في خط الهدى والاستقامة، هذا يعني أن نتحمل مسؤوليتنا لدعم كل الأنشطة والفاعليات والأعمال التي تقوي هذا التوجه الإيماني القيمي، إنني ومن خلال متابعتي ومواكبتني لهذا المهرجان، ومن خلال متابعتي للجان العاملة فيه بمختلف ألوان عملها الفني الإبداعي، أشعر بمسؤولية كبيرة وأرجو أن يوفقنا الله جميعاً للتعويض عن هذا الأمر، بمزيد من التفاعل وبمزيد من التعاون والدعم والتشجيع لهذه الأنشطة، التي لم يعد لنا عذر أمامها، هذه الأنشطة فرضت نفسها على الساحة الوطنية، وعلى المستوى الاقليمي، وعلى المستوى العالمي، أبناؤنا والحمد لله أصبحوا يدخلون المسابقات في إنتاج الأفلام، وإنتاج الأعمال الفنية المختلفة، فيشهد لهم الجميع بنجاحهم وتميزهم، وقبل أن يكافئهم الآخرون وأن يعترف بهم الآخرون، نحن في حاجة إلى أن نفتخر ونعتز بهذا المستوى المتقدم من الإنتاج، أسأل الله سبحانه لهم التوفيق والتأييد، وأدعو نفسي وأبناء المجتمع بمختلف شرائحهم، وخاصة علماء الدين، ورجال الأعمال والمثقفين، أدعوهم إلى دعم هذه الأنشطة وإلى الوقوف معها، والصرف عليها، بما تستحق. معركتنا لم تعد مقتصرة على أن نبني حسينيات ومساجد، ونقيم مواكب للعزاء، على أهميتها، الحسينيات والمساجد ومواكب العزاء وسائر المظاهر الدينية أمور مهمة، ويجب الحفاظ عليها ودعمها، ولكنها وحدها لا تكفي. إن علينا أن ندعم هذا النشاط الفني المتقدم، فهو الأقدر في هذا العصر على مخاطبة الأفكار، وعلى التأثير على المشاعر والاحاسيس، إنه يمثل الآن معركة الصراع الحقيقية بين ألوان القيم السائدة، وبين المفاهيم والأفكار، علينا أن نفتخر بهذا المستوى المتقدم، وأن نقف إلى جانب أبنائنا المعطاءين والرواد، على هذا الصعيد، أسأل الله تعالى لهم التوفيق، ولهذا المهرجان النجاح، ولكل الإخوة العاملين أسأل الله لهم التأييد والتوفيق، والمزيد من خدمة الدين، والقيم الانسانية والمجتمع إنه ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إحياء ذكرى ميلاد الرسول ﷺ بمسجد الكوثر بصفوى^(١)

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الحفل الذي أقيم مساء الاثنين ١٦ / ٣ / ١٤٢٩ هـ في مسجد الكوثر في مدينة صفوى بمناسبة ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ وقد أجاب سماحة الشيخ الصفار عن أسئلة وجهت له في حوار جرى ضمن الاحتفال. وقد بدأ الحوار بسؤال عن أبرز معالم رسالة رسول الله ﷺ فقال الشيخ الصفار: أبرز معالم رسالة رسول الله ﷺ ثلاثة معالم:

■ الأول: الإعلاء من شأن الإنسان ورعاية حقوقه وحماية كرامته.

■ الثاني: استثارة العقل ومحورية العلم في حياة الإنسان.

■ الثالث: صنع المجتمع الحضاري والأمة الرائدة.

وعن واقع الأمة على ضوء هذه المعالم قال سماحته:

إننا يجب أن نعترف بعجز الأمة عن مواكبة رسالة رسول الله ﷺ فعلى المستوى الأول: إنسان هذه الأمة يعاني كثيرًا من الاستضعاف وانتهاك حقوقه، إما من العنصر السياسي، أو من الجانب الديني، أو في الحالة الاجتماعية وحتى في داخل محيطه الأسري،

(١) أقيم الحفل في مسجد الكوثر بصفوى بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ.

ومن ثمّ فشأنه ليس مصوناً ولا محترماً.

وأضاف: أما المستويان الثاني والثالث فوضع الأمة يغني عن الوصف، فالعقل مجمّد، والعلم صار محو أمية، وهذا جعلنا نعيش في ذيل القائمة نقتات على فتات موائد الأمم المتقدمة.

وعن اتهام الإسلام بالدموية، قال سماحته:

هذا راجع إلى عاملين:

الأول: ظهور قراءة انتقائية متطرفة ومتشددة للإسلام، تأخذ من الإسلام بعض الجوانب خارج السياق العام، شكلت صورة متطرفة لقراءة متشددة.

وضرب سماحته مثلاً على ذلك التعامل مع المرأة «في ديننا الكثير مما يؤكد احترام المرأة، وهل أعظم من أن الله جعل الجنة تحت أقدام الأمهات! وهل أعظم من أن النساء شقائق الرجال! لكن البعض يأخذ نصّاً مهملاً، أو حديثاً غير ثابت السند، ليرسم صورة غير متناسبة مع رؤية الإسلام العامة حول المرأة، كذلك في التعامل مع الآخر المختلف عنا في الدين أو المذهب».

الثاني: التاريخ السياسي للحكومات التي تعاقبت على حكم المسلمين، كالحكومة الأموية والعباسية، التي مارست الاستبداد والقمع والإرهاب، فساعدت على رسم هذه الصورة القائمة المشوهة عن الإسلام، مع لحاظ أن بعض الفترات اتصفت بالحُسن، لكن، بشكل عام، تاريخ الأمة السياسي كان مليئاً بالاستبداد.

وحول وضع الأمة، وهل عادت بعد نبينا ﷺ جاهلية كما حدّر ﷺ يضرب بعضهم رقاب بعض، قال سماحة الشيخ:

كان رسول الله ﷺ يستشرف مستقبل أمته، وكان يدرك أنّ من الطبيعي أن تبقى آثار الجاهلية الجهلاء في النفوس، كما أن طبيعة الغرائز والأهواء البشرية لا ترضى بالخضوع للقيم والمبادئ في غالب الأحيان، وقد وضع الإسلام ووضع رسول الله ﷺ الاحتياطات

الكافية حيث أوصى أمته بالتمسك بالثقلين، كتاب الله والعترة الطاهرة، ولو أن الأمة تمسكت بكتاب الله وانصاعت لقيادة عترة رسول الله ﷺ لكانت بعيدة عن كثير من الأخطار والانحرافات، التي حصلت في تاريخها، ولأن ذلك لم يتم تولى قيادة الأمة أشخاص لم يستوعبوا قيم الإسلام، ولم يلتزموا تعاليمه وأحكامه، كما نلاحظه في سيرة الأمويين والعباسيين، فأوردوا الأمة الطرق الوعرة.

وقال ساحة الشيخ عن دور المحققين والمصلحين في تنقية التراث وموقف الأمة منهم:

إن هذه مسألة حساسة، فحينما تعيش الأمة ظروف مواجهة، أو يعيش أتباع مذهب معين ظروف صراع، تحصل هناك حالة من التشبث بالهوية والتراث، هذا التشبث قد يتحول في بعض الأحيان إلى حالة من الحساسية، فيتصور البعض أن أقل ملامسة لشيء يرتبط بهذا التراث للأمة، أو للطائفة هو خطر كبير، لذا يتوجسون منه خيفة، ويتصورون أن هذا نوع من التنازل، أو أنه يتم بضغط من الطرف الآخر.

وأضاف ساحة الشيخ: هناك تنافس بين التيارات في ساحة الأمة بشكل عام، فنحن مجتمع بشري ولسنا ملائكة، وفي بعض الأحيان توظف هذه الآراء التي يجب أن تبحث بحثاً علمياً كوسيلة لإسقاط هذه الجهة، أو لتشويه سمعة ذاك الشخص، ولعل من أسباب ذلك وجود تضارب في المصالح ووجود أغراض، بالطبع هذا لا ينسحب على الجميع، أو على كل الحالات، فهناك حالات يكون الخلاف فيها اختلافاً في الرأي.

وعن كيفية التمييز بين الاختلاف في الرأي والصراع المصلحي قال ساحتاه:
علينا أن نرى الوسائل المستعملة، فإذا كانت المسألة مسألة اختلاف في الرأي، كأن أرى أن هذا هو الصحيح وذاك يرى أن ذاك هو الصحيح، هنا تكون الوسائل شريفة من جنس الهدف، ولكن حينما تكون الدواعي مصلحية تصبح هناك وسائل غير شريفة.

وأضاف ساحة الشيخ الصفار: أود أن أشير إلى مفردتين:
الأولى: اتهام الطرف الثاني في دينه أو اتهامه بالبدعة، والضلال والتنازل عن الثواب، أو خيانة العقيدة؛ لأنه يختلف معي في الرأي، هذا ليس صحيحًا، لأننا إذا شررنا هذا الأسلوب فعلينا أن نقبله من كل الفئات، نحن ندين بعض الجهات السلفية المتشددة التي تتهم من يختلف معها في الرأي بأنه مبتدع، ومشرك وضال، إننا نقول لهم: كما أن لكم رأيًا ومن حقكم ذلك، فإن للآخرين آراء وذلك من حقهم، نحن ندين اتهامهم للآخرين في دينهم، ما دام الأمر كذلك، علينا ألا نقبل الأسلوب نفسه داخليًا، فإذا وجد عالم محقق، أو عالم يمتلك رأيًا حول مسألة عقدية، أو تاريخية، أو فقهية، فالمفترض مقارنته علميًا، نحن لا نستطيع قول أن كل رأي يقوله العالم الفلاني فهو حق وصدق، وغيره خطأ، فمن الممكن أن يكون مخطئًا في رأيه، ولكن الطريق هو المقارنة العلمية، وليس السب والشتم والتبديع.

الثانية: لا يصح لنا أن ندخل أيَّ اختلاف في الرأي ضمن عنوان البدعة، فالبدعة إدخال ما ليس من الدين في الدين، أما الاختلاف في فهم النص، وقبوله أو رفضه ونقاشه، وردّ ما هو مورد اختلاف، وليس مورد إجماع هذا لا يمكن اعتباره بدعة، وإنما هو اختلاف في الاجتهاد والرأي.

واستدرك ساحتها قائلًا: على فرض أن ما قام به هذا العالم بدعة، الحديث المروي عن رسول الله ﷺ يقول: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه»^(١) حتى إذا أردت أن تعدّ نتائج بحث فلان بدعة، فإنه وفقًا لهذا الحديث «على العالم أن يظهر علمه» لا أن يظهر شتمه، ثم إننا إذا قرأنا تاريخ مذهبنا وتاريخ علمائنا نجد أن هناك بحثًا علميًا في مختلف الجوانب، فكثير من التفاصيل مختلف عليها بين العلماء، وقليل من الأشياء موضع إجماع للطائفة الشيعية ولعلمائها، يكفيك مثلًا أن الشيخ الصدوق ألف كتابًا حول

(١) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٢٧٢.

الاعتقاد اسمه كتاب (الاعتقادات)، وبعده جاء الشيخ المفيد فألّف كتابًا تحت عنوان (تصحيح الاعتقاد) ورد على الشيخ الصدوق في (٤٣) مسألة عقديّة، ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة، وهما عالمان، ومحلهما محلّ تقدير واحترام، إذًا كثير من القضايا التفصيلية العقديّة فيها اختلاف بين العلماء السابقين، فلا يحقّ لأحد أن يعدّ رأيه العقدي في مسألة تفصيلية وكأنه مقياس الدخول في المذهب والخروج عنه، هذا ليس صحيحًا.

ثم تساءل سماحة الشيخ: ماذا عن هذه اللافتة التي ترفع (الثواب)؟، وما هي حدودها؟ ومن الذي يقرر الثواب؟

وقال: سبق أن قلت في إحدى المحاضرات إن البعض كان يقول: (حتى لون المداس وهو الحذاء الذي يلبسه العلماء في النجف ولونه أصفر هذا من الثواب)، يلزم أن نتفق على الثواب أولاً، لكي لا يأتي أحد إلى مسألة فرعية تفصيلية فيقول: هذه من الثواب، وأنت خالفتها، هذا إرهاب فكريّ، وقمع غير مقبول، نحن نفتخر بفتح باب الاجتهاد ليس فقط في المجال الفقهي، بل حتى في المجال العقدي، والتاريخي أيضًا، كثير من الآراء عند الشيخ المفيد فيما يرتبط بسيرة الأئمة عليهم السلام يختلف فيها مع علماء آخرين، وباب الاجتهاد مفتوح، صحيح أنه في بعض الأحيان يسود رأي ويشتهر بين الجمهور والآراء الأخرى تتوارى، لكن هذا لا يعني أن من أيد الرأي الآخر يكون خارج المذهب، أو يتهم بالابتداع، أو الضلال ويقاطع، فمع الأسف، بعض الفئات من الناس إذا اختلفت معهم في الرأي لا يمتلكون إلاّ المقاطعة والإسقاط وتشويه السمعة والشخصية، وأبرز ما في هذا السلوك، أنه دلالة على الضعف والعجز، فالإنسان الواعي العالم لا يواجه بهذا الأسلوب، إنها يواجه بالدليل العلمي والأخلاق الفاضلة.

وسئل سماحة الشيخ عن اهتمام الشيعة بالإمام الحسين عليه السلام مما يجعل البعض يظن أنه فاق الاهتمام برسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

أولاً: نحن نعتبر أن الولاء لأهل البيت عليهم السلام وذكرهم هو ذكر وولاء لرسول الله صلى الله عليه وآله

وهو استجابة لأمره ﷺ فلولا أنه ﷺ أكدّ الولاء لعترته وأهل بيته لما سرنا نحن في هذا الطريق، رسول الله ﷺ قال لنا أن نحتفي بأهل بيته.

ثانياً: كما أشرت سابقاً، من طبيعة المجتمعات عند الصراع فإنها تحافظ على هويتها، والشيعة لأنهم كانوا يعيشون في غالب العصور صراعاً على معتقدتهم في ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، لذلك كانوا يركزون على هذا الجانب، باعتباره العلامة الفارقة، وباعتباره الحد الذي يميزهم عن غيرهم، ألا وهو إظهار الولاء لأهل البيت (عليهم السلام).

ثالثاً: في كثير من الأحيان تكون ثقافة الجمهور غير خاضعة لتراتبية القيم، إنما هي لمعادلة الفعل ورد الفعل، وأعطيك مثلاً إسلامياً عاماً: نحن كمسلمين نعتقد بعظمة الأنبياء (عليهم السلام) مثلاً المسيح عيسى بن مريم من أنبياء الله العظام، ومن أولي العزم، والقرآن الكريم تحدث عنه وعن فضله، وعن أمه مريم وفضلها، لكن المسلمين، ولأن المسألة كانت ترتبط بالتنافس بين الأمة وبين النصارى المسيحيين، فإن الثقافة التي سادت جمهور الأمة كانت ثقافة ردّ الفعل، ما دام المسيحيون يعظمون السيد المسيح ويغالون فيه حتى وصلوا إلى مستوى التأليه بقولهم بالتثليث، ويحتفلون بعيد ميلاده، أصبح وكأنه ميزة لهم، لذلك ثقافة المسلمين فيها جفاء وجفاف تجاه نبي الله عيسى بن مريم (عليه السلام)، وقد كتب أحد الكتاب السعوديين مقالاً جميلاً في جريدة الرياض، قال: إننا قد كتبنا عن بعض الصحابة كتباً أكثر مما كتبنا عن نبي الله عيسى بن مريم، صحابي من الصحابة نكتب عنه كتباً، ونشيد بذكره وفضائله، بينما لا يوجد لدينا كتب كثيرة عن نبي الله عيسى بن مريم، لماذا؟ هل إن تراتبية القيم والرموز تجعل بعض الصحابة أهمّ من الأنبياء؟ لا، ولكن بسبب أن الثقافة كانت من وحي معادلة الفعل ورد الفعل.

ثم ضرب ساحة الشيخ مثلاً آخر يتعلّق بالمذهب، قال:

نعم، حصل تقصير عندنا في السابق، لكن الشيعة الآن وقد استعادوا الكثير من

أوضاعهم فقد أنشئت مراكز لبحث سيرة رسول الله ﷺ وطبعت الكتب في ذلك، وعلى سبيل المثال: أحد علمائنا المحققين العلامة السيد جعفر مرتضى كتب موسوعة سبأها: (الصحيح من سيرة الرسول الأعظم) في ٣٥ مجلدًا، وقد صدرت في عام ١٤٢٧ هـ الطبعة الخامسة لها، وفي مشهد يوجد مؤسسة يقوم عليها العلامة السيد محسن الخاتمي متخصصة في بحث سيرة النبي ﷺ وبدأت نشر أعمالها بعنوان (موسوعة الرسول المصطفى) طبع منها حتى الآن ١٧ مجلدًا، والعمل مستمر فيها، كذلك صدر عن مركز الدراسات الرضوية موسوعة حديثية بعنوان (سنن النبي) في عشرة مجلدات ضخمة، وهو كتاب يجمع ما ورد عن رسول الله ﷺ في مصادر الشيعة، أيضًا أحد الأدباء من المنطقة، وهو الأستاذ عبدالقادر أبو المكارم طبع موسوعة في المدائح النبوية في ١٩ مجلدًا، هذا دليل على أن الاهتمام أصبح أكثر مما كان عليه في الماضي، وكلنا كمسلمين يجب أن نشعر بالتقصير تجاه رسول الله ﷺ، ونبدأ الاهتمام أكثر بسيرته وبشخصيته العظيمة؛ لأنه هو الأصل وأهل البيت فرع منه.

وأشار سماحة الشيخ: إلى أن الاهتمام الأكثر ليس دلالة الأولوية والأفضلية دائمًا، إنها قد تكون هناك خصوصية، فنحن نجد في تراثنا الشيعي عن الرسول ﷺ وعن أئمة أهل البيت ﷺ نوعًا من الخصوصية للإمام الحسين ﷺ، هذه الخصوصية نابعة من أهمية الموقف، والقضية، لكن هذه لا تعني الأفضلية لأن الإمام الحسين ﷺ يقول: «جدي خير مني، وأبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني»^(١)، وهذا ما نعتقده، لكن تجد مثلاً أن البكاء على الإمام الحسين ﷺ له خصوصية لم ترد مثله روايات في البكاء على الزهراء ﷺ أو على الإمام علي ﷺ أو على النبي ﷺ أو على الإمام الحسن ﷺ، وزيارة الإمام الحسين ﷺ فيها خصوصية، وتربة الإمام الحسين ﷺ فيها خصوصية، هذه الخصوصيات قد تكون مرتبطة بالقضية وبالموقف ولكنها لا تدل على أفضلية للإمام الحسين على جدّه

(١) أعيان الشيعة. ج ٦، ص ٦٠١.

وأبيه وأمه وأخيه.

هناك نقد ذاتي يوجّه لنا، نحن الخطباء، علينا أن نعطي مسافة أطول ومساحة أكبر للحديث عن سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه وسنته.

وعن تواجد الرسول ﷺ في السوق والشارع والمسجد كما في السيرة، وفقدان هذا الشيء في محيط العلماء، قال سماحته:

هناك تغير في الظروف، نحن لا نستطيع أن نحكي حياة الرسول ﷺ وحياة أهل البيت ﷺ في التفاصيل، نحن نأخذ المبادئ العامة، والمنهج العام، أما في بعض التفاصيل، كيف كان يلبس؟ أو كيف كان يأكل؟ فلا، واختلاف الظروف تدعو إلى بعض الاختلاف، مثلاً، على المستوى الأمني أنا لا أشك أن المراجع العظام مثل سماحة السيد السيستاني حفظه الله، أو سماحة السيد الخامنئي حفظه الله، أو سماحة السيد فضل الله حفظه الله، أو كل المراجع لا أشك أنهم يريدون أن يعيشوا مع الناس، لكنّ هناك ظرفاً أمنياً يمنعهم، لو أن النبي ﷺ يعيش الآن في مثل هذا الظرف في العراق لعله لم يكن يذهب إلى السوق، وذلك لأن الوضع اختلف، كما يجب أن نأخذ الواقع الاجتماعي الذي نعيشه بعين الاعتبار، يمكن للعالم اليوم أن يتابع أوضاع الناس من خلال متابعته للتقارير، ومن خلال مراكز أبحاث، طبعاً إن استطاع أن يعيش مع الناس بالحياة الطبيعية والعادية فهذا أمر مطلوب، لكن ليس هذا هو الأسلوب الوحيد إذا تعدّر علينا، نكون قد خالفنا المنهج.

أصل فكرة أن عالم الدين ينبغي أن يعيش مع الناس، وفي وسطهم، فكرة صحيحة، ولكن تبقى الأساليب والوسائل قد تتغير من ظرف إلى آخر.

وقال سماحة الشيخ عن تكرار الإهانات الموجهة لرسول الله ﷺ:

أن هذا الموضوع يرتبط بواقع الأمة، فعندما تكون عريضة الجانب تفرض احترامها، لكن حينها تكون ضعيفة فإن ذلك يغري الآخرين بها، خذ اليهود مثلاً: لأن لديهم قوة سياسية وإعلامية واقتصادية في العالم، استخرجوا قانوناً دولياً يدين ويجرم التشكيك في

بعض قضاياهم التاريخية، كالهولوكوست (المحرقة)، اليوم في أوروبا لا يجراً أحد حتى ولو كان من كبار المفكرين أن يشكك في تفاصيل هذه الحادثة، ومن تجراً وتكلم حكم عليه بالسجن أو الإقامة الجبرية أو بالغرامة، واتهم بمعاداة السامية، لماذا؟ لأن اليهود في موقع قوة على المستوى العالمي والسياسي، والأمة الإسلامية - للأسف الشديد - ليست في مثل هذا الموقع، إنها تعيش اليوم حالة من الوهن والضعف، وهذا يغري بعض الجهلة والسفهاء بالاعتداء على رموز الأمة ومقدساتها، والحلّ الجذري والحقيقي هو أن تستعيد الأمة مكانتها، عندها ستحترم رموزها ومقدساتها.

النقطة الثانية: هناك اتجاه صهيوني ومسيحي متطرف هاله انتشار الإسلام في أمريكا وأوروبا، وفي الإقبال على الإسلام، فالإسلام اليوم هو أكثر الأديان انتشاراً في أمريكا وأوروبا، ذكرت بعض التقارير بأن عدد المسلمين بات في العالم يتجاوز عدد الكاثوليك، هؤلاء في مقابل هذه الحالة أرادوا بهذه الأساليب الإعلامية أن يضعوا حاجزاً بين شعوبهم وبين الإقبال على الإسلام هذا أولاً.

ثانياً: هم يفعلون ذلك ليورطوا المسلمين في ردود فعل سلبية تستثمر ضدهم وضد الإسلام، وللأسف نجحوا في هذا الأمر فصدرت ردود فعل سلبية، ومحاولات اغتيال، وإرهاب، وقتل، هذه ردود سيئة وغير مناسبة، ويحقق ما أراده اليمين المسيحي المتطرف واللوبي الصهيوني الذي يريد خلق مشكلة وصراع وصدامات بين الحضارات.

النقطة الأخيرة: نحن قصرنا كأمة، بل قصرنا كثيراً في تعريف العالم بشخصية رسول الله ﷺ وسيرته، نحن نهتمّ بها في داخلنا، ونمدحه ﷺ ونشد الأناشيد في داخل مجالسنا، وكذلك نحن الشيعة تجاه أئمتنا ﷺ، فلا نتحمل أيّ مسؤولية اتجاه العالم الخارجي.

وأضف سماحته: لو أننا عملنا إحصاء كم يصرف الشيعة في محرم على الاحتفاء بالشعائر الحسينية؟ سنكتشف أنها مبالغ كبيرة، وجهود عظيمة، لكن كلها في الداخل، لا يوجد أيّ جهد متوجه إلى خارجهم، لا يوجد اهتمام بهذا الجانب، نحن لا ننشغل

بالعالم، أعرفهم ﷺ أم لم يعرفهم؟ نحن ننقل هذا النص «شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا» لهم علينا في ليلة مولدهم أن نفرح لفرحهم، وفي ليلة وفاتهم أن نحزن لحزنهم، أما أن نعلم الآخرين من هم أئمتنا فلا، وحتى العاملين في بيوتنا من مختلف الجنسيات، لم نصرف أيَّ جهد في إيصال صوت الإسلام، وثقافة أهل البيت لهم، أليسوا بشرًا ويعيشون معنا؟ بإمكاننا بل من واجبنا أن نوصل لهم صوت الهدى.

وعن القنوات الفضائية قال سماحته:

قنواتنا الفضائية أطلت علينا تخاطبنا نحن، وتدغدغ مشاعر المجتمع الشيعي، وليفرح عجائز الشيعة، وأطفالهم، أما الآخرون فلا يهمننا رضاهم بهذه الأشياء أو اعتراضهم، نحن نعرض الشيء الذي يعجبنا نحن، لم تتوجه قنواتنا لمخاطبة الآخر، أو أخذ تقبله بعين الاعتبار، هذا يصدق علينا كطائفة تجاه أهل البيت، ويصدق على المسلمين بشكل عام تجاه سيرة رسول الله ﷺ وهنا الحديث ذو شجون.

صدر حديثاً

- ١ . خطاب الوحدة نقد وتقويم
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،
القطيف، السعودية.
- ٢ . موقعية حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار،
القطيف، السعودية.
- ٣ . المبتعثون طموح التنمية والتقدم
الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف،
السعودية.
- ٤ . صلاة الجمعة أحكام وآداب
الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، أطراف للنشر والتوزيع، القطيف،
السعودية.
- ٥ . أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد العاشر)
(بين يديك)

٦. **كثرت كرايي وآزادی در اسلام** (ترجمة كتاب التعددية والحرية في الإسلام باللغة الفارسية).

الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، مجمع البحوث الإسلامية التابع للروضة الرضوية، (إيران - مشهد)، ترجمة حميد رضا آذير.
الطبعة الأولى: تحت عنوان (چندگونگی وآزادی در إسلام)، ترجمة حميد رضا آذير، نشر بقیع.

٧. **ƏZƏMƏTLİ QADIN** (ترجمة كتاب المرأة العظيمة: قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام باللغة الأذرية).

الطبعة الثانية: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، دار mbc، جمهورية آذربيجان.

الفهرس

٧	تقديم
١٧	كتاب كريم
١٩	أول الحديث
٢٥	عاشوراء من أيام الله
٤١	كيف نحبي عاشوراء؟
٥٩	تقويم الذات في مواجهة الانتكاسات
٦٧	كيف تتطور العلاقات الاجتماعية؟
٧٥	منهجية المطالبة بالحقوق
٨٧	ضعف الأمة يغري بالإساءة لرسول الله ﷺ
٩٥	مظاهر الولاء وجوهر قضية أهل البيت ﷺ
١٠٣	الأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ
١١٣	بين قمة المؤتمر الإسلامي وقمة الاتحاد الأوروبي
١٢١	ترشيد استهلاك الماء
١٢٩	معالم الرسالة وواقع الأمة
١٣٩	الخطاب الديني والتحديات الداخلية

- ١٤٩..... دعاء التقريب واشكالات المتحفظين ..
- ١٦١..... المؤسسة الدينية وسلوكيات المنتمين إليها ..
- ١٧١..... التواصل الاجتماعي ..
- ١٧٩..... الجمعة برنامج اجتماعي.....
- ١٨٩..... خطورة التصعيد في الساحة اللبنانية ..
- ١٩٧..... ذكرى النكبة وأمل الانتصار ..
- ٢٠٥..... البيئة العربية وإنتاج الصراعات ..
- ٢١٣..... الأعمال الحرة خيار أفضل ..
- ٢٢٣..... مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي ..
- ٢٣٣..... في مواجهة أصوات التطرف ..
- ٢٤٣..... اتفاق التهدئة في غزة مؤشر قوة وانتصار ..
- ٢٥١..... اليوم العالمي لمكافحة المخدرات ..
- ٢٦١..... أبنائنا بين الشهادات والكفاءات ..
- ٢٦٩..... عاملات المنازل وحقوقهن الإنسانية ..
- ٢٧٧..... عن المؤتمر العالمي للحوار ..
- ٢٨٧..... بذل الجاه والوساطة في الخير ..
- ٢٩٥..... بركات شهر شعبان ..
- ٣٠٣..... الدور المسؤول في زمن الانتظار ..
- ٣١١..... شخصية الإنسان بين الاستقلالية والذويان ..
- ٣٢١..... استقبال شهر رمضان ..
- ٣٢٩..... رمضان واكتساب خصال الخير ..
- ٣٣٧..... تجربة محاكاة الانفجار العظيم.....
- ٣٤٧..... مهاجمة المواقع الإلكترونية نوع من العدوان ..
- ٣٥٧..... رقابة المواطن على المؤسسات العامة ..

- ٣٦٥..... انتخاب أوباما رسالة ضد التمييز
- ٣٧٥..... النجف الأشرف دعوة للوحدة والتقريب
- ٣٨٩..... الحجيج ومعاناة الزيارة في المدينة المنورة
- ٣٩٧..... حين تتخلى الأمة عن حمل الرسالة

كُتَابَات

- ٤٠٩..... تقديم لكتاب المرجان في أحكام الحيتان
- ٤١٥..... تقديم كتاب «مولد أمل» للاستاذ علي بن أحمد القبعة
- ٤٢١..... الشيخ سعد نموذج أخلاقي
- ٤٢٥..... تقديم كتاب شاخصه الأبصار لذوي الاختيار
- ٤٣٧..... الشيخ الصفار: لا علاقة لي بأي من المواقع الالكترونية
- ٤٤١..... كلمة الشيخ الصفار لمشروع تيسير الزواج بالقطيظ
- ٤٤٣..... إجازة رواية للفاضل الدكتور السيد سلمان هادي آل طعمة
- ٤٤٥..... العلامة العسكري وهم الوحدة الإسلامية

متابعات

- ٤٥٧..... الشيخ الصفار لا يتبنى صداماً مع الدولة
- ٤٦١..... الشيخ الصفار يشارك في تكريم أمين عام مجمع الفقه الإسلامي بجدة
- ٤٦٥..... الصفار: أكبر إساءة للإسلام أن يصبح عنواناً للإرهاب
- ٤٦٧..... العلم لخدمة الوطن الدائرة الأكبر من القبيلة والطائفة والمنطقة
- ٤٧٥..... الشيخ الصفار يستقبل وفد جمعية المرسم الحسيني
- ٤٧٧..... الشيخ الصفار: على النخبة الواعية أن تبشر بقيم الحوار
- ٤٧٩..... الشيخ الصفار: مواكب العزاء ضمان لاستقامة الشباب
- ٤٨٣..... الشيخ الصفار: الوجاهة نعمة وشكرها خدمة المجتمع
- ٤٨٩..... الشيخ الصفار يزور المعرض الحسيني الثالث بالجارودية

- ٤٩٣..... الشيخ الصفار يفتتح مسجد الإمام القائم في الأوجام
- ٤٩٧..... في احتفالية ثقافية سعودية خليجية بمنزل الصفار
- ٥٠١..... الصفار في تكريم خوجة : التواصل يقطع الطريق أمام المتصيدين
- ٥٠٣..... الصفار يحمل أصحاب الإرهاب الفكري مسؤولية عدم التقارب
- ٥٠٥..... الشيخ الصفار يناقش الممانعة للنقد الذاتي على الصعيد الثقافي
- ٥١١..... العالم الواعي يكون أباً لكل أفراد المجتمع بمختلف توجهاتهم
- ٥١٥..... الاعتداء على الآخر المختلف بعيد عن روح الإسلام، وأخلاقه
- ٥٢٣..... الصفار يطلق مبادرة غير مسبوقة لاحتواء الشباب المهمشين
- ٥٢٧..... الشيخ الصفار: الجشي ورفاقه اشتغلوا بقضية «التنمية السياسية»
- ٥٣٣..... الشيخ الصفار يستقبل مجموعة (قطيف فريندنز)
- ٥٣٥..... الشيخ الصفار في حفل توقيع اتفاق صندوق المئوية :
- ٥٣٩..... الشيخ الصفار يشارك في المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار
- ٥٤٣..... السيد الشيرازي وموقفه من الحراك الفكري والسياسي
- ٥٥٣..... الشيخ الصفار يُشيد بإنجازات فريق نادي مضر
- ٥٥٧..... الشيخ الصفار: أمام الخطاب الإسلامي تحديات خارجية مازالت قائمة
- ٥٦١..... الشيخان الصفار والنجيمي يدعوان إلى التصدي بحزم للتكفيريين
- ٥٦٥..... النجيمي: نحن ضد التكفير.. والحوار هو أقصر الطرق للتفاهم
- ٥٦٩..... السعودية.. الشيعة لا يريدون دخول «كبار العلماء»
- ٥٧١..... الشيخ الصفار يشيد بكتاب (تراث الأجداد) للدكتور جميل الجشي
- ٥٧٣..... الشيخ الصفار يشارك في المؤتمر العالمي للحوار بمدريد
- ٥٧٩..... الصفار: محاولات فرض الآراء تؤدي إلى النزاعات
- ٥٨٣..... الشيخ الصفار: بدأ عصر الغيبة بدور قيادي للمرأة
- ٥٨٧..... الشيخ الصفار في تلفزيون المنار متحدثاً عن: الدعاء عند أهل البيت ﷺ
- ٥٩١..... عن شخصية الإمام موسى الصدر

- ٥٩٥..... الشيخ الصفار يتابع الإنجازات العلمية
- ٥٩٧..... الشيخ الصفار يُشيد بشمولية الاهتمام الاجتماعي للشيخ المطرود
- ٦٠١..... كلمة الشيخ الصفار في تكريم السيد حسن العوامي
- ٦٠٧..... الشيخ الصفار: تصريحات القرضاوي استندت إلى مصادر خاطئة..
- ٦٠٩..... الشيخ الصفار يشارك في تكريم حافظات القرآن
- ٦١٥..... الشيخ الصفار في حفل ترانيم: يجب ألا يقل مستوى أدائنا الفني
- ٦٢١..... بحضور مميز: الشيخ الصفار يفتتح منتدى سيهات الثقافي
- ٦٢٥..... الشيخ الصفار يزور رابطة الحوار الديني في قم
- ٦٢٩..... الشيخ الصفار: ينبغي لمجتمعاتنا المراهنة على ذاتها
- ٦٣٣..... الشيخ الصفار يزور المعهد العالي السعودي الياباني للسيارات
- ٦٣٧..... الشيخ الصفار في ذكرى الشيخ الأوحدي: الاختلاف هو المحك الحقيقي
- ٦٤٣..... الصفار واللويحق: لا يجوز إلزام الحجاج بمذهب معين في مناسك الحج
- ٦٤٧..... الدكتور يمان في ضيافة الشيخ الصفار

حوارات

- ٦٥٣..... حوار صحيفة الرياض
- ٦٥٧..... حوار موقع إسلام أون لاين
- ٦٦٧..... حوار قناة LBC حول المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار
- ٦٧١..... حوار إذاعة BBC
- ٦٧٧..... حوار صحيفة «عكاظ»
- ٦٨١..... حوار قناة LBC الأديان بين عنف الخلاف وتنظيم الاختلاف
- ٦٩١..... حوار صحيفة الدار الكويتية
- ٧٠٥..... حوار مجلة الإمامة
- ٧٠٩..... حوار صحيفة الرياض
- ٧١٥..... حوار وكالة الأنباء القرآنية العالمية

- ٧٢٣..... حوار رابطة الحوار الديني.....
- ٧٢٩..... التقارب السني الشيعي بين حق الاختلاف ودعوى امتلاك الحقيقة ..
- ٧٤٥..... زيارة الوفد السني لمسجد القطيف لم تحظ بتغطية إعلامية واسعة ..

ندوات ومحاضرات

- ٧٥٣..... حفل عشاء على شرف سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار ..
- ٧٨٣..... كلمة سماحة الشيخ حسن موسى الصفار في تكريم الشيخ لخوجة ..
- ٧٨٩..... المرأة وتحديات الواقع الاجتماعي ..
- ٨٠١..... كلمة الشيخ في مهرجان ترانيم السنوي ..
- ٨٠٧..... إحياء ذكرى ميلاد الرسول ﷺ بمسجد الكوثر بصفوى ..
- ٨١٧..... صدر حديثاً ..